

# ثلاثية محطات

العربانه - كفاخ - البياض الدامي

أسم الكتاب : ثلاثية محطات / العربانه - كفاح - البياض الدامي  
المؤلف : حميد الحريزي

~~~~~

الطبعة : الثانية ٢٠٢١م  
الناشر :

مصمم الغلاف : فلاح العيساوي  
التنسيق الداخلي : فلاح العيساوي  
البريد الإلكتروني : fffhh9@gmail.com  
الرقم الدولي :

لوحة الغلاف الفنان: احمد البركان  
اللوحة الاولى: الفنان حسن شبع  
اللوحة الاولى: الفنان حسن شبع  
اللوحة الاولى: الفنان احمد البركان

رقم الإيداع في دار الوثائق والكتب في بغداد (٩٦٥) لسنة ٢٠٢١م

~~~~~

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق.

All copyrights are reserved, and no organization, organization, or entity may reproduce, transmit or transmit this book in any form or mode of transmission of information, whether electronic or mechanical, including copying, recording, storing and retrieving, Without the written permission of the right holders.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

حميد الحريزي

# ثلاثية محطات

العربانه - كفاح - البياض الدامي

رواية

٢٠٢١



# الجزء الأول

## العربانه





نور الشمس، بعد طوال ظلام، هرج ومرج وصخب في  
الشوارع، من فتح لهم أبواب الزنازين؟ لمن هذه الدبابات  
والمدرعات؟

أصوات اطلاقات نارية، قذائف، حرائق لا وجود لذوي  
البدلات الزيتونية، صور (القائد) محروقة، ملطخة  
بالقاذورات؟

أسئلة بلا جواب تدور في رأسه، يشاهد ناسا محنية ظهورهم  
تحت ثقل رزم، أو أكياس، منضدة، تلفزيون، مراوح، الخ  
رؤوس تماثيل، بابليات وسومريات تتدحرج على الأرض،  
يحمل أغلبهم بنادق أو مسدسات، تتقاطع الأطلاقات النارية  
فوق رأسه، يهرب بعضهم، يسقط البعض الآخر مضرجا  
بدمائه دون أن يحفل به أحد، طائرات تحلق على ارتفاع  
منخفض، واضحة أجسام الطيارين للمشاهد، طائرات حربية  
تزمجر في سماء المدينة، ترسم بدخانها المتكاثف صليبا  
عملاقا في السماء، أسراب الحمام تحلق مذعورة فوق  
دوامات الدخان.

العلم الأمريكي يخفق على المدرعات وفوق بعض البنايات،  
قطعان من الجرذان والفئران تتقيأها جدران وفتحات  
المجاري الثقيلة!

- ماذا يجري من نقل العراق إلى أمريكا، أو من نقل أمريكا إلى العراق؟ من أبتلع من؟ من أحتل من؟ هل بعث حيا نوري السعيد من جديد، وعقد حلف بغداد؟ هل ذهبت دماء وأرواح الوطنين العراقيين سدى؟ هل عادت شركات البترول الاحتكارية إلى سابق عهدها؟ هل عاد القطار الأمريكي من جديد، ولكن إذا كان قد حمل (البعث) إلى السلطة في ١٩٦٣، فمن المحمول لحكم العراق الآن؟

نعم كانت وستبقى راسخة في فكره الأمبريالية عدوة الشعوب، لن تهتز قناعاته مهما حصل، نعم إنَّ المستبدالحاكم هو وليدها المدلل لكن ماذا جرى؟ أسئلة تتكاثف في رأسه ومخه المضطرب، يحس لها أزيز كأزيز الزنابير المستثارة، "الموت لأمريكا عدوة الشعوب، لا ديكتاتورية ولا احتلال، الموت للشركات الاحتكارية، الخبز للجوع، وصانه فهد من مات دولته اشتراكيه) (الاتحاد فدرالي والصداقة سوفيتيه). (الطالب وردة على صدر العامل). (بس هالشهر ماكو مهر وبصاية المهداوي). (المايصفك عفلقي) دوامة من الشعارات والهتافات الحقيقية، والمدسوسة منها دارت في مخيلته عاشها خلال تاريخه السياسي الطويل.

فارع القامة، تبدو عليه علامات الهيبة رغم ملابسه الممزقة، شعره الأبيض يجلل كتفيه، شعر لحيته يغطي صدره الذي بانت أضلاعه كحزمة خيزران مقوسة، حالة جميلة تضئ وجنته اليسرى، يسير حافي القدمين، تبدو أظفاره ليديه ورجليه كأنها ملاعق أصابها الصدء، يسير دون هدى لا يعرف إلى أين يذهب، ولكنه ظل يردد لازمته كما كان في زناناته الأنفرادية قبل (٢٤) عاما

- هل هدم الدرج؟

- من هدم الدرج؟ هل هدم الدرج؟..

أستوقف أحد المارة، وقف الرجل مذهولا وهو لا يدري بماذا يجيب هذا الرجل الشبح، تركه ومضى، وهو يهز يده مستهزئا، قائلاً: وهل بقي شيء لم يهدم، ألا ترى ما يجري في البلاد أيها المجنون؟!

أثار قرف الكثيرين، فحين يريد أن يتغوط يفتش عن صفيحة معدنية فارغة، يخلع بنطاله، يجلس عليها يكمل حاجته، دون أن يعير أهتماماً لأحد تحيطه أسراب من الذباب الطنان، ودون غسل، حاول البعض اقتياده وإدخاله للمرافق الصحية، مغلقا الباب عليه، يمكث في التواليت ولا يخرج حتى يفتح له من قبل أحدهم ويخرجه منه، مع إنه لا يقضي حاجته هناك أبداً فيظل يبحث عن صفيحة نحاسية، يتعرض أحياناً للضرب والشتم والسب حين يفعلها في الأسواق والساحات العامة.

عقب أحدهم على تساؤلات بعض الناس عن سبب هذا التصرف الغريب من قبل المعتوه وليمنعهم من ضربه وشتمه متأسيا لحاله قائلا: أكاد أجزم بان هذا المسكين كان سجيناً لفترة طويلة في إحدى زنازين النظام، فقد كانوا يسجنونهم في التواليت، ولا يدعونهم يفرغون حاجتهم إلا في صفائح معدنية توضع في زناناتهم، فيبدو أنه أعتاد هذا الحال خوفاً من بطشهم وعقابهم لو إنَّه خالف تعليماتهم، سبق وإن تعرضت لذلك ولكن لفترة قصيرة، أرتد البعض إلى ذاته وكأنه يتذكر مرارة ما مر به فعلاً، نظر بعضهم للبعض علامة إدانة متبادلة عبرت عنها همهمة غير مفهومة، واصلوا انتشارهم الحشري عبر كل الاتجاهات!

لم يتوقف عن سؤاله التقليدي عن حال الدرج، وسط أستغراب الناس أو لا مبالاتهم، هكذا تصرف أغلب من أستوقفهم ليسألهم السؤال نفسه.

أعتاد ان ينام قرب حاوية أزبال في إحدى الساحات، يقلب الأزبال، يأكل من بقايا فضلات المطاعم والبيوت، يلتقط القصاصات الورقية، يقرأ ويقرأ ويظل يقرأ على ضوء النار التي يشعلها ببعض الأخشاب المهشمة وأكياس النايلون وقطع الكارتون، قطع الورق الممزقة يصلها ببعضها البعض بصبر ودقة كبيرة، لتظهر له كتابات لها مضامين مختلفة، حبييتي العزيزة أنا لم أخُنكِ، سيدي أظن أنه منتم لحزب،

يصلي في الجامع، نعم بالتأكيد هو، فهو يرتدي قميصاً أحمر،  
مهما طال الليل لا بد من صباح، صياح الديك لا يعني بزوغ  
فجر جديد، صياح الديكة طبول حرب جديدة، دعوة مواليد  
للالتحاق. دار دور لا دار ولا نور، نيران نيران في بلدنا  
أمريكان، اغتص، الجلا، أمة عربية واح، ذات رس.

تهب ريح تجرف معها جذاذات الورق، يغيب المعنى، سقط  
ثم أكل، مات، نهض، أحترق، أطفأ ألن، أحتتر، دفن حيا ركلة  
جزاء، كلاب، نكح، سلب، حلب، الماء يجف. خان الرفيق،  
الحك، بالاع، المدر، مائهم أدناه، لاط، الرئيس، مخا برا، لا  
يهم ان يكو، ذا المهم ولائه للقاء، حف، عاه، عم.

أضناه الركض ليمسك بقصاصات صورة عريسين، بعد جهد  
جهيد أكتملت قطع الصورة إلا رأس العريس لم يستطع ان  
يظفر به فبكى بمرارة حتى هذه الأسى فنام، تتقافز من حوله  
الصراصر المستفزة، وهوام ودواب أخرى لم ير أشكالها  
وأصنافها من قبل.

"أحلام السمرء، عيون صقور البادية، طيبة نخيل البصرة،  
حلاوة البرحي، رائحة حناء الفاو، ظفائر دجلة المسرحة  
بمشط الفرات العذب، جمال وكمال وثقافة وجرأة واعية،  
هي نعم هي ما تحلم به، هي فتاتك المتخيلة، ولكن -  
ماهو الطريق الذي بوصلك لقلبها؟

وهل حجرات قلبها لم تضيف حبيا لحد الآن؟

هل معقول لم يطرق أحدهم أبواب هذا الجمال الباذخ؟  
أستاذة (النقد الادبي) في كلية الاداب، نعم لقد وجدتها، إنَّ  
أبواب الأدب مشرعة للحوار والنقاش، وفيه الكثير مما يقال،  
خصوصا وهو أستاذ الأدب العربي الحديث، وشاعر معروف  
في الكلية وخارجها ومن المغرمين بحركة التجديد الشعري  
والخروج على المألوف وكسر التقليد.

الأسم ليس غريبا على نظارة قرائته، شحذ ذاكرته جيدا،  
أعتصرها، فترها من الأنشطة اليومية الصدئة، هل يمكن  
أن تكون هي الناقدة (أحلام سعيد) التي كانت تلاحق قصائده  
المنشورة في المجلات والجرائد بالدراسات النقدية، دون أن  
تخفي إعجابها بنصوصه الشعرية؟!

يسرح نظره صوب بلبل كان يعزف الحانه الشجية من على  
غصن محمل بثمار النارج المشتهاة "أنِّي أقف بأحترام كبير  
وأعجاب لا أستطيع أن أواريه تحت ستار الموضوعية  
وحيادية الناقد، لنصوص الشاعر المبدع المجدد (كفاح) هذا  
الذي أستطاع أن يهبنا أكثر النصوص جمالية وسحراً، لغة  
باذخة الجمال، والتجدد، وفي الوقت نفسه لم يضع في متاهة  
الغموض والعدمية واللامعنى، هذا الوصف الذي أخذ يهيمن  
على أغلب نصوص الشعراء والأدباء من أنصاف الموهوبين  
لستر عورات قصورهم تحت ذريعة نصوص ما بعد الحداثة،  
نصوص شاعرنا، كلماته مفرداته صوره فرحة مسرورة لأن

الشاعر أستطاع أن يجدد ويفعل معناها ومبناها وأن يضيف لها طاقة جمالية ساحرة، مما أغنى المعنى وأضاف للغة ما هو جديد، فنياً، ودلالياً تبل ريقها بكأس من الماء البارد ثم تواصل، فمكن نصوصه من الاستحواذ على ذائقة المتلقي دون أن تعلق على صدرها هوية تعريف أو نسب، لم يكن أنحيازه لهموم الأنسان ومعاناته على حساب البناء الفني للنص وجماليته، لا بل تمكن الشاعر من جعل هذين الطرفين يعملان ويتألقان سوية ليكون النص لافتاً ساحراً معبراً بأبهى وأحلى صورة"

لفت أتباههم هديل حمامة بلون الحليب، بالقرب منهم، تلتقي نظرات العيون الشاخصة صوب الحمامة الهادلة. تفاجئه يوماً بسؤال، وهي تطالع إحدى المجلات الأدبية:- أستاذي، هل عندك صورة عن سميك الشاعر العراقي المجدد (كفاح)؟

ظل في حيرة من السؤال المفاجيء، هل يجيبها أن الذي أمامها هو (الشاعر كفاح مظلوم) بلحمه ودمه، أو يترث ليتحرى عن سر أهتمامها ب (كفاحها) الحاضر الغائب؟ دكتوراه أحلام، هل التقيته، هل تعرفينه شخصياً؟ لا أبداً حتى إنني لم أر صورته لحد الآن، يبدو أنه لا يحب أن تظهر صورته بجانب نصوصه المنشورة في الصحف والمجلات، سأكون في غاية السرور لو أتيحت لي فرصة

لقائه، أني في غاية الإعجاب بنصوصه ومنهجه الفني والفكري في كتابة الشعر، أنه شعلة متوهجة من الجمال الفني، والسمو الانساني.

بحماسة واضحة، كانت تتحدث عن الشاعر وشعره وأسلوبه المتفرد، مما أضفى عليها هالة مشعة من الجمال الأخاذ، اسر لسان (كفاح) وهو يرى ويسمع، هذه الحورية الساحرة تتحدث عنه بمثل هذا الأندفاع والموضوعية والعلمية، لم يفلت منها أي نص من نصوصه وكتابات.

مالك أستاذ وهل يعقل أنك لم تتعرف على الشاعر وهو سميك وتغفل نتاجه الشعري وأنت أستاذ الأدب الحديث في الكلية؟

أجابها متلعثما، وقد هيمنت عليه صدمة المفاجأة، وممن، من الحلم والملاك والحبیب المشتہی.

- لا لا لا شيء دكتور أحلام، ولكني معجب حقاً بأحاطتك الكبيرة بنصوص الشاعر وبدقة ملاحظاته وغزارة معلوماتك في النقد الأدبي.

نعم اني أعرفه وهو صديقي وزميلي، يمكنني أن أرتب لك لقاء معه في أي مكان تشائين.

سأكون شاكرة جداً لكم دكتور، في الحقيقة لدي نية كتابة دراسة موسعة عن شعر هذا الشاعر العراقي الكبير، لفت

نظرها سرب من العصافير وكأنَّها تلاعب الهواء المشبع  
بنسيم نهر دجلة.

يحس بحالة من الحرج، الفرح، التشوش، وهو يستمع لها،  
وكان وضعه لا فتا لها فعاجلته بالقول بعد أن رفعت خصلة  
من شعرها الناعم المنسرح فوق عينها اليمنى لفض الأشتباك  
بين شعر الراس وأهداب العينين الطويلة، وقد أعتلت وجتيتها  
سمرة الخبز الحار، وهي تحاول أن تزيل إيهاما أو ربما حمل  
فكرة ربما علقت في ذهن محدثها: أستاذ أنا عندما أتحدث  
عن الشاعر بهذه الصورة لا لشيء إلا لكوني وجدت في  
نصوصه الصدق والجمال وبذخ المعنى في زمن التصحر  
الأبداعي، يتلهف شوقا وحرقة لقطرات المطر، وبالنسبة لنا  
كنقاد أدب وكمثقفين.

تسحرنا هذه النصوص الشعرية أو السردية الرائعة، إنَّ الشاعر  
المبدع هو من يتمكن من إيقاظ الكلمة من سباتها  
وصيرورتها ضمن السكون صوب العفن وبث روح الحركة  
والتجدد تعيد لها الحياة والتألق في الدلالة والمعنى ضمن  
النص الشعري أو السردى للمبدع، أرى إنَّ الشاعر (كفاح)  
تمكن من كسر سبات العديد من المفردات والدوال  
واخرجها من حال السكون والرتابة إلى حال (الحدوث)  
فانتشت وانتعشت فرحة بما آلت إليه في موقعها ودلالاتها  
الجديدة في نص الشاعر، إنَّ المفردة تعيش ربيعها وتفتحها

بين أنامل الأديب المبدع الذي يتمكن من جعلها ترتوي حد  
الامتلاء من نسغ الحياة الدافق في سواقي أحساسه ومشاعره  
وهي تغترف من نهر الأبداع والجمال والخصب والحركة.  
يخرجان من كافتريا الكلية ليتجولا بين اصص الزهور وتحت  
أغصان الشجيرات في حديقة الكلية، وهو يستمع إلى قول  
الناقدة القديرة معجبا بقدرتها على فهم النص وقراءته قراءة  
غير تقليدية، فانبسطت أساريه وقد ملأته اعجابا مسحوراً  
بتحليلاتها وجمال ورشاقة مفرداتها وتوصيفاتها، الدالة على  
صدق الأحساس بالجمال والحب، ناهيك عن جمالها  
الأخاذ، مر من فوقهم نورس وكأنه يؤدي لهم تحية الحب  
والسلام.

فقال لها بصيغة الواثق: - لا عليك دكتوراه سأنظم لكما يوم  
غد لقاء في نادي الكلية، فهو صديق حميم وسيستجيب  
لدعوتي، له عدت زيارات سابقة لكليتنا في عدد من مناسبات  
ومؤتمرات أدبية وثقافية.

أبدت الدكتورة شكرها وأمتنانها لزميلها لتحقيق أمنية عزيزة  
على قلبها، ودعته على أمل اللقاء غدا.

ظل يترقب انقضاء ساعات هذا اليوم التي بدت تسير ببطيء  
مرة ومرة يشعر إنها تتبخر بسرعة تبعاً لوضعه وإحساسه وهو  
يكاد لا يصدق ما سمعه من دكتوراه أحلام، ولهفتها للقاء  
شاعرها المفضل، مرة يشعر بالخوف ومرة يشعر بالفرح، ظل

قلقا متوترا، حالة لم يشعر بمثلها سابقاً، حاول أن يسرب  
لنفسه جواباً يقول انه يعيش حالة حب حقيقي وعليه أن  
يعترف بذلك، رغم إن فترة معرفته بـ(احلام) قصيرة، لا يؤيد  
منطق فكره وقناعاته وفلسفته صحة هذه الأجابة وبمثل هذه  
السرعة الخاطفة، لقد فشلت حواجز وأسيجة مناعته من صد  
أشعة عيون (أحلام) وفتنتها الساحرة، يتمنى أن تكون كذبتة  
البيضاء عليها، ومفاجئته لها بأنّه هو (كفاحها) المطلوب  
وشاعرها المرغوب، يتمنى أن تلقى قبولها، ولا تعدّها سيئة  
بحقه لأنّه أستغفلها أو تمنع عنها في حينها، ليجعل حالة  
التعريف بنفسه صادمة لها، ونافذة دخول نور حبه إلى فيض  
قلبها المضاء بالوعي والأدب ورهافة الأحساس، عند عودته  
للدار علم من والدته إنّ (البلبل) أفلت من قفصه وأطلاق  
جناحيه للريح، أبتمس دون أن يعقب أو يعلن عن أنزعاجه أو  
أسفه.

دوى إنفجار كبير بالقرب من (مملكته) فأستيقظ مذعورا،  
وسط دوامة من الأوراق وأكياس النايلون والنفايات المتطايرة  
من شدة العصف وقوة الأنفجار، رفع رأسه وحاول النهوض  
ليستطلع الأمر، فلطمته كف ناعمة مدماة، وسقطت على  
الأرض، كف ببياض الحليب، اصابع كالشموع، مختمة  
بحلقة ذهبية، لم يستطع أن يتعرفها (كفاح) هل هي خاتم  
خطوبة أو خاتم زواج، لأنّه لايعلم هي كف اليد اليمنى أو

الكف اليد اليسرى ولكنها هي كف انثى بالتأكيد، نهض متهسترا وبدون وعي منه يصيح أحلام، أحلام، ضاع صوته وسط عويل ونحيب وهسهسة النيران التي التهمت الدور والمحلات، والدخان المشبع برائحة اللحم البشري المحروق.

في كومة الأزبال لفت نظره جريدة قديمة مع صورة (القائد الضرورة) وهو يلوح بكفه للجماهير وقد كتب بخط عريض (إنني متأكد من النصر على قوى التحالف الأمبريالي وكاني أراه بعيني الآن)!

وكراس صغير، قرأ باهتمام بالغ شعار مؤتمر (الديمقراطية والتجديد) و(لا ديكتاتورية ولا احتلال) تلفت حوله وكأنه يستطلع الشارع، وإنَّ لا أحد يراقبه وضع الكراس في جيب بنطاله الخلفي، أنفجرت أساريه وكأنه يطمئن على سلامة مدخراته بعهدة رجل أمين.

ظل ينقب في كومة الأزبال، يبحث عما يثير أهتمامه من مستودع الأسرار والعجائب والغرائب في هذه الأكوام التي تتضخم يوماً بعد آخر. لاحظ إحدى الصحف لا تبدو غريبة عليه تلقفها من الأزبال فلاحته له صورة شخص متورد الخدود، ضاحك متفائل بلا حدود. قرأ له (أننا نسعى من أجل تهذيب الرأسمالية) بأعتبره عضواً في مجلس الحكم يتوسطهم رجل أمريكي؟!!

أحس بألم كبير في أمعائه أفرغ محتويات معدته على الصحيفة فتواتر صورة متورد الخدود تحت قيئه العفن. متسائلاً عمن قطع الـ(لا) رأس الشعار الذي كان متوازنا فصار (أحتلال وديكتاتورية)!

في إحدى ليلاه وقعت تحت نظره صفحة من جريدة مشبعة بدهن الكباب، وتفوح منها رائحة الطماطة والبصل، (الروح) نص شعري، قرأ المقطع الأول رمى الجريدة وأكمل ترديد بقية النص، يجلس على الرصيف ينشد قصائد الشهير نجم الأدب الشاعر (س) الحائز على عدد من الجوائز والشهادات التقديرية نظرا لموهبته الشعرية المتميزة!

يوما بعد آخر اخذت تظهر صور لرجال دين معتمين، بعمائم سوداء وبيضاء، ورايات سود، التفت على الأعمدة وفوق وعلى واجهات وبنائات حكومية وغير حكومية.

- ماذا هل أنا في النجف أو كربلاء؟ وهل هذا الشهر شهر محرم أو صفر، أين أنا؟

نهش شعر رأسه، ضرب الأرض برجله وكأنه يريد أن يتأكد هل هو واقفاً بالفعل على الأرض، أو هو في عالم آخر لا يعلم ما هو وأين هو؟

مر بقربه كلب يعض على عظمة ساق محترقة، دون أن تشير أهتمام أو منافسة جمع من الكلاب الذي يبدو أنها متخمة، فلا حاجة لها بالتكالب الذي صار من حصة أسياها من بني

الانسان، الذين تكالبوا على نهب وسلب بعضهم بعضاً،  
فكانت مؤسسات الدولة ودوائرها غنيمتهم الكبرى!  
كان تدمره، شعراً، يقذفهم، يمدحهم، يسبهم، يعتلي أكواماً  
من الانقراض وحطام العجلات والأبنية، والأثاث المبعثر،  
يتلو يصرخ يترنم شعراً، يخطف أسماع بقايا ذوق ما زال يميز  
بين الموسيقى والضجيج، بين رغاء وثغاء وغناء.  
أخذ يثير أهتمام من يراه ويلتقيه، فما انْ يلفظ أحدهم شطراً  
من شعر (س) حتى يكمل البقية (عاشق الدرج) المخبول  
الصعلوك الذي لا يعرف أحد أين كان ومن أين أتى؟  
لفت نظر الشعراء فاستدرجوه إلى مجالسهم في مقاهي  
(المتنبي) وكأنه (نسخة طبق الأصل) لشاعرهم الكبير (س)  
الذي ما زال في المنفى، يزداد إعجابهم به، يثير أستغرابهم،  
ما هو لغز حفظ هذا الصعلوك لنصوص الشاعر الفذ (س)  
وكيف أستطاع حفظ كل نصوصه، رغم إنَّها كانت ممنوعة،  
لم تدخل دواوينه إلا عبر الاستنساخ المحظور، لا أحد يعرف  
كيف هرب من البلاد، أين التقاه هذا المجنون وكيف حفظ  
كل نصوصه؟! كل

يتسمر في باب المقهى ليستمع إلى (س) متأنقا، ربطة عنقه  
الحمراء، ترسل موجاً احمر كرشاش دماء، على وجهه  
المدمدم بلحم الصحة والرخاء، يقوم بحركات غير إرادية  
بجذب أطراف سترته من الخلف وكأنه يحاول انْ يلجم ذيلاً

يحاول أن يستطيل، بطول قصائده المدهشة التي يترنم بها عبر شاشة التلفاز في القنوات الفضائية.

ينتفض فجأة بين حين وآخر ليصحح حركة أو يحتج لاستبدال كلمة أو صورته، أو عنوان قصيدة!

يضحك من كان حوله من الأدباء يكلم أحدهم الآخر: من يرى نفسه هذا الصعلوك حتى يصحح لشاعرنا الكبير (س) يعود هو للأزمته المعتادة؟

يرد عليه آخر الملفت للنظر إنه يحفظ على ظهر قلب العديد من نصوصه، المعروف والغير معروف منها، يبدو لي إنه من عشاق شاعرنا الكبير!

وسؤاله الذي لا ينتهي: هل هدم الدرج؟ هل هدم الدرج؟ من هدم الدرج؟

أتفق الجميع على أجابته، إنَّ الدرج لم يهدم بعد، ليهدأ، ثم يبدأ يصحح قراءة (س) المتلفزة لنصوصه الشعرية.

يقضي وقتاً طويلاً في باب المقهى يحاور مشاهير الشعراء والأدباء من كل الجنسيات حيث كان يجيد إجادة تامة (اللغة الروسية، والانكليزية، والفارسية) بالإضافة إلى لغته الأم (العربية) يقرأ لهم بعضاً من نصوصهم، معلناً إعجابه، أو اعتراضه، وتصحيحه، كأنه يجالسهم فعلاً!

كلا يا (نيرودا) أنت قلت (اشهد إنني قد عشت) فماذا تريد أكثر من ذلك، يا وقح كيف ضاجعت الشاعرة الجميلة

وأستغفلت الجميل (لوركا) ليكون حارس متعتك. صادر  
الديكتاتور حياتك، وقد صادرت الحياة منه أنسانيته، أصبحت  
نجما ينير طريق محبي الجمال والسلام، أما هو فقد ألبسه  
التاريخ ثوب العار والذل والقبح.

لا لا أنت أنتحرت يا (مايكوفسكي) لم تحتمل التناقض بين  
المبادئ وواقع سلوكيات رجال الثورة، ففضلت الموت على  
أن ترى وجهة الثورة قد تلتخ بالوحشية أو قبح الأنانية  
الفجة.

قالوا إنَّ النواب أدخل معه الصمت حال دخوله دار ضيافة  
(الرئيس) وما زالت بين أصابعه حبات رمل نفق سجن الحلة،  
يوزعها كأنها تعويضات من أجل الحرية والثورة ضد القهر  
والعبودية.

و(الشيوعي الأخير) أستطاب الإنشاد قريبا من قبر (الشيوعي  
الأول) في بلاد الضباب، مقررًا أن يوجه صواريخه الشعرية  
من على منصة في الهايدبارك، فلم تستوعب البصرة حروفه.  
نعم، نعم إنَّهم كانوا معي ولكن ربات الشعر مسختهم قروداً  
حين أمسكتهم متلبسين بأغتصاب الكلمة بأمر السلطان رغم  
أحترامهن ل (أنشودة المطر) و(أين حقي) و(الحر أرياحي)  
وووو.

ثم يظل ينشد نصا لا يعرف الجمع من هو قائله، هل هو  
ل(س) أو لغيره هل هو للمعتوه؟

(ناظم حكمت) نعم أين أنت يا صديقي الوسيم كنبّي، ما الذي ورطك في قضايا المعدمين والفقراء وأنت سليل الأرستقراطية التركية العريقة، قصيدتك رائعة بحق حببتك منور، الله يا منور خالدة بخلود ناظم، من منكم خَلَد الآخر، وأخيراً فزت بقطعة أرض في بلدك لتكون موطنك في حياتك الأبدية، حيث ينحني العمال والعشاق لها أجلاّ وأكباراً، أما جثامين شعراء بلدي فما زالت تتقاسمهم بلدان الغربة معلنين أمميتهم في الموت والحياة؟

كيف أستطاع (بافلوف) أن يحررك من سجنك، يا لغباء وتفاهة سجانك؟

- كيف أحتملت صفة الرفيق الروسي الأحمق، الذي لم يحتمل وهج قبس الجمال المهاجر؟

نهرك المتدفق بآيات من جمال القصيد وسحر الكلام، خلط بمرارة مصافحتك للفاشية إنتقاماً من جفاء الرفاق، ماكان يجدر بك هذا يا من أنشدت للحياة والمطر، جيکور عاتب لابل جيکور غاضب عليك وشط العرب لايرد عليك السلام وأنت واقفاً تحييه منذ عشرات السنين، خلفت خدشاً في جبهتك لا ينسى ولم يعد خافياً على (المومس العمياء) وأنت تسطر حروف كتابك الأخير (كنت شيوعياً).

كلا (البريكان) ظل صامتاً حد الجزر، و(الحجاج) معتزل عالم (الدم قراطية)

والمربد قطعت أرجله فصار مرأً بلا بد، أصغت لشكواه  
عاليات النخيل فأحترقت بنار الشكوى دون مجيب. المنبر  
يستجير من (زناة الحرف) ولا مجير، يجهش بالبكاء، يرسل  
قذائف الحسرة والالام صوب المجهول، وعلى حين غرة  
(المتنبي) يقول: (إنه شاهد زملائه من الشعراء والأدباء الذين  
يحتفون به كل عام في (واسط) يشتمونه من على المنصة  
بأقذع الشتائم، وشاهدهم خلف موأدهم يلتهمون أحذية  
أطفال العراق الحفاة بدلاً من يلبسونها أقدامهم الصغيرة  
المدماة، شاهدهم يتمخطون ويجففون مؤخراتهم بأوراق  
دفاتر وكتب أكثر من ربع سكان العراق الأميين).

فقرر الصراخ معلناً هاهم قتلتني الذين لم أكن اتبأ بهم.  
يسمع نباح كلاب يهاجم بعضها بعضاً قرب جثة نصف  
محترقة، كأنها أقتسمت ساحة الحرائق إلى إقطاعيات تخص  
بعضها دون بعض، فكلاب (الطيران) غير كلاب (التحرير)  
وغير كلاب (العلاوي) الخ ثم يسأل: ما هذه الضجة وما هذا  
الهوس بالمتنبي، إذا كان المقياس الشعر مجرداً فنعم المتنبي  
الشاعر الفحل، ولكن أين الإنسان في شعر المتنبي، هل  
أنتصر للمقهورين والمعدمين واهل الفكر والفلسفة، أم أنه  
ظل حاملاً نرجسيته راية يقارع بها من لم يكرمه ولم يجزل له  
العتاء، ومعروف موقفه العنصري من الزنوج عموماً والعبيد  
خصوصاً، وتمجيده للسيف وتفضيله على الكتاب، باخساً

حق أدواته القلم والقرطاس مبارزا ومتقما من أعدائه، وقد كان ضحية هذا السيف الأعمى الذي نحر شرايين شعره الذي خلده عبر العصور، مفندا دعواه بغلبة السيف على الكتاب.

(العبد ليس لحُرٍّ صالحٍ بأخٍ \*\*\* لو أنه في ثيابِ الحرِّ مولود  
لا تشتَرِ العبدُ إلا والعَصَا معه \*\*\* إن العبيدَ لأنجاسَ مَناكيد).  
ثم لماذا هذا الهوس بالشعر وبشعراء السلاطين - دون تخليد ذكرى أهل الفكر والفلسفة، ومن قاموا السلطان الظالم، ك (ابن المقفع) و(الحلاج) و(ابن عربي) و(ابن رشد) وغيرهم كثير؟

- لا أدري لماذا رحم بلدي عقيم، لا يلد الفلاسفة؟

- لماذا اليونان ولادة للفلاسفة؟

- هل لأننا أدمنا على تلقي الأجابات ولا نجيد السؤال والتسؤال؟

منذ ما قبل التاريخ ابدعنا الكثير من فنون الحياة، ولكن أرضنا لم تحتضن فيلسوفا يعتد به؟ وإن وجد فمصيره الأبعاد، ومصير مؤلفاته الحرق؟

نصغي كثيرا لثروة الفقهاء وأهل الكلام، ولكننا لا نحتمل فكر الفلاسفة، أمة أرتضت أن تنام على بساط التقليد، وأن تحارب التساؤل والتجديد، هكذا أرادها (امراء المؤمنين).

الجواهري صاحب (تنويمة الجياع) يصرخ ويحث التراب على رأسه، وهو يرى الملايين من الأطفال والنساء والشيخوخ

يتضورون جوعاً، يطلبون رغيف خبز فلا يجدوه، في حين  
يتربع المحتفون به على موائد الخراف المحشية والأسماك  
المشوية وتلال من الرز والخبز والسمن، وهو يلطم الجياع  
على أفواههم إن (نامي جياع الشعب نامي!

يا ويلتاه عليك يا جواهري أنت الذي أردت أن تبث فيهم  
روح الثورة، الآن أنت ومن أقتفاك من الشعراء تحثونهم على  
الصمت والخنوع، تغتصبون حقهم في الحياة أمام انظارهم  
باسم (نبيهم) ومشعل جذوة الثورة في نفوسهم.

أهرب أيها الجواهري فقد أخزأك تابعوك، يلطم وجهه نادباً  
(واجواهرياه) (وامتنبياه) (الحصيري) مات سكراناً على حصير  
رث، فلم يحتمل الصحو في عالم القبح والرذيلة، وسط  
دهشة واستغراب الجميع كان يستعرض الشعراء والكتاب من  
مختلف قارات العالم.

يهدأ قليلاً ثم ينتفض يصيح بأعلى صوته، أحلام أح، لا، م،  
يصاب الجالسون بالذعر والالأم يتسائلون من هذه الاحلام  
وماذا حدث لها، كيف استذكرها وهو يتحدث مع المتنبى؟

ترادفت خيول الاسئلة وعلا صهيلها في رؤوس ونفوس  
الأدباء والشعراء وجمع الناس الذين تجمهروا حوله، لاشك  
إنه عاشق، صدم بخيانة أو صدود أو موت حبيبته (أحلام).

أحلام لم يكن لك ذنب فيما حدث حبيتي فلا تبتئسي، العفة  
عفة الروح والمبادئ أنت لست وحدك أغتصبت يا (أحلام)

بل جميعنا أغتصبنا في ظل حكم الفاشية، شعب بكاملة  
أُغتصب، عزيزتي حبيتي إنَّ صلابتك وثباتك وقوة أراذك  
هي التي أثارت أعجابي وحيي لك، انَّ أفعال الفاشست هذه  
هي أسباب مقاومتنا وأصرارنا على أسقاط هذا القبح وهذه  
الوحشية، تزدحم الصور المفجعة التي شاهدتها وعاشتها  
(أحلام) في السجن، ما حدث لـ(بتول) و(سوزان) و(نهلة)  
و(فطومة) و(عائشة) و(شيرين) و... وخصوصا ما حدث مع  
الأمراة كبيرة السن التي جلل الشيب شعرها، وهي تدافع عن  
نفسها ضد مغتصبها الوحش مذكرة إياه بأمه فهي ربما أكبر  
من أمه أو بعمر جدته ليكف عنها ولكن دون جدوى، رد  
عليها بأنَّه سوف ينكحهن جميعا لو إنَّهن وقفن ضد الحزب  
والثورة اوشتمن القائد العظيم، يقوم بعذا الفعل وهو يشعر  
بلذة المنكوح الذي لا زال يحس بها ويمارسها منذ طفولته  
إلى حين التاريخ!

تترآى أمام عينيها، ما حدث للرضيع الذي حطم رأسه بضربه  
بجدار حائط الزنزانة لأنَّها رفضت الاعتراف.

تطرق (أحلام) والدموع تنهمر على خديها، وقد أشتعلا حمرة  
باذخة الجمال المشتهى، يا الله كم هو رائع ومدهش هذا  
الحزن الانساني النبيل، حزن الشرف، حزن الجمال، حزن  
الأنسانية لواقع متردي يتسربل بالقبح والرذيلة يقوده قطع من  
الذئاب المسعورة، الذي يكاد يسمع عوائها من حولهم.

أحلام أتذكرين كم وردة غرسنا على شاطيء دجلة، فما من مكان جمعنا إلا وزرعنا ورده، ألا تذكرين كم فرخ عصفور أعدناه إلى عشه الصغير، خشية أن يكون صيداً للقطط، أحلام كم حلمنا بعراق بلا جياح، بلا أطفال حفاة، بلا أمية، بلا بطالة، بلا خوف ولا حروب، كم حلمنا بشوارع معبدة نظيفة منورة، أن تكون الخضرة والزهور، ونافورات الماء في كل مكان، ليغادر بلدنا جلافة الجذب والتصحر، ليكون بلد الحب والحياه، أحـ لالا لالا لام.

كان يتجاهل الحضور ويسرح في عالمه الخاص يكلم أشخاصاً ويحاكي أحياءً وأمواتاً وسط زهول الجميع وحيرتهم وهم يلاحظون امرأة ظاهرة الوقار والهيبة تتبعه كظله أين ما حل أو رحل، تجلب له الطعام، تحاول أن تجعله يستبدل ملابسه أو يشذب شعره ولكنه لا يستجيب، يظل يسألها عن الدرج هل هدم الدرج، فتجهش بالبكاء المفجع. تتركه مساءً، لتعود إليه فجر اليوم التالي محملة بالأكل والملابس والمناشف ولكن دون جدوى.

يقضي لياليه معتكفا في (مزبلتهم) يقرأ على ضوء محروقاته، وعزف المدافع الرشاشة ودوي الانفجارات، فترقص جواري (الرشيد) المذبوحة رقصة (القرمطي) على أضواء الحرائق، تغتصب (شهرزاد) في وضح النهار، تبيض الديكة، يوأد الكلام المباح، فينتحر الصباح، من يحرق بغداد؟ هل أستيقظ

(صاحب الزنج) لينتقم من قتلته، ليهدم ويحرق بغداد انتقاماً لعاصمته (المختارة)؟

ولكن أين الزنج هؤلاء الجند من الشقر والحمير وزرق وخضر العيون بينهم نفر من خونة الزنج، يمتطون جمالاً عملاقة من حديد، لها خراطيم ترسل ناراً من الجحيم؟ كلا يابن عباد أنت بريء مما يفعلون، كلا ياقرمط ليس أنت من يفعل هذا بعمال ساحة الطيران، أنهم الأزارقة وجيوش الحجاج وجيش من أستباح الكعبة وضربها بالمنجنقات وأغضب العذارى تحت راية (الله أكبر) أنهم جلاوزة محاكم التفتيش، أحفاد من أحرق (برونو) إنهم شرطة ملاحقة، الهرطقة، و(الزنادقة).

يحرك يديه شمالاً وجنوباً وفي كل اتجاه وكأنه يتقي السهام وضربات السيوف وطعنات الرماح، يزيل من على الطريق الدروع والفؤوس وعدد الخيل، وجثث القتلى، من المغول من العرب من الفرس من الانكليز، من الترك، من الأمريكان، من كولومبيا وحتى من الصومال يتسائل مع نفسه قائلاً: ايعقل أن لا تجد كل هذه الأقوام مكاناً أو ساحة للمبارزة والقتال الدموي إلا على أرض العراق؟

يتأسى لمنظر القطط والكلاب المطاردة من قبل جياع بغداد، يغلق أنفه من عفن جثث الموتى من الطاعون والكوليرا وضحايا طغيان دجلة، يغلق أذنيه التي أخترقتها أصوات

الطبول المملوذة بعصي الغزاة والجناة والثوار والشطار، هذه  
الطبول الذي ترد على غضبه وأستياؤه من صوتها معاتبة: هل  
العتب علينا ونحن نتلقى لذع خيزران الطبالين فنضج  
بالصراخ لطلب النجدة ولكننا لا نتلقى إلا مزيداً من الضرب  
وسط رضاكم ودبكاتكم وتشجيعكم للطبالين للمزيد من قوة  
الضرب، لترتفع أصوات أهازيجكم وطربكم؟  
وكأنكم لا تعلمون كيف سلخت هذه الجلود عن أجساد  
الخراف والثيران وصغار الماعز، لتكون وسيلة نذير الحرب،  
ووسيلة إعلان فرمان السلطان، ووسيلة أعلام بأقتياد  
الجواري والغلمان، فما أظلمكم؟

ضجيج بيانات الثورة وزعيق المذيع الثائر، ضجيج فوضى  
الحشود والتظاهرات والمسيرات بين اليايعيش واليايسقط،  
أحياناً يتبادل الأفراد والجماعات أماكنهم من اليعيش إلى  
الي موت واليسقط دون أن يعرف سبب هذا التحول من حال  
لحال؟

يعصب رأسه بكلتا يديه ويسقط مغشياً عليه بعد أن أنهكه  
الركض والصراخ وهو لا يدري في أي عصر وفي أي زمن  
يعيش أو في أي زمن وفي أي عهد تعيش بغداد المصائب.  
عصر بغداد الذهبي؟!

- أي مهزلة وكذبة كبرى هذه التي سطرها مؤرخوا ووعاظ  
كتاب السلاطين؟

نعم كان ذهبياً للسلاطين والحكام ولكنه كان جحيماً ل  
(الجواري) و(العبيد) والمفكرين والأحرار من خارج حاشية  
الخليفة وزمرته.

أي ذهبي هذا وقد أمتلك (الخليفة) آلاف النساء من مختلف  
الشعوب والقوميات والأعمار الأسيرات المجلوبات بقوة  
السيف من بلدان الـ(فتوحات) الإسلامية، ومن يسمونها (ملك  
اليمين) والغلمان الخصيان المخطوفين من أهلهم وذويهم  
عبر البحار والقارات؟

أيُّ ذهبي هذا المبني على شقاء وعذاب مئات آلاف الزنج  
العبيد المجلوبين من مجاهل أفريقيا ليعيشوا حياة لاتطيقها  
حتى الحيوانات؟

أيُّ عصر ذهبي هذا والحلاج يقطع ويحرق؟  
أي ذهبي هذا وابن المقفع يقطع ويحرق؟  
أيُّ عصر ذهبي هذا والسياف يقطع رقاب كل حر لايسبح  
بأسم السلطان؟  
سحقا لعصركم هذا.

رمز فخركم فيه ساعة أبهرت الأفرنجه كما تدعون؟!  
هلا سألتكم أنفسكم كيف دخل أجدادكم العظام بلاد  
الرافدين؟

ماذا فعل وكم أُلّف قتل، وكم أُغتصب، وكم أُلّف سبي، وكم دار نهب (ابن الوليد) ومن خلفه تحت راية (الله اكبر) لنشر دين (التسامح) و(لا أكراه في الدين)؟

حين يدخل مبكراً لشارع المتنبي كعاداته تمسح عدستا عينيه عناوين الكتب، كان يتناول الكتاب ثم يعتكف وينعزل عن كل العالم لينغمس في قراءته، يتكلم أحياناً بكلمات غير مفهومة، يغضب، يتسم، يبكي، لم يطالب أحداً من باعة الكتب (كفاح) بثمان الكتاب أو يمنعه من اصطحاب الكتاب معه ليعيده في اليوم التالي، كأن كتب المتنبي أصبحت مشاعاً له يعاملونه كزبون لديه معرفة سابقة مع باعة الكتب هؤلاء الذين تتفتح أسرارهم ويشعرون بالنشوة والفرح حين تمد يد المثقف على عنوان رصين من الكتب المعروضة، ليس لأنه سيربح من بيع الكتاب ولكنها فرحة من يجد من يآتمنه على كنز ثمين انهم يكونون أطيب الأمنيات لأحبتهم الكتب، ف(الثقافة لاتباع بل تؤتمن) كما ردد أحدهم.

في ذات يوم وقع بصره على أحد الكتب، رفعه فتحه ضمه لصدره، وصاح بأعلى صوته: هُدِمَ الدَّرَج، هُدِمَ الدَّرَج، أنتهى الأمر، أنكشف السر، وقع المحذور، خان الأمين، صاح وناح هرول ركض بكى، نتف شعر لحيته وشعر رأسه، مزق قميصه، سقط مغمياً عليه وسط الشارع فهوت عليه المرأة

العجوز، وهي تبكي وتناديه: يمه كفاح، بعد عيوني كفاح. يمه  
هاي أشصار بيك يبعد أمك وأبوه؟

يبعد عيوني يمه، ييمه زرفت جبدي ولك يُمّه، وين چانوا  
مضيعينك يا بعد عمري، يمه الله لا يرضه عليهم، الله لا يرضه  
على من كان السبب، اللهم ألعن (س) و(ص) الذين أوصلاك  
إلى هذا الحال، يغط في عالم طفولته حيث كان أسمه  
(مطشر) بين الريف البائس والمدينة المخاتلة حاضنة كل  
الثعالب والعقارب والكلاب المتسولة يستعرض مسيرة  
الهجرة والعودة يترآى له كبرياء كلبه حمور وصباه في قريته  
الصغيرة (أم حلانه) أخذ يتحدث وكأنه يقص على احدهم  
قصة حياته في قريته التي يبدو إن صورتها لم تزل عالقة في  
لا وعيه وذاكرته التي لا تتعب من الذكريات.

(أم حلانه) قرية صغيرة متناثرة البيوت ترقد على ضفاف نهر  
صغير يسمى (بشط العزاميه) في المشخاب.

أستقرت العائلة في مقدمة بستان على جرف النهر لأرض  
تعود ملكيتها لأحد الإقطاعيين من السادة. بعد أن تركنا دارنا  
الأولى على (شط المجيهيلة) بسبب شجار والدي مع  
الإقطاعي نائرا لكرامته وعدم احتماله لظلمهم.

شط (العزامية) يكاد يكون خاليا من الماء تماما عند نزولنا  
على ضفته، تجري عملية حفره وتطهيره بواسطة عدد كبير  
من العمال كانوا يحملون الطمي بواسطة الكركات

والمساحي لتحميل (العدلان) على ظهور الحمير لنقله إلى ضفة النهر. إنها أيام لا تنسى حيث غطت رائحة السمك المشوي والمقلي من كل الأنواع والإحجام والإشكال حين أمتلأ النهر بالأسماك البني والقطان والشبوط والحمري ناهيك عن أبو زريده الذي لم يعد يصطاده أحد هو والشلك (أبو عليوي) والجري الذي لم نكن نتناوله في مناطقنا هل لكونه بدون قشور، أو كما يقال بانه خبط الماء أمام الأمام الحسين فحرمه من شرب الماء؟

طبعاً لم يكن سمك (الكارب) معروفاً في العراق آنذاك، عندما فتحت سدوده بعد أنجاز عملية الحفر والتطهير نظراً لكونه يصب في الهور الذي كان يشبه مستودعا ضخماً للأسماك حاله كحال معظم أهوار العراق.

لا يمكنني أن أصف أمتعته الكبيرة في صيد الأسماك بوسائلنا البدائية المختلفة (الشكافة، ألقاله، الشبك، السليه، الزهر) فلا يمكن أن يحس بها إلا من يمارسها.

رافقنا في الرحلة من الدار الأولى للدار الثانية كلبنا (حمّور) طبعاً لم يكن أحمر اللون بل كان بلون (طين الحري) البني الداكن وكان وقتها كلباً فتيّاً نشطاً متحفزاً لا تفوته شاردة ولا واردة ليلاً ونهاراً. ولم تكن العائلة لتبخل عليه بأرغفة الخبز يوميا أو بقايا عظام الأسماك أحيانا وربما بعض العظام المكدودة في حالة ولائم العرس أو وليمة ضيف كبير ينزل

عليهم. رافق (حمّور) العائلة في حالة يسرها في الدار القديمة وعسرها في الدار الجديدة. ولم تبد عليه إمارات الكآبة أو الضيق رغم تبدل الظروف وفراقه لرفاق صباه في أول دار رغم انه كان يسرح أحيانا في أطياف طفولته ومسقط رأسه في الحديقة الغناء للعائلة على ضفاف الشط الغنية بالثمار وأعشاش وبيض الطيور وأنواع النخيل، التي كانت يحظى برعاية فائقة من قبل أفراد العائلة وكان لها حق المغارسة في البستان والنخيل.

كان رغم ذلك يشعر بالسعادة والفرح وهو يرى كل أفراد العائلة مع بعض نساءً ورجالاً وأطفالاً ومنهم المتحدث حيث كان حمور صديقي الأثير. كانت رائحة أفراد العائلة المحببة لديه تملأه بالنشاط هذه الرائحة المفضلة دون سواها من روائح بني البشر وهي علامته الفارقة بين العدو والصديق مهما كان منها مستتراً أو ظاهراً ومهما قدم من الإغراءات حتى ولو كانت عظيمة دسمة، ويظل سيده صديقاً مهما قسى وسيظل الآخر عدوه مهما بذل.

أنه وفاء كلب وليس أي كلب أنه (حمّور).

كان يوما كلبياً مشهوداً له في القرية حين توجهت (غمرة) الجميلة الفتية البيضاء بتاج عرش المحبة والغرام رغم أنف عشرات الكلاب الطامعة برضاها وكسب مودتها. فقد كان

بذكائه وفطنته ولياقته وقوته وإقدامه وجراته لا يدانيه أحد في أمتلاك (غمرة).

كان شديد الحساسية فيما يخص كرامته وحمايته فهو يغضب حتى ولو رميته بعظمة دسمة مهما كانت درجة جوعه وحرمانه.

يتأسى ويتألم كثيرا لغباء أسياده وهو يراهم يتجرعون خبزهم والرز الأحمر الخشن (الحويزاوي) مع النباتات البرية (الكرط والكوكله)<sup>١</sup> بالرغم من إنَّ النهر والهور بجانبهم يزخر بأسماء وفيرة من مختلف الأنواع والإحجام وكثرة وتنوع الطيور كالفخته والعصافير والزرازير والدراج والخضيري كان يظفر ببعضها على الرغم من عدم قدرته في استخدام وسائل الإنسان في الصيد.

- فما الذي يجعلهم يفنون حياتهم في خدمة الأرض على الرغم من عقم رحمها وظلم ملاكيها وأستغلالهم، وكونهم يستطيعون أن يعيشوا عيشة أفضل مما هم عليه بأقل من ربع جهدهم المبذول في خدمة أرض الإقطاعيين والشيوخ وإذلالهم، لو أنَّهم أمتهنوا الصيد وتربية الحيوانات، وترك أستنكافيتهم من بيع ما يصطادونه ويزرعونه في السوق؟ هل هو الإدمان على العبودية والرضوخ للظلم والخوف من مجاهل الحرية؟

---

<sup>١</sup> - نبات بري يأكله فقراء الريف العراقي.

أم هي غريزة الإنسان في أستيلاد الأرض وإنبات النبات مهما بلغ من العرق والدم والألم وهو سبب خلق الإنسان لأول مرة من قبل الإله ليكده من اجل توفير الطعام والغلال لها كما تذكر الأساطير وها هو يكده من أجل وكلائها الإقطاعيين؟

ربما يكون حالهم مع الأرض كحاله معهم، يفني عمره في مرافقتهم وخدمتهم وعدم قدرته على فراقهم رغم فقرهم ورغم كثرة العظام والطعام حول دور الشيوخ والملا لي والسراكيل في القرية والمدينة المجاورة لم تغره بفراقهم؟ عاش (حمّور) حياته جذلاً فرحاً قوياً معافى وسط المروج الخضراء برفقة (گمره) حبيبته الحسناء ملكا متوجاً على رؤوس كلاب المنطقة ذكوراً وإناثاً على حدٍ سواء. حتى تناهى إلى سمعه وبصره مشهد العائلة وهي تحمل أثاثها المتهالك وفرشها الرث على ظهور الحمير مهاجرة إلى مدينة "النجف" جاء هذا القرار بعد أن أنهك الجوع العائلة المشاكسة صاحبت الكبرياء بسبب جشع الإقطاعيين بالإضافة إلى شحة الماء لخراب (المكينة) وعدم أعمارها من قبل الإقطاعي عقابا لوالدي بسبب عدم تقبيل يد (السيد) وهذا مالا يجرأ عليه أي من الفلاحين في القرية قبله.

عرف والدي بـ"أبو العرايض" حيث ظل لأكثر من ثلاث سنوات يدور بين المحاكم ودوائر الدولة وقد وصل حتّى إلى بغداد!

صرف كل ذخيرته من المال والحلال في هذه المراجعات والمرافعات ليستردّ حقه ويثأر لكرامته من الإقطاعي ولكن دون جدوى.

هذا الأمر وضع (حمّور) في أرباك وحيرة شديدة وصعوبة أخذ قرار.

هل يرافق العائلة إلى حيث ضياعها في شوارع المدينة وأزقتها ويترك "غمرة" لأنه يعلم تماماً أنها لا يمكن أن تقبل حتى مناقشة فكرة الرحيل والتخلي عن قريتها وقد ذاقت في طفولتها مرارة وعذاب الذل والمهانة والأبتذال في المدينة ضمن قصة حزينة عاشتها في المدينة وكيف غامرت بحياتها للعودة إلى القرية وامتلاك حريتها وقد روتها لـ"حمّور" في بداية تعارفهما.

هل يستطيع أن يتأقلم مع كلاب المدينة المختثة الجبانة منزوعة الغيرة التي لا تعرف العدو من الصديق فكل من يطعمها بعظمة فهو سيدها وأن يكن أسفل السافلين. كلاب المدينة منزوعة الكبرياء ممسوخة الذات مفرغة من المبادئ والقيم؟

هل يستطيع وسط هذه المسوخ الذليلة أن يقود ثورة كلبية من أجل الحرية وهي تؤمن بمقولة أو حكمة شائعة في أوساطها كل من يعطيني عظمة يصير (عمي).

عصفت هذه الخواطر والأفكار برأسه كدوي الزنابير ومادت الأرض تحت قدميه غير متنبه لـ(گمرة) وهي "تلحس" جبينه الوضء الذي أنطفأ نوره على حين غرة، غير مدركة وغير مستوعبة لمدى معاناته وصعوبة حسمه لأمره.

أنّها لحظات تفصلك بين الحرية والكرامة وبين المذلّة والعبودية والهوان فما عساك فاعلا يا "حمّور"؟

أقعى (حمّور) فوق "المترب" مشرفاً على فضاءٍ فسيح على مدّ البصر من الماء والخضرة وأصوات ذكور الدّراج تبدد صمت المراعي والحقول وجمال حبيته بعد أن نفضت فروتها من ماء النهر فملأت انفه رائحتها الأنثوية المخدرة.

رفع يده اليمنى متكئاً على يده اليسرى وضرب بها وجه الأرض بقوة كمن يبصم بإصرار على قرار مصيري خطير؟

قفز نازلاً من (المترب) راكضاً بصحبة (گمره) وراء ضعن العائلة وسرعان ما أدركنا، فأخذ يسايرني في المسير مرة خلفي ومرة قافزاً أمامي وبجانبي كمن يحثني على البقاء وعدم الرحيل وكمن يقدم اعتذاراً، لعدم قدرته على مرافقتنا! مع هدير محرك السيارة الناقلة للعائلة وأثاثها من (الدسم) - لا يشركم أسم (الدسم) فهو يبدو أسماً على مسمى فهو شبه

قرية تتكوم من شارع ترابي رئيس واحد يتلوى كأنه أفعى رمادي اللون تحف بيه بيوت طينية كأنها حراشف متهرئة، وبعض دكاكين قصابة وباعة اقمشة، ومقهى، مسقوفة بالبواري والحصران، يتربع على أحد تخوتها الحاج مالك السيارات الباص الخشبية التي تنقل المسافرين من الدسم إلى (الجعارة) أو ابو صخير وحيانا إلى النجف وكربلاء في مواسم الزيارات، الحجي أحمر بدين أشيب معروف بشذوذه ومثليته الجنسية رغم أنه لا ينقطع عن حج بيت الله في كل عام- صوب مدينة النجف أختلط صوت عواء حمور باكيا شاكيا متألما مختلطا مع زعيق طيور الدجاج على ظهر السيارة في وداعها الأخير لحمور وكأنها تسأله بمن سيتكفل حمايتها من الثعالب بعده جاهلة حقيقة عدم وجود ثعالب في المدينة حيث هجرتها بعد أن تثعلب فيها الإنسان!

إنَّها شهقة الوداع الأخير (لحمّور) لعائلة تنتقل إلى شكل جديد من أشكال المعاناة والألم والضياع، هذا ماروته له (گمره) عن حال الفقراء من الفلاحين المهاجرين للمدينة. قالها حمور بصراحة رغم غصة الألم: ألم الفراق والجوع مع أملاكه لحريته أهون عليه من المذلة والضياع في أزقة المدينة.

مر أكثر من عام على رحيل العائلة من القرية تعرضت فيه لأفسى حالات الضياع والبؤس والمذلة وشظف العيش

بسبب البطالة الشديدة وسوء وخبث وثعلبة أغلب سكان المدينة بما لا يألّفه ولا يعتاد عليه ابن الريف.

وبمناسبة الحديث عن المدينة فإن كثيراً من المتعلمين يربطون بين ثعلبة والتواء وعدم مباشرة ومراوغة سكنة المدينة وبين تداخل والتواء وضيق أزقتها وشوارعها مقارنة بامتداد واستقامة ورحابة ومباشرة فضاء الريف وانبساط أراضيّه ومزارعه وأنهاره وحقله وبالأخصّوص مدينة النجف.

النجف تحيا ازدواجية كبيرة بين ظاهر معلوم ومستتر مضموم بيوت مرتفعة البناء كعالم ظاهر والسراديب والآبار المظلمة كعالم ثانٍ متوارٍ تحت الأرض وخوف العناصر الأجنبية التي توطنت المدينة من فرس وأفغان وأتراك وغيرهم الذين كانوا يشعرون بنقص كبير أمام عروبة وأصالة أبناء الريف العرب المجاورين للمدينة فبقدر ما كانوا عبيداً أذلاء يتملقون شيوخ العشائر في الريف ويخدمون الإقطاعيين عندما يكسبون منهم مالاً وفيراً يحاولون أن يذلّوا ويستصغروا الفلاحين الفقراء عند دخولهم للمدينة باعتبارهم عناصر غريبة غير مرغوب بها بسبب فراغ جيوبها لأنهم كما يسمونهم بال(معدان).

قرأت لأحدهم أنّ مثل هذه الأزواجية تميز أغلب المدن الخدمية، حيث تكون ثقافة المنفعة والربح هي السائدة على ساكنيها فالماء يباع والأكل والنام والنقل وحتى الكلام الخارج من أفواه الملالي وقراءة الأدعية، لذلك فهم يتوسلون

ويتذللون لمن يدفع بينما ينظرون بعين الازدراء والدونية لمن لا يستطيع الدفع، حتى عطائهم أو (كرمهم) في المناسبات فيكون بالمنة والتباهي واذلال من يحتاجهم، بالصد تماماً من أبناء الريف الذين يعطون بلامقابل ومن دون منة، حتى انهم يستنكفون عن بيع منتجاتهم رغم حاجتهم.

كان (حمّور) محط اهتمام أهل القرية وعطفهم لما تميز به من القوة والجرأة في مطاردة الثعالب وحتى الخنازير وإبعادها عن القرية ومدى وفائه لأسياده طيلة فترة غيابنا فلم ييارح الإطلال وهو يقعي عاويًا بأنين حزين يقطع أنياط القلوب نادباً شاكياً لواعج شوقه معاتباً أهل الدار بسبب غيابهم، ولم يعد يسامر (غمرة) على مروج الحقل في الليالي المقمرة. تشاركه أنينه (بدور) التي تعلق قلبها الصغير بـ(مطشر) رفيق الطفولة والصبا، ومكتشف مكامن المراهقة والشباب.

روى لنا بعض جيراننا من أهل القرية عند زيارتهم لنا أوقات الزيارات أو جلب مريض للنجف، بأنّ (حمور) ضعف بصره وهو يجر أقدامه بصعوبة وتقوس ظهره وتهذلت إذناه وتدلّى ذنبه بسبب ما عاناه من الجوع والألم فقد أبى أن يستجدي عطف الغرباء من أهل القرية لإطعامه بعد رحيلنا فهذه الجوع والمرض.

وما زاده كدرأً ضعفه وقلة حيلته أمام حبيته (گمره) فلم يعد قادراً أن يصد عنها تطفل المتطفلين ولا تجاوز المتجاوزين من الكلاب الطامعة بها سواء من كلاب القرية أو من خارجها فقد تطاول الغرباء على حرمة إناث كلاب القرية بعد عجز ومرض (حمّور) بتواطؤ وتخاذل وجبن وشذوذ بعض ذكورها.

في موسم الإخصاب السنوي المعروف أخذت قطعان الكلاب الأحمر والبيض والسود والملونة تتحلق وتتعلق وتستعرض قوتها وفتوتها حول (گمره) التي لم تظهر عليها علامات الكبر لجمالها الأخاذ المتجدد دوماً وجاذبيتها الأنثوية الأسرة التي لا تقاوم وإن بدا عليها بعض الفتور بسبب ما حل بحبيبتها وأثيرها (حمّور).

ورغم إنَّ أغلب الكلاب تهابه وتخشى صولاته وتقر له بمجد وبطولة سابقة وإنَّ بعضها قد جاء من صلبه محاولة قدر الإمكان كبح جماح غرائزها وعدم جرح شعوره بالاستيلاء على معشوقته الفاتنة.

أخذت هي تضعف أمام هياج الغريزة وعبارات وأستعراضات الإغراء والإطراء والافتتان لكلب فتي قوي جميل، أستطاع عبر عراك ضروس أن يبعد عنها كل المنافسين الآخرين ليقرون صاغرين له بتاج العرس العظيم على (گمره) فاتنة الجميع وهي ترى فيه شباب (حمّور) بالإضافة إلى ضغط

غريزة استمرار النوع وغريزة الأمومة التي لا يمكن أن تقاوم  
بالنسبة لإناث كل الحيوانات ومنها الكلاب أذعنت وأومات  
بعلامات الرضا للعريس الشاب فدخل العروسان في غيبوبة  
الغريزة الطافحة ليدوبا في نار الغرام المتأججة فالتف الذيلان  
على بعضهما مفتولين كفتل الحبال بقوة خارقة وسط عشرات  
الكلاب صغاراً وكباراً بيضا وسودا وهي تهز ذيولها وتدلّق  
ألستها وتغلق عيونها على المشهد المسكر للعريسين  
ومشاركتهما لذتهما التي غيبتهما عن عالم الحضور إلى عالم  
السعادة والحبور إلا حمور فقد أسودت الدنيا بعينه وأنكسر  
ظهره وخارت بقايا قواه فأطلقت من فمه صيحة أطارت  
الطيور وأرعبت الحضور أفقدت جمع الكلاب المعرسة  
نشوتها وكبحت جماح غرائزها وأفافت على صوت أرتطام  
جسمه في ماء بئر عميق متروك على مقربة من الدار وعندما  
هرعت للبئر لم تر غير ذنبه وهو يغوص في لجة الماء الأسن  
كسرت أمواجه صورة القمر في كبد السماء وهو يتشظى  
شعاعا متطايراً على جدران البئر، ما إن عاد الماء إلى ركوده  
حتى دوت جموع الكلاب بالنباح المريع وهي تمد أعناقها  
تكاد أن تسقط في البئر، متوهمة أنعكاس صورها على سطح  
الماء كقطعان مستشارة تحمل جثة حمور على رؤوسها لتخرج  
من غياهب البئر للانتقام من قاتله!

أخذت تتوالى على ذاكرته المزيد من الذكريات الجمالية التي لا تنسى عن القرية وبساطة العيش، سذاجة التفكير، حميمية المشاعر والجيرة وصدق المشاعر مع التزام صارم بالقيم والأعراف والتقاليد السائدة في ظل نظام القرية وضمن ثقافة الاقطاع الطبقة المهيمنة على سكان الريف الفقراء، لفتت أبتسامته العريضة نظر والدته ومرافقه ظناً منهم أنه سيصحو ولكن دون جدوى فقد كان يعيش ذكرى حكاية (ماي العروس) وذكرى الصياد وحبيبته سكنه في صبيحة أحد الأيام (أرهف السمع إلى صوت زعيق ديك الحجل في صباح يوم جديد، وأنا ارقد على (الدجة) <sup>١</sup> تعلقو الفراش (كله) <sup>٢</sup> تقي النائم من لسعات البعوض المتواجد بكثافة في قرية (العزاميه) المطللة على هور (النبي احمد) <sup>٣</sup>: صاحب القبة الخضراء التي تطاول ذؤابات القصب والبردي داخل الهور، يقصده الزوار عن طريق الزوارق من القرى المجاورة فهو ملاذ المرضى وائين النساء المضطهدات ومحط أحلام العشاق والعاشقات وحسراتهن ينذرن له النذور ويحضرن الحناء والبخور كل

---

<sup>١</sup> - دكة تعمل من الطين على شكل سرير سرير تقي النائم من الزواحف الضارة.

<sup>٢</sup> - ناموسية تقي لنائم من البعوض والحشرات الطائرة.

<sup>٣</sup> - بناية لآحد السادة او الاولياء يسمى بالنبي احمد.

حسب قدرته، لا يرد أَلَقِيمُون عليه (الْكَوَام) <sup>١</sup> أي شيء: بيضة، دجاجة، سمكه، كيس تمن، خروف، الخ. أَسْتَيْقَظْتُ كَالْعَادَةِ مُسْتَنْشِقًا هَوَاءَ الصَّبَاحِ النَّدِيِّ قَاصِدًا شَرْفَةَ النِّهْرِ لِأَغْسَلَ وَجْهِي نَافِضًا عِلَامَاتِ النِّعَاسِ وَالْكَسَلِ مُسْتَمْتَعًا بِزُرَافَاتِ (أَبُو زُرَيْدِه) <sup>٢</sup> وهي تشق طريقها عكس مجرى النهر، خلعت (دشداشتي) لِأَسْبَحَ فِي النِّهْرِ مَلْتَهَمًا عِدَدَ مَنْ (أَبُو الدَّيْسِ) <sup>٣</sup>، لِأَنِّي وَأَبْنَاءُ قَرِيبِي نَظُنُّ إِنْ مَنْ يَبْتَلَعُهَا سَوْفَ يَكُونُ مِثْلَهَا مَاهِرًا خَفِيفًا فِي السَّبَاحَةِ مَهْمَا كَانَ الْمَوْجُ عَاتِيَا، خَرَجْتُ مِنَ النِّهْرِ مُنْتَشِيًا بِبُرُودَةِ الْمَاءِ، لِأَنْضِمَّ إِلَى الْوَالِدَتِي وَوَالِدِي وَشَقِيقَتِي وَأَبْنَاءَ جَالِسِينَ عَلَى شَكْلِ دَائِرَةِ تَحِيْطٍ (قُورِي) <sup>٤</sup> الشَّايِ وَ(قُورِي) الْحَلِيبِ الْمَدْسُوسِينَ فِي الْجَمْرِ الْمَتَبْقِيِّ مِنْ (چَانُون) <sup>٥</sup> خَبْزِ (الطَابَكِ الْمَحْرُشِ) <sup>١</sup> اللَّذِيذِ وَنَحْنُ نَتَنَاوَلُهُ مَعَ أَقْدَاحِ الشَّايِ وَالْحَلِيبِ.

---

<sup>١</sup> - القَائِمِينَ عَلَى أَمْرِ الضَّرِيحِ وَتَلْقِي النَّذِيرِ وَغَالِبًا مَا يَكُونُونَ مِنْ سَلَالَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) مِنَ السَّادَةِ

<sup>٢</sup> - أَحَدُ أَنْوَاعِ الْأَسْمَاكِ فِي الْعِرَاقِ، يَتَمَيَّزُ بِصُغُرِ حَجْمِهَا لِذِيلِ لَا يَزِيدُ أَكْبَرَهُ عَلَى الْكَفِّ وَيَذْكُرُ الْفَلَاحُونَ إِنْ الزَّرْدَةُ إِذَا كَبُرَتْ فَسَوْفَ تَمُوتُ السَّمَكَةُ.

<sup>٣</sup> - حَشْرُهُ صَغِيرَةٌ سَوْدَاءُ اللَّوْنِ وَلَهُ الْوَامِسُ تَطْفُو عَلَى الْمَاءِ وَتَسْبِيحُ بِخَفَةِ وَمَهَارَةٍ وَبِرَاعَةِ الْحَرَكَةِ

<sup>٤</sup> - اِبْرِيْقُ الشَّايِ.

<sup>٥</sup> - كُومَ مِنْ (الْمَطَالِ) وَهِيَ أَقْرَاصُ مَعْمُولَةٌ مِنْ غَائِطِ الْبَقَرِ تَجْفَفُ لِتَسْتَعْمَلَ كَقُودٍ.

يمه (مطشر) بوزك ملغم طين، گوم غسل وتعال أترىگ.  
هذا ما أمرتني به والدتي، فطين الشط (الدهله الحمير<sup>٢</sup>)  
يترسب حول شفاهنا وعيوننا لتصطبغ باللون البني الكالح  
حين يجف حول أفواهنا بعد خروجنا من النهر.  
ألتهمت خبز الطابق (المحرش) والشاي حليب اللذيذ  
خرجت كعادتي لأطارد أفراخ العصافير والفخاتي وانصب  
المصائد للبلابل في بساتين النخيل الممتد خلف دارنا، لفت  
نظري (بلبل) وهو يحوم حول عذق (الخضراوي)<sup>٣</sup>، يغرد  
جذلا فرحا وهي إشارة نستلمها من الطيور تدل على بداية  
نضوج الرطب (نكد الرطب)<sup>٤</sup> فالبلبل أول من يذوق الرطب

---

<sup>١</sup> - نوع من الخبز السباح ألتمن بأنواعه (العنبر، ألنعيمه الحويزاوي) المطعم  
بصغار السمك المقطع والمخلوط مع البصل والبهارات) والذي يجري  
شواءه على قرص من الطين بواسطة إشعال أقراص صغيرة (مطال) معمولة  
من براز الأبقار والجاموس والمواشي وهو مصدرها ممن مصادر الطاقة  
والوقود في الريف العراقي يعمل ويخزن بشكل قباب صغيرة بجوار الدار.  
بعد إن يكون الطابگ محمولا على ثلاثة أثافي طينية صغيرة تدعى (منصبه).  
<sup>٢</sup> - الماء الجاري المشبع بالغرين وخصوصا أيام الفيضان في الربيع وهو  
مفضلا ومطلوبا خصوصا لدى زراع الشلب لأنه يزيد الأرض خصوبة.

<sup>٣</sup> - نوع من التمور يتميز بالنضوج المبكر.

<sup>٤</sup> - بدلية نضج الرطب.

كما يقول أهل القرية (مثل العصفور يضوئك الرطب گبل أهله)<sup>١</sup>.

قررت إن اعتلي (الخضراويه)<sup>٢</sup> التي تظلل طريق ضيق يمتد على كتف نهير صغير تمتد على جانبه شجيرات من الرمان والصفصاف وأمهات النخيل المتنوعة وهي تباهي الشمس بأقراطها الذهبية المتهدلة على رقابها الفارعة الطول.

وما إن أستقر جسدي على الجريد ليحملني تحت (العثگ)<sup>٣</sup> فعثرت على عدة حبات من الرطب (المنگد) الحلو المذاق، وأنا أمضغ حبة الخضراوي سرح نظري ممتدا على طول النهير اليابس متتبعا طيران بلبل جميل فر من على شجرة التين المجاورة، كدت اسقط من على النخلة لهول ما رأيت!! - مالح أبن ذاك الصوب يمسك بين يديه رأس (سكنه) (مفرعه)<sup>٤</sup> وهما يذوبان في قبلة لم اشهد مثلها من قبل فييدوان كجسد واحد لولا إن بياض رقبة (سكنه) كأنها حليب طازج وجديلتها الطويلة السوداء التي تشاكس مرتفعات قباب وركيها البارزين مقابل وجه مالح الذي بلون الطين.

---

<sup>١</sup> - مثل شعبي.

<sup>٢</sup> - نوع من التمور العراقية.

<sup>٣</sup> - عذق التمر.

<sup>٤</sup> - بدون غطاء حيث تكون القرويات يسترن رؤوسهن بما يسمى -الشيله والعصابه- وهي قطع من القماش الأسود

سكنه، التي تقول عنها والدتي بيرغ فرح لطولها الفارع وجمالها الأخاذ الذي سحر كل شباب وشيب القرية وقصة حبها مع (مالح) المعروفة في قريننا والقرى المجاورة، إصر شقيقتها (محمد) عدم تزويجها لمالح على الرغم من تكرار (مشياته)<sup>١</sup> وتوسلاته العديدة فقد كان شرط (محمد) أن لا يزوجها ألا لمن يزوجه شقيقته (كصه بگصه)<sup>٢</sup> لتكون زوجته الثالثة وهذا شرط عجز عن تنفيذه (مالح) لأنه الأبن الوحيد لعائلته وليس له شقيقات.

رميتهما من على النخلة بحبة من الخضراوي الأصفر مشاكسا فجفلا مذعورين وانفض اشتباكهما ليتكأ كل منهما على الجهة المقابلة لجهة مشبوكة من (الطبر) بعد إن تفاجئا بمشاهدتي ارقبهما ضاحكا وأنا معلق في أعلى النخلة. لفت سكنه فوطتها حول رأسها ورقبتها بارتباك ظاهر وشدت خصرها بعباءتها وأسرعت الخطى متعثرة وهي تحمل حزمة

---

<sup>١</sup> - القرية تذهب لولي امر الفتاة المراد خطبتها لأخذ موافقته.

<sup>٢</sup> - احد طرق الزواج في الريف العراقي حيث يتبادل العريسان أخواتهما وبناتهم ليتزوج كل منهما بأخت أو بنت الآخر هذه الطريقة التي لم تنزل قائمة لحد الآن وان بدت تنحسر وفيها ظلم كبير للمرأة.

(الحشيش) متوارية بين ضفتي (الطبر) <sup>١</sup> صوب دار أخيها  
كعادتها فجر كل يوم لجلب الحشيش إلى الأبقار.  
بعد إن شيعها مالح بنظراته متألماً، توجه نحوي بعد إن نزلت  
من النخلة تملقني ضاحكا ومتوددا وهو يحمل (هندالة) <sup>٢</sup>  
صيده من السمك قائلا:

إنّه كان يخرج (كشايه) <sup>٣</sup> من عين (سكنه) المسكينة حيث  
استعانت به لأنها ما عادت ترى طريقها من شدة ألم هذه  
(الكشايه) اللعينة التي دخلت عينها وهي تقطف الحشيش ثم  
مسح على رأسي وقبلني وأعطاني سمكه (بنيه) تلبط من  
هندالته قائلا إنَّ والدي يحب السمك البني طالبا مني أن لا  
أذكر له ولغيره مشهد إخراجه للقشة من عين سكنه لأنّه لا  
يريد أن تعرف الناس بقدرته على إخراج القش وخصوصا من  
عيون الفتيات فيشغلونه عن عمله لكثرة حدوث مثل هذا  
الأمر في القرية.

---

<sup>١</sup> - النهر الصغير الذي يوصل الماء للأرض من النهر الرئيسي ويتحكم في  
جريانه من عدمه صاحب لأرض وحسب الحاجة.

<sup>٢</sup> - حاوية مصنوعة من سعف النخيل يضع فيها الصياد حصيلة صيده من  
السمك.

<sup>٣</sup> - قطعة من القش تحملها الريح وقد تدخل عين الإنسان فتسبب له الأذى.

إن سماحته ولطفه وتودده لي سمح لي أن أسأله السؤال التالي: (مالح) هل لك أن تعلمني كيف يستطيع أحدنا إخراج القش من العيون؟.

قال لي: وان كنت لم تزل صغيراً يا (مطشر) ولكنني سوف أفشي لك بسر هذه المهنة نظراً لمعزتك عندي، يمكنك أن تتعلم هذا العمل عندما تشرب من (ماي العروس)<sup>١</sup> وهذا سر يجب أن لا تعلمه ولا تفشيه لأقرب الناس إليك لأنه سر المهنة ولا يعرفه غير أنا وأنت في القرية ثم قبلني مؤكداً علي وصيته بكتمان السر العظيم!

مضى مالح حاملاً هندالته على ظهره قاصداً داره في الجانب الآخر من النهر. بعد أن حل رباط زورقه من جرف النهر ليسرح مع المجرى مطلقاً صوتاً شجياً متهدجاً كموج النهر يتكسر بعبراته وحنينه منشداً (أنه أرد ألوك لحمد ما لوكن غيرهِ جفلني برد الصبح وتلجلج الليره) ملوحاً لي بيده السمراء.

وعملاً بنصيحة (مالح) انصرفت عن شرب الماء كعادة أهلي من الحب بل كنت أقصد ماء بركة كبيرة متصلة بالنهر داخل البستان تظللها شجرة تين كبيره في ظهاري تموز الساخنة لأغوص في عمق البركة تحت ظلال شجرة التين حتى ابلغ القاع لأرتوي من (ماي العروس) البارد المنعش في برودته

---

<sup>١</sup> - من شعر الشاعر العراقي المعروف -مظفر النواب-.

ولذلك سمي بماء العروس، وعندها أخذت أشعر كأني اكبر من عمري عشرات السنين واني أتحفظ على كنز ثمين لا يستطيع أن يراه غيري على الرغم من انه أمام عيني، أخذت أعيد الغوص والشراب عدة مرات في اليوم بحيث زهدت الأكل وانتفخ بطني ظنا مني، إني كلما شربت من ماء العروس أكثر كلما برعت في إخراج القشة أكثر. أخذت أفتش وأترصد أخبار سكان القرية باحثا عما أصابت عينه (كشايه)<sup>١</sup> وخصوصا من الفتيات لاستخرجها بقوة ما امتلكت من سر لا يعرفه غيري ولكثرة ما شربت من ماي العروس.

عمه سكينه، إلا صارت بعينج كشايه مره ثانيه أني أطلقه ألج، كان هذا عندما استقبلتها أمام باب دارنا لأهش عنها كلابنا خشية إن تعضها.

مسكتني وقبلتني ضاحكة وهي تقول: أي يبعد عيون عمك عفي ابن خوي، بس يعمه لا تسولف لحد غيري لا تحسدك النسوان يبعد روعي، وتمتمت -عفيه (امويلح) هاي شلون دبـرتـه-

- ها عمه اشو تسولفين ويه رويج؟

---

<sup>١</sup> - القشة.

لا (يعمه. أغراك صورة ياسين تحفظك من العين، دتعال  
يعمه عَدني<sup>١</sup> من چلابكم آني چايه أشوف أمك كالولي (ما  
هي طويبه)<sup>٢</sup> مالهه خلگ).  
أصيب رواد (المتنبی) بالذهول وازدحمت الأسئلة في رؤوس  
الكل:-

من هذه المرأة، وماذا تعرف عن هذا الصعلوك المجنون، ما  
هي علاقة الشاعر الشهير (س) بحال المعتوه (عاشق الدرج)؟  
استدعيت الإسعاف حملته إلى المستشفى رافقه بعض  
المتعاطفين معه، ومن اخذ يشحذ ذاكرته ليستذكر هذا الوجه  
وهذا الصوت الذي يبدو انه ليس غريبا عليه، ربما هو الرفيق  
فلان أو الأستاذ فلان أو أو وتمتد قائمة الاحتمالات  
والتصورات واسترجاع صور وأصوات زملاء عمل وأصدقاء  
ورفاق طريق غيبوا في وقت الديكتاتورية ولم يعثر لهم على  
اثر حتى الآن، ولم يهتم بأمرهم احد وسط فوضى الحرائق  
وكرنفلات الهرج والمرج والذبح، رافقها في سيارة الإسعاف  
من أراد معرفة المزيد عن هذا الـ(المعتوه) صوت (س)  
الشعري، ممن تجمهروا حوله في (المتنبی)  
استقر وضع عاشق الدرج الـ(كفاح) كما نادته المرأة فبادرها  
الفضولي بالسؤال: خاله رجاءاً ما هي درجة قرابتك بـ(كفاح)؟

<sup>١</sup> - ابعد عني الكلاب أو احرسني منها لحين تجاوزها.

<sup>٢</sup> - بمعني مريضه أو متوعكه.

يمه (كفاح) ابني، ابني، هذا أستاذ (كفاح) الشاعر: الحنين، (كفاح): أبو الغيره. ولكم شلون أهل بغداد متعرفون (كفاح)؟  
يمه هاي صار (١٢) سنه غايب عني من يوم الذي اقتادوه أهل (الزيتوني) من البيت في ١٩٩١، كان دليلهم صديقه ورفيق دربه وحامل أسرار (س) الله لا يطيه ولا يخليه.

- وما قضية الدرج وهدم الدرج التي يلهج بها؟

يمه (كفاح) وضع كتبه ودفاته تحت الدرج وأغلقه عليهن بجدار، بعد أن قمعت انتفاضة آذار ١٩٩١، شنت حملتها المشؤمة لمطاردة معارضيها وتصفيتهن أو سجنهن. وقد غادرنا (كفاح) في ١٩٧٨ الى جهة مجهولة لم نعلمها إلا بعد زيارته المفاجأة لنا في ١٩٩١ للمساهمة في انتفاضة آذار بعد أن كان مع رفاهه من ثوار الأهوار.

داهموا البيت بعد غيابه، دلهم (س) الذي كان برفقتهم على مكان إخفائه لكتبه ووثائقه السرية، صادرها معهم هذا الذي تسمونه اليوم الشاعر الكبير والمنفي والمطارد من قبل السلطة السابقة!

أصيب السامع بالذهول بين مصدق أو غير مصدق وهو يسمع أقوال هذه المرأة، وهل حقاً هم أمام الشاعر الكبير بلحمه ودمه وقد غشهم هذا (س) كل هذه السنين، حمل نياشين الشرف والبطولة والنضال والأبداع، وهو خائن وعميل لأجهزة الأمن الفاشية، وبعيد كل البعد عن الأدب

والثقافة، هل حقاً هو نكرة وحشرة حقيرة، انطلقت حيلتها على العراقيين وغير العراقيين في الداخل والخارج، هل تمكن هذا بدهائه وحده أن يفعل ما فعل، وأن يكون نجماً أدبياً كبيراً ووطنياً يشار له بالبنان، أن صدقت المرأة فهذا يعني أن هناك جهة ذات نفوذ وقوة ومال روجت لهذا النكرة ليكون علماً من أعلام الأدب والأبداع، أنها صدمة قوية سيتلقاها أهل الثقافة والأدب في المتنبي.

إنّ الامر بحاجة للمزيد من الأدلة والوثائق والإبتات ليتمكن التأكيد من شخصية الشاعر، ولا مفر إلا بانتظار تحسن حالة (كفاح) الصحية والنفسية ليفصح عن الحقيقة ولا بد من فضح ذلك الدجال الخائن المزور منحل شخصية المبدع والمناضل الكبير، وإن كان ما يجري على ساحة الوطن وصعود النكرات، وتنكر الخونة بلباس الوطنية والشرف صارت ظاهرة صدمت الكثيرين ما عدا أعمدة السلطة ومتنفذيها لأن أغلبهم ذو ماض مشين، فتستر بعضهم على بعض!

أنّبه السائل من شروده ودخوله عالم الاحتمالات والتساؤل ليتابع حديث أم كفاح: هذا الكتاب الذي في يده هو أحد كتبه الخاصة القريبة لروحه التي أخفاها تحت الدرج. وما يردده من نصوص شعرية إنّما هي نصوصه الأدبية والشعرية

التي ضمتها مخطوطات دواوينه الشعرية المصادرة، هذه قصة ولدي (كفاح) يا جاحدي (كفاح).

- وما قصة أحلام مع (كفاح) يا أم (كفاح)؟  
آخ يمه بعد عيني عليج يمه أحلام، وين صرتي، أسوو بيج  
هذوله الذبابه من بعد عين (كفاح)،

بكت الأم بحرقة كبيرة لطمت خدودها، لوعة ومرارة وأسى،  
وبعد أن سقيناها شربة من ماء وتناولت حبة من دواء تحمله  
معها حسب توصيات الأطباء، هدأت قليلاً هوت على  
(كفاح) تشمه تقبله تكلمه تحاول أن تعيد إليه ذاكرته بطفولته  
بصباه شبابه، ولكن دون جدوى، (كفاح) مشغول بدرجه  
و(أحلامه).

إلتفت إلينا قائلة: أحلام يا ولدي هي زوجة (كفاح) حبيبته  
وزميلته في الجامعة، تزوجها بعد قصة حب طويلة ومشوقة،  
ألتقيا في الكلية على طريق الأدب والحب في أواسط عام  
١٩٧٧، لم يستمر زواجهما أكثر من سنة واحدة، وبعدها  
أضطر إلى الاختفاء داخل الوطن بعد قطيعة مع حزب السلطة  
عام ١٩٧٨.

بعد اختفائه بأسابيع اختطف (أحلام) من الشارع وهي في  
طريق عودتها من الجامعة للبيت حسب ما رواه شهود عيان،  
ولم نعثر لها على أثر منذ ذلك اليوم رغم إننا عملنا  
المستحيل لتعقب أثرها ولكن بلا جدوى، أحلام أفرستها

الذئاب يا ولدي، أجهشت بالبكاء وتوقفت عن الكلام ومتابعة طريق الآلام.

بعد مكوثه في المستشفى لعدة أيام، وقد تعاطف معه العديد من الأطباء بعد إن استمعوا إلى قصته من قبل والدته، وما تعرض له من قهر في السجون والمعتقلات، مما جعلهم يهتمون كثيراً في حالته النفسية ومحاولة إعادته إلى وضعه الإنساني الطبيعي من قبل أطباء اختصاص بالأعراض العصبية والنفسية عبر جلسات طويلة من قبلهم، وقد شجعهم حدوث بعض التحسن الذي أخذ يتطور تدريجياً نحو الأحسن، ولكنه أخذ يسأل كثيراً عن مصير العربانه، وعن قدور اللبلي والباقلاء، وأحياناً ينادي (لبلي، لبلي، أكل وصلي عله النبي، أنظر وأسمع ولا يصيبك العجب) ثم يستمر بمسجوعته هذه، مرة بالفصحى وآخر باللهجة العامية، يستغرب الأطباء كثيراً مما يسمعون ولكنهم توصلوا إلى أنَّ هناك طبقة من خلاياه المخية تختزن ذكريات بعيدة مخزونة في كهوف لا وعيه أخذت تنشط الآن بعد أن اكتسحت أو دمرت معاناته وعذاباته طبقة ذاكرته الأحدث، وأنَّ مجمل جهازه العصبي يناضل من أجل نبذها وأبعاد تفاصيلها المأسوية من ذاكرته، لتغور به نحو أيام الطفولة والشباب، وقد تيقنوا من صحة ما ذهبوا إليه، حينما أوضحت لهم والدته، مهنة والده كانت بائع

لبلبي أو باقلاء بواسطة عربانه معدة لهذا الغرض وقد كان (كفاح) يرافق والده بائعاً متجولاً.

أخيراً قرر الأطباء إخراجه من المستشفى وقد أقنع بمرافقة والدته إلى دارهم التي مازال يظنها ويتصورها بأنها دارهم في مدينة النجف، فرحت والدته كون ولدها أخذ يتعافى ويعود إلى وعيه، أخذ يستحم ويأكل بانتظام، ولكنه كان يطلب وبإصرار أن تعاد له (عربانته) ليعاود عمله، فلا يمكن أن يظل بلا عمل، وبناءً على نصيحة الأطباء قررت والدته ومعارفه على مجاراته وتنفيذ ما يريد، فابتاعوا له (عربانه) وحسب شروطه ومواصفاته، وأعدت له قدر من البلبي، مع الكاسات (الفرفوري) وقناني الخل والحامض وما إليه وكأنه تستعيد حياة زوجها، وهكذا كل يوم أخذ يصطحب عربانته كل صباح، متوجهاً إلى أبواب المدارس والساحات، وخصوصاً بالقرب من مساطر العمال، حيث يجد متعته، وكانوا يقدمون له الكثير من المساعدة ويتلذذون بتناول البلبي من يده، رغم أنه لا يهتم بأخذ فلوس ممن يطلب لبلي، ولكن الأغلبية ممن عرفوه كانوا لا يخلون عليه بدفع فلوس أكثر أحياناً من ثمن كاسات البلبي، في حيت يسيطر عليهم الذهول أحياناً وهم يسمعون ينشد الشعر يفهمون بعضه ولا يفهمون البعض الآخر، كما كان يجري حوارات فكرية تستعصي الفهم على الكثيرين مع أسماء وأشخاص بأسماء عربية أو أجنبية، مما

لفت نظر بعض المثقفين والشعراء والأدباء إلى هذا البائع المتجول غريب الطباع، عالي الثقافة حيث يتكلم أحيانا بالإنكليزية أو الروسية، والفارسية، وأجادته التامة للنطق والحديث باللغة العربية الفصحى في حوار شيق وعميق مع محدثه المفترض مع أحد أعلام الثقافة والأدب العراقي أو العربي والعالمي وكل بلغته، ولكنه على حين غرة يعود إلى بساطته فيصيح بأعلى صوته لبلي لبلي اكل لبلي وصلي عله النبي!

ويقوم بأنشاد بعض أبيات الدارمي أو أبيات مؤثرة من الأبودية العراقية العذبة، كانت والدته تراقبه من بعيد في أيامه الأولى، إلا إنها أخذت تطمأن عليه بعد أن أخذ يذهب يبيع ويعود في مواعيد محددة ومضبوطة، كما أنها أقنعت بأن يرافقه صبي من أهل المنطقة لمساعدته في دفع العربة وتنظيف الكاسات وليحل محله في البيع حينما يقوم بتناول الشاي أو طعام غدائه، أو ينشغل في حوراته الأدبية أو الفكرية، الخ..

لوحظ على (كفاح) في الآونة الأخيرة تركه لعربته، وتسمره وحرونه الغاضب قبالة همرات ودبابات الأمريكان وهي تجثم على صدر شوارع وساحات بغداد، يصرخ بلغة إنكليزية لا يفقه معناها الكثير ممن يراقبون حركاته، يظل واقفا لا يتزحزح ولا يستجيب لتوسلات أمه أن يتعد عن هذه

الخنازير المتوثبة فقد تفتك به في آية لحظة، نقل عنه من يجيد اللغة أنه يطالب الأمريكيان بجوازات سفرهم، ومن سمح لهم اغتصاب بغداد الحبيبة، كيف دخلوا بدباباتهم ومدركاتهم، وهو يهدمهم بالويل والثبور وأساء الأمور، يسحبونه عنوة ويبعدونه عن مرابض المدرعات والدبابات ليعود له هدوءه ويستدرجونه ليقروا قصائد شعرية تتغزل بمدينة بغداد وحاراتها، ويناشد حبيبته (أحلام) بموافاته، إنه ينتظر تحقيق حلمهم الكبير، حلم (وطن حر وشعب سعيد) يعدد أماكن لقاءاته الجميلة بأحلام، ويذكرها بحلو الكلام، تترأى أمام عينيه المناضلة القروية الصلبة بنت الأهوار (سعيدة) التي أذاقت، قوى القمع الهوان وربمت صفوفهم وحيرت أدمغتهم نتيجة جرأتها وشجاعتها وإيمانها بقضية شعبها وخلاصه من الديكتاتورية وأسيادها ملوك البترول ومصاصي دماء الشعوب، في فجر أحد الأيام وقد كان منهمكا في تقديم كاسات البلبي للعمال في مسطرهم كعادته في كل يوم.

حتى فار التنور واصطبغت المنطقة باللون الأحمر اللزج، في حين اندلعت الحرائق وعلا الصراخ والصياح، بعد أن هدت أركان المنطقة انفجار سيارة مفخخة دبل قماره أحتشد حولها العمال طلبا للعمل، كعادتهم حينما يتدافعون باتجاه كل قادم يطلب عمالا، وكل واحد منهم يريد أن يفوز بهذه الفرصة

ليضمن قوت أطفاله لهذا اليوم، أحس بسائل ساخن يغطي جبهته، رفع أحد يديه فلم تسعفه حيث شاهد أنّها عضد بلا ساعد، فحرك يده الثانية ماسحاً بها جبهته، فعادت إليه مليئة بدم رأسه، بدأت تتوارى الصور من أمام عينيه، هوت إلى جانبه حمامة مذبوحة، أصابها اللهب الناري المسعور، أعتصر (كفاح) بيده اليسرى جناح الحمامة ثم أطلق صرخته الأخيرة (لا ديكتاتورية ولا احتلال) ودخل عالم اللا عودة.

وضع رأسه في حجرها الوثير وهي تمشط له شعره المسترسل على كتفيه، غاص في عمق ذكرياته الدفينة التي أرادت حببته أحلام أن تطلع عليها.

"كانت دارنا أن صبح أن نسميها بدار، أكواخ من القصب وسعف النخيل، محاطة بسياج واهن من الجريد وأغصان الصفصاف تضمنا أبي وأمي وأختي، يحاذي ضفة النهر المتدفق دوما بماء تتدرج ألوانه بين الزرقة في الصيف والحمرة في الربيع والشتاء، كان مستودعاً كبيراً للأسماك (الشبوط والبنّي والزوري والكطان والجري والحمري، ولم يكن معروفاً آنذاك سمك الكارب كما هو الحال الآن)

وبدور.

آهههههه هل لا زلت تذكرين وربما تغارين من (بدور) رفيقة طفولتي في القرية، مروراً على شعرها الذي جلل وجهه وبدأ يروي لها القصة:

هيمن الحزن والألم على صدري منذ إن سمعت والدي ووالدتي يتداولون في أمر رحيلنا من القرية بصورة نهائية للسكن في المدينة خلاف ما كان حالنا أو حال بعضنا في مغادرة القرية بشكل موسمي طلبا للعمل في المدينة، فعمدت إن اخرج يوميا لأتفقد الأماكن والمواقع الأثير مزبداً على نفسي على ضفة النهر الذي يبدو ملتويا كأفعى يتلوى هادرا، مزبدا في مواسم الفيضان أو نحىلا متراخيا في أوقات الصيهور، حديقة السيد (صاحب) المسيجة والمحروسة من قبل (جارا لله) (القاسي)، لا تغمض له عين، رغم كل ذلك كنت كالثعلب أبتكر الطرق أستغل الثغرات وغفلة الحارس لأدلف إلى داخل الحديقة لأقطف قدر المستطاع من الجنبذ الأحمر من شجرة الورد الجوري الساحرة وسط الحديقة وقطف التفاح المثقلة أغصانها بغزارة حملها، القيلولة تحت ظل شجرة التين العملاقة المجاورة لدار جارنا (مسعود) الجراد الملون احمر، ازرق، اسود، متعدد الألوان، أمسك بذيلها احدها من الخلف مقتربا منها بحذر بالغ كي لا تطير، أربط ذيلها بخيط رفيع ثم أرخيه لها لتطير واتبعها راكضا ورائها، أأذوق (الصميمصملله) من على كتف (الطبر)، والتقاط غنوص (العوين) من شجيرات المتشابكة الفروع على طول كتفه وعلى (فروك) ألواح الشلب، أهيم في الأرض البور أرض (سيد مسعد) المكتظة بالعا قول والطرفاء وأنواع الحشائش

مخفية أعشاش ومكامن بيوض وأفراخ الدراج (الحجل)  
متذكرا بآلم كيف اخذ مني شرطي كان في مهمة عابرة في  
قريتنا فرخ الحجل الصغير الذي الفني والفته، اخذ يتبعني  
أيما أذهب وقد كنت أطعمه بمختلف أنواع الحشرات  
والديدان التي كنت اصطادها لتكون غذاءه المفضل هذا ما  
أخبرتني به شقيقتي المبروكة (فطومه) والمختصة بتربية  
الطيور وخصوصا (الفخته) كانت تسحق الحبوب ثم تطعم  
الفاخته من ريقها بوضع منقار الطائر في فمها لتزقه الطعام  
المهروس، اجلس على المترب لأرقب صوت طيور  
(الكارور) الخضراء وهي تحلق في السماء عازفة موسيقاها  
ال مميزة في موسم الربيع، أو مترقا جمال وغرابة (غريب  
الجل) أو (الهدهد) في بعض البساتين شبه المهجورة حذرة  
من كيد الإنسان وغدره، ولا اعرف ماذا يحل بي وكأنني أطير  
محلقا عندما أشاهد منظر (الطسلة) تزغرد كأنها عروسة الماء  
تطير تلامس سطح ماء النهر مستعرضة أجنحتها ككفوف  
عروس مخضبه بحناء الزفاف، صدرها الأبيض كالبرقع الذي  
يغطي وجه العروس، منقارها صارخ الحمرة مفتوح متلهف  
لقبلة فارس الأحلام، (صليلكع) السماج ذو اللون الحبري  
والأبيض، منقار طويل مستدق النهاية، يحلق عاليا ثم يقف  
في الفضاء أعلى نقطة محددة في النهر، سرعان ما يصف  
جنحيه ويهبط كالبرق صوب هدفه، ليرتفع وقد تدلت من

منقاره سمكة صغيره غذائه المفضل، أنّه ذو بصر حادق وذو دقة تصويب مذهلة حقاً، أتأمل (عبد آل عبدان) البدوي المزارع الغريب الأطوار الذي لم أر مثله في قريننا أو القرى المجاورة فمن طبائعه أنّه لا يقسم بالله ولا بالأئمة أبداً كعادة أهل القرية بل يقسم بأقرب شجرة أو آلة أو يقسم برأس محدثه مهما عظم الأمر ومهما بلغت خطورته، كان (عبد ال عبدان) يحمل مسحاته على متنه وإنّ أراد أن يتغوط يحفر له حفرة صغيرة ثم يقوم بدفن غائطه ويغتسل في أقرب ترعه أو نهر، هذا ما لا يفعله أهل القرية كباراً وصغاراً نساءً ورجالاً حيث يتغوطون في أحد المنخفضات أو خلف الاكومات والشجيرات تاركين برازهم مكشوفاً.

وقد أصبح معروفاً بطباعه الغريبة هذه أحسست بالخدر بفعل النسيم العليل القادم من النهر وأنا مستلقي تحت ظل شجرة التين العملاقة!

قبلتني والدتي وزغردت ثم قامت بصبغ شفاه (البنّيّه) بأحمر الشفاه وأعادتها للماء ثانية حسب عرف للقرويين آنذاك عندما يصطاد أحد أبناءهم سمكة لأول مرة، رميته (بالمحجال) فأصابه الحجر في كف يده مت هشماً إياه إلى شظايا متناثرة فعجب وعجبت لدقة التصويب بمثل هذه الدقة بواسطة (المحجال) أمر لا يحصل ولا يتكرر أبداً مما قد يتهيأ لي باني شخص مسحور أو مبروك أو رجل صالح،

طالما أُنْبأُ بأمور وإحداث ووقائع تحدث لي ولغيري في قابل الأيام والأسابيع أو الأشهر، شعرت بالخدر والذوبان عندما أحتك جسمي بجسمها ونحن جالسين تحت ظل (الطرفاية) واستهوتني مكوراتها فتجرات على تحسسها بأصابعي بعد إن رمت رأسها على صدري وبدت كالنائمة فلثمت خدها بقبلة ثم أردفتها بثانية وبعدها التقت شفتيها بقبلة طويلة أن حضنتني (بدور) وأحضنتها وسكرنا في عناق طويل أحسست خلالها إن كل الطيور طارت وكل الديكة تصيح والبلابل تغرد والبردي يرقص، لم نصح إلا على صوت إطلاقه صياد الحجل أستاذ (شمخي) معلم المدرسة الوحيد، كان فرحي لا يعوض عندما أهداني المعلم دفترًا صغيراً تقديراً لتمييزي في الدروس في الصف الثاني الابتدائي، مُنحت لقب فارس الصف مع زميلتي (بخيتة) التي تشاركني نفس الصف في مدرسة القرية (مطشر، مطشر) عمي ألدنيته المغرب وانه نايم تحت التينة وهلك يدورون عليك ما تگلي اشبيك؟

- بدور بدور بويه جيبي ماي بارد لخوج من الكوز اشو چنه حلمان مدري تعبان.

وبذلك أفقت مذهولاً وفزعاً من أحلامي على صوت أبو (بدور).

- اصمِّلْهُ، اصمِّلْهُ يبعد عيني هاك هاي أميه اشرب واغسل وجهك أَظْنَك اليوم تعبت وانتة ترعى الهوايش بكاع عبيد ثم ابتسمت محمرة الخدين واستدارت حولي بخفة ماسحة العرق من على جبينني مجففه وجهي من الماء بطارف فوطتها المزكرشة فأناحت لي فرصة شم عبير نهديها الصغيرين وودت لو، ولكن.

صدگ (يمطشر) راح تمشي عنه، چا بعد ياهو اليسرح وياي وبعد ويامن العب (صكله) و(أمهات) و(غَمِيضَه) ماتكلي يا بعد كَلبي

تتكلم وهي تعالج دمعا مدرارا وألما ظاهرا.  
(مطشر) صدگ راح تعوفونه وتاخذكُم منه الولايه وبنات الولايه المَلْعَبَات وشويه شويه تلتهي وياهن وتنسانه.  
- رددت عليها مستفهما: (بدور) أنتي منين تعرفين بنات الولايه حتى تگولين عنهن ملعَبَات؟

- لا والله آني ما اعرفهن لاكن هجي الوادم تگول: أهل الولايه وبنات الولايه موش مثلنه البگلوبنه عله لسنتنه!  
بيناتنه (العباس أبو فاضل) يا بدور ما أنساچ طول عمري.  
اقسم معاهدا (بدور) على الوفاء.

كفكفت دموعها بأناملي حابسا حسرة وعبرة كادت أن تنفجر لولا الإحراج والخجل من أبيها الذي انشغل بجمع التين على مقربة منا.

انتبهت على نفسي، ودعت بدور بحسرة شادا على يدها بقوة،  
قاصدا دارنا التي يسيطر عليها الوجوم والحزن استعدادا  
للهجرة إلى النجف الذي أصبح مؤكدا بعد إن ضاقت بنا  
حياة القرية، عند الصباح بدأت عملية تفليش الصرائف وحزم  
الافرشة وإفراغ (السداين) من الحبوب والطحين ليوضع في  
أكياس خاصة (وحملوا) (المجرشة)؛ و(الرحه)؛ وتركوا  
(المرتبه) لثقل وزنها وانتفاء الحاجة إليها في المدينة ولم  
تنس والدتي (الچاون) و(الميجنه) و(الگطينه) أم الملح،  
و(الحصران) و(الزبلان).

حدث توقف في عملية التفكيك عندما أتجهوا صوب  
(الچرداغ) الرئيس وهو مكان نوم والدي ووالدتي ونحن  
الأبناء الصغار، فقد نادى والدتي على والدي قائلة:

- أبو (مطشر) بالكم اتفلشون (الچرداغ)!
  - شهي خاييه قابل هذا گبة النبي أحمد ومايتفلش!
  - لا لاچن أظنك نسيت عش (العلوية) ابسگف (الچرداغ)؟
- كان طير السنونو يدعى (العلوية) التي اعتادت أن تعشعش في  
(سقف الچرداغ) سنويا وتضع بيوضها وبعد أن يكتمل نمو  
أفراخها تعود مع أسرابها إلى ديار بعيدة لا نعلمها لتعود في  
العام التالي وهكذا تتكرر العملية في كل عام ونحن طبعاً لا  
نعرف هل من يعود إلينا الأم والأب أم أبناء وأحفاد السنونو،  
فلا احد يجروء على هدم الكوخ وتفليش وتخريب عش

(العلوية) ومن يفعل ذلك سيصاب بمكروه لا محالة، اقترح أخي الأكبر مقترحا ان نعرض (الچرداغ) على من يروم شراؤه وهو يتكفل بتفليسه وبذلك تتخلص من خطية (العلوية)، ولكن الذي حدث إن كل من يأتي لشراء مكونات (الچرداغ) يمتنع عن الشراء عندما يشاهد عش (العلوية) في سقفه فليس هناك من يجروء على هدم عش (العلوية) مهما كان السبب ومهما كانت الفائدة المرجوة من وراء ذلك، إن عقاب ذلك أشد من عقوبة من يقتلع (السدره) من البيت. وهكذا فقد قررت العائلة ترك (الچرداغ) على حاله ليكون ملكا (للعلوية) وأفراخها.

- قالت (حياة) والله يخيه ما يجبرك عله المر إله الأمر منه، موضحة لها إن الحياة في المدينة ليست سهله، بل هي حياة صعبه، ومعاناتها كبيرة، ولكن مالحيلة وقد عضهم الفقر والجوع في القرية بسبب ظلم وتعسف الأقطاعيين واستغلالهم ومناصبتهم العداء لأبو (مطشر) لأنه لا يرضى بالذل والمهانة.

- إي يمه الله يمهل ولا يهمل هذا ما قالته أم بدور وقد وافقتها والدتي القول وقد اغرورقت عيونهما بالدموع:

- فردت عليها أم بدور بحسرة وألم واضح وهي ترمقني وقد وضعت (شيشة) ربحه و(مشط) و(بشكير) و(مشوفه) بيد (بدور) كهدية مني (لبدور) الحبيبة.

- كشفت أم (مطرشر) رأسها رافعة عصبتها وأيديها للسماء  
قائلة:

- ربي بجاه هل المغريه ومصيبة كربله وهضمية ألقره  
والمساكين أريدك ما تخلي للظالم ضجر!  
- إي والله ربي أمين رب العالمين هذا ما رددته أم بدور مع  
والدتي ثم انتحبتا باكيتين، في الوقت الذي انتحينا أنا وبدور  
جانبا لنسرح في عالم ذكرياتنا الجميلة وهي تضم هديتي إلى  
صدرها كمن تداري كنزاً ثميناً.

\*\*\*\*\*

كانت هذه العائلة تستظل تحت شجرة تين عملاقة لم أر مثيلا  
لها في كل مكان، العائلة تجلس عادة تحت ظل هذه الشجرة  
من الصباح للمساء تتناول تحت ظلها الفطور والغداء،  
الشجرة مستودعا ضخما للطيور وخصوصا العصافير، مثقلة  
أغصانها بالتين الأسود حلو المذاق في الصيف، والملفت  
أنها كانت مشاعة لعائلتنا نتسلقها حيث نشاء، أحياناً يتسلح  
ليلا بعض القرويين بـ(تورج) يسلطون ضوءه الحاد على  
أغصان التينة مما يشل قدرة (العصافير) عن الحركة  
فيصطادونها بسهولة وسرعان ما يقطعون رؤوسها الصغيرة  
لتشارك اخوتها رقصة الموت، ترفس تصطفق أجنتها ترفع  
أرجلها نحو السماء ثم تخلد للصمت، بعد أن يقتنعون من

كفاية عدد العصافير لعمل (حميسة) شهية تعوض حرمانهم الطويل من اللحم.

يكفهر وجه أحلام تَقززا واستنكارا لهذه القسوة ضد العصافير المسكينة، استذكرت هذه الصورة وهي تشهد ممارسات التعذيب والاعتصاب الوحشية لجمع من الشابات السجينات في الأمن العامة، دماء تسيل أجنحة ترفرف دماء تختلط، زقزقات مكبوتة، تذكرت دماء اغتصابها.

بالتأكيد كنت ماهراً في السباحة فكل أبناء وحتى بنات الريف يجيدون السباحة، آه لو تعلمين كم ابتلعت من (أبو الدييس) هذه الدودة السوداء التي تسبح برشاقة وخفة على سطح الماء مهما كان غزيراً وجارفاً، ظنا مني وكما كان متعارفاً بين القرويين أنّ ذلك سيساعدنا على أجادة فن العوم هههههه، كما علمتني هذه الحروف السوداء كيف أعوم في بحر عينيك حبيبتي، لثمها قبلة حرى، ثم واصل الحديث، بالمناسبة فان والدتي روت لي أنّها ولدتني أثناء عملها في الحقل، كان المرج الأخضر هو مهادي الأول، وقفت البقرة بالقرب مني يا ولدي وكأنها تعاطفت معي فهرعت إلى مساعدتي، لا تنسى خالتك البقرة يا ولدي، أخذت تنظف جسمك من عوالق الدم بلسانها وبلطف كبير، عقدت (سرك) بخيطة استلته من عبائتي الصوفية، بعد أن قطعت بحافة قصبة مشطورة (الليطه) قد كانت حادة كالמוש، كنا نقطع بها اللحم أحيانا.

غذاءك حليب البقرة وماء الرز المغلي (الفوح) لأن صدري  
كان شبه جاف من الحليب.

- آه يعني أخيك كان أبن البقرة بالرضاعة؟  
وها أنا الآن ثور كبير يسلم قياده بين يديك أيتها المروضة  
الساحرة ههههه.

ضمته إلى صدرها قائلة الله كم أحبك يا (ثوري) الجميل، بالله  
عليك أستمر في رغائك الساحر.  
- سمعا وطاعة يا بقرتي الجميلة.

أخيراً اهتديت إلى طريق الحرية على يد النجار الذي عملت  
معه بعد أن غادرنا والذي يسلمني إشارة الصلة برسول  
المخلص "جريدة في اليد اليسرى ومسبحة في اليمنى، شارع  
الأمام الصادق الساعة الرابعة إلى الرابعة وخمسة دقائق  
عصرًا، يكرر في اليوم التالي إن لم يتم الاتصال"

لم أنم تلك الليلة، أراجع الكرايس والوصايا، أتخيل وأرسم  
صور هذا العظيم الملاك الشجاع أل، أل، لا بد أنهم نوع  
خاص من البشر، لا يعرفون الكذب ولا الأنانية، شعلة من  
النور والجرأة وحب العدل والناس الفقراء والمعدمين،  
يقرءون الحاضر والمستقبل كما السحرة وفاتحي الفال.

- كلا لن أرتدي ملابس الأنيقة ولا حتى القميص الجديد،  
لا داعي لتلميع الحذاء أنها مظاهر برجوازية تافهة، ليس لي  
أن أتمثلها، على أن ألبس (اللنگات) فأنا منتمي للبرولتاريا

وليس للبرجوازية الصغيرة التافهة، ولكن أنا أنتمي إلى فئة الطلبة وهم مصنفون كبرجوازية صغيرة، كيف لي أن أتخلص من هذا العار؟

كم عذبتني رائحة (الكاهي باللحم) المقلي، هل يمكن أن يأتي يوم أتمكن من أكل كفايتي من الكاهي؟  
أما الكباب المشوي فهذا فوق مستوى أحلامي.

كنت أفرح في البساتين أتأمل مغيب وشروق الشمس من على تلال (مترب) تحيط بضفتي النهر، أطارد الزنابير الملونة، وأستمتع بصوت ديك الحجل وسط الأحرار المحيطة بالدار خصوصاً وهو يتحدى الصيادين كما يقول عبر زعيقه (صياد ضربني وضربت، صياد ضربني وضربت، طيط ططيط طيط)

أضحك مع نفسي وأعجب بشجاعة وطرافة هذا الطائر الجميل وتحديه لمكر وعدوانية الإنسان ولكنه كان يسقط سريعاً برصاً ص صيادين مهرة لا يخطؤون التهديد على الطيور في الأرض أو الطائرة في السماء منهم معلمنا أستاذ (شمخي) و(سيد محمد) ابن الإقطاعي مالك قريتنا. وقد كانت لي حكاية مؤلمة مع هذا الطائر فقد اصطدت فرخاً صغيراً للحجل كان هائماً بين أدغال العاقول في الأرض المهجورة المجاورة لدارنا، بدأت أغذية بمختلف أنواع الديدان، ألفني هذا الصغير وأخذ يتبعني أينما ذهبت مزقراً

بصوت شجي يطلب المزيد من الطعام والماء من يدي فصار أنيسي ورفيق تجوالي بين النخيل حتى أنه يدس جسمه الصغير معي عند المنام متقياً البرد أو محاولة افتراسه من قبل القطط والكلاب، كانت رفقة وألفة رائعة، مشبعة بحب وحميمة التعايش بين الإنسان والحيوان ضمن طبيعة بسيطة وادعة، لم يستغرب أهل القرية مثل هذه العلاقة بين الإنسان والحيوان طائراً كان أو كلباً أو غيرهما، فلكل منهم كلبه وطيّره وحماره وبقرته أو خروفه الأليف، رغم أنّ علاقة من هذا النوع بين طير الحجل البري والإنسان ليس لها سابقة ضمن ذكريات أهل القرية إلا في حكايات (كان يا ما كان من غرائب الجن والإنسان).

أستمر هذا الحال حتى زار قريننا في أحد الأيام الشرطي (أبو إسماعيل) مبلغاً بعض الفلاحين الحضور في مركز الشرطة في الناحية لأمر يخص الأرض وتوزيع المياه، الخ، كان والدي أحد المبلغين في الحضور، أثناء تبليغ والدي بالأمر لحظ الشرطي (طائر الحجل) وهو يتبعني ويزقزق بين يدي مما أثار استغرابه فطلب الطائر من والدي ليكون هدية جميلة يعود بها الشرطي إلى ولده في المدينة، اختطف طائري الحبيب من يدي ليكون في يد الشرطي فكانت معي هذه الحكاية: منذ أن غادرنا (أبو إسماعيل)<sup>١</sup> مصطحباً معه فرخ

---

١- هي كنية الشرطي في العراق كما يكنى الجندي بـ(أب خليل)

الحجل: أنيسي ورفيق شقاوات يومي، يطأطي، خلفي، ينط أمامي، يتدحرج بين أقدامي، أناديه فيأتيني مسرعا مرفرفا بجناحيه الصغيرين الملونين ليتلقف من يدي بقايا الحشرات وحبوب الحنطة التي كانت طعامه اليومي منذ أن وقع في أسري أثناء إحدى غزواتي لغابة شجيرات العاقول في أرض سيد (عبيد) المتروكة بور.

كنت أرجع دائما بغنيمة جيدة من بيض الدراج (الحجل)<sup>١</sup> حيث كان يبني أعشاشه في مثل هذه المناطق المتروكة أو حقول القمح اليابسة، كنا في فجر وغسق كل يوم نستمع إلى أصوات ديوك الحجل وهي تتنادى بأصوات جميلة معلنة عن وجودها وبدء أو نهاية يوم من حياة الكائنات الحية، حيث تشبه أصواتها أصوات أبواق معسكرات الجيش في التعداد الصباحي والمسائي ولكنها لا تنطلق في لحظة واحدة، فتبدو متلاحقة أو متنافرة كأصوات المآذن في الصباح والظهيرة والمساء، فالحجل يرقب الإنسان ويجاوره ويحاوره ولكنه لا يستأنسه ولا يرضخ لتدجينه، ولكنني استطعت أن أدجن (مشمش): وهو الأسم الذي أطلقته على طير الحجل الصغير، الذي سلبه أو بالأحرى صادره مني أبو إسماعيل الشرطي الزائر غير المرغوب فيه، ورغم ذلك يستقبل بمهابة واحترام

---

١- طائر من جنس الدجاج ذو لون بني (الدراج) يعيش في البراري، وهو كثير الشبه ماعدا الصوت بالرقيع) الذي يعيش في المناطق الجبلية.

وهذا بسبب خوف القرويين من السلطة ممثلة بشرطتها، لقد لحظ الشرطي حركات (مشمش) الطريفة والظريفة وهو ينط خلفي مزقزقا فارشا جناحيه كلما ناديته مقلدا صوت طيور الحجل مكونا لديه فعل انعكاسي لتناول الطعام من يدي وأنا لا أخيب ظنه فألقمه بما جمعت له من الديدان والجراد، طلبه الشرطي من والدي كي يأخذه لابنه (فرهود) ليتسلى به، فأذعنت للطلب تحت ضغط وتهديد والدي فأبو (إسماعيل) لا يرد له طلب في قرينتنا (غالي وطلب رخيص) كما كان والدي يقول للشرطي وهو يسلمه (مشمش) بعد أن أخذه من يدي.

فما أن حل المساء أحسست بفراغ كبير حالي كحال من افتقد صديق أو أخ عزيزا على قلبه، مما جعلني اعرض عن تناول طعام العشاء مع الأهل وعدم الاستماع لحكايات خالي عن بنت السلطان وحكايا الإنس والجان في (كان يا ما كان في سالف العصر والزمان) - هذه هي الحكايات التي كنت ألح على خالي كلما زارنا ليحكىها لنا فنجلس أنا وإخوتي وأمي وأبي لنستمع إليها بشغف وانبهار وتأثر بالغ وكأنها قصص حقيقية نظل نحلم بها طوال الليل وأثناء النهار، فغالبا ما تسألني أختي صباحا أن أتلمس ضفائرها وهل إن إحداها ذهب والأخرى فضه، و، و، وإما أنا فكم تخيلت نفسي أميرا بالغ الحسن والجمال وخارق القوة والسطوة وأنا امتطي

(حمارنا) الأبيض ممسك بإحدى يديَّ لجام (الحصان الأبيض) ومحتضنا بيدي الأخرى الأميرة الحسناء ابنة سلطان الجان بعد أنقذتها من خاطفها.

أثار وضعي هذا وإعراضي عن تناول الطعام وعن الاستماع للحكايات الأثيرة على قلبي استغراب الأهل جميعا وخصوصا والدتي حيث قالت: ولك يمه ما تگلي اشبيك ضيغ خلگك، خاف مريض، مصخن، طوقت بكفها معصم يدي، ثم وضعته على جبهتي متحسسة درجة حرارة جسمي! الحمد لله مو مصخن، دخليك ييو فاضل العباس، يمه بسلا صابتك عوينه يبعد أمك؟.

لم أستطع إجابتها وأنا أغص بعبرتي، غطيت راسي باللحاف دون أن أرد على تساؤلاتهم، وأطلقت العنان لدموعي الحبيسة وأنا أتصور حال (مشمش) الصغير بيد ابن الشرطي وماذا عساه أن يفعل به!

(طططط، ططط. ط أحسست أن شيئا ناعما يمسح الدمع عن عيوني ويداعب شفاهي بنقرات ناعمة متلاحقة ودوده، يا الله ها قد عاد إلي (مشمش) الوفي الجميل كدت إن أطير من الفرح، ففرشت له كفي كي يستقر فيه ويكون قبالة وجهي ليكلمني وأنا أسأله: ماذا حصل لك بين الأيدي الغريبة يا عزيزي وصديقي (مشموش)؟

- ماذا أقول لك وبأي شيء يمكن أن اصف لك حالي بعد أن تخليت عني، وأنا الذي خالفت عادات أهلي ورهطي وعشيرتي وأبناء جنسي من الحجل ورافقتك وأخلصت لك ولم استجب لنداءات عشيرتي في الصباح والمساء وهم يدعونني للالتحاق بهم وان لا أأمن غدر بني الإنسان. لم أكن أظن انك ستتخلي عني مهما حصل وأنت تطعمني بيديك الحنونتين وتدثرني معك لحمايتي من البرد أو تطاول القطط والكلاب، فكيف تمنحني هدية مجانية لهذا الكف الغريب؟

ما أقساكم بني الإنسان، إن هربنا منكم نصبتم لنا الشباك والفخاخ والمصائد لاصطيادنا وقتلنا، وإن ألفتناكم وتقربنا منكم أسلمتمونا لمن لا يستحقنا ولا يرعى لنا قيمة ولا حقوق، تضحون بنا في فرحكم وحزنكم وغضبكم ولهوكم.

- أتعلم إن فرهود ابن الشرطي وضعني في قفص ضيق نتن واخذ يطعمني بقطع من اللحم والسمك ظنا منه إنني من أكلة اللحوم مثله وإنني إن أكلتها سأكبر بسرعة لأصبح بحجم الخروف كما أخبره بذلك والده هازئا به لسذاجته.

- أتعلم إن فرهود كان يشكني بـ(سيخ) من الحديد حينما تعاف نفسي ما يرميه علي من أكل، وحينما التف على نفسي غير قادرا على حركة أجنحتي ولا مزاج لي للزقزقة، كما كنت افعل حينما أنط خلفك ونمرح في البستان والمرج الأخضر الجميل، ألا تذكر يا (مطشر).





يا بو فاضل، يا بو مرازينب الذهب<sup>١</sup>، يا كفيل زينب، يا عزيز  
الحسين، إلك عليّ نذر اذبحلك أربع (مخاصي)<sup>٢</sup> بس تشافي  
بنّي وتر دله عگله!

نهضت راکضاً کالملدوغ تارکاً حضن أمي وکأني أطيّر وأنا  
أصيح: إليکم إليکم خذوني إليکم أنا (مشموش) أنا  
(مشموشکم) فما عدت استطیع العیش في مکان يضم شرطي  
وسکين، خذوني معکم يا طیور (الحجل) ط ط ط  
طططططططططط.

٢- المخصي هو الديك الذي يتعرض لعملية إخضاع ليكون سمينا معدا للذبح.

نعم حبيبتي هذه قصة أخرى: "عندما اصطدت سمكة جميلة صغيرة من أحد النهرات الفرعية الصغيرة جنب دارنا، هرعت بها إلى والدتي وهي (تلبط) في يدي، استقبلتني والدتي بفرح غامر وأسرعت فأمسكت بالسمكة صبغت فمها الصغير بأحمر الشفايف وكحلت عينيها بكحلها ثم أمرتني أن أعيدها بسرعة للنهر، أنها حوريتك يا ولدي فستكون صديق كائنات الماء وسيكون رزقك وفيراً، وهكذا فعلت وكأني أمارس طقساً سحرياً لا أفقه معناه، غاصت السمكة في النهر ضربت الماء بزغفاتها الصغيرة وكأنها تشكرني وتودعني.

كانت والدتي تتعامل ضمن طقوس خاصة مع الحيوانات، فحين تدخل دارنا سلحفاة خارجة من النهر، تجلب حفنة من الطحين تضعها على ظهرها قبل أن تنزلها للماء قائلة أنها أتت تطلب الطعام لصغارها وسيبارك الله لنا في رزقنا ان نحن أطعمناها.

كانت تعمل عصيدة خاصة تطعمها للكلبة النفساء في يومها الأول قائلة أنها كالمرأة بحاجة للرعاية عند الوضع، تطلب ممن يذبح الدجاج أن يقطع أرجلها وإلا فأنها ستطارده يوم الحساب جزاء فعلته بنحرها!

تشيح عني بوجهها حين أسألها: - أمي لماذا لا تقومين أنت أو أي واحدة من شقيقاتي بذبح الدجاج؟

فحين لم يكن أحد من الرجال في دارنا تأخذ الدجاجة للعم علوان أو رجل من رجال القرية لذبحها، كانت تشيح بوجهها عني وتؤنّبني على كثرة أسئلتني واستفساراتي التي لا تنتهي، أذهب الآن أذهب ستكبر وتعرف، وعندها سأتمكن من ذبح الدجاجة أليس كذلك؟

فقلت أمي نعم هو كذلك، فكان يوم ذبحي للدجاجة علامة اكتمال رجولتي هههه وكان يوم زفافي ودخلتي اختباري الكبير، ضحكت أحلام قد أحمرت وجنتيها وهي تستذكر تلك الليلة التي لا تنسى، وبعد حبيبي؟ وهناك الكثير الكثير حبيبي.

لأبقارنا ولكلابنا أسماءها وكأنّها من أفراد العائلة هكذا كنا نتعامل مع الحيوانات، لا أدري كيف يجروء سكان المدينة على بيع حيواناتهم دون أيّ شعور بألم فراقها وتسليمها بأيدي غريبة؟

هكذا كانت تقول أمي عندما تضطر لبيع إحدى دجاجاتها في السوق.

لا لا سوف لن أقص عليك حكاية جدتي إلا إذا بللت ريقى برضاب شفئك الشهد حبيبي، الله الله كانت قبل لا تنتهي أحس بحلاوتها في كل حين "كانت جدتي أم أمي تعيش معنا منذ توفي جدي لأمي، كانت من نسل السادة، يعتقد أنّ لها كرامات، ولها طرائف عديدة، فقد كانت تضع دريهمات في

كيس من قماش، تخفيه في أحد حاويات التمر (حلاله) مصنوعة من سعف النخيل (الخصوص) باعت عدد من حاويات التمر حصتها من بستان زوجها، وبعد حين افتقدت الكيس، لاحقته لبائع التمر في المدينة، صادف أنه لازال يحتفظ بما اشتراه من حاويات التمر، فتشها وقد عثر على الكيس فعلا في أحداها، معيدا لها الكيس، وضعت في رقبتها كعادتها، عند عودتها كانت تتساقط أمامها قطع من النقود، تنحني لألتقاطها فرحة بمطر السماء نقوداً أمامها . تضع القطع النقدية في كيسها وهكذا، حتى أحست بالتعب فزهدت بما يسقط من الكيس ليكون من حصة الآخرين، ما التقطته يكفي ليكن الباقي من حصة ناس آخرين (الطمع موزين علويه) كلمت نفسها وكفت عن التقاط القطع النقدية المتساقطة على قدميها وحولها.

وصلت الدار متعبة نزع الكيس من رقبتها فوجدته فارغا خاويا قلبته وجها على قفا فلم تعثر إلا على وصيتها لما بعد الموت، كان الكيس مثقوبا من أسفله، والنقود تتسرب وتسقط أمام (العلوية) تلتقطها تعيدها فتسقط ثانية، حين زهدت بها ففرغ الكيس تماما.

"ظن الناس أن كوخها يضيء ليلاً وهي غائبة عنه فهم يرون ضوءاً مشعاً والعلوية غائبة، حيث كانت للعلوية مسبحة

فسفورية من الخرز المشع في الظلام موضوعة على ظهر صندوقها الخشبي وسط الكوخ المظلم"

كانت جدتي كثيرة النسيان، تنسى ما تتسوقه من المدينة في أماكن متفرقة، قد تعثر على بعضها أو تعود للدار خالية الوفاض، يقال أنها حددت يوم موتها قبل ان توافيها المنية بعدة أيام، فأصبحت مضرباً للأمثال، تترجى منها الكرامات وتندر لها النذور.

لالا حبيبتى (حكاية الحذاء الأول) هذه جوهرة ثمينة لا أحكيها لك إلا بقبلتين.

آخ منك (كفوحى) انتة شكد طماع، تستغل حبي للحكاية فتطالب بالمزيد، أشاح بوجهه عنها دلالة قائلاً: لك الخيار بين قبلتين وبين الحكاية، وإن لم تستجيبى فوراً فسأزيد عدد القبلات لتكون أربعة ثم اثنى عشر ثم أربع وعشرين وهكذا. وقد تحتاجين لحاسبة لحساب مربع عدد القبلات ههههههه، لثمها بقبلتين ساختين وواحدة اخرى وبدأ يحكي: "في طفولتي كما هو حال بقية أقراني من الأطفال لم تكن أقدامنا تعرف (الحذاء) تقرن الجلد فاصبح كالدرع الواقى لأقدامنا، كنا نذهب للمدرسة حفاة نحتذي الطين، ننظر بانبهار كبير لأبناء وبنات الأثرياء وهم وهن يلبسن الاحذية اللماعة، التنورات والبناطيل القصيرة النظيفة"

أما (حاتم) فكان شغوفا بتعلم الكتابة يكتب يرسم الحرف على لوح معدني صديء بواسطة قطعة من الفحم ثم يقوم بلحسه بلسانه كي يتم طباعته على قلبه ولا ينساه كما يقول!

بانبهار راقبت العريف نسيب (جون) وهو يمسك الفرشة ومعجون الأسنان لينظف أسنانه الفعل الذي لم أتعرف عليه إلا بعد سنوات العيش في المدينة، لذلك كانوا يقولون (الجيش مدرسة الشعب) نعم كانت المدرسة الوحيدة المتاحة أمام فقراء المدينة والريف لأداء خدمة العلم الذي يستظل في ظله أصحاب السطوة والمال والوجاهة وتحترق سنوات شباب المعدمين من أبناء العمال والفلاحين والكسبة هؤلاء صناع الحياة والبناء والحضارة، وقد استغل نظام صدام شحة مياه الفرات فاضطر الفلاحون إلى التطوع افواجا في سلك الشرطة، الذين تم تحويلهم إلى جيش في حرب القادسية ليلقى أغلبهم حتفه في تلك الحرب القذرة، منهم من يقبل العبودية والذل والهوان ويعيش حياة الخنوع والمذلة واضعاً كل مهارته الفكرية والجسدية في خدمة أسياده ومستعبيه ومنهم من تقدح في فكره شرارة الوعي فينخرط في طريق الكفاح من أجل الحرية والمساواة فيضرب أروع الأمثلة على قدرة هؤلاء الناس على التطور والتحضر والقيادة والعطاء والفداء حينما تترسخ في عقولهم فكرة الحرية وإمكانية تحقيق السعادة لبني البشر على الأرض، فتبرق في ذاكرته

صورة والده (مظلوم) الذي مات موت فجأة يوم إعلان الجبهة في ١٩٧٣، ابن الريف الأمي وتحولاته النوعية ليكون من أكثر القادة قدرة على العطاء والفداء وكفاءة في القيادة والتنظيم والفطنة والتعليم. ويستذكر توقعات وتنبؤات أستاذ (فريد) العجيبة والتي أثبتت السنين صحتها، رغم أنه كان يهزأ بها (ماذا عساه ان يفعل (مظلوم) بعد ان سدت بوجهه كل أبواب العمل في دوائر الدولة وبكل العناوين الممكنة (حارس، فراش، شرطي، عامل بلديه).

بعد ان ترك القرية هربا من ظلم الإقطاع وسنوات عجاف عاشها مع عائلته، و... فبدا كثييا حائرا وكأن الظلم والقهر والحرمان والبطالة والشقاء أصبحت تلازمه كاسمه وأن لا فكاك له من الظلم.

- أمسك شباك ضريح الأمام علي (ع) باكيا متأوها وهو يقول: -

وينك يا بالحسن يا حامي الجار مو أحنه اجنيه بحماك،  
موراح يكتلنه الجوع، وأنت تدري احنه ما نحمل الذل  
ولانگدر نجدي لو نموت!، أشو كل بيان الحكومة انسدت  
بوجهي.

- عمي ما تگلي شبيك ضايجه ألدنيه بعينك، هسا انتة اله  
تشتغل عد الحكومة، ماتشوفلك شغله ثانيه وتاكل من وراه  
خبزه انت وعيالك.

هذا ما قاله أحد الزوار كبار السن لـ(مظلوم) بعد أن سمع شكواه وألمه.

- ماتكلي حجي الشغله آني لاجيه أو داير وچهي عنه؟  
وروح أبوك يوميه أغبش للمسطر وأظل اتمصگل للظهر  
محد يجلب سلعتي ويگلي امش وياي للشغل كلمن يأخذ  
ربعه.

زين عمي شنهو رايك إذا أطيک عربانه تفتري تبیع بيه (لبلي،  
باگله) لأن آني بعد ماگدر افتر بيه بالشوارع، والمحصل أنه  
وياک بالنص؟

حجي أولهيله آني ما عندي ولا فلس أشتري بيه (لاحمص  
ولاباجله) والثانيه، ما عرف اشلون أو وين يبيعون ومنهو  
يشتري اللبلي والباجله؟

- سألہ الحاج عن اسمه، فأجاب: عمي آني اسمي (مظلوم).  
أبني (مظلوم) العربانه وفلوس (الحمص والباجله) عليه  
و(البريمز) و(الگدر) والمواعين والخل و"البطنج كله مني،  
بعد شتريد؟

عمي رحمه الله والديک وأظن انته هتفک أبو الحسنين ألي،  
ياالله عمي نتوکل علی الله.

- زين مظلوم ياالله توکل امش وياي للبيت اتغده وياي وحتى  
أسلمک العربانه والأغراض وأعلمک شلون تطبخ وشلون  
تبيع وين تبیع.

وهكذا حصل أستلم العربى وأدوات ومستلزمات بيع الباقلاء والحمص ومقدار (٢ كيلو باقلاء) وذهب لأهله دافعا العربيه أمامه، وهو يتلفت يمينا ويسارا محاذرا ان يسقط (عگاله) من رأسه وهو ينحني لدفع العربيه وكما انه اخذ يتعثر بأذيال (بشته) وقد غرق في تفكير وحيره كيف سيخرج صباح غد لبيع الباقلاء.

أستقبلته عائلته باستغراب وتساؤل عن العربيه، من أين أتى بها وماذا سيعمل بها؟.

أجاب باقتضاب عن كل الأسئلة والاستفسارات وأبعد الأطفال وحذرهم من صعود العربيه، ثم أودعها الباب وسلم (الباقلاء) والبريمز والقدر والمواعين لزوجه وافهمها ماذا تفعل.

خرج فجر صباح اليوم التالي دافعا العربيه للعمل، وهو محتار كيف يمكنه أن ينادي (باجله باجله لوز) يبلغ الناس وخصوصا الأطفال في الشارع لشراء الباقلاء، وما هي الكمية التي سيضعها بواسطة (الچمچه) في الماعون، وكيف لا يلبي للأطفال طلباتهم إلا بعد دفع (٤) فلوس أو فلسين وهو الذي كان يستنكف من بيع السمك أو الطيور أو الثمر أو الخضرة في السوق.

إيه والله زمان يـ(مظلوم) وين صار مضيف اهلك المفتوح للخطر الغريب والجريب، هساه أتبيع باجله عله الزعاطيط!

أو غمك من وكت.

- الله يساعذك خويه ابو الباگله، ما تگلي انتہ وین رایح، وانتہ من یا عمام؟.

هذه أسئلة طرحها عليه أحد العمال الخارجين للعمل عند الصباح.

- خويه ما تشوفني طالع علہ باب الله أبيع باجلہ، ظل ما تگلي شلك شغل بعمامي، شنهي أنتہ تطلبك أحد بشار وتدور عليه، يصير مشتبه بيه؟

- ضحك العامل بوجهه ورد على أسئلته:-

- لا خويه أني أشوف كلش زين، ولا عندي ثار ویه أحد وأنی مثلك هم طالع للشغل على باب الله. لا كن شوف أحزامي وشوف أحزامك!

أسئلك أبروح جدك أكو واحد طالع أبيع (باجله) وهو متحزم بخنجر (عف چاوي) خويه انتہ بولايه خاف أيشوفك شرطي وياخذك للحبس!؟

رد عليه مستغربا: - خويه چاليطلع للشغل غير يتحزم، وهذا أني حزامي من أطلع للشغل بالكاع بسلفنه، جاماتگلي بیش أحتزم، هسا (الحدره) وعگالي ذبيتهن بطن العربانه، شلون أظل بغير حزام، ولكم والله هاي محنه، شلون بيه وشلون راح أدبره ویه أهل الولايه؟.

- خويه (مظلوم) الولايه غير السلف هنا ممنوع تشيل وياك سلاح.

تفك (الخنجر) وذبه بطن العربانه وظل متحزم بس (بالسفيه).

ياالله أمودع بالله الله يرزقك، وألف نعله عله أبو الوكت وعله ابو الغطاع الوصلنه الهلحال.

عمل (مظلوم) بتعليمات أخيه العامل الذي بدا متكيفاً مع وضع المدنية وعاداتها، حتى أنه ألقى بالعصا التي كان يحملها على ظهر العربة ليهش بها الكلاب الذي كان يظن إنها قد تهاجمه في الطرقات بعد ان اخبره العامل حينما سأله عنها: خويه چلاب الولايه ماتعض مثل چلاب الريف، لاچن ديربالك يعضك بعض الناس الصاروا أچلاب يحرسون أهل الفلوس مثل اچلاب الكصاصيب ما تعرف تتعارك إلا مايناته على عظام الكصابه!!

وهكذا وجد نفسه في عالم آخر لم يألفه ولم يعتد عليه وغالبا ما كان يقف محتاراً لا يعرف ماذا يفعل للرد على الكثير من مشاكسات وشيطنة (فروخ) الولايه، وضحكاتهم هم وآبائهم وأمهاتهم وهم ينادونه

- ها أبو المعيد اشجابهك للولايه، (باجله لوز، باجله لوز) طيط، طيط.

وقد كان بعض الأطفال يخطفون ماعون الباقلاء في غفلة منه ويفرون هاربين مستفزينه ليلحق بهم لإعادة الماعون، وعندها تهجم زمرة أخرى متربصة على العربية للاستحواذ على بعض مواعين الباقلاء من على العربيه. مما يضطره لترك العربيه وملاحقة الطفل الهارب ليعود إلى عربته كي يهش عنها الأطفال ويحميها من الفرهود وسط ضحك وعبثية (الشياطين) الصغار، وأحيانا يتعاطف معه بعض الناس طاردين هؤلاء الأطفال.

ولكم (نغوله) شلکم عله هل المسكين الكاسب الشارد من الضيم.

فيردون له بعض مواعينه، وقد يضع البعض منهم خمسون فلسا أو مئة فلس لتعويضه عن خسارته عطفًا على حاله.

- ولك (مظلوم) هاي وين چانتلك المذله وعيشة الكشره، صارت الزعاطيط تلعب عليك والوادم تترحم عله حالک، ربي شنهي ما تشوفني بعينک التشوف بيه الزناکين، شنهي سايج بايج وتعذبني بنارك بالدنيه قبل الآخرة، ما تشوف هل الظلام تطشر بالفلوس تطشر أهل الربا و(الخضر) و(العشره اربعطش) و(الملاييج)، ما تگلي ويا من انتہ، موش کلنه خلگه وحده يو هذوله ربهم وحد وحنه ألنه غير رب؟!

- أستغفر الله ربي، أستغفر الله، ولکم عمي والله الفکر یکفر بنادم.

أستمر على هذا الحال وقد كان يعاني، بمراره عندما يعود عند المساء ليضع محصوله أمام الحاج صاحب العربيه، ففي أغلب الأيام يظهر خاسراً جزءاً من (الصرمايه) ناهيك عن الربح، إما لعدم دقة قياسه لكمية الباقلاء فيجزل العطاء دون حساب للكلفة أو نتيجة ما يسرقه الأطفال، أو رفضه ان يأخذ مقابل ما يقدمه للعمام والجيران والمعارف من باقلاء، فليس من المعقول أن يأخذ منهم (فلوس) مقابل استضافتهم، وأحيانا تتعرض الباقلاء للتلف (تنمرد) وتنهرس بسبب استمرار نار (البريمز) تحت القدر طوال الوقت؟

يعود عند المساء إلى داره متعباً مرهقاً مأزوماً مفلساً لا يملك حتى كلفة أقراص خبز (البربر) وكثيراً ما يتفجر هذا الإحباط غضباً وعراكاً مع زوجته وأطفاله، وأحيانا ينفرد بنفسه في أحد زوايا الدار بعيداً عن عيون أطفاله لتنهمر دموعه وآهاته على ما وصل إليه من حال، كان يجد متنفساً لتفريغ همومه نحيباً مسموعاً تحت منبر قاريء الحسين المقامة في المدينة أو عند أحد الجيران فيشعر بعدها بالراحة، ويردد بحماس مع القاريء دعاء (اللهم أكشف هذه الغمه عن (مظلوم) بدل أن يقول اللهم أكشف هذه الغمه عن هذه الأمة وينسى نفسه وهو يردد (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فينبهه الحاضرون أن مجلس العزاء قد انتهى فما باله وكأنه في عالم آخر، فيضع في فمه سيكارة (مزبن) ليشعلها ويأخذ

منها نفساً عميقاً ويقول: ولكم عمي وعيت عليه جدي  
(هلكان) وأبوي (عذاب) وهم يدعون هذا الدعة بلاكت رب  
العالمين لا يستجاب أشو واحد يسلم الفكر للثاني وفوگه  
چماله.

- بويه هاي شمالك رحمة ربك أگرب من حبل الوريد، عمي  
تعوذ الشيطان واصبر والله ویه الصابرين؟  
يختنق (مظلوم) بحنقه وغضبه ويكتم غيظه، ويستغفر الله ثانية  
وثالثة.

وفي ظهيرة أحد الأيام التمزوية حينما كان واقفاً خلف عربته  
مستظلاً بظلال جدران أحد البيوت، أو مأت له امرأة بعد أن  
فتحت الباب الذي قبالة ونادته: داده أبو البيگلہ فدوه جيلي  
گد ربع دينار بيگلہ.

فطار من الفرح حيث ان كل ما تبقى لديه من باقلاء قد لا  
يعادل الربع دينار، جمع كل ما في القدر ووضع في ماعون  
كبير مع البطنج والخل ثم أطفأ (البريمز) وذهب صوب الباب  
وهو مذهولاً من مقدار الطلب ومن الصوت الملائكي  
النسائي الغنج الأسر، طرق الباب فأتاه الجواب من الداخل:  
- أتفضل عيني أتفضل، انه بالمطبخ ما أگدر اطلعلك داده.

- وبعد تردد وخجل من دخول دار ناس غرباء ردا على طلب  
امرأة.

- هاي وين صرت خش دادة خش البيت بيتك، قالت ذلك وهي تكاد تلتهمه بعينيها الكحيلتين الواسعتين، قوامه الممشوق (مرصوص رص) وهو يفيض فحولة وحيوية وقوه ووسامته الباهرة وهي تقول: مثل هذا يدوجن بالشموس وكاتله الفگر ومثل (معيوف) أبو كرش أبو (الضراط) يلعب بالفلوس لعب والله الله ما يقبل!

- دخل الدار محرراً ويده يحمل ماعون الباقلاء وبحزامه معلق كيس نقوده أملأ ان يضيف إليه ربع الدينار؟!

- طأطأ رأسه غاضاً بصره وهو يرى فتاة كحور العين، شبه عارية لا يلف جسمها سوى رداء خفيف (اتك) من البرلون الأحمر قصيراً كاشفاً عن ساقها البضان البيضاءوان كبياض حليب النوق ومبرزا مكوراتها الأمامية والخلفية الرجراجة بما لا يحلم بمثله (مظلوم) طوال حياته.

- هاي شبيك دادة، أوي انتة شگد خوش ولد متگلي شسمك فدوه لهل الطول؟

- خويه آني اسمي (مظلوم).

- سوده عليه دادة، أسم عله مسمى وأنني أسمى (غنوده) الاسم (قند) والروح (حنظل)، دهاك هاك برد گلبك بهذا (گلاص) شربت الزبيب، فدوه لهل الجهامه وهل الشوارب ولهليون الحلوه والخدود (المكشمشه)؟!

- أفرغ كأس الشربت البارد في جوفه وأردفه بالثاني من يد  
هذه الحورية، غير مصدق هل هو في حلم أو يقظه مرددا مع  
نفسه يا قند يا عسل ولج أنتي حوريه لا والله حورية  
الحوريات؟!

داده شدسولف ويه روحك؟

تعال اكعد يمي وساعدني بتفليس الباگله مو دا أريد أسوي  
زقنبوت لمعيوف أبو كرش اليوم مشتهي عشه مطبگ بيگله.  
جلس بجانبها وقد سرت في كل جسمه قشعريرة وفي رأسه  
خدر عجيب عندما لامس جسده جسدها واشتم عير شعرها  
وعطرها الفواح فاغراً فمه غارساً نظراته في حمرة شفيتها  
الملتئتين ونهديها النافرين شبه المكشوفين وهما ينطان من  
تحت (الأتك).

- ولك هاي شنهو يـ(مظلوم) أشو راسك ثگل ولك انتعلوا  
اهلك شنهو هاي الحورية الحاطه راسه بحضنك ولك شنهو  
هاي النهود وهاي الشفايف وهاي الخدود چنه فرط الرمان؟  
والله لأنعل أبو الباجله لأبو الباع الباجله، وقد بهره بياض  
ساقياها وهي تحاول عامدة رفع الأتك عنهما مرة تلو أخرى  
- هاي شنو شبيك عيني أشوفك دايخ؟ شو خل اغسل  
وجهك.

نهضت ورشت الماء لبارد على وجهه، قاداته إلى غرفة نومها،  
ممسكة برأسه بين كفيها ثم طرحته وألصقت شفيتها بشفته

الظامئة في قبلة أذهبت له رشده، صار يدور معها حيث تدور  
ملتهماً جسدها بكل حواسه حتى غاب عن الوعي ولم يصحو  
إلا وهو مضطجعا على سرير نومها شبه عاري وقد قارب  
الوقت المغرب.

قفز مدعوراً وكأنه أنتزع من أحضان حواري الجنان بعد أن  
رشت وجهه بقليل من الماء البارد.

اگعد عيني اگعد بلله بعمرک هم مفلس هیج باگله، ههه؟؟  
ثم رمت عليه دشداشته وهي تضحك غنجه بصوت عالي  
وتقول (باکله لوز) بعد أن أرتوت تماماً من فتوته وفحولته  
التي لم تعهد بمثلها من معيوف أبو کرش ومن يتردد عليها  
معه من تجار المدينة.

أرتدی دشداشته وانسل شبه هارباً كاللص من باب الدار  
الذي فتحته له غنوده بعد أن تأكدت من خلو الشارع من  
المارة.

الحمد لله العربانه بعده مچانه، ولكن، صخام وچهك (مظلوم)  
وين چيس الفلوس، عاد مسرعا طرق الباب: أجابته غنوده من  
خلف الباب: هذا منو بالباب؟

عيني أني (مظلوم) نسيت يكم الماعون والدخل بلچي  
اتناویشنياه بروح أبوج.

هاي شنو ولك أبو المعيد يا ماعون يادخل شنهي انتة  
سکران؟

أمشي سربوت لا أطلعلك واكسر راسك بالقبقاب ولك آني  
وين شفتك وين شفت چيسك وين شفت باگلتك أم الذبان؟!  
عيني غنيده خلي الربع يولي فدوه الچ بس أطيني الچيس بيه  
كل الدخل الصايه والصرمايه وهاي فلوس الوادم موفلوسي.  
ولك كتلك امشي (زفر) لا يجيك حجي معيوف ويشوفك  
بالباب ويگص لوزتك.

عاد أدراجه خائباً، ولك هاي شلون مصيبه، هسا شگل لهلي  
شگل للحي وين الدخل وين الفلوس، منين اشترى خبز  
للفروخ وأمهم؟

- حچي مصيبه شگلک، بطني كتلتي اليوم، خلفلله على بت  
الحلال فكتلي بابهم وطبيت (لتواليتهم)، ومن كثر ما متوازي  
حليت حزامي وگع چيس الفلوس أبلوعة المرافق، وراح كل  
الدخل وحتى الباجي البلعربانه فرهدته الزعاطيط وانه  
بالتواليت أدور عله الچيس!

- حچي يشهدالله آني كلش مستحي منك والتفصله عليه آني  
البسه حتى مناوهيچ أطيک الدخل كله لمن أوفي البرگبتي.  
بس هل المره حچي خل أبيع لبليي منحيت اللبليي ما ينزادله  
تفليس مثل الباجله.

عند الفجر أمتزجت أبخرة ورائحة (اللبليي) المنبعثة من القدر  
المثبت في بطن العربانه مع عطر وشذى (غنوده)

في يومه المشهود وقد ازدحمت المشاهد والصور في خياله  
المحموم بين عذوبة لا تنسى ومرارة لا تطاق.  
دفع (عربانته) أمامه لترتقي بصعوبة مرتفعاً يتوسط الشارع  
المتموج الذي يقوده صوب مستقره قرب أحد مدارس  
الأطفال في المدينة كمن يدفع خيالاته ليجلوها عن صدره  
المهموم متحملاً هذا العناء في دفع (ألعربانه) ليتجنب المرور  
في شارع (غندوه) شارع المتعة والألم شارع الشهد  
والحنظل، وما ان تعتلي ألعربه قمة المرتفع حتى تأخذ  
بالانزلاق مما يتطلب منه جهداً غير قليل ليشدها إليه خشية  
ان تتدحرج سارحة في منحدر الشارع المتعرج والملتوي،  
يعيش (مظلوم) حالة الدفع والجذب بشكل متوالي طيلة  
الشارع حتى وصوله المدرسة.

كعادته أشتري رغيفين خبز (بربر) حار من الخباز (هاشمي)،  
يجلس في مقهى (شدهان) وهو من أحوال والدته، يزدرد  
الرغيفين الخشنين بدفعات من الشاي الحار كوجبة إفطار  
مقابل كاسة من (اللبلي) يناولها للخال شدهان، ثم يقف  
خلف العربانه لتمشية طلبات العمال المبكرين للعمل بعد  
تناولهم كاسات من اللبلي الحار مصطبحين بوجه (مظلوم)  
قبل طلوع الشمس كعادتهم يومياً في مثل هذا الوقت وبعد ان  
ينصرف العمال والكسبة إلى أعمالهم يتوجه بعربته لتلبية  
طلبات الأطفال وباعة الخضروات والمتسوقين من (اللبلي)

الحار منجذبين لصوت (مظلوم) الشجي وهو ينادي (لبلي) يلبلوب لبليينه يداوي الغلوب).

- السلام عليكم، الله يساعدك (مظلوم).

صباح الخير، هاي شنو انت هنا تباع لبلي؟

تفاجأ برؤيته أستاذ (منير) الأفندي الذي يمر به يومياً ركباً دراجته الهوائية يشتري منه (كيسا من اللبلي) ويعامله بمحبة وعطف مميز.

صباح الخير والصحة والسلامة إستاذ (منير)، ويا هله بهل الصباح هذا ماردا به (مظلوم) على تحية (معميله) وصديقه الأفندي منير سائلاً إياه: ها إستاذ شنو انت جاي إلهاي المدرسة؟

- نعم أنه جاي نقل جديد للمدرسة ومنا وهيچي أشوفك الصبح والعصر وأستمع بأكل اللبلي الطيب من أيديك الحلوه.

- الله يطيب خاطرك إستاذ والله انت طيب خاطرني الله يطول عمرك ويسعدك بالدنيه ولاخره.

- تشكر منه أستاذ (منير) بعد ان أعطاه ثمن كاسة (اللبلي) واستمع منه إلى بيت من الابوذية والدارمي العراقي، الابوذية التي كان أستاذ منير يحبها كثيراً و(مظلوم) يحفظ ويؤلف منها الكثير، ثم دخل المدرسة عند سماعه رنين الجرس.

لا يعود (مظلوم) إلى داره إلا عند الغروب وبعد أن يسلم أستاذ منير وجبته المسائية من اللبلي ثم يذهب لتسليم ما حصل عليه خلال اليوم من النقود إلى مالك العربانه الذي يسلمه فلسان لا تكاد تسد رمقه وأطفاله من خبز البربر ومرگة (جتال حاجم) الخالية من اللحم كالعادة وكما تتندر زوجته لترد عمن يسألها عن اللحم، يمه اللحم (ماكله البزون) هذا (الجتال حاجم) الذي ترحم عليه (مظلوم) حاسدا إياه لتطبيقه الحياة وتخلصه من المرگه اللعينة التي ابتلي بها (مظلوم) من بعد حاجم.

هاولك شنهي المصيه هاي الوادم عليمن فازعه عله هذا البيت، يا ساتر يارب (شهو حريح غريح) اللهم سترك يا رب.

هذا ما قاله عند عودته مساء إلى داره مدحرجا (عربانته) أمامه ولمح جمع من الناس صغارا وكبارا وشبابا وأطفالا وهم يحاولون اقتحام احد البيوت فاستل (حدرته) بيد و(سطل) الماء المخصص لغسل كاسات اللبلي الذي أتنزعه من يدة العربانه وهو يصيح: حيهم، حيهم، أخوتي أولاد علي الحگولهم، الحگولهم أهل الغيره، قال له أحد المتدافعين عند باب الدار:

عمي شنهو انته مسودن اشبيك جاي هاد بحدرتك تريد تترس  
السطل (تمن وقيمه) والناس ماتعول اتحصلله ماعون تتبرك  
بيه!

شلون، شلون، شنهي ولك تمن ومرگه قيمه؟

شنهو ماعون؟

- ماتگلي انتم عليمن ملتمين وتدافعون وتريدون تكسرون  
الباب؟

هذوله الوادم مو محترجين وتريدون اتطفونهم، متعارجين  
وتريدون أتفكونهم؟، شو توخروا عني وخل أدفر الباب  
العاصيه عليكم وشوف شنهو ألقصه؟!

ولك عمي لا متعاركين ولا محترگين هذوله عدهم عزيمه  
(تمن ومرگه قيمه) ثواب لباعبدالله الحسين (ع) وحنه جايين  
ناكل ونتبرك. افتهمت لو أتظل معيدي گلبك ثخين؟

فغر فمه وبخلق عينيه متعجبا وهازا يده مستغربا لا يكاد  
يصدق ما يسمع!

ولكم انتم واحد راجب عله الثاني ونعلكم امگطعه وباطكم  
امشله وتريدون اتشلعون باب الوادم علمود لگمة تمن  
ومرگه، من سود الله وجوهكم وطيح الحسين حظكم، ولكم  
هذا ياثواب، يا حساب، ولكم هاي هرفله وجلة حيّه، الرجال  
الاحترمكم وعزمكم هچي تسوون بيه، ولكم الحسين بعدعيني  
ضحه بدمه بسبيل الناس وانتم واحد يسحگ بطن الثاني

ويدوس بطن أخوه وأبوه حتى ياكله لغمّة زقنبوت يलगفه من  
أيده حتى يحطه ابجلگه!  
كل هذا وتسمونه ثواب، والله يعمي هاي علامات طلوع  
(الصاحب)؟

قال هذا ثم قفل راجعا إلى عربته دون ان يسمع كلامه أو  
يهتم به أحد، أستمّر على هذا الحال وهو يبيع (اللبلي) وقد  
توثقت علاقته بمعلم المدرسة أستاذ (منير) كثيرا واخذ يسمع  
منه كلاما لم يسمع بمثله من قبل وكأنه وجد بين يديه وفي  
مضامين كلامه مفاتيح مغاليق كل اشكالياته ومشاكله وجوابا  
للعديد من أسئلة (دوخت راسه) عبر معاناته اليومية في  
الريف والمدينة قائلا مع نفسه (ولك هذا عبالك عليّ آل  
صويح).

تلقي منير حزمة من هذه الأسئلة وحل الغاز الصور  
والإشكاليات التي يتعرض لها، أستغرب ان تظهر أمامه  
صورة المرأة أم (البوشيه)

أحاه يل مهبول ولك هاي شلون ضاعت عليك وشلون ما  
عرفت هاي المره المبوشه التچي كليوم تشتري منك گدر  
(١٠٠ فلس) لبلي وهي مبوشه، وكل يوم ذابتله حچايه عليك  
وتصچمك وچنه تعرفك وتعرف ماجره عليك، ولك شلون  
ما فهمته من گالتك ها ابو (المعيد) يظهر تفليس الباگله ما  
عجبك حولت عللبلي أو نزول حتى نزول.

(اليدري يدري والمايدري - لا هل مره حفنة لبلي مو- كَضْبَة  
عدس)

ولك هاي غندوه ألف نعله عله والديك لحگتک لهنا بعد  
شترید منك؟.

في غروب أحد الأيام وقبل أن يأتي أستاذ منير لأخذ حصته  
من (البلبي) مثل كل يوم، قبل أن يذهب لتسليم الدخل  
للحجي كالعادة كان مستغرقا في دوامة أفكار يحس خلالها  
بالظلم والغبن الكبير الذي يلحق به فهو الذي يدفع ويطبخ  
ويبيع ويجول في الشوارع ويتحمل الأذى ولكنه لا يستلم إلا  
فلسات لا تغني ولا تشبع من جوع ولا تكسو من عري،  
ولكنه يكتم أستيائه وإحساسه بالظلم لأنه لا يجد بداً من هذا  
العمل ثم للحاج فضل عليه فهو صاحب (الصايه) وال  
(صرمايه) مثل ما يگولون. وحينما كان منهمكا ومستغرقا في  
هذا الهم لفت نظره عند زاوية الشارع قبالة مجموعة من  
الشباب يلعبون (الگو) وقد شاهد أن بعضهم يحصل مالا  
كثيرا دون متاعب وعندما وقف يراقبهم دعوه للمشاركة فقد  
أغتنى الكثيرين من هذه اللعبة مقابل مبالغ تافهة (من يركبه  
الحظ ويجي وياه النص) وبعد تردد ونعله للشيطان قرر أن  
يشارك على أن لا يعود للعب بعد أن يحصل على المال  
الكافي لشراء عربانه وكمية من البلبي والمواعين ليتخلص  
من استغلال (الحجي) أبو العربانه ويعمل لنفسه. باشر

باللعب حيث تبرع أحدهم ليضع خبرته تحت تصرفه ويوجهه في اللعب مدعياً أنه من أبناء قريته ومن أبناء عشيرته وأنه متأكد بأنه سيكسب لأنه إنسان بسيط وعله نياته وسيحالفه الحظ، فربح في المرة الأولى والثانية ثم تبعته خسارة بسيطة ومن بعدها ربح ثم توالى الخسارة وهو يضع بتشجيع من (ابن عمه) للاستمرار باللعب، آملاً في الربح وتعويض خسارته مما أستنزف الدخل بكامله، فساوم على المواعين ثم على القدر و(البريمز) ثم على العربة بكاملها دون جدوى وأخذ يردد مع نفسه بألم مردداً المثل القائل (جزنه من العنب ونريد سلتنه) فقد خسر كل شيء.

لمس (مظلوم) غمز ولمز وعلامات نصب وتآمر عليه من قبل هؤلاء بمن فيهم نصيره (ابن عمه) المزعوم، وشاهداهم يقتسمون المال فيما بينهم وقد دحرج (ابن عمه) العربيه أمامه فقد صارت من حصته، عندها فارت دماؤه وبلغ به الحنق أشده والغضب منتهاه لمدى وضاعة وقرذلة وثعلبة (ابن عمه) وزمرته فاستل (حدرته) من حزامه التي لم يعد يملك غيرها لأنه من المعيب ان يبيع أو يقامر المرء بعرضه وسلاحه، فانقض عليهم وهو يقول:

أنه أبو مطشر ولكم مخانيث أهل الثريد (سياب) هجي تريدون تاخذون غلبي وتفرهدون يهايلعبتكم تقشمرون الوادم وتاخذون فلوسه.

أشهروا بوجهه سكاكينهم وقاماتهم المخبئة تحت دشاديشهم،  
فاشتبك معهم في معركة غير متكافئة ورغم ذلك أثبت بسالة  
وشجاعة فائقة وأثخنهم ضرباً وسالت دماء بعضهم  
وخصوصاً (ابن عمه)، أصابوه بساعده ورأسه ثم هربوا بما  
غنموا من المال تاركين العربى تشتعل فيها النار فقد حطموها  
وأولعوا فيها النار بعد أن أفرغوا عليها نطف (البريمز) قبل أن  
يتمكن المارة من زجرهم وطردهم وحمايته من بطشهم فقد  
كان أغلبهم من مدمنى الخمر والحشيش.  
وكم كان أستاذ منير قلقاً عندما لم يجده فى مكانه وشاهد  
بقايا العربانه المحترق!

فأستفسر ممن كان فى موقع الحادث ومن أحد البقالين  
فأجابه: هاي وين انتة إستاذ صاحبك أتعارك ويه (القمرچيه)  
وضربوه سچين وحرگوا عربا نته وهل تشوف رماده گدامك،  
وهو أخذوه أهل المنطقة للمستشفى!

تلقى منير الخبر بحيرة وألم وغضب شديد متأسفا ومتأسياً  
على مثل هؤلاء الناس الذين يقتتلون فيما بينهم ويتركون  
عدوهم الرئيس ومصدر تشردهم وشقائهم يستنزف قواهم  
بهذه الطريقة ولكن؟

فما كان من أستاذ (منير) إلا أن أدار وجهة دراجته الهوائية  
صوب المستشفى فى مركز المدينة وحينما وصل وجد  
(مظلوم) فى شعبة الضماد وقد لف ساعده بالقطن واللفاف

وشاهد بعض الشدوخ في وجهه ورقبته وآثار دم متخثر في  
فروة رأسه.

الحمد لله على سلامتك ابو (مطشر) هاي شورطك ويه هل  
السفله وشجابتك عليهم؟

- هاي هيه استاد صارت، ومثل ماغال ابو المثل: (رادله  
گرون گصوا أذانه)؟

ابو مطشر ما تعرف احد منهم؟

إستاد شعرف منهم أهم هذوله الهم أصل فصل حتى ينعرفون  
اشو (خضير ابن معجونه، وفرهود ابن الدلاله، وصبر ابو دگه  
وابو الرگع) ماتکلي اشيلزم الواحد منهم.

والله صدقت يا أبو (مطشر) هذوله يطب واحدهم للسجن  
مظلوم يطلع ظالم، يطلع ضيمه وحيفه من اهله ويعوف من  
ظلمه، صدق من وصفهم بـ(حثة البرولتاريا)!

إستاد أني هم ما قصرت وياهم ونعلتلك سلفه سلفاهم بس  
أني شنهو ماعرف هذي اليسمونه (كلات) مثل مناطق  
الصخول أني اعرف أعارج بالخنجر والحدرة و(المگوار)  
و(التوثة)!

بس سيدنا أني ما سامع بهاي عشيرة التلاريا مدري البتريا  
هذوله منين عراقين أجنب، عجم، ترك، هنود؟  
يضحك منير، لالا أبو مطشر هذي العشيرة متعرفه انتة،  
هذوله لملوم،

الله يسترنه سيدنه من اللملوم هذوله لا؟ أصل ولا فصل وما  
تركب عليهم سانيه.

المصبيه إستاد هسه شغل لبو العربانه، (مظلوم) ضيع الصايه  
والصرمايه بالقمار!

- شنهى هلحظ ياربي أطلع من مصبيه أطب بالثانيه والوادم  
ابتلت بيه وهو يردد بيت الدرامي: (چبتيني للظيم اشمالچ  
ييمه اشبيچ چبتيني للظيم شوبس علي دنياي تمطر بلاغيم)  
ثم تلا ذلك بحسرة قائلاً: ولكم هاي ولايه بشريو ولايه  
حيايه وعجارب ومخانيث، والله انعل ابو هيچ اولايه من  
حشى الامام والطيين.

- أبو (مطشر) لا تظل أتلوم بنفسك الصار صار والولايه بيه  
الزين والشين وهاي تجارب يمر بيه الإنسان ويتعلم منها،  
هسه أهم شي صحتك وسلامتك، ولعربانه و(الصرمايه)  
والمواعين خليه عليه.

أصطحبه إلى دار الحاج مالك العربانه ملخصا له ما جرى مع  
مظلوم واعدا إياه ان يسدد له ثمن ألعربانه والغراض والبلبي  
كاملة يوم غد.

فتألم الحاج لما حل به متأسياً له وشاكرا للأستاذ نخوته  
وجهوده ومناصرتة ل (مظلوم) وأمثاله مخاطباً إياه:-

أستاذ (منير) هاي ألفزعه والغيره على (مظلوم) وأمثاله مو  
جديده عليك واته من أهل المعروف وآني من ناحيتي ذاب  
ربع الفلوس لخاطرك وخاطر (مظلوم) وجهاله.

تشكر الأستاذ للحاج تفهمه لوضع (مظلوم) وتنازله عن قسم  
من المبلغ، ثم اصطحبه أستاذ منير إلى داره واضعاً بيده شيئاً  
من المال وكيساً من الفواكه له ولأطفاله قبل توديعه.

- إستاذ ما تگلي انتہ شمشکل نفسک وياي، ومنين راح  
أجيب الفلوس للحجي، والله ما ادري شلون راح اگدر  
أوافیک ويمن أجازیک؟.

ابو مطشر لتشيل هم احنه عدنه جمعية وآني حاجيلهم عن  
وضعك اوواعدوني يساعدونك، خله عليه وروح هساه ارتاح  
وريح اهلك وعمامك، وگللهم خل يردون لهلهم والشغله ما  
تحتاج فزعة عشایر وبعد ما تصير زين آني أمر عليك ولكن  
نشوفلك غير شغله.

شكر أستاذ منير مرددا كعاداته بيتا من الدار مي: (مايلحک عله  
الطاح فزع الگرابه بعد الفزع شيفيد للمضه أصوابه)  
صدگ ألدنيه بعده بخير مودع بلله إستاذ.

هكذا ودع (مظلوم) أستاذ (منير) محتضنا إياه ودموعه تترقرق  
في عينيه. وبعد إن مرت ثلاثة أيام طرق الباب أستاذ (منير)  
عليه، ومعه كيس من الفواكه والحلويات ولأطفاله مطشر

وإخوانه، مطمئنا عليه ومطمئنا إياه بتسديد المبلغ للحاج مع  
تحيات أصدقائه في الجمعية وأمنياتهم له بالشفاء العاجل.  
واستدرك أستاذ منير قائلا: بالمناسبة (ابومطشر) لگیتلك  
شغله مريحه ومایه دوخة راس.

اي والله إستاذ رحم الله والديك، بس شنهو هاي الشغله؟  
شوف أكو واحد طيب من ربعه (حايچ عبي) يريدله واحد  
يساعده بالشغل، وآني گلت هم تعيش وهم تتعلم مهنة تفيدك  
ويمكن تگدر تتعلم القراءة والكتابة عن طريق الأخ الحايچ  
لأنه عدو لدود للأمية.

فز مذعوراً كمن لدغه عقرب قائلا: - لالا إستاذ كلشي ولا  
حايچ، إستاذ بس يسمعون أعمامي يطلجون مرتي ويفصلوني  
من العشيرة يا بويه أدور حايچ، ورحمه من الله يتباهون  
عمامي (ببشوتهم) حياجة (ابومطشر) والله نعمه!.

تبسم أستاذ (منير) وبدا كمن يراجع بعض الثوابت لديه  
متفهما ردود فعل (مظلوم) على مقترحه باعتبار مهنة الحياكة  
مهنة معيبة وفق الثقافة الإقطاعية السائدة وخصوصا في  
الريف العراقي.

- خلص، خلص أبو مطشر لا تغث نفسك، ايین انتہ  
أصبحت مدمن على بيع اللبلي يلبلوب وازدياد المعجبات  
والمعجيين بصوتك الحلو وانتہ تصيح لبلي يلبلوب، واني  
هم ماگدر استغني عن لبلييك الطيب فقد أصبح (مزتي)

المفضلة، العفو عشاي المفضل، وراح اوصيلك على عربانه  
ممتازة (عروسه) من (فورميكه) ايسويه مخصوص إلك اخوي  
النجار "ابو ماهر" فهو من محبي لبلييك أيضا.

عملية صناعة (العربانه) بحاجة إلى وقت حتى تكتمل، وأنت  
ستكون خلال هذه الفترة بلا عمل، تقبل مني هذا المبلغ  
البسيط لأدارة أمور عائلتك إلى حين بدء العمل ثانية.

- استاذ (منير) تره انتة هواي كلفت نفسك وياي، وأنى يبين  
مصايبي ما تخلص، ارجوك خليه فلوسك عندك، واني اموري  
الله يدبره، احتمال اروح لعمامي بالقريه لمن تكضي العربانه،  
ونرجع نشتغل عله باب الله.

أسمع ابو مطشر هذا المبلغ ليس منحة مني، انما هو دين  
عليك انت مطالب بتسديده على شكل لبليي، حصتي مساء  
كل يوم كالعاده، فلا تهتم كثيرا للامر، ثم ان (عمامك) في  
القريه ربما لا يستطيعون اعانتك، وأنا وانت نعرف ظروفهم  
تحت ظلم وأستغلال الأقطاعيين.

دس المبلغ في جيب (أبو مطشر) قائلا: سأتقاضى على هذا  
المبلغ ارباحاً زيادة كاستين لبليي فوق المقرر.

اللبليي وصاحب اللبليي كله بخدمتك أستاذ انتة فضلك عليه  
ما انساه طول عمري، الله يحفظك ويطيل عمرك ويخليك  
لاهل بيتك.

(ابو مطشر) لا تشخه احنه ما سوينه شي، وهذا واجب الصديق للصديق وانه صديقي، وانه من اطيح بضيج اجيك واكيد ما راح تقصر وياي.

تمتم بكلمات خجلي لايدري بماذا يرد على هذا الإنسان النبيل والأخ الذي لامثيل له.

(ابو مطشر) خلال هل الأسبوع لا تحرمه من شوفتك، تعال العصر مر بيه، نلتقي ونسولف ونشربنه استكان جاي بگهوه (ابو رضا حجي عبد ننه) بالميدان، حتى انته ما تضحج، وانه ما انحر من سوافك الحلوه.

استاذ الله يخليك اني ويني وين گهوه ابو رضا، هاي كعاده ناس كباريه ملاليج، وموظفين كبار، ودخاتره، ومحامين، ومعلمين.

صحيح كلامك (ابو مطشر) لكن صاحب المقهى انسان كادح مثلك، وهناك العديد من العمال والكسبه يتواجدون بالمقهى ايضا، فلا تتخرج في حضورك، وسترى كيف لا تشعر بالغربة والحرع بينهم، ويكسب اصدقاء جدد، وتكسب (معامل) جدد ل (البلبي) لانه سيكون مكانك مقابل المقهى، قريبا من المدرسة وقريبا من رواد المقهى واغلبهم من محبي البلبي. ها هيه استاد مثل ما تريد ليش آني الگه احسن من گعدتكم وسوافكم، واني مثل ما اشوفك اشوف صدگانك.

ودعه استاذ منير، وقد توجه إلى (مقهى عبد ننه) في حين قرر أبو مطشر أن يقوم بجولة أستطلاع في ساحة الميدان، مستعرضاً المحلات، والمقاهي على جانبي السوق الكبير، مقهى (الشماع) و(مقهى النكراني) وبالمقابل بناية بلدية النجف، وبالقرب منها المدرسة، ومركز الشرطة، تلمس جيبه ليتأكد من مبلغ المال الذي زوده به أستاذ منير، لأنه قرر أن يتناول كاسة (لبلي) من أحد الباعة في شارع الخورنق، لكي يطلع على المزيد من الخبرة في طريقة البيع وكمية اللبلي في الكاسة، وفق الأسعار المختلفة، (فلسين) و(عانه) و(عشر فلوس) وما يتطلبه اللبلي من مطيبات أخرى كالحامض وما إليه لأنه لم يكن موفقاً جداً خلال فترة العمل السابقة قبل حرق العربانه.

سلم على البائع، وهو شاب أسمر، يلف رأسه بيشماغ أحمر، وأمامه على العربة قدر اللبلي وبخاره الذي يثير شهية من يمر بجوار البائع، طلب منه كاسه أم (العانه) ملاحظاً حركاته وقياسه لكمية اللبلي، له ولغيره وبمختلف القياسات، كما دخل معه بحديث حول عملية تحضير (البلي) وما هي أنواع (الحمص) المتوفرة في السوق وأسعارها، وكيفية تحضير (البلي) لأنه يحب (البلي) ويريد أن يتعلم طريقة تحضيره، كان البائع الشاب أريحياً طيباً، أفاض وأسهب في شرح كل شيء حول تحضير اللبلي، ومستلزماته، أكمل (أبو مطشر)

كاسته شاكرًا للشاب، سعة صدره وطيب معاملته متمنياً له الرزق الوفير.

- مر وهو في طريقه إلى فضوة الحويش على معمله في تناول (الباگله) الخباز الطيب عبد الساده، الذي رحب به كثيراً، داعياً آياه بالجلوس، مقدماً له سیکارة (مزين) وهو يعالج نار التنور ويتصبب عرقاً، مشهداً يعيد (مظلوم) إلى ذکریاته والعمل في الأرض لزراعة (الشلب) خلال شهر حزيران وتموز وآب، كيف كان جميع أفراد العائلة بما فيهم (أم مطشر) يسبحون عرقاً، وهم يعملون تحت هجير شمس تموز الحارقة، وما يزيد الحال بلة، ما كانوا يعنونه من دیدان (الشرع) التي كانت تلهب سيقانهم وأيديهم لسعا، لتتشر حبيباتها الحمراء المؤلمة، ليذهب كل هذا الجهد والمعاناة إلى جيوب الإقطاعيين المرفهين في قصورهم، يعالجون كروشا تتضخم يوماً بعد آخر.

لاحظ عبد السادة شرود صديقه وهو يقوم بإخراج أرغفة الخبز الحار من آتون التنور، مستفسراً عن أحوال (أبو مطشر) وماذا سيعمل وكيف يتدبر أمره وعائلته، مبدياً له أنه على استعداد كامل ليقاسمه رزقه اليومي إلى أن يفرجه الله ويحصل على عمل.

شكر له (أبو مطشر) شهامته ونخوته وطيبته، موضحاً له أنّ صديقه الأستاذ (منير) لم يدعه بحاجة، وسيعمل ببيع (اللبلي) قريباً بعد حصوله على (عربانة) جديدة.  
- أي والله والنعم من (أستاذ) منير من أهل النخوة والطيب وما يقصر فيه كل محتاج،  
عموماً أنّي عندك أبو مطشر، وهاي جم غرصه خبز حاره (امسمسمه) اخذه وياك للعيال، خلصت ارواحهم من (خبز البربر).

اخذ أرغفة الخبز من صديقه (أبو لميعه) وتوجه نحو الصحن الحيدري الشريف لزيارة الإمام علي عليه السلام، فهو أمام الفقراء ونصير الفقراء واليه يلجأ المقهورين، بعد أن اتم زيارته مساءً، اشترى بطيخة وكيلو طماطم من سوق الحويش كوجبة عشاء، وتوجه إلى سكنه في منطقة النزلة، شاكر الله على معرفته بمثل هؤلاء الأصدقاء النبلاء.

أجتمعت العائلة أم مطشر ومطشر والصغيرة (سعوده) حول المائدة البسيطة، مستمتعين بتناول خبز (التجاري) الأبيض هدية (أبو لميعه).

والله بويه هذا الخبز ينوكل من دون غموس، وما يحشر بالبلعوم جته زبد،

فقالت (أم مطشر) رداً على ولدها بس لا نتعود عليه وبعد ما نغدر ناكل (البربر) لا أبو (مطشر) بعد لا تجيب منه.

أنهمكت (سعوده) باكل البطيخ اللذيذ والخبز الطيب وهي جالسة في حضن والدتها، مما ادخل السعادة إلى قلب والدها.

أنه فعل (منير) كم هو جميل إدخال البهجة والسعادة في قلوب الآخرين، أنه درس رائع في معنى الإنسانية، والتضامن والتكاتف الأخوي الإنساني، رغم بساطتها ولكن ما أروعها أرغفة خبز (ابو لميعة) عندما تلوکها بشهية ومتعة صغيرته العزيزة، ما أروعك يا (أبو لميعة).

بعد العشاء، حدثه (مطشر) حول الوضع في مدرسته، كون الطلبة وبعض الأساتذة، مستائين جداً من محاولة الحكومة لدخول العراق إلى حلف بغداد

إجابة على استفسار والده حول ماذا يعني هذا الحلف وماذا يضر العراق والعراقيين أجاب (مطشر) قائلاً: الحلف يا والدي بين العراق وتركيا وباكستان وبريطانيا، مع دور عسكري للولايات المتحدة الأمريكية، معنى هذا ربط العراق بمصالح الدول الاستعمارية أكثر مما نحن عليه الآن، وجعل العراق قاعدة للقوى الكبرى للتحكم بارض وشعب العراق، ومنطلقاً للاعتداء على الشعوب والبلدان الأخرى تنفيذاً لرغبة هذه الدول، كما إنه سيكون القوة الضاربة ضد كل تحرك شعبي ينحو منحى الحرية والاستقلال.

نظر (مظلوم) بأعجاب إلى ولده، ومدى تطور معرفته، والذي قال أنه استقاها من معلميه وزملائه الطلبة.

يبدو لي أنّ هذه الدول تعلمت من العشائر، حيث تتحالف العشائر الضعيفة مع العشائر القوية، لتتقي عدوان العشائر الأخرى، كما يحصل كثيرا إنّ يتحالف شخص أو عائلة مع عشيرة غير عشيرته أما لضعف عشيرته أو لزعله منها، وهذا يكون موقفه ضعيف دائما ويسمى (لفو) أي ليس من العشيرة الأصلية، وطبعاً القوي ما يقبل الضعيف إلا إذا كان يستفيد منه سواء بضمه إلى قواه المسلحة لمهاجمة الآخرين، أو الاستفادة من ثروته أو سمعته.

والله يا ولدي يبدو انك طالع عله جدك الثائر اللي كان حامل راية الثوار في مقاومة الجيش الإنكليزي، وقد قتل في معركة (الارنجية) ولم تصلنا منه سوى بندقيته، وقيل انه دفن من قبل أهل النجف، حتى أننا لم نستدل على قبره لحد الآن.

فرد عليه (مطشر) موضحا ما يعنيه (حلف بغداد) قائلا: لا ودور حكومته تريد تضيع دم الشهداء بغير مستحه وتتحالف ويه الأنكريز والعثمانيين!

ويبدو لي يا والدي ان حكومة العراق أنما تحالفها مع بريطانيا وتركيا وباكستان، ومن وراهم أميركا، ومدري منهو بعد يشبه هذا (اللفو) من الله يطيح حظهم عله هل عمله الي

يردون بيه يذلون العراقيين، والأنكليز وغيرهم طمعانين بنفط العراق لا أكثر ولا أقل، والله اني هجي أشوفه.

أبتسم (مطشر) مستحسنا ما ذهب إليه والده من تفسير (حلف بغداد) المزمع دخوله من قبل حكومة نوري السعيد.

في صباح اليوم التالي بعد تناول أفطاره من بقايا أرغفة عبد السادة، و(استكانين) شاي من أيد أم مطشر، ارتدى كوفيته وعباءته، وذهب إلى محل النجار، ليطلع على مراحل عمل (العربانه) فأستقبله أبو (ماهر) مرحباً به، وقد امر له بشاي من مقهى (أبو البسامير) القريبة منه، ارتشف شايه واستقبل سيكارة من يد أبي ماهر، وأخذ يصغي إلى حديث هام بينه وبين أحد أصدقائه عرفه عليه وكان يدعى (محمد موسى التتنجي) كان الحديث يدر حول أقدام السلطة السعيدية على إعدام عدد من الوطنيين العراقيين وقمع التظاهرات الكبيرة التي انطلق فتيلها في بغداد، وقتل العديد من المتظاهرين وسجن عدد كبير آخر، وعن مدى غضب الشارع العراقي ضد هذه الجريمة البشعة بحق أبناء العراق.

كان (أبو مطشر) يستمع دون ان يشترك في الحديث رغم أرتياحه إلى (محمد موسى التتنجي) وأسلوبه في الحديث وجديته وحماسه الظاهر وأسترساله بالحديث الودود معه وكأنه يعرفه مسبقاً، وقد توسم فيه (أبو مطشر) الغيرة والرجولة، فهو لم تخفى عليه سمات الرجال، وبعد أن غادره

(محمد موسى). سأل أبو مطشر صديقه النجار:- كلي اسطه نوماس هذوله الجماعه العادمتهم الحكومه شمسوين، سايجين بايجين، جاتليلهم جتل، ناهيلهم مره، اشو من معنه حجي صديجكم ابو جاسم يينون هذوله ناس اجاويد أو مال هيچ شغلات؟

- زين أهلهما ما افصلوا ايمجانهم، عشايرهم وعمارهم وين؟  
أستل أسطه نوماس سيكارتين من علبة (اللوكس) أعطى لأبي مطشر واحدة ووضع الثانية بفمه، ولع السيكارتين، أخذ نفساً عميقاً نفث الدخان بحسرة والم ثم التفت صوب (أبو مطشر) قائلاً: عزيزي هؤلاء (الشهداء) لا قتله ولا سلابه، ولا نهابه، إنما هم كرسوا حياتهم من أجل إيقاف سلب ونهب ثروة الشعب والوطن، ووقف قتل وتعذيب وخطف أبناء الشعب الشرفاء، كل ما يردونه سلام وأمن وحرية ورفاه الشعب، وخصوصاً من العمال والفلاحين وكل الفقراء والكادحين، لذلك ناصبتهم الحكومة العداة وقررت قتلهم حفاظاً على حكمهم والحفاظ على مصالح أسيادهم، وإن شاء الله يتبدل الحال وتستطيع أن تتعرف أنت وغيرك على مدى تضحيات هؤلاء المناضلين وشجاعتهم وحبهم لناهم.

- والله يا خويه زرفت چيدي بهل الحچي، كل هذا اليصير وحنه ما ندري شكو ماكو، نسأل الله وأبو حسين ان ينتقم من الظلام وكلمن يساندهم.

ولكنه لم يستوعب معنى (التظاهر) و(المظاهرة) هل هي (فزع) أو (حشر) أو شيئاً آخر لا زال مستعصياً على فهمه، ولم يستفهم عنها، فهو مشغول بامر (العربانة) وعمله المستقبلي الذي يتعلق بمصيره ومصير أطفاله،

أطلعته (أبو ماهر) على هيكل (العربانة) وشرح مبسط إلى شكلها المستقبلي وطمأنه بأنه سوف يكملها بأسرع وقت ممكن، فاخذ يرسم في مخيلته شكلها ومدى ترافاتها، وجمال إطاراتها، وصف (ابطالة) الليمون في مقدمتها وووو. أصبح يطيل الوقوف قرب باعة (اللبلي) أينما يراهم، وكأنه يتلقى دروساً في طريقة العمل المنتظر، لم يمر يوم إلا وابتاع (كاسة) لبلي أم العانه، يحاول ان يأخذ وقتاً طويلاً قبل الانتهاء من اكلها، يحاول ان يفتح حديثاً حول اصل وفصل البائع، وهل هو من أهل الولاية، أو مثله مهاجر من الريف، ولا يفوته ان يسأله: انتة خويه من يا عمام؟

أي والنعم انتم من أولاد اختته، أو انتم من أخواله، ثم يدخل في حديث طويل حول وجهاء هذه العشيرة، والأحداث التي مرت بها، ومناطق تواجدها، ولا يفوته ان يسمع الزميل المستقبلي بعضاً من (الهوسات) حول زعماء ووقائع قبيلته، ويسمعه عدداً من أبيات الابوذيه حول الحنين للقرية ومرايع الطفولة والشباب، مما يجعل الزميل المنتظر يعجب ويعتز به كثيراً، وغالباً ما يرفض ان يأخذ منه ثمن

كاسة اللبليبي، وأحياناً يأمر له ب (استكان) شاي من أقرب مقهى أو من (چايچي) دوار، لكي يستزيد من حديثه الشيق، في احد الأماسي قرر أن يزور صديقه أستاذ (منير) في مقهى (عبد ننه) فقد أبلغه أسطه نوماس أن أستاذ منير يسأل عنه.

وعلى الرغم من كونه من مرتادي المضاييف والدواوين، وجرأته المعروفة بالحديث، ولكنه سار يمتلكه القلق، وفي قلبه شيئاً من الهيبة من دخول مقهى (الحاج عبد ننه).

وازن (بشته) على كتفيه، وثبت كوفيته على رأسه، وسار نحو المقهى، وما دخل المقهى حتى لمح (منير) فقام مرحباً به، حيث كان يجلس مع عدد من الأندية، وأصحاب (العگل) من وجهاء المدينة، فقدمه لهم أستاذ منير بأنه صديقه (أبو مطشر) معرفاً لهم، الأستاذ حسن عوينه، المحامي جواد عبد الحسين، المحامي موسى صبار، الحاج مهدي آل غلام، رحب الجميع ب (أبو مطشر) سائلينه عن صحته وصحة عائلته، وكأنهم على علم بوضعه وحاله، حيث يبدو ان (منير) قد اخبرهم عنه.

شكرهم (أبو مطشر) وانه بخير وهو وسطهم ومحل اهتمامهم، راجيا من الله ان يوفقهم ويحفظهم لعوائلهم، مساه الجميع بالخير ومن ضمنهم الحاج (عبد ننه) وأبنة (رضا) تناول شايه المهيل، وقد ناوله أحدهم سيكارة (روثمان) ولع سيكارته، وأخذ يستمع إلى حديثهم الذي كان

معظمه يدور حول (حلف بغداد) وخطورته على الشعب العراقي، وكلام آخر لم يستوعب ولم يفهم أبو مطشر الكثير منه.

كان أستاذ منير متأثراً جداً هو وأصدقائه يعلو وجوههم الحزن والألم والغضب، لأن السلطات أقدمت على إعدام وقتل العشرات من العراقيين الأحرار الأعزاء من الوطنيين العراقيين، انتقاماً من أنتفاضة الشعب في ١٩٤٨ التي هزت أركان السلطة كما اسموها الرجعية العميلة، المتهادنة مع الصهيونية، والتي أقدمت على ترحيل الأخوة اليهود غصبا عنهم من العراق، وأنَّ الشعب سوف لن يستكين ولا بد أن يثأر لشهداء الأبرار.

أها يبين هذوله المرحومين أنفسهم صدگان اسطه نوماس وهذا الولد النشمي (التتنجي).

فأجابه أستاذ منير: نعم همه نفسهم أبو مطشر

فاجئه أحدهم حول رأيه بما يجري وبحديثهم؟

والله استاد أنه ما اعرف بالضبط شتريدون، ولا أعرف منهو هذوله أخوته المجاتيل ومن يا عمام، بس لزمن اهلهم ياخذون بشارهم، أو ما طول همه ضحوا بارواهم لخاطر الوطن واهله، لزمن عله الكل يطالبون بدمهم، ولا رحتوا للفتاحه بروح والديكم خل ارواح وياكم أنه والموجود من

عمامي بالولايه، هذوله من حموله طيبه الف رحمه عله ارواحهم.

فأجابه أستاذ منير ومن معه: ممنونين منك أبو مطشر أحنه نكفيك وراح نقوم بالواجب، الفاتحه بعيده وأحنه ما نريد نكلف الناس أكثر مما هم عليه؟.

وأخذوا يتحدثون عن المظاهرات الجماهيرية ضد السلطة، وأمكانية تحشيدها، ونسب نجاحها أو فشلها، وموقف الحكومه منه، و(أبو مطشر) يسمع ولكنه لا يستوعب ما يتحدثون عنه ولم يسمع به من قبل، فقال لهم: -

ولو اني ما اعرف شنهو (المظاهره) وشتسوي، ولو ما أني عندي طرشه لهلنه بالريف كان فزعت وياكم، وارد ألعن أبو الباشه اللي يريد يسوي العراق (لفو) للأنكريز، وينهبون نفطاته، وتفگه عمي، بعده عدي، والانكريز ضاگو چيلاته.

والنعم والسبع تنعام منك (أبو مطشر) والله من أهله، بس القضييه ما وصلت للتفگ والچيلات.

مثل ما تشوفون، البقية بحياتكم وحياة أهلهم، لا والله عمي البقية بحياة الشعب والوطن. سلمونه عليهم.

ولا تريدون (ندگ) الحكومه من عين باچر اودي عله اچم زلمه من عمامي وندگهم ونجيبهم للحگ غصبن عله اخشومهم.

أستل سيكارة لف من قوطيته، ولعها جاذباً منها نفساً قوياً، وما نفثه حتى خلق دوامة من دخان، أحس أنها ضايقت بعض الأفندية.

تحدث أحد التجار، مشيراً إلى ارتفاع أسعار بعض المواد الغذائية في السوق، مثل الشاي والسكر، والدهن، والعدس، والبطاطه، والحمص.

ففر أبو مطشر قائلاً: انه أبوك يمطشر هذوله خاف سمعوا بأبو مطشر يريد يبيع لبلبي، والله أبيع لبلبي يعني ابيع لبلبي ومارد لبيع الباجله لو يموتون.

ضحك ابو مطشر وضحك معه جميع الحضور رغم حزنهم، معربين عن ارتياحهم لارحية وخفة دم ابو مطشر ووعيه الفطري.

أمر لهم الحاج عبد ننه بوجبة شاي جديده على حسابه اكراماً لأبو مطشر، الذي رد على كرمه بيت شعر دارمي، أستحسنه الجميع.

بعدها نهض (أبو مطشر) شاكراً للجميع على حسن الضيافة، مودعاً إياهم على أمل اللقاء بهم بعد أن يعود من سفرته إلى قريته.

أخبر أم مطشر بنيته السفر إلى قريته لأن شيخ العشيرة وعدد من عمامه أرسلوا له خبراً يدعونه للحضور للمشاركة في مجلس العشيرة السنوي، في مضيف الشيخ لغرض القيام

بعملية تعداد الشابات والشباب في العشيرة، وتوزيع الإناث على الذكور وحسب الأسبقية في القرابة، أبنت العم لأبن العم، قبل ابن الخال، وقبل غيره من أبناء العشيرة.

تجههم وجه أم مطشر محتضنة طفلتها حياة وعلامات الخوف والقلق بادية عليها وقد قالت لأبو مطشر: والله هذا ظلم أو مو حگ هسا هذوله بعدهم زعاطيط من هل الوكت قررت مصيرهم، ما تدرون باجر شيصير ما يصير، وماندري بگلوبهم باجر شتهوه، هذا أنته أبو مطشر مو رفضت بت عمك واخذتني، وهي مكعده الك أكثر من عشر سنين.

والله يم أم مطشر تريدین الصدگ أنه هم موش راضي بهذي الجسمه، وشف شلون حبیتج وعفت بت عمي بدون صوج وأنه راح أحاول شکثر ما اگدر اخليهم يتركون هاي العاده، مخصوص والدنيه تغيرت، والشباب گامت تروح للمدارس، ومثل مايگولون الگلب وما هوه، ظل أحنه شعدهه هي حياة بعده زغیرونه، ومطشر ماشاء الله عقله چبير وهو يعرف دربه، والله حيره.

ألتيق مساء باستاذ (منير) فحكى له سبب سفره للقريه، ومسألة توزيع البنات على الرجال في العشيرة، فأجابه متاوها:

يا أبو مطشر هذا ظلم بحق الأنسان، لا تقره القوانين ولا الأديان، والأهم مخالف لضمير الأنسان الحي، وزواجك

أنت خير مثال على ذلك، هذه أمور رسخها في عقول الناس الأقطاعيين والناس الماعدهم ضماير، والذين يعاملون المرأة كما يعاملون الحيوان، هل تقبل أنت غضب (حياة) للتزوج أنسان لا تحبه وهي غدا تدخل المدرسة كأخيها مطشر وتتعلم، مثل هذا الأمر تقريبا أندثر في المدينة.

مثل هذه الأمور وغيرها مثلاً قسم عشائر السادة لايزوجون بناتهم من غير السادة، في حين يعطون لأنفسهم الزواج من كل القبائل والعشائر والألوان، وكما تعلم تزوج عددا منهم من زنجيات خادماتهم، وتزوج آخرون من السادة والشيوخ غجريات، وفارسيات، ولبنانيات، وانكليزيات، ولكنهم حرموا هذه الحرية في الاختيار على بناتهم، تحت ذرائع واهية حقيقتها أنهم يخافون على أقطاعاتهم وعقاراتهم يشاركهم فيها (الغريب) بالأرث الذي سترته البنت عند وفاة والدها، وبذلك تتشتت ملكياتهم.

الأمر من ذلك حتى السادة الفقراء اللذين لايملكون شيئاً أخذوا يقلدونهم دون وعي ودون معرفه.

أي والله استاد حچيك عين الصواب، أحنه عدنه علويات ظلن ينسلن شيب وجزاهن القطار مسكينات، لا أولاد عمهن أزوجهن ولا أطوهن للخطبوهن من عامة الناس.

أستاذ منير رحمه على والديك، وאתمنى أن تحتل سؤالى ولا تفهمنى خطأً، لكن هناك سؤال حيرنى ولم أجد له جواباً شافياً، عسى أن أجد لديك أجابة تريخنى.

أستاذ أنا أراقب (السيد) فلا أجد هناك أى فرق بينه وبين الإنسان (العامى) كما يسمونه، أو نسميه نحن، الكل يأكل ويشرب، ويتغوط، ويتزوج، ويتكلم بنفس كلامنا، يخطيء ويصيب، فلماذا هذه التفرقة أذن؟

ابو مطشر، هذا سؤالك دلالة على نباهة وفطنة، سرنى كثيراً، وأتمنى أن يدور فى رؤوس جميع الناس.

أنا الآن الذى أمامك يسمونى (سيد) ووالدى رجل دين (معمم) يلبس عمامة سوداء، فبالأكيد لا شيء يميزنى عنك سوى أسمى وشكلى، وعملى، وقال النبى محمد (لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى) و(أقربكم إلى الله أتقاكم) (كلكم من آدم وآدم من تراب) لكن هناك من يستفيد من هذه الرمزية، للحصول على المال والجاه، رغم أنه يعلم تمام العلم إنَّ لا أساس لهذه الميزة فى حقيقة الإسلام.

والله أستاذ نورتنه، وهذا الشيء مو معقول، عموماً أنى راح أروح للقرية، وشوف شلون تاليه وياه هلظلام.

هاي القضية بعد ما أرضه بيه أبد حتى لو العشيره تفصخنى، هذا ظلم والله ما يرضه بالظلم.

وهكذا كان لـ(ابو مطشر) عند وصوله للقريّة، وقد قصد مضيف الشيخ، وقد خاض صراعاً كاد أن يتطور إلى مشادة أو عراك دامي بينه وبين الشيخ وعدد من وجهاء العشيرة وأفرادها، حينما قرّر رفض عملية (الجسمه) للأنثى على الصبيان، كونه ظلماً لا يرضاه لا الله ولا عباده.

فقال الشيخ: يبدو إنّ الولاية غيرت أطباعك أبو (مطشر) وبعد سواني ولعراف العشيرة بعد ما تعجبك، أو أتشفو روحك وعيالك أعله من هاي الوادم، أبو مطشر تره فطور أيديك ورجليك بعده ما راحت، فلاتنسه أعمامك وعشيرتك حزام ظهرك، هز الأغلبية رؤوسهم مستحسنين كلام الشيخ مع لومهم لأبن عمهم (ابو مطشر).

شيخنا أني ما ننسيت أعمامي وأخوتي، لاكن اگول الأمه ومرته وبتته مغصوبه وموحره ما راح يعيش حر وميחס بكرامه، وهسه انتم كم واحد منكم مأخذ مره من غير عشيره، وعاف بت عمه لو بت خاله محيره لا هو الماخذه وهو المخليه رايحه لحال سييله، وهذا واحد منهم انته شيخنه، عندك أربع نسوان غير الطلكتهن، وأغلبهن مو من عشيرتك، أما (الساده) فحدث ولا حرج.

أبو مطشر أحته عدنه عرف اليطلع من السانيه ناخذ منه مرته، وخل يروح يزوج ويزوج أبراحته.

أسمع شيخه هاي السانيه ما تركب عليه، لأن آني لا مأخذ  
گصه بگصه ولا ما خذ بت عمي ومرتي مثل ما تعرفون مو  
من العشيره، آني أشوف هاي السانيه لازم تنتهي وتموت من  
اليوم، حرام أخواته وبناته نغصبهن غصب، وأحنه ما خذين  
راحتنه نعشگ ونحب ونتزوج منين ما نريد.  
وآني اترخص منكم گلت العندي وشما تردون أتسون سوو،  
الله وياكم.

ولم تنفع منه تشبث أخوته وأبناء عمومته به.  
خويه شنهو گعدتي وياكم وانتم بمجان ما ترفعون الظلم عن  
أرواحكم من أهل الظلم من الأكطاعيين وصراكيلهم، تذبون  
نقمتكم، وتطلعون رجولتكم وقوتكم على هل المسكينات  
من بناتكم وأخواتكم وأمهاتكم.

دار همس وتململ داخل الديوان، مما حدا بالشيخ بتلافي  
أنفلات الوضع، وسد الطريق أمام أبو مطشر، ليبدل آراء أفراد  
العشيره، خصوصا وهو معروف من فتيان العشيرة الشجعان  
والمجربين بالجرأة والكرم، وله عدد من الأخوان وأبناء العم  
المهابين داخل العشيرة، فخطبه قائلا: زين أبو مطشر أحنه  
راح نأجل هذا الموضوع لغير وكت وعود نشوف، انشالله الله  
يهديك وتطيع عمامك.

شيخه الدنيه محترجه بغداد وغير بغداد وأنتم هنا تتجاسمون  
النسوان المسكينات، انا هذا رايب بعد ماكو جسمه نسوان وما  
عندي غيره لا اليوم ولا باجر، وهساه الله وياكم.

نهض ونهض معه أخوته وأبناء عمه وأولاد خاله مما أحدث  
ثغرة كبيرة في مضيف (الشيخ) الذي ظل في حيرة من أمره.

بات (أبو مطشر) ليلته مع أخوته وأبناء عمه، في دار أحد  
أخوانه، وقد توصل خلال السهرة الليلية معهم أقناعهم برأيه،  
وقرارهم بتبني موقفه، مقرين أنَّ ما ذهب اليه هو عين الحق،  
ولكنهم خضعوا للعادة والتقليد دون تفكير، معلنين أعجابهم  
بما يطرحه حول مختلف الأمور، وقد خاطبه أحدهم قائلاً:

والله أبو مطشر يبين بيع الباجله هواي مغير من طبائعك، جا  
لونك تبيع ذهب جان صرت بمجلس النواب، فرد عليه أبو  
مطشر قائلاً: تشوف شلون راح أصير من راح أبيع (لبلي)  
ضحك وضحك الجميع، وبعد ما طابت الخواطر، شاركتهم  
نسائهم الجلسة وقد اعجبهن كثيرا رأي أبي مطشر ووقوفه  
ضد جسمه النسوان والزواج كصه بكصه، وقد خاطبته  
كبيرتهن: والله ياخويه لو ندرى الباجله هجي اتسوي جان  
نذرناله نذور، وعلگناله بيرغ.

فألتفت إليها احدهم: كافي وليج كافي مو أطناچن مجال راح  
تاكلنه، اليوم أبو مطشر هنا باجر ماكو، عود خل الباجله  
تنفعچن.

خويه أبو مطشر ابروح أبوك سمعنه چم بيت أبو ذيه، وخلنه  
من النسوان لا تخربهن عليه.

أدرات الكبيرة عليهم صينية الشاي، ثم أخذ أبو مطشر يترنم  
مطلقا لعنان لصوته الجميل، لتترد كلماته وحنيتها مع  
موجات النهر، ورقص سعيفات النخل، فأهتزت الرؤوس  
وتفاعلت الأيدي، وربما أنهمرت الدموع من عيون بعضهن  
وبعضهم، غادرهم القمر، فغالبهم النعاس.

استيقظ أبو مطشر مبكرا، تناول أفطاره، من (طابگ المحرش)  
وأستكانات الشاي من ضرع البقرة، مع الشاي المهيل مع  
أخوته ونسائهم، اللاتي، أحضرن له، أكثر من (زبيل) مليئ  
بالتمر، والدهن الحر، والبيض، وزبيل سمج، گطان، وبني من  
صيد اليوم صباحا حيث شارك أبو مطشر أخيه في جمع  
الأسماك العالقة في الشبك الذي تم نصبه في الليلة الماضية  
عبر النهر، فكان مليئا بالأسماك، حاولن أن يمسكن بدجاجة  
وديك هدية لأم مطشر وبتتها العزيزه (حيوته) الحلوه.

ولكن أبو مطشر رفض حمل الدجاجات، يكفيه حمل  
(الزبلان).

قائلا: وهذا السمج والله زحمه، وأنتم بحاجة أحنه بلولايه  
كلشي موجود.

فأجابته كبيرتهن: لاخويه أخذهن ألف عافيه تدري هاي الفتره  
أكو (زراره)، والسمج هواي، وانه تدري اخوتك واولاد  
عمك يستنكفون يبيعونه بالولايه.

تشكر من الجميع، مودعا اياهم على امل اللقاء ان سمحت  
الظروف.

مع ألف سلامه واذا اجيت مره ثاني مره راح اتصير صوغتچن  
(لبلي) ههه.

رافقه أحد اشقائه إلى المدينة حاملا عنه أثقاله، ثم ودعه بعد  
اكتمال عدد المسافرين في السيارة وأغلبهم قاصدين زيارة  
الإمام علي عليه السلام، مصطحبين معهم نذورهم من  
الخراف السمينة محمولة على (سلة) السيارة، إيفاءً لنذر  
تعهدوا به، لشفاء مريض، أو لتحقيق أمنية بدت مستحيلة.

بعد إن أخذ قسطاً من الراحة، وقد أفرغت أم مطشر  
محتويات الزبلان، وأختلى بحبيته (حياة) سألها عما يقلقها  
ويجعلها حزينة بدلا أن تكون فرحة ومستبشرة بعودته من  
سفرته للريف وفراقها لأكثر من أسبوع، فاضت عينها  
بالدموع المشبعة بالكحل وقد أسندت رأسها على كتفه  
منعشة روحه برائحة الحناء التي كانت قد خضبت بها  
ضفائرها التي تشاكس مكوراتها، لاثما شفيتها التي أضفى  
عليها (الديرم) سحراً شهيا عذبا، مما جعله يستذكر أيام  
عشقهما الأولى ولقاءاتهما السرية بين ثنايا النخيل وشتلات

العنبر وو، يتذكرها حين كانت ترأس (الشدة) للحديثات (المنيسنچيات) وهن محتزمات بأحزمة منسوجة بخيوط الصوف الملونة، ويرددن أناشيد الحصاد الجماعية لبث روح العمل والتواصل بين الفلاحين والعاملات لنقل أكداس المحصول الي البيدر حيث تتم دراسته بواسطة دوران الحمير فوقه، كانت جذابة القوام ساحرة الصوت ذات قابلية لقول الشعر الغنائي وإسماعه إياه عن بعد.

دموعها أعادت إليه وعيه مسح دموعها بطارف يشماغه، قبلها بلهفة وشوق قائلاً: (حياة) حبيبه شلون تبچين وانه موجود انه من يبچي حياة وانه عايش، گليلي شنهو القضية تره بعد ما استحمل أكثر؟

(مطشر) مطشر، شنهو شبيه مطشر، يايابه صدگ ما شفته، أصورته بالمدرسه يو بالشغل؟

لا ييو مطشر، أمطشر، أمصوب برجله، هو الصواب بسيط وهسه ما بيه شي، بس والله آني خايفه عليه، يگولون الشرطه تدور عله هذوله اليسمونهم (متظاهرين).

شنهو شمسوي حته تلزمه الشرطه؟ يگولون طالع ويه ربعه الطلاب بالمظاهرات ضد الحكومه، وهوايه من ربعه وغيرهم حبسوهم والله الساتر. أها أگول شفته شاد جف رجله.

والله يبو مطشر مدري منين تلايمت عليه المصايب مدري  
شمسوين، اشو لا چاتلينه سيد ولا گاطعين الصوم ولا  
الصلاه.

هاي هم إله حلال يم (مطشر) وما طوله يم أبو ماهر  
لاتخافين عليه وانه الصبح أروح لأسطه نوماس وأشوف  
شنهو القضية، تعالي تعالي يلحبييه، لثم فمها كعطشان ليروي  
غليله من شهد حبيته، التصق جسميهما توغلت نتوءاته في  
أعماق منحدراتها ووداينها باذخة الدفء والعدوبة والسحر،  
تهامسا تلامسا تلابسا تأججت نيران الحب والغرام فاضت  
ينابيع الرغبة والهيام تفجرت براكين العشق، وهكذا كان  
الحال حتى بانت تباشير الفجر، حين غطا في نوم عميق، لم  
يستيقظا إلا على صوت مطشر وقد جلب خبز (البربر) الحار  
من الخباز، أستقبله والده مقبلا إيّاه، وسائلاً عن حال قدمه  
فطمأنه ولده:

لا بويه الحمد لله ما كوشي، وهسا راح أحل الضماد، واني  
كلتلهم آني جنت عد عمامي بالريف ودچتني سلايه من  
النخله.

الحمد لله وانشاء أطلع شويه ومن رد أريدك تسولني شنهي  
الصار بالولايه من وره روحتي لعمامك.

نهض (مظلوم) غسل قدر اللبلي وضع فيه الماء واضعاً إياه فيما يسمى بالحمام أستتر بقطعة القماش على الباب ليغتسل بعد تعب السفر، وعرق الغرام.

خرج منتعشاً أقبل على إفطاره من البيض والخبز والشاي، أرتدى ملابسه المعطرة برائحة صابونة اللوكس والجمال المخبأة بين طياتها في صندوق أم (مطشر) وضع بشته أبو نص ربع على أكتافه، وضع في يد أم مطشر بعضاً من المال الذي اعطاه إياه استاذ (منير) وأبقى الباقي في جيبه تحسباً للطوارئ، فبدى باهر الأناقة والفتوة، تنظره (حياة) بأنهار وإعجاب داعية ربهما أن يحفظه من (الهافي والمتعافي) ومن عيون (الطامعات والحاسدات) قبلها قبلة خجلة بمرآي من (مطشر) واعداء أيها أن يجلب لها الرمان الذي طلبته.

(أبو ماهر) ردت اعرف شنهو قضية (مطشر) كالولي مصوب، مدري معور وهو يمك؟

نعم خويه، مطشر بامان، وهو حال زملائه الطلبة شارك في المظاهرات التي خرجت في المدينة، واتعرضت للضرب واطلاق النار من قبل الشرطه، وبهاي المظاهرات، انقتل (حمودي) ابن عبد ننه الكهوجي، وتصوب عدد من المتظاهرين، فارتأينا ان نخفي (مطشر) وعدد من زملائه والمتظاهرين الغير مشخصين من قبل الشرطه كم يوم لحين

هدوء الوضع، والله صدك طلع سبع ويشيل الراس وأبن أبوه،  
كان لا يخاف ولا يهاب حتى رصاص الشرطة.

بإيجاز كبير تمكن (الأسطه) أستعراض وضع النجف  
وجماهيره خلال التظاهرات الحاشدة ضد السلطة الحاكمة،  
التي استمرت قرابة الأسبوع، عندما كان (أبو مطشر) في  
القرية، مما أثار لديه الكثير من الأسئلة، نتيجة هذه الأحداث  
الهائلة، والله يأسطه هذا الحجي الحجيتة وهذا الفعل لأهل  
النجف شيلة راس، ونصر للفقره، وعزه لكل العراقيين،  
بلاكت بروح أبوك اشو الشرطة والحكومہ وربعمهم،  
والأقطاعين الكبار يمولون هذا من فعل (الشوعيه) ماتكلي  
هاي الشوعيه شنهو داخلين بجده وشنهو عدواته ويه  
الحكومہ، واشو وين ما ارواح ايسولفون بيه، ابتسم الاسطه  
بوجه أبي مطشر، وقد وعده بأنه سيأخذه بيده ل (الشوعيه)  
بس خل الأمور تتحسن شويه ويعم الأمان بالولايه، وهسا  
روح لهلك وخل امطشر يسولفك الشافه.

- (ام مطشر) ما رأيك أن أعزم أصدقائي، أستاذ منير، واسطه  
نوماس، وعبد الساده الخباز، عله هذا الكطان الجبير والذي  
يفيض عن حاجتنا.

والله خوش مقترح وهذوله ناس اجاويد وهوايه ساعدونه،  
وجمايلهم ما ننساها انت اعزم الجماعه، وأنني راح اوزع قسم

من السمجات على الجيران، يعني معقوله أحنه ريحت  
السمح بيتنه تعط وما يضوگونه جيرانه.

أحسننت أم مطشر والله كريمه عله أهليج، بس عود حطيلهم  
تمرات وخبزة عرب، الف رحمه عله والديج، واليكرم يكرم  
فرد مره.

تدلل أبو مطشر والله أني هاي ناويه أسويه، بغير ما تگول،  
بس أنته أخذ الكطان وياك العبد الساده خله يشوي وياه  
بالتنور، ماعدنه غير (الأبريمز).

زين عيوني أم مطشر انتي حضريهن، وانه راح اكللهم  
وواعدهم عله الغده، وانتي وديهن الي بيد أمطشر.

التقى اولا صديقه نوماس في محله، وبعد السلام والتحية  
والسؤال عن الأحوال، أخبره بدعوته لتناول الغداء في بيتهم،  
رافضاً كل أعذار نوماس بالأعتذار، فقال له اسطه نوماس:  
زين أبو مطشر لعاد خلي عليه الفواكه والخضره، ماشي أسطه  
مثل ما تريد.

ثم كلفه أن يخبر الأستاذ (منير) لدعوته للغداء، ولكن أسطه  
نوماس اعتذر له نيابة عن منير، مخبراً إيَّاهُ أنَّ أستاذ منير  
مطلوب للحكومه ولا يستطيع الحضور، ودعه متأسفاً لعدم  
حضور أستاذ منير، متوجها صوب عبد الساده الذي رحب به  
كثيراً، مستفسراً منه حول سفرته وأحوال أهله وقريته، وبعد

أن طمنه على الجميع أخبره بأنه معزوم اليوم على الغده  
بيتهم.

تبسم عبد الساده قائلاً: شنو أبو مطشر شنو جبتلك مره  
جديده من القرية؟

لاخويه لامره ولاحمره لكن انطوني هلي خوش سمجات  
كلت ما أكلهن الا بحضوركم، وراح يجيبهن الك مطشر  
حتى تشويهن واجيبهن وياك من تعزل المخبز الظهر.  
والله والنعم منك أبو مطشر، واني خلي عليه الخبزات  
والطرشي.

لا خويه ابو لميعه الخبزات خبزات عرب جبتهن وياي، وانتو  
ملتتوا خبز البربر والتجاري، بس الطرشي خليه عليك. يالله  
في أمان الله، كمل شغلك وتعال انتو ومطشر، تلگينه كدامك  
آني واسطه نوماس.

بعيد أذان الظهر، أجمع الجميع في دار (مظلوم) الذي رحب  
بهم أشد الترحيب، وأصبحتهم خيرا (أم مطشر) وقد تولت  
غسل الفواكه وتنظيف الخضر، وتهيئة الطرشي والبصل،  
وأعدت السفرة (الخصوص) التي جلبتها معها من الريف، وقبل  
كل هذا عزلت عدد من الأسماك بعدد بيوت الجيران  
المقربين، واضعة مع كل سمكة رغيف من الخبر وكمية من  
التمر، وقليلًا من الطرشي والرققي، وأمرت مطشر بأن يوزعها

على بيت أبو عباس وأم علي وحجي محيسن وام فطومه،  
وسعيد الربلجي وعامر البايסקلجي.

والله يابه أُمي صايره اشتراكيه للكشر، يكلك عاد أم امطر ما  
تعرف.

أمشي ولك شنهو إدور هاي الشراكيه، أحنه هاي عادته ما  
ناكل شي ونخلي جيرانه.

فناداه والده من البرانيه، ها ولك شبيك ويه أمك، اسمعه  
أدردم؟

لا لا ما كوشي بس أُمي صايره اشتراكيه وزعت السمج  
والخبز والفواكه والطرشي عله الچيران، تگول احنه ما ناكل  
إلا ما ياكلون جيرانه.

أي بويه عاشت ايده هذوله احنه هيچ من الله خلگنه لليوم،  
اللگمه ما تمر توگف بلاعيمنه الا مايشاركنه بيه اهلنه  
وچيرانه، دياالله وزعهن، وچينه غدانه تره الجماعه چاعوا.

هل سمعت ورأيت أسطه، مثل هؤلاء الناس لا يحتاجون إلى  
أكثر من تنظيم حياتهم حتى يعيشون في نظام اشتراكي،  
بشكل فطري وطوعي، لا يحتاجون إلا فهم أسسه العلمية  
وآليات أقامته العملية، هكذا قال اسطه نوماس لعبد الساده.

ما أدري اسطه تصلون أول يو نتغده؟

نظر الأصدقاء بعضهم لبعض، وقد أجابه أسطه نوماس: لا أبو مطشر جيب الغده احنه نصلي عد اهلنه، إلا تريد انته تصلي براحتك.

لا هاي هيه خليه وره الغده، يو اطبگه ويه صلاة المغرب، شوفة بنادم لبنادم صلاه.

هاي شنه أبو (مطشر) صاير مفتي، والله هاي خوش فتوه، من رحمه عله أمك وابوك، والله من هلساعه راح اقلدك ولو انته ما لابس عمامه، هكذا قال عبد الساده ضاحكاً.

فرش السفره المدوره، واضعاً السمكة في المنتصف تحيط بها، رؤوس البصل، ومواعين الطرشي، والتمر (الخستاوي) والليمون والبرتقال، وأرغفة خبز العرب الشهية.

قال عبد الساده: أولاً يجب عزل حصة أم مطشر و(سعوده) الحلوه، من السمكه قبل أن نأكل، فهي كبيرة، ويجب عزل حصتهم.

هاي شنهو ابو لميعه الله يخليك همه حصتهم عدهم، هاي مالتكم خالصه مالكم بيه شريج، مو صحيح (ام مطشر) صاح (مظلوم) مخاطباً زوجته.

أي والله خويه اكلوا هنني ومري والف عافيه احنه عدنه المكفينه وزايد، هكذا ردت أم مطشر.

أستطاب الجميع الاكل الشهي، وهم يستمعون لنكات أبو لميعه، حول غباء السلطة وحلفائها من الأقطاعيين والمرابين،

وأهل العمائم من وعاظ السلاطين، متجاذبا الحديث مع  
أسطه نوماس، وأبيات الشعر الشعبي من أبو مطشر، بينما  
أمطشر ظل واقفا لتلبية طلباتهم من الماء واللبن أو الخبز.

بعد رفعوا أيديهم من السفرة، رغم الحاح أبو مطشر وحثهم  
على الاكل، قال أبو مطشر ياجماعة بهل اللمة الحلوه والأكله  
الطيبه وما عايزه الا استاد (منير) لابس ان نقره الفاتحه لروح  
صدگانه اللي كتلتهم الحكومه.

فتح الجميع أيديهم بقراءة سورة الفاتحة على أرواح شهداء  
الشعب والوطن كما قال اسطه (نوماس).

جلب لهم مطشر (البريج) و(السليجه) وصابونة اللوكس،  
والخاولي، حتى يغسلون، رفضوا ان يصب لهم مطشر، بل  
اخذ بعضهم يصب الماء لبعض، رغم أعتراض مطشر وأبو  
مطشر فهم ضيوفهم وهذا من واجبات الضيافه.

زين إبنی مطشر كل لأملك خل تهمنه الجاي، ها كون سنگين،  
تره الجماعه شرابة جاي أصليين من كهوة (عبد ننه).

بعدهما شربوا الشاي (المهيل) استأذن الجميع، شاكرين لأبي  
مطشر كرم الضيافه، وقد أخبر أسطه نوماس (مظلوم) بأنَّ  
(العربانه) ستكون جاهزة بعد غد.

في اليوم التالي، ذهب إلى السوق، ليشتري الأواني اللازمه  
للعمل، بالإضافة إلى كمية من (الحمص) بقدر ما كان يبيعه  
قبل إحراق (العربانه) وهكذا أستيقظ في اليوم الثاني مبكراً،

قاصدا محل أسطه نوماس، ليشهد اللمسات الأخيره على (العربانه) وإبداء ملاحظاته ومقترحاته للأسطه قبل زفافها إلى داره، ومن ثم أصطحبها للتجوال في شوارع وساحات المدينة.

وبعد أن عاد للبيت اختص بولده ليحكى له ما حصل خلال الأيام الماضية فقد قرر أحرار النجف الانتصار لآخوانهم اللذين انطلقت تظاهراتهم الواسعة في بغداد على اثر إضراب طلبة كلية الصيدلة، وأعتداء السلطات على الطلبة وجرح أربعة منهم، مما زاد من اشتعال شرارة الأضرابات والتظاهرات وقد أشرت فيها أعداد كبيرة من الجماهير الغاضبة، ولم تتمكن السلطة من اخمادها إلا بعد أن أستشهد العشرات من المتظاهرين، بالإضافة إلى مقتل عدد من أفراد الشرطة، وأحراق بعض مراكز القوى الرجعية وأسياده الأنكليز والأمريكان، ولذلك قرر النجفيون القيام بتظاهرة مستكرة أفعال السلطة ورافعة مطالب الجماهير، وقد سبقت هذا حث الجماهير عن طريق توزيع المناشير التي تندد بعدوانية السلطة، وتطالب بالثأر لدماء الشهداء، وعلى ضوء ذلك قامت السلطة بالعديد من الاعتقالات العشوائية للترهيب، وقد كنت أنت (ابو مطشر) أحد المعتقلين أنت (وعربانتك) لأكثر من أسبوع، لذلك لم نستطع زيارتك

للسجن، لان العديد منا أما كان في السجن أو أختفى عن عيون السلطة، للأعداد لتظاهرة ٢٤ مايس ١٩٥٢ .  
تم الاعداد لتظاهرة محدودة من سوق الحويش باتجاه الصحن الحيدري، وقد تفرق المتظاهرون من خلال (الدرايين) الفرعية حال نزول الشرطة إلى الشارع، وقد كانت هذه التظاهرة عبارة عن مجلس لقوة الشرطة ومدى تصديها للمتظاهرين.

وبالفعل تم الأعداد لتظاهرة اكبر وأوسع أنطلقت عصر يوم نفس اليوم من شارع ثانوية النجف، باتجاه ساحة الميدان، فالسوق الكبير، ومن ثم الطواف حول الصحن الحيدري، فسوق العمارة، ثم العودة إلى السوق الكبير، فساحة الميدان، شارع الثانوية، وشارع المستشفى، فساحة الميدان، حيث تفرقت التظاهرة في الساعة السابعة والنصف مساء، وقد تميزت هذه التظاهرة باشتراك النساء بفعالية، وقد شكلت تحديا كبير للقوى الأمنية، وقد كانت الشعارات المرفوعة خلال التظاهرة (يسقط الاستعمار، نريد جلاء المستعمرين من العراق، نطالب بمحاكمة سفاكي دماء الشهداء الأبرار، نذبح فداء لشعبنا، نريد إطلاق سراح الموقوفين السياسيين، يعيش أنصار السلام في العراق، تسقط الشرطة المحلية والتحقيقات الجنائية).

وفي يوم ٢٥ تشرين الثاني يوم الثلاثاء صباحا أنطلقت مظاهرة أخرى مكونة من غالبية طلابية من ساحة متوسطة السدير، فشارع الثانوية حيث شارك طلابها زملائهم والاشتراك في التظاهرة، فساحة الميدان، السوق الكبير، الصحن الحيدري، وقد كانت التظاهرة سلمية ولم تحدث اصطدامات مع القوى الامنية وقد دامت لاكثر من ساعتين وقد رددت الشعارات (ليحيا الجادرجي، ليسقط الاستعمار، ليسقط نوري السعيد، تسقط الشرطة المحلية، نريد جلاء المستعمرين، نريد الغاء الأحكام العرفية).

مظاهرة أخرى في نفس اليوم الثلاثاء عصرا، أنطلقت من ساحة الثانوية، فساحة الميدان حيث وصلت في حدود الساعة الخامسة عصرا، وقد تصدى لها الجيش هذه المرة، مما أدى إلى حصول اشتباك مسلح بين المتظاهرين الغاضبين، والمسلح بعضهم بالأسلحة النارية، والسلاح الأبيض، مما ادى إلى أستشهاد الشاب (حمودي عبد ننه) و(حسن هادي) وجرح أحد الجنود نتيجة الاشتباكات.

على أثر تفاقم الأوضاع في المدينة، وتصاعد غضب الجماهير الشعبية لعدم تلبية مطالبها المشروعة، وطبيعة القمع المفرط الذي تعرض له المتظاهرين، وسقوط الشهداء، حاول قائممقام النجف (لطفلي علي) بأن يصدر بيانا ملفقا محملا بالتهديد والوعيد بتاريخ ٢٦-تشرين الثاني الاربعاء ١٩٥٢،

بالأضافة إلى تلفيق التهم والأساءة للمتظاهرين وقادتهم، محاولاً بذلك الفت من عضد الجماهير وتحجيم غضبها وعزلها عن قادتها، ولكن مسعاه قد باء بالفشل الذريع، زاد من تلاحم الجماهير مع قادتها والألتفاف حولها والتحمس لشعاراتها المرفوعة ضد السلطة، فقد انطلقت في ضحى نفس اليوم ٢٦ تشرين الثاني، تظاهرة من ساحة المشراق، باتجاه ساحة الميدان، وكانت تردد نفس الشعارات السابقة ومنها سقوط الخونة وعملاء الاستعمار، وقد تدخل الجيش لتفريق التظاهرة، وقد تفرقت بالفعل بسلام، مما يؤكد بأنّها لجس نبض السلطة ومناورتها.

في الساعة الرابعة والنصف عصر نفس اليوم أنطلقت تظاهرة من شارع ثانوية النجف وقد كانت مسلحة باتجاه ساحة الميدان، وتظاهرة أخرى من السوق الكبير ايضاً أتجاه ساحة الميدان، حيث أشتبك المتظاهرون الغاضبون مع قوات الجيش، وقد أعتلى بعض المتظاهرين على اسطح المنازل والبنيات، وقد أستمريت المناوشات المسلحة لأكثر من ساعة، مما أدى إلى اصابة جندي وستة افراد من المتظاهرين بجروح، وقد كانت تردد نفس الشعارات في المظاهرات السابقة.

نتيجة لخوف السلطة من أنفجار الوضع في النجف بما لايمكن السيطرة عليه، وخشية أنْ تثور ألوية ومدن أخرى

لمناصرة أهل النجف، اضطرت الحكومة على اللجوء إلى وساطة المراجع الدينين ممن يحظون بالسمعة الطيبة والأحترام بين أهالي النجف، فكانت وساطة العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، حيث أصدر فتوى متوازنة تدعو إلى الهدوء والسكينة من قبل المتظاهرين وتدعو السلطات إلى الاستجابة لمطالب الجماهير، ورفع الظلم والحيث الذي لحقهم والتخفيف عن كاهل الفقراء، والحد من تفاقم البطالة، لكنه دعا الجماهير إلى المطالبة بحقوقها بالطرق السلمية ونبد العنف، وبذلك فقد عاد الاستقرار وأن كان قلقاً إلى المدينة، وعودة الأهالي إلى ممارسة أعمالهم الاعتيادية، وفتح محلاتهم.

عاد (ابو مطشر) مغرداً وراء عربانته الفورميكا الجديده، مسطر على سطحها كاسات الفرفوري الملونة وبطالة الخل والليمون المرصوفة رصفاً جميلاً عل صدر العربانه، وأخذت شهرة لبلي (مظلوم) تزداد يوماً بعد يوم حيث أخذ يطعمها حسب نصيحة أستاذ منير بـ(الكسور) والدجاج ليكون طعامها أطيب وتكون بقايا الكسور والدجاجة وجبة عشاء دسمة له ولعائلته عند عودته للبيت ليلاً بعد أن تنفذ كمية (اللبلي) المعدة للبيع كل يوم.

كسب زبائن جدداً لشراء اللبلي يومياً من قبل بعض جلاس مقهى (عبد ننه) الذي كان لا يفوت يوماً الا وغرد أمامها

عارضاً لبليبه الشهى، فكان معه في غاية الكرم والأريحية، وكان أبو رضا يأمر له بشاي حال رأيته باب المقهى.

ولكن الذي حدث في فجر أحد الأيام وعلى حين غرة طوقت زمرة من الشرطة (مظلوم) وعربته وطردت المشتريين وطلبت منه أن يتنحى جانبا بعد تفتيشه تفتيشاً دقيقاً ثم فتحوا أبواب العربانه واخرجوا كل محتوياتها من اللبلي والبريمز والقدر والنفط والخل والملح والحامض، وثقبوا صفائحها الجانبية بحراب بنادقهم ومظلوم ينظر إليهم متألماً مستغرباً يكاد يفقد أعصابه ولا يعرف ماذا يفعل وبأي شيء متهم هو وعربانته وهل أصبح بيع (اللبلي) ممنوعاً وهو لا يعلم؟

ولكن أحد أفراد الشرطة همس في إذنه ابن عمي عدنه إخباريه اكو عبرانتك مناشير معاديه للحكومة هذا بعد أن عرف انه من ابناء عمومته (آل هلكان).

ولك خويه أني وين والمناشير وين شنهو أني أبيع لبلي يو اشتغل نچار، ظل شنهي السوتها المناشير وصارت تعادي الحكومة، انشالله باچرتطلع المساحي والچواکیچ والکراکه معاديه للحكومة.

ولك هاي شلون مصيبه وين ما تحطه (يمظلوم) سوده امصخمه.

هز ابو (إسماعيل) يده مستهزئاً ومستغرباً بسبب عدم فهم مظلوم لما أسر به له: (عرب وين طنבורه وين) (اليحجي

هندي وليسمعون أهل الچريبات)، ولك عمي يانجاره  
ياطياريه ياجواكيچ مناشير يعني ورق مكتوب بيه حچي موزين  
عله الحكومه افتهمت، من طاحظ اللوگي إلي جاب هذي  
الاخباريه البايخه.

- (محضر ضبط، تم تفتيش المشتبه به مظلوم وعربانته وجه  
وگفه ولم يتم العثور إلا على بریمز عدد واحد متروس نط  
وجدر لبلي حار وعشر مناچيس فرفوري وخمس بطاله خل  
وکیلو نومي حامض.

توقيع

العریف مزعل راضي

ريس المفرضه

توقيع

المشتبه بيه

مظلوم داينخ

أنقفل المحضر.

قرأ العریف المحضر على (مظلوم) طالباً توقيعہ على  
المحضر وإقراره بنتائج التفتيش والمواد المضبوطة في  
ألعربانه ولكن مظلوم رفض التوقيع قائلاً: جناب العریف أشو  
ما جبت ذكر للدجاجه الجانت بجدرالبلبي شنهو الدجاجه  
طارت يوما مشموله بإلقاء الغبض؟

إليه الدجاجة طارت صارتله جناحات وطار، ثم نادى على الشرطي (سعود) الذي يدعي أنه من عماد (مظلوم) گل لبن عمك شلون طارت الدجاجة!

- مظلوم (الحدرة والخنجر) صارن أجنحات وطيرن الدجاجة من المحضر وإلا كان كتب العريف انه ضبط في ألعربانه أسلحة جارحه وأسلحة راضه جارحت بيه (سبعه ماي)!

اسكت ابن عمي وقع وقع واسكت احسلك!  
تحركت سيارة الشرطة المسلحة، تشق طريقها بصعوبة وسط حشد الناس الذي أثار اهتمامهم طرافة منظر عربانة اللبلي في المسلحة وقدر اللبلي يرسل بخارا شهيا، ترجل العريف في باب مركز الشرطة أمراً شرطته بإنزال (مظلوم) وعربته وإدخالهما المركز، نفذ الشرطة الأمر بفضاضة مع (مظلوم) وبعناية كبيرة مع العريانة حرصا على اللبلي.

نعم سيدي المتهم حاضر، أمره المفوض بإدخاله عليه ادخل (مظلوم) على المفوض أنت (مظلوم داينخ)  
- نعم حضرة المفوض

أمره بوضع كيس نقوده على (الميز) الذي كان معلقاً في وسطه بواسطة الحزام الذي يشد ظهره، فعل (مظلوم) دون مقاومة، ثم أمر الشرطي بإدخاله النظارة.  
اقتيد إلى النظارة دفع داخلها دفعا من قبل الشرطي.

أستقبله الموقوفون باستغراب خصوصاً (القمرچي) الذي سبق وان تعارك معه خارج السجن، كما أثار فضولهم تجمع الشرطة بمن فيهم العريف حول قدر البلبي، أقتسموا البلبي فيما بينهم بعد عزل حصة السيد المفوض مع نصف الدجاجة لتكون مزة شهية لجناحه هذه الليلة.

كان (مظلوم) يراقب المشهد وقد ادلهمت سحته بسحابة الغضب والألم وهو يرى الشرطة قد اقتسموا البلبي وركلوا القدر بأحذيتهم،

لا يا مناعيل الولدين ولكم ياظلام النفس، هسه الجدر شعليه هم شوعي، فرهدتوا البلبي والخل والحامض والدجاجة، الجدر ليش تخسفونه، من ألف نعله عله بهاتكم، ولا بو ألسلطكم عليه.

قدم له أحد الموقوفين سيكارة غازي، أخذها وقد لفت نظره وجود القمرچي مع الموقوفين.

ولع سيكارتته، دافعاً دوامة كثيفة من الدخان من منخريه ملأت الغرفة، سائلا القمرچي.

ها ابن عمي شنهوانته هم توزع مناشير شوعي لو هم نصبتولكم على فقير مثل حالي باللگو.

والله تراهي مصييه الحكومة من صفحة وانتم السرسرية والنصابة من صفحة ثانيه وين أيولي الفكر يارب لعالمين؟ ودور طلبة الشوعي.

بادره أحد الموقوفين بالسؤال

- كلي خويه شسمك بالخير أبومن؟

- مظلوم أسمي مظلوم داينخ أبو (مطرش)

- والنعم والسبع تنعام عاشت الأسامي.

اگول خويه ما تگلي شنهو هاي الشوعيه أم المناشير

الجايينك بسببه للحبس.

والله ياعمي ومان الله مالي كل عرفه بهل المره لامن جريب

لا من بعيد، مالي كل عرف بيه، حتى ما سامع بسمه بت

الحلال هاي ولا شايف مناشيره.

أجاب أحد الموقوفين قائلاً بتهكم، عمي يگولون هاي علويه

جديدة وشارته باليد.

قال (مظلوم): عمي من چان هچي داخلين بخته نريده تاخذنه

حگنه من كل ظالم، ونشوف شارته بالتاهمينه وياه ظلم، بچاه

کلمن عنده چاه، ولكم عراض الوادم لعبه يا ماعدکم.

قال آخر لاعمي يگولون الشوعيه ما تعرف الله ولا رسول الله

والشوعيه شرابة عرگ والرگص، فرد عليه الأول: بويه لونه

مثل ما تگول ماچان الحکومه حرس الملاهيه وبيوت

القمريه والبارات وهل تشوف العرگ ينباع وين ما چان

وهذا هل عندك اليسمونه (مانينه) مو هل بيع العرگ من غير

مايعترضه أحد، بلا كت همه معاينه لأنه تريد أتساوي بين

الفقير والزنگين، وتنصر المظلوم عله الظالم، وهل التشوف  
اني وذاك صديجي هم ذبونه بالحبس بتهمة حب (الشوعيه).  
فقال أبو مطشر: عمي يمين عليّه إذا طلعت من الحبس سالم  
لو ديله بيرغ أو واهليه وچيس حنه.

ضحك الجميع بين مصدق وبين متهمك (عارف وخايف) كما  
يقولون مظلوم، مظلوم داينخ، هاي إلك أمانه من الهانم.  
اشرأب عنق (مظلوم) نحو باب الموقف مستغربا من نداء  
الشرطي والهانم؟

عمي ياهانم، ياطرگاعه ولكم آني ما عندي غير أم (مطشر)  
وهي ما تندل باب الحوش.

رد الشرطي قائلاً: ولك هاي أمانه إلك من الهانم (غنوده) من  
مرة الحججي (معيوف) وتسلم عليك تگول ليدير بال أبو  
مطشر.

أستلم عدد من الأكياس من الشرطي وكانت مليئة بأرغفة  
الخبز الحار والكباب والفواكه وسجائر الغازي واللوکس  
وشخاط أبو النجمه.

ولکم شنهو هل المصبيه هاي من چاب غنوده لهناء،  
وشمدریه بيه محبوس / يصير گال اله أخو أستاذ منير يو  
شدهان الگهوچي، يصير، لا لا بويه استغفر الله.

لکزه أحد الموقوفين (أبو مطشر) لا تظل تسولف ویه روحک  
رزق وچاک، أيین لیلیک امغزر بالهانم، ضحك الجميع فيما

فتح أبو (مطشر) الأكياس داعيا الكل للمشاركة في الأكل حتى (القمري) قائلاً مع نفسه "البات فات واليوم أحنه بالمصيبة سوه كلنه بالقلق، القمري والعربي) بعد وجبة الأكل الدسمة والفواكه الطازجة، وقوري الشاي الذي جلبه لهم الشرطي على حساب الهانم، وزع عليهم السكائر والشخاط، فتراكت سحب الدخان في سماء الغرفة وسط ثرثرة السجناء كل عن قضيته وسبب سجنه وتوقعاته عن مستقبله وماذا سيحل به، إلا هو فلا يعرف لماذا هو مسجون ومن هو المشتكي عليه وما هي تهمته، وضع رأسه على البلاط واخذ يدندن مع نفسه ببعض أبيات الابودية لينفس عن حاله ويبدد حزنه، فعم الصمت القاعة مصتة لصوته الشجي حتى أبكى اغلب الموقوفين، الذين تعلقوا به وطالبوه الاستمرار بالغناء، الصق الشرطي أذنه بباب الموقف لسماع الغناء وقد أغرورقت عيناه بالدموع! أحس بالتعب فأسلم نفسه للنوم وسط هذا الحشد من الموقوفين بين سارق أو قاتل أو مشتبه به واو. عند الصباح أقتادوهم لدورة المياه/ حسب الدور في ممارسة لم تكن تخطر على باله يوماً، بعد عودتهم للموقف. سمع شرطي ينادي: (أبو مطشر) عمي (أبو مطشر) (مظلوم داخ).

أستغرب من الأمر وخصوصاً لهجة الشرطي المحترمة  
والمؤدبة وعمي أبو مطشر، سبحان مغير الأحوال، مردداً مع  
نفسه "إيه ولك اچاك الموت (يمظلوم) والله هسه يودون  
چلدك للدباغ، ولو أهو مدبوغ من گاعه، مثل ما گال  
المفوض / ولك ياعمي يابو (مطشر) اليوم أتصير أبو مكسر"

وعله طاري (الدبغ) هذا الحيوان المسكين، نذبحه، ناكل  
لحمه، ونلبس صوفه أو شعره، وبعد ذلك يقوم (الدباغ) بدبغ  
جلده بمادة (الشوره) المحرقه وقبلها الملح الذي يأجج نار  
الألم بالجروح، كل هذا لتهيأة الجلد، ليصنع منه الانسان،  
حقائب، واحزمة، واحذية ندوس بها الأرض بلا رحمه، ومتى  
اهترأت رميت في المزابل، لا موبس هاي يسون منعده طبول  
لتدوي بمديحهم في افراحهم وأتراحهم، عيدان الطبالين  
ترداد قسوة مستلطفة صراخنا والمنا، متصورة عويلنا، هلاهل،  
وصيحات فرح!

ولك أحنه الفقره من عمال وفلاييح هذا هو مصيرنه عد  
الأقطاعيين وربعمهم أهل الفلوس والحكام، حتى جلودنه  
يصلخونه ويدبغونه.

أعاده إلى وعيه نداء الشرطي: هاي وينك عمي أبو مطشر مو  
السيد المفوض يريدك، هاولك جنه صدگ وهذا المفوض  
طلع سيد يجوز گرايب العلويه الشوعيه/ ونتخالي.  
إيه إيه صار صار جناب الشرطي.

خرج من باب الموقف متجها ناحية غرفة المفوض والشرطي يسير خلفه هذه المره وبدون لكزات أو وعيد وتهديد بصلخ الجلد.

استعد الشرطي عند باب المفوض، نعم سيدي هذا عمي أبو (مطشر) تفضل عمي تفضل أستريح.

ما إن اطل برأسه على غرفة المفوض حتى تفاجأ بـ(غنوده) جالسة بجانب المفوض كأنها عروس في ليلة دخلتها. ولكم شنهو هل المصيبه هاي أجابها أنها وشتريد من مصلوخ.

أستقبلته غنوده بأبتسامتها المعهودة، ها أبو (مطشر) سحولوك هذوله الظلام، شافوك فقير وما لك أحد، ما حصلوا غيرك يتهمونه خطوه أبراسك، والله والله لابهذلك أحوالهم.

قالت ذلك وهي تنظر للمفوض الذي لزم الصمت دون أن ينبس ببنت شفه،

نعم، نعم سيدي عدنه سيدي، أشتباه سيدي هاي إخباريه كاذبة من المخبر السري المتهم أسمه (مظلوم دايع مو مظلوم دايع)

التريده أيصير سيدي أعذرنه سيدي، التامر بيه أيصير أنذب المخبر بالسجن وعمي (مظلوم) يطلق سراحه فوراً.

ولك هاي طلعت حكومه مو غنوده ولكم هاي بهذلتهم  
اتبهذل ونعلت سلفه سلفاهم، دخيلج يعلويه شوعيه هاي  
انتي الوديته إليه.

وضع المفوض سماعة الهاتف وهو يتصبب عرقا، والتفت  
مخاطبا ومعاتبا (غنوده) هانم ليش توصليه للباشا، احنه فد  
يوم راديلج طلب.

قالت غنوده: مفوض (حردان) هسه تطلعون (مظلوم) من  
الحبس وترجعوله فلوسه وفلوس اللبلي والدجاجة والغدر  
المخسوف والمواعين المكسرة، يو والله والله وراس العباس  
أبو راس الحار أخلي كل واحد منكم تحت نجمه.

أمرج هانم أمرج، شتگولين أيصير ولا تزعلين انتي والباشا  
عليه، شرطي ردوا لبو (مطشر) كل غراضه وعربانته حطوه  
بالمسلحه ودوه كدامه لبيته، عمي أبو (مطشر) هاي بوسه من  
راسك، وهاي فلوسك وچيسك وفلوس اللبلي الكلناه  
وفلوس المواعين، وهاي من عندي جم دينار فوگه عن  
الحلال والحرام، وهسه أفضّل روح ويه الهانم مع ألف  
سلامه.

لا عمي لا فلوسك ردهن، أحنه ناس ناكل من چدنه وتعبنه،  
ردولي فلوسي وأبوك الله يرحمه.

خرج يسير خلف غنوده والمفوض الذي أوصلها إلى باب  
المركز حيث تجمع أهل (مظلوم) وجيرانه بانتظار مقابلته منذ

فجر اليوم، جالين له معهم الأكل الملابس والفواكه  
والسكاثر، مع أم (مطشر) و(مطشر) وأبو صبريه العربنجي،  
وعارف البايسكرليجي، وأبو فاطمه البقال وآخرين من نساء  
ورجال، تحملوا الكثير من الأهانات والكلمات البذيئة  
والطرد من الشرطة وهم يتوسلونهم لإرسال حاجياتهم لابو  
(مطشر) دون جدوى.

(أي بمظلوم هاي تاليتك تشفعلك مره عد الحكومه وتطلعك  
من السجن/ هاي ألردته بالولايه/ ولكم مو احنه اچينه دخاله  
على أبو ألفقره أبو الحسن والحسين، هيچي اتسون بينه/  
شردنه من حبس الملاليچ وقرايچ عبيدهم طحنه بحبوس  
الحكوميه وقرايچ شرطته، والله أنعل أبو هل الوكت الطايح  
حظه"

ثم يرد على تساؤلاته "ولك عمي تستحمد ربك وشكره،  
ولك يمكن بخت العلويه هتفلك غنوده وطلعتك من  
الطاموره"

أحتشد أهل المحلة بباب المركز مستبشرين بإطالة أبو  
(مطشر) وإطلاق سراحه من الحبس، لم ينتبه، حتى قطعت  
عليه غنوده استرساله بأفكاره حين أمسكته من كتفه قائلة: أبو  
مطشر هاك هل الچم دينار دبر بيهن حالك وعيالك / وهسه  
روح ويه ناسك وباچر امن الصبح أريدك تمر عليه الي وياك  
شغل مهم، الله وياك.

فتح لها السائق باب السيارة التي كانت تنتظرها في باب المركز، ودعها بأرتباك شديد وهو يلاحظ نظرات أم (مطشر) والجيران.

أستقبله الجيران بالأحضان مباركين له خروجه من السجن وخلاصه من التهمة الباطلة الخطيرة، وقد همس باذنه (عارف البايسكلجلي): إِنَّ أَبِي لَمِيعَهُ وَجَمَاعَتُهُ يَسْلَمُونَ عَلَيْكَ، ويعتذرون عن المجيء إلى المركز بسبب ظروف خاصة، وانشاء الله يشوفونك بغير وكت.

أكبوه مع أم (مطشر) و(مطشر) في ربل أبو (صبريه) ليأخذه الي دارهم، أما هم فقد استأجروا (ربلات) أخرى ولحقوه، ليكملوا معه بقية النهار وسط الفرح والزغاريد وتناول وجبات الطعام المعدة من قبل نساء المحلة للاحتفاء به.

بعد إن أنصرف الأصدقاء والجيران، أختلى بعائلته مهونا عليهم الأمر، وإنَّها ساعة ضيق وقد أتى من بعدها الفرح، ثم إنَّ ما حدث له لا يعادل أبسط ما تعرض له الأبطال الذين تصدوا لرصاص الشرطة بصدورهم، وهو يعيد إلى ذاكرته ما حدثه به ولده مطشر واسطه نوماس وصديقه (ابو لميعه) وساعد الله قلب الحاج (عبد ننه) الذي فقد ولده (حمودي) شهيداً في ميادين التظاهر، قضى يومه وليلته في داره، قرب أم مطشر وعزيزته سعوده، وولده مطشر الذي بدا اكبر من عمره بكثير.

نهض صباحاً وهو منتشياً بنوم مريح وليلة حب حميمية في أحضان حبيبته أم مطشر.

صباحها بقبلة حارة، ثم نهض محضراً الحمام، ليغتسل، من عرق السجن والغرام، تناول أفطاره مقتسماً البيض المقلي والشاي، مع ولده وابنته وحبيبته، مع خبز (البربر) الحار الذي أحضره لهم (مطشر) كعادته كل يوم.

وضع في يد زوجته قسماً من المال الذي حصل عليه من المفوض ومن غنوده لتسوق ما تحتاجه من طعام وما تحتاجه لها ولطفلتها.

أرتدى دشداشته البيضاء المعطرة بعطر صابونة اللوكس المودعة بين طياتها والتي لا تخرج الا ليغسل بها الخطار يديه، وضع (البشت) على كتفيه وخرج من الدار وهو بأبهى مظهر، سفكت الماء (حياة) خلفه من باب الدار، سلك طريقاً متعرجاً صوب بيت (غنوده)، بعد أن استطاع أن يقنع أم (مطشر) بصعوبة بعدم الذهاب معه للتشكر من (غنوده) بنت الحلال التي وقفت إلى جانبه وأخرجته من السجن، واعدادها مظلوم بأنه سيصطحبها لزيارة العلوية (شوعيه) ليوفيا بنذرهما جزاء إطلاق سراحه في وقت آخر بعد احضار نذرهما، وخلال طريقه لاحظ امورا غير اعتيادية في شوارع وأزقة المدينة، ووجود دوريات من الشرطة، وبعض مفارزهم في بعض الساحات ومفارق الطرق، والناس تتحدث حول

فتوى الشيخ كاشف الغطاء، والتي كانت تزداد من على مكبرات الصوت من الصحن الحيدري الشريف.  
طرق باب (غنوده) فاتاه صوتها غنجاً وهي تفتح الباب:  
أفضل عيني أفضل (شيع) من رحت فدوه لهل الطول  
الحلو.

وقف متردداً، يبدو أنها على موعد مع شخص آخر أسمه  
(شيع) وان دخوله كان خطأً، وقفها (غنوده) عيني يمكن أني  
جاي بالغلط، أنه موشيع، أنه (مظلوم) حاول أن يستدير  
ليعود أدراجة، ولكنها أمسكت من ذراعه بقوة، رمت بجسدها  
البض عليه، جسدها الذي كان يشع دفئاً وبنث عطراً، لثمته  
برشقة من القبل الحرى لك عيني أنه محتاجه كشمس حتى  
أسوي مطبك باكله هههه، أرتخت مفاصله وأصابه الخدر،  
لك عيني هاي شبيك انت مزاجك حامي، هاي غلطة لسان/  
انت شكد غيار، فوت يمعود دفوت، دفعته أمامها وهي مبهورة  
بحسن قوامه وجمال هندامه وفتوته الطاغية.

جلسا في غرفة الاستقبال الفاراهة وثيرة الفراش والرياش،  
المزينة بالثريات الكريستال التي لم يشهد مظلوم مثلها إلا في  
أضرحة الأولياء.

أجلسته خلف منضدة معدة مسبقاً، تغط بأنواع الفواكه وأنواع  
الكرزات وقناني الويسكي الانكليزي الفاخر، ومكعبات الثلج  
ووووو.

نزع (أبو مطشر) بثته وعقاله ويشماغه، مطيلاً النظر فيما حوله وأمامه، خرجت غنوده من غرفة نومها بأكمل زينتها لا يسترها إلا (اتك) من الحرير الشفاف تعاركه مكوراتها المتفجرة شهوة من الأمام والخلف ومن الجوانب، وصدر كيباض الحليب ونعومة الحرير، عطر فواح، شعر ذهبي يشاكس وركيها، ملأت كأسين بالزبيب الأنكليزي كما تقول، تتراقص فيه مكعبات الثلج، جلست في حضن (مظلوم) سقته بيدها ودعته ليرويها بالكأس الثاني، لم يرفعا أيديهما حتى افرغا الكاسين في جوفيهما، ارتشف مزته من شفيتها المكتنزتين، تأججت الرغبة، وحلاوة العناق، أحس بما يشبه التيار الكهربائي يسري في جسده من ملازمة راس نهديها النافرين لصدره الذي فكت أزراره غنوده، انتصب شرع زورقه بفعل الحرارة الفوارة تزيده ناراً اشتعالاً تأوهاتا وحركتها الرحوية الطاحنة في حضنه، توالى الكؤوس والسكائر الروثمان وحببات الفستق والقبل الماصة الراصة، حتى كادت أن تحطم الأنهار سدودها والبحيرات ضفافها، أضطجعا على سجاد ارتفعت الاشرعة البيضاء فاتحة ينايع الرغبة، فكان التحاماً عاصفاً، اغلقت كل الفتحات قطعت كل الاتصالات بالعالم الخارجي، فار تنور الشهوة تدرجت الأقداح، صاحت الديكة، طارت الطيور، أقتلعت السدود، زمجرت الرعود/ أمطرت السماء، حين بلغ المد منتهاه، أغرق

الزبد سدود الجسد، هدأت العاصفة وتراخت المجاديف  
وأنزلت الأشرعة، نهضت حورية البحر وعيونها لازالت  
تومض بالرغبة والشبق العارم، أطبقت شفيتها على شفتيه،  
وهي ترتجف مكلفة إياه بغابة شعرها المعطر مفجراً براكين  
الرغبة.

- ولك عيني (اشياع) ما أشبع منك، ما اشبع ما اشبع  
أنتفض كالملدوغ، أنقلبت غنوده على قفاها، تدرجت  
الكؤوس وتناثرت حبات الفستق والفواكه وكريات الثلج على  
طول وعرض الغرفة، ذهب الخدر عادت صحوته وانتباهه  
استقامة قامته حال سماعه لكلمة شياع، هم بلبس ملابسه  
وهو يرتجف غضبا، حاول أن يصفعها لولا إن أمسكت  
بذراعه بكل قوتها وأمطرته بوابل من القبل، ودغدغت مواطن  
ضعفه، حاصرت منخفضاته بمرتفعاتها اللدنة، فاح العطر من  
ثناياها.

- لك عيني هاي شبيك، هي حچايه وطفرت عله لسانني.  
اسمعي (غنوده) آني بعد ما اكعد ولا دقيقه وحده إلا ما  
اعرف شنهو سالففتح وبه (شياع) وشنهو علاقتج وياه.  
زين عيني زين / ناولته كأسا مترعاً، أفرغها في جوفه مرة  
واحدة عسى أن تطفأ نيران غضبه وغيرته الطافحة.  
أرثت له سيكارة ولها الأخرى ثم أخذت تقص عليه حكاية  
شياع: "أنا غنوده غجرية الأصل ولا تربطني بمعيوف أية

رابطة، لم أكن اهتم إلا بالرقص والغناء والتنقل بين أحضان الرجال، طلبا للمال، وهذا هو حال كل العجّر، كأننا آلات لا نعرف الحب ولا الغرام ولا كرامة للجسد الذي هو بضاعتنا الرئيسية، وكذلك كان حالي إلى أن جاء (للفريج) شاب عليه علامات العز والترف والثقافة وجمال المظهر، كان صوته شجيا وغناؤه معبرا، مشبع بالإنسانية والصدق والجرأة، يعامل الكل بلطافة وحلاوة واحترام، لم يستجدي عطف احد، ولم يكن مبتذلا رخيص المشاعر كغيره من زبائننا/ كنا نسمع منه كلاما لم نسمعه من أحد قبله، في معنى الحب والحياة، الحرية والأنعتاق، تحرر الروح والجسد من عبودية المال، وبمرور الأيام غزى قلبي وهيمن على كل مشاعري فلم اعد استأنس حديث ولا مجلسا أحداً غيره، ولا احضر حفلات الرقص والغناء إلا بحضوره، لم أسأله منه هو ولا من أين أتى ولا عن سبب مجيئه للفريج، وماذا كان يكتب ويرسم، أحسه كالعطر أخشا أن يتبخر ويتطاير حال فتح غطاء قنينته، أصبحت أسكر بصوته وجمال روحه ومظهره، صار محط أنظار كل العجريات وحتى الوافدات المؤقتات، قبل ظهوره في حياتي كنت محظية إقطاعي كبير وشيخ عشيرة مشهور يدعى الشيخ (عربيد) الذي اخذ يتضايق ويغار كثيرا من (شيع) بعد أن عجز عن منعي من مجالسته رغم ما بذل من مال وهدايا ثمينة.

أستحوذ (شيع) على قلوب أغلب غجر الفريج من النساء والرجال، وذات ليلة مشئومة بلغ بعربيد السكر والغيرة والغضب مداه لأنني لم استجب لدعوته ولم احضر مجلسه، فما كان منه إلا أن يصوب نيران مسدسه الي راس (شيع) مفرغا شاجوراً كاملاً برأسه، فتناثرت عظام جمجمته في الخيمة.، مما جن جنوني فهجمت عليه في الحال وبصقت في وجهه وأسقطت عقاله، مع وابل من السب والشتم، كدت أطبق على رقبته وخنقه لولا تدخل حمايته من العبيد الذين أوجعوني ضرباً وخلصوه من يدي، كاد أن يقتلني لو لم يكن شاجور مسدسه فارغا من العتاد، وتدخل عائلتي وتوسلاتهم بالشيخ وحاشيته للعفو عني، حضرت الشرطة للفريج أجروا تحقيقاً شكلياً وأخبروا الشيخ إنَّ (شيع) سياسي خطير هارب من أحد السجون، وهو لم يزل مطلوباً للحكومة،

أستغل (عربيد) هذه الخبرية وشهد له الشهود من عبيده، بأنَّه كشف أمره وأراد أن يسلمه للسلطات ولكنه حاول قتله مما أجبره للدفاع عن نفسه وقتله، سجل لأمر دفاعاً عن النفس.

بعد الذي حصل لم تفارقني صورة (شيع) فعزفت عن الرقص والغناء وأهملت نفسي، بلغ مني القرف حداً لم أعد أطيع (الفريج) فقررت الهرب للمدينة، فذهبت لمتجر (معيوف) الذي كان يتردد علينا ويتودد لي ويقدم العروض المغربية لمرافقته للمدينة دون جدوى، لم يصدق معيوف

نفسه حين أخبرته باني قد قررت أن أعيش معه وهجرت (الفريج) نهائياً، فأصبحت محضيته لأكثر من ستين مضت، احبي حفلاته وسهراته مع كبار المسؤولين والتجار الذين يظهرون في الليل ويتوارون في النهار، الباشا، المدير العام، والوجيه، والمرجع ووو أفندية ولباس عربي وعمائم وكشايد ووو، أذلاء تتحكم بهم غرائزهم، متهتكين شواذ خلاف ما يتظاهرون به من الرفعة والعفة والوقار خلال النهار، حتى أحياناً يرافقهم (صبيان) يسمونهم (فروخ) صغار السن، يرقصون، ومن ثم يمارسون معهم الجنس على فراشي ودون حياء،

هذه حكايتي مع شياع يا (أبو مطشر) إما علاقته بك فمنذ إن شاهدتك لأول مرة خلف العريانة وسمعت صوتك ن أعدتني الي صورة (شياع) سبحان الخالق الصانع، الطول الشكل الصوت الشارب، الفتوة.

لا كن تريد الصدغ، شياع كان حقيه مدري منين يجيب السوالف، يگولون هذوله ناس مرفوع عنهم الحجاب يقرون الماضي والحاضر والمستقبل، دار راسي خلاني أشوف الدنيه بغير شكل، صرت ما راضيه على عيشتي).

كانت (غنوده) تتحدث والدموع المشبعة بالكحل تسيل مدراراً، السيکاره لا تفارق فمها، كان هو ينصت بانتباه شديد لما تروييه له من قصة حب مؤلمة وحزينة لا يستطيع أن

يفهمها إلا من عاش نار الحب وألم الفراق، هدأت أعصابه  
وشعر بالتعاطف مع (غنوده) معجبا بوفائها لحبيبها المغدور،  
مسح دموعها براحته واضعاً رأسها في حضنه متحسناً  
أنفاسها وضربات قلبها الصادقة.

عمل لها وله كاسين من (الزيب) قبلها وسقاها بيده، عادت  
نيران الحب تدب في جسديهما، تدانت الأعضاء ورميت  
الكؤوس، تداخل الجسدان، غابا عن الوعي بفعل نيران  
الهوى، فاضت ينابيع الرغبة، نهضت غنوده وهي ممتلئة  
بالنشوة ورائحة الشبق الفياض.

عيني أبو (مطشر) خليفه هسه نتغده، وآني محضرتلك شلون  
سمچه تلوك لهل الحلگ.

انتقلوا لغرفة الطعام، كانت السفرة تغط بأنواع المأكولات  
والعصائر والمقبلات وسمك القطان المحشي من العيار  
الثقيل، اقبلا على الأكل بشهية كبيرة مصحوباً بكؤوس من  
الويسكي الفاخر المخفف بعصائر البرتقال والرمان والتفاح.

"ولك شنهو هل النعمة ي (بمظلوم) ولك انتة أبو زريده ما  
شبعان، ومن التمر الزاهدي، مو گطان أبو حگه، وهذا هذا  
الشربت الينغمش الروح ويفتح العيون ويطرد المستحه،  
ولكم وين انه بچنه؟"

حوريه وطعام ملوك وفواكه ما بعد عايزه غير الفروخ  
المخلدين وآني ما أحب الفروخ برد حيلهم.

تلاحظ غنوده شروده وأندهاشه مما هو فيه فتعيده إليها بقبلة  
ومداعبة.

- هاي وين عيني، وين رحت أبو (مطشر) نحن هنا، ما أريدك  
تروح الي أي مكان وافته يمي، حبيبي أموت عليك.  
ما إن أكملوا غذائهم وشربوا أقداح الشاي المهيل، وتبادل  
سكائر الروثمان المذهب "ولك هاي مو جگاير هاي دهن  
حر، ولك مظلوم وين لاجيه أبو المزين"

سحبته غنوده إليها، دخلا الحمام الذي لم يحلم بمثله  
(مظلوم) أنواع الصوابين والشامبوات والعطور، دلكته  
ودلكها. تبادلا نوبات من الحب، تفتحت صناير الرغبة،  
كصناير الماء الدافق من حنفيات الحمام المزين بالصور  
الداعرة والمرايا وووو.

رمت إليه بأنواع من المناشف المعطرة لم ترها عيونه ولا  
حلمت بها نفسه. ولك شنهو آني بحلم بعلم ولكم شنهو  
هاي الوادم وين احنه وين؟

أعاد إليه الحمام توازنه، متذكرا أنه يجب أن يذهب للقاء  
الأسطه (نوماس) النجار شقيق أستاذ منير، أرتدى ملابسه  
على عجل، وضع في كل جيب من جيوبه علبة سكائر،  
معتذرا لغنوده لعدم قدرته على العمل حدقجي أو مسوگجي  
عندهم كما اقترحت عليه غنوده، استأذنها ودعته بسيل من  
القبل، على أن لا يكون اللقاء الأخير.

توجه نحو محل نجاريه (نوماس) وجده على وشك غلق  
المحل والتوجه لداره، تتدلى مسبحة الحمراء الملتفة على  
ساعده الأيمن، وهو يمسد شاربيه الكثرين، رحب به كثيراً،  
مباركاً له سلامته وتمتعه بحريته، داعياً إياه الذهاب معه  
للبيت، فوافق على الطلب.

أي والله لا باس لأن أني عندي حچي هوای أريد اسولفه  
لك.

أهلاً وسهلاً أبو (مطشر) وأنی مشتاق جداً لشوفتك  
ولسوالفك وأبوزياتك الحلوه.

بعد أن قدم له مراسيم الضيافة الماء البارد والشاي.  
أخرج مظلوم علبة سجائر (الروثمان) وقدم لنوماس واحدة  
ووضع الثانية في فمه، فالتفت إليه نوماس.  
ها أبو (مطشر) أمورك صايره بالعالي مثل ما نگول صاير  
(برجوازي) تدخن روثمان.

- أي والله أسطه نوماس عمي هاي (الجوازيه) تخبل، عمي  
هاي سلطنه اشمواچیل؟ اشمشاریب؟ اشروایح، اشجکایر؟  
عمي خليه سكته ينوماس، خويه نگول مو غنوده، لابويه  
سلطانه.

بالعافيه عليك عسانه بختك، كون كل الينحبس هچي يسووله  
چان الوادم كله راحت للحبس.

ضحك الأثنان وتبادلا الأحاديث الحميمة دون تكلف.

نعم أبو (مطشر) گلت عندك سوائف تفضل.  
ثبت مجلسه على بساط الغرفة، ولع سيكارة ثانية واضعاً علبة  
الروثمان أمام الأُسطة ثم قال: لا والله أُسطه، بس ردت أطمَن  
على وضع (مطشر) هم وراه شي من الشرطه يو غيره،  
ومدرسته يكدر يداوم بيه يو لا؟

عيني من ناحية (مطشر) اطمأن هو محد يعرفه، وأشترأكه  
بالمظاهرات مرت بسلام، ودوامه بالمدرسه عادي، وشغله  
يمي هم عادي، الجماعه ما خذين أحتياطاتهم حتى لا تتعرف  
الشرطه والشرطه السريه عله كل المتظاهرين، وهسه الأمور  
بعد فتوى الشيخ كاشف الغطاء، وأقدام الحكومة على تلبية  
بعض مطالب الشعب، فالوضع هاديء وقد عادت الحياة إلى  
مجرأها.

رحم الله والديك أُسطه والله هسا بردت كلي، وانشأ الله باجر  
أطلع العربانه، وتَسبب عله باب الله، أودعناكم.  
ودعه أُسطه نوماس متمنيا له السلامة.

عاد (مظلوم) إلى بيته مرتاح البال، اكمل أحتياجات (العربانه)  
حملها (قدر اللبلي) فجر اليوم التالي، راصفاً في مقدمتها  
وجوانبها قناني الحامض والخل، وكاسات الفرفوري الصغيرة  
النظيفة البراقه، ماسحاً ظهرها بقطعة من القماش وكأنه  
يتحسس ظهر حبيبته كيف لا وهي (ام العيشه).

تدحرجت أمامه رشيقة الحركة كالحبيبة المشتاقة للقاء احبتها  
بعد فراق مؤلم، يصطبج بالخير هو جيرانه ومعارفه من  
العمال والكسبة من الرجال والنساء والصبية الصغار  
الخارجين للعمل كما هي عادتهم فجر كل يوم، الذين  
اسبشروا خيرا بعودة جارههم الطيب للعمل، واستعدادهم  
للمساعدة والمعاونة في كل أمر وطلب.

- ممنون منكم عيوني أنتم أحزام ظهري والله، يابعد عيوني  
عيونكم، الله يخليكم ويرزقكم ويطيكم العافية والحيل.

يسير في طريقه قدما وهو يدندن مع نفسه على صوت قناني  
الليمون، المرتطمة ببعضها وفق أهتزاز جسد العربة  
وتعرجات الطريق، مخاطبا (العربانه): والله أنت أشرف  
راكوصه بهل الدنيه، تركصين حتى تفرحين الزغار والكبار  
وتجبيين الرزق الحلال، من فدوه أروح لتايراتج الحلوه.

متخيلا أطرارات العربيه وكأنها تطبع قبلها الحميمة على جبين  
الأرض، شاكرة لها فضل حملها لتلتقي أحبتها، هكذا كان  
يتأمل عربته مستذكرا مهرته الجميلة التي كانت تحمله صوب  
الأرض، ومربع الرعي والصيد، لا يقطع خيالاته وتاملاته  
سوى صوت أحد أصحاب البسطيات أو المحلات طالبا منه  
كاسة لبلي، وهو في طريقه ليستقر أمام باب إحدى  
المدارس، أو بالقرب من سوق الخضرة، وفضوة الحويش  
والمشراق، ومساءً قريبا من مقهى (عبد ننه) ليحظى بحب

ورعاية وصداقة الحاج (ابو رضا) الذي ما إن يراه حتى يرسل شايا سنكينا، وتحية وسلام، ناهيك عن محبة رضا وتفقدته له، ودعوة كل أصدقائه ورواد المقهى بتذوق لبليبي (ابو مطشر) الطيب، مما جعله صديقاً لزبائنه من الاطباء والمحامين والمعلمين والتجار ووجهاء وكسبة ومثقفي النجف، ان حضر رحبوا به وان غاب افتقدوه، وقد كان فرحاً جداً عند تعرفه بالشاعر المعروف (عبد الحسين أبو شبع) الذي اصبح من معاميله واصدقائه المقربين بعد ان عرف بولعه الكبير بالشعر الشعبي، وحفظه للكثير من ابوذيات ودارميات ابو علي - فقد وقف عنده أبو علي يوماً لتناول كاسة لبليبي فرحب به كثرًا وقد ترنم بيت من الأبوزية بحضوره:

هله بالجايلىنه لبليينه

هليينه ومرحبيينه ولبليينه

اله ماعون ياكل لبليينه

ابو علي كلك حكمه وأريحيه

فأستأنسه ابو علي كثيراً وظل يتردد اليه بصورة مستمرة منشداً له المزيد من القصائد بمختلف المناسبات.

رغم ذلك كان يحزنه كثيراً افتقاده صديقه، العزيز أستاذ (منير) الذي توارى عن الأنظار ما بعد التظاهرات العارمة في النجف، كان يرسل له التحيات والسلام عن طريق النجار (ابو ماهر) الذي لا يمر مساءً إلا ويركن عربته قرب محله ويزوده

بحصته اليومية من اللبلي، رافضاً أن يأخذ منه ثمنها، تقديرًا لجهوده في نجارة العربى ورعايته لولده، متقبلاً من سىكاره وقده من الشاي، مع دردشة حول وضع الناس وتطورات الأحداث وما يجرى فى البلد، والاستماع إلى الرادىو هذا الناطق العجيب الملم بكل اأخبار العالم، والذى يشنف أسماعهم أحياناً بأغنية.

جميلة لمسعود العمارتلى أو صديقة الملاية أو حسن خويكه وناظم الغزالى وقد ظل الرادىو حلم وأمنية مظلوم المكبوتة، وغالباً ما يكون نوماس محطته الاآخرة قبل عودته لداره.

أصبحت دار ابى مطشر محطة لأبناء قريته من النساء والرجال، عند قدومهم للمدينة سواءً اثناء مواسم الزيارة، أو التسوق أو مراجعة الأطباء أو عند دفن أحد الموتى من أهالى القرية، وكان اغلب هؤلاء لا يشكل عبئاً على مظلوم أو عائلته اذ يجلبون معهم التمن، والطحين، والدجاج، واللبن والزبد والخضرة بما تجود به أرضهم وحيواناتهم من خيرات وثمار، خصوصاً وقد أآتذبتهم طيبة أم مطشر ومطشر ناهيك عن (مظلوم) وحنوه على الجميع ومداراتهم والعناية بهم دون أى تذمر.

مرضى أبناء قريته فتحوا له الباب لمعرفة نبع من الأنسانية والمحبة الكبيرة ورفعته السلوك من قبل الاطباء والطبيبات المعالجين للمرضى والمريضات عند مراجعتهم فى عياداتهم

أو في المستشفى، فقد كان الدكتور (عبد الأمير السكافي) لا يتقاضى من فقراهم أجره الفحص، بالإضافة إلى تحمله كلفة الوصفة الطبية، وهكذا كان سلوك الدكتور (رضا عجينة) وزوجته الدكتورة (فضيلة محمد بشقة) والدكتور (خليل جميل الجواد) مما ترك انعكاساً طيباً أذهل هؤلاء الفقراء من الفلاحين والرعاة لهذا التعامل الأنساني النبيل والمحبة والأحترام وسعة الصدر في التعامل معهم على الضد مما يلاقونه من إذلال وأستهزاء وتعالى من العديد من عناصر الجهلة، من أصحاب المحلات والسواق، وبعض التجار وحتى من بعض خدمة الروضة الحيدرية، حيث يلقبونهم ب (المعدان) الذين لا يستحقون غير الأستهزاء وعمليات النصب والأحتيال، وكثيراً ما يعملون لهم المقابل ليكونوا محل ضحك وأستهزاء مقرف يدل على العدوانية والسادية الغير مبررة، مما يجعلهم يحملون الكراهية وعدم الحب لأهل الولاية.

(مظلوم) يراقب نمو ونضوج ولده الوحيد، وأبنته الجميلة (سعوده) يرى مطشر يكبر يوماً بعد يوم، أصبح له العديد من الأصدقاء والزملاء، واضح أنه متميز بينهم، لاحظ تكرار حضورهم اليه للبيت، يتسامرون، يتحدثون، وأم مطشر فرحة بهم وبولدها العزيز ورفاقه، فرحة بمرحهم وشبابهم، وأجتياز مطشر للمرحلة المتوسطة بالنجاح بتفوق، بالإضافة إلى عمله

وتقدمه في تعلم مهنة النجارة بشهادة العم (نوماس) وان كانت احياناً تتوجس من كثرة مطالعته سواءً اثناء الدراسة أو اثناء العطلة، وهي لا تفقه ماذا يقرأ، وان كانت تفرح وهي ترى عناق المنجل والمطرقة في بعض الكتب أو الكراريس التي يحرص على أخفائها مطشر، ولكنها تجدها حين تقوم بتنظيف وتنظيم وترتيب غرفته أثناء غيابه.

تمر الأيام والأشهر و(ابو مطشر) مستمرا بعمله الذي أكسبه مزيداً من الأطلاع على شوارع ودرايين المدينة ومحلاتها، تجارها، مثقفها، مساطر عمالها، مقاهيها، ومدارسها، بحيث أصبح معروفاً من اغلب أهل النجف صغاراً وكباراً، توطدت علاقات الصداقة والمحبة مع الصغار والكبار، وخصوصاً طلاب المدارس وأصحاب المحلات، وأصحاب الأكلات الشعبية في مختلف المناطق، كان يقف طويلاً قرب بائع (الحريرة) في شارع الرسول، الإنسان الطيب الإيراني، وهو يجلس قرب (جدرية) الحريرة الطيبة المهيلة، وكاساته الحلوة وابتسامته الرائعة، ونظافته المميزة، وأبو الكاهي وابو الفشافيش، وابو الهريسة والآش الصباحية وخصوصاً في الشتاء، يتبادل الكاسات بينه وبين بائع الشوندر، والشلغم، والباقلأ احياناً واحدة بواحدة، كان الجميع يفتح مع (ابو مطشر) في الحديث العام والخاص، والاستماع إلى ابو ذياته الممتعة.

ولكن مايشير أستغرابه وأستغراقه في الضحك أحياناً ما يفعله (غماس) هذا القروي الذي يرتدي الكوفية والعقال على سترة وصايه مهلهلة فهذا الرجل يحمل كرها غير مفهوم للمعلمات، ويحذر الناس من كيدهن، كما أنه يهمس بأذن من يلاصقه دون غرف مسبق ليهمس بأذنه (شوف تراه بس أنه وياك أشراف وهاي باقي الناس كله سرسرية)!

كان يسمع الكثير من الأخبار من أسطه نوماس، وقد لاحظ انفراج أسارير صديقه وهمته في العمل بعد إن أنهت أحداث ١٩٥٢ ما انتهت اليه، وقد حققت الجماهير العديد من المكاسب على نطاق العراق، ولكنه لاحظ تجهم وحزن صديقه في احد أيام شهر حزيران ١٩٥٣، وقد كان على غير عادته، بالإضافة إلى ما لاحظته على سلوك ولده، وصديقه (ابو لميعه) وغيرهم من المعارف والأصدقاء، فسأل أسطه نوماس عن الامر وما به.

ابو ماهر اشو اشوفك مو عله بعضك، مهموم، وحزين وگلبي يکول چن صاير شهي ماتگلي شنهو القضية؟  
والله خويه اشکلك مصيبه وجريمه جديدة أرتکبته الحكومة بحق السجناء الأحرار في سجن بغداد المركزي، وراح ضحيتها ثمانية شهداء وجرح حوالي (٨٠) سجيناً.  
فما تکللي شلون واحد ما يضيح خلگه وينقهر وينتقم من هذه الحكومة الظالمة.

والله يا خويه هذا ظلم ما كو مثله ظلم، الله ينتقم منهم هل  
المناعيل الوالدين، بيش ايطلبون هل الوادم الاجاويد  
المايرضون بالموزينه.

ناول أسطه نوماس سيكارة لف من علبته المعدنية، ووضع  
الثانية في فمه، أرث أسطه نوماس السيكرتين، بعد أن نفث  
دوامة من الدخان، قال لأبي مطشر.

دم الشهداء ما يروح هدر، ولا بد للعراقيين من محاسبة هؤلاء  
القتلة والمجرمين والخونه، وانشاء الله وشاء الشعب هذا  
اليوم ما راح يكون بعيد.

والله يا خويه أبنا دم خالص صبره وهو يسمع بهاي المصايب  
المايرضه بيه لا الله ولا عباده.

وقد لاحظ أبو مطشر وضعاً غير طبيعي في اليوم التالي للقاءه  
أسطه نوماس، حيث انطلقت مظاهرة غاضبة من ساحة  
الميدان متوجهة صوب الصحن الحيدري، وهي تهتف بحياة  
الشهداء وتطالب بمحاكمة المجرمين القتلة، والذي سرعان  
ما حضرت قوة من الشرطة لتفريق التظاهرة، التي توارى  
أفرادها بشكل سحري، مما فوت الفرصة على الشرطة لقاء  
القبض على أحد في المكان، ولكن أبو مطشر علم من  
الأسطه أنهم أعتقلوا عدداً من الوجوه السياسية المعروفة في  
المدينة فيما بعد، وقد تكررت الاخبار المحزنة في شهر آب  
من نفس العام حيث اقدمت السلطات القمعية على ارتكاب

مجزرة في سجن الكوت وأردفتها بأخرى في شهر ايلول من نفس العام مما أثار الغضب الجماهيري في كل انحاء العراق. وقد أدى الأمر إلى استقالة وزارة حكومة جميل المدفعي بسبب هاتين المجزرتين الكبيرتين، وتشكلت وزارة فاضل الجمالي بعدها في ١٧-٩-١٩٥٣. كان (ابو مطشر) يتابع الاخبار من خلال صديقه (ابو لميعه) و(ابو ماهر) ومن أبنه (مطشر) الذي كان يجلب معه بعض الصحف إلى البيت ويقرأ لوالده ووالدته ما مكتوب فيها من أخبار.

وقد أخبر مطشر والده أنّ الحكومة الجديدة، تحاول استرضاء الناس ببعض الإجراءات والتخفيف من ملاحقة الوطنين وأنصارهم، وسمحت بصدور بعض الصحف الوطنية، وقد تم عقد مؤتمر لأنصار السلام، وقدم أستقالة حكومة الجمالي وتشكلت حكومة جديدة في ٨-٣-١٩٥٤، وعملت على اجراء الانتخابات من الأحزاب الوطنية، وقد سمع الأخبار من راديو أسطه نوماس، والجرائد المقروءة من قبل ولده، والذي بدا متحمساً لهذه الانتخابات، التي رشح فيها الشيخ الخطيب محمد الشيببي، والدكتور خليل جميل، والمحامي محمد رضا السيد سلمان، وهي الاسماء الذي يؤيدها نوماس وابو لميعه وولده مطشر، ولاشك إنّ أبو مطشر يعرفهم جميعا وكان يحبهم ويحترمهم وخصوصا الدكتور خليل جميل الذي عالج الكثير من المرضى الفقراء مجاناً، وفي

المقابل رشحت السلطة عددا من أنصار نوري السعيد ممثلة بـ(عطيه السيد سلمان) وآخرين ممثلين لجماعة صالح جبر، وقد ألتف حولهم (معيوف) وجماعته، من مشايخ واثرياء ومتنفذي السلطة في المدينة، وقد سمع مظلوم اسمائهم مرة من خلال هتافا للمتظاهرين يقول (نوري السعيد القنדרه وصالح جبر قيطانه) والذي قلبه غيرهم إلى الضد عند قدوم الشرطة وبسرعة عجيبة إلى (نوري السعيد شدة ورد وصالح جبر ريحانه)!

والله يعمي انتم ما أعرف شنهو من وادم، شلون عدكم قابليه تتلونون بهل السرعة.

وقد كان يسأل أبو مطشر أصدقائه: يابه آنيي ما عرف بس اگول معقوله هذوله راح يسون انتخابات من صدگ ويخلون الناس الاشراف والاجاويد يصيرون حكومه، وهمه طايحيلهم شلق وقتل واعدام، بالشوارع والحبوس؟

يصير هذوله مو من جماعة هذولاك، والله يابه انه ما اصدجهم، لكن لخاطر عيونكم وعيون الطيبين، وعيون دختور خليل، ولايهون الشيخ، اني وياكم، عمي أهوس أقره أبو ذيه، أوزع لبلبي ابلاش، هچي وصدگ ايصير الدختور نايب، هو والشيخ وصديجهم السيد، والله يعمي يدللون الوادم دلال، والخير يعم بلولايه وبالريف، والفقره يعيشون بخير وأمان.

بويه تگول انشالله، ليش انتہ مطاير وما مصدج؟  
بويه مطشر هاي الوادم ما تعرف الله وما تحب عبدالله، هاي  
الوادم تريد حكم وفلوس واملاك، همه وربعمهم الملاييج،  
واهل الربه، والعشره اربعطش. رغم هذا نگول ايصير خير  
ونتوكل عله الله.

أخذت تظهر في المدينة في الشوارع والساحات وعلى  
واجهات البنايات والمنازل، العديد من اللافتات، والصور،  
والشعارات المختلفة، كان (سيدكاظم) المتخلف عقليا  
والذي يجوب المدينة وشوارعها وهو يحمل العديد من  
الصور وصفحات من الصحف والمجلات المختلفة، مثبتة  
على لوحة خشبية يحملها على كتفه أينما يذهب كأنه أحد  
مروجي أفلام السينما قريب العرض في أحد الدور  
السينمائية، الصق البعض عليه بعضا من صور المرشحين  
لمناكدة الخصم والاستهزاء به، هذا يلصق صورة أو شعار،  
وذاك يقلع ويمزق آخر و(سيدكاظم) حاملا لوحته ويدر في  
الشوارع والساحات وكأن الامر لا يهمه.

تعقد في الكثير من مناطق المدينة خطب ومهرجانات تدعو  
إلى انتخاب مرشحها، كان (مظلوم) يستبشر وهو يرى صور  
الشيخ الشيببي وصور خليل جميل، ومن معهم، في حين  
يشعر بالأشمزاز وهو يرى صور عدد من الأقطاعيين  
والأثرياء من التجار من أنصار نوري السعيد وصالح جبر،

كان يدعو زبائنه إلى أنتخاب الشيخ الموقر والدكتور الشريف، والسيد المحامي، يدعوهم بالأشراف، ومناصري الفقراء من الفلاحين والعمال والكسبه، فشعاراتهم كما يقرأها له ولده ويكلمه عنها أبو لميعه، تدعو لتوفير العمل والخبز والحريه، وانصاف الفقراء، وأطلاق سراح السجناء المظلومين ووو

عمي هذوله صدگ خيرة الوادم، شوف شلون هذا السيد كاظم القزويني (ابو ضياء) ومرته ام ضياء شلون يشتغلون ليل ونهار حتى ينصرون الشيخ ابن كاشف الغطه وربعه، عمي شوف هاي الآلاف من الوادم تسمع لخطب الشيخ، والله هاي وگفة اشراف من اهل النجف، ياربي تنصرهم عله الظلام، وقد كان يستمع إلى العديد من القصائد الشعرية التي تنتصر للفلاح العراقي وخصوصا للشاعر العراقي شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم:

(ايها الفلاح فيمن ترتجي. فرج الخير وخير الفرج  
وحوايك افاع لسعت، قصب الكوخ بناب الحرج

\*\*\*

أقلب العالم واسحق سننا، فرضت سحق حقوق الفقراء  
وأبق في ريفك وأهجر مدنا. جمعت انفاس أرباب الثراء

كان (مظلوم) يقف بعربته قريبا من هذه الأجماعات ليستمع للشيخ وللدكتور خليل، وكان يرى وجود اصدقائه اغلبهم موجودين ضمن الاجتماع.

راقب بذهول وأعجاب كبير، طابور السيارات الذي تتقدمه الدراجات البخارية، وسيارة -جواد مجيد المعمار- المكشوفة التي يجلس فيها الشيخ الشبيبي والمحامي ابن سيد سلمان، وهم يلوحون للناس المحتشدة على الطرقات من مؤيديهم، كما أنه صعد في أحد اللوريات الخشبية التي امتلأت بالمؤيدين، وهم يحملون الطبول، واللافتات، والمزامير و(البوقيات) وهي تصدح لتمتزج مع هدير أصوات المؤيدين اللذين انطلقوا من أمام محل المصور الفلوجي، وداروا في شوارع مدينة النجف ثم توجهوا صوب مسجد الكوفة، حيث كان أول السيارات في الكوفة ونهايتها في النجف، وقد ألقى هناك الشيخ كلمة وبرنامج الانتخابي وسط أهازيج وصرخات وهتافات التأييد له ولمناصريه.

والله يا أم مطشر ما أدري شلون الله ما ينصر هاي الوادم وهي بلألف المؤلفه الي تأييد الشيخ والسيد وربعهم من المرشحين لمجلس النواب، حبيبه الوادم زفتهم زفه چبيره بالهلاهل والطبول والبوقيات، وادم تنثر چكليت وادم توزع ماي وناس توزع شربت، كله شاده حزام واحد حتى النسوان وياهم لتحقيق الفوز.

الله ينصرهم ييو مطشر، كلي هم شفت مطشر ويه الوادم؟  
أكيد هناك ويه رבעه الطلاب، من حيث اكثر الطلاب ويه  
الشبيبي وربعه، واكيد، نوماس هم وياهم، لا ومو بس هاي  
النسوان هاي التهلهل وهاي التشر چكليت وتندعي الله  
ينصرهم عله الظلام.

والله ييومطشر ما اشوف الاكطاعيه وربعمهم يهدونه من اديهم،  
ولو اني ما أعرف كلشي بها الأمور، بس معقوله الشيوخ  
والملالي والملاليج يتكترون ويخلون هاي الوادم تحكم؟  
كولي الله كريم وبخت الساده وابن كاشف الغطه، ودعوات  
الفقره لزمان اله حوبه عد الله.

لا أرى ان الحكومة سترضى بهيمنة جماعة الشبيبي ودكتور  
خليل جميل على المدينة، وبالتالي فوزهم في الانتخابات، إنَّ  
السلطة مذهولة من جماهيرية وشعبية (الجبهة الوطنية) في  
الانتخابات، هذا ما ذكره اسطه نوماس لأبي مطشر خلال  
لقائهما بعد التظاهرة، وبالفعل حدث المحذور اذا أقدمت  
السلطة على اعتقال (الشيخ الشبيبي) ومؤيديه الذين أمثلت  
بهم غرف الاعتقال في النجف، بينما أرسل الشبيبي إلى بيت  
المتصرف في كربلاء وقد بقي هناك حتى نهاية الانتخابات.  
ها اسطه نوماس اشغال البهلول؟

موكلنه هذوله ما راح يطونه بالهين، عمي هذوله متهين بالقصور والفلوس والسيارات بروس الفقره، ومايهذونه الا بالقوه.

والله انّ ما تقوله هو الحقيقة كاملة يا ابا مطشر ولكن لازالت الظروف غير مواتية لمثل هذه الثورة المسلحة.

لاحظ (مظلوم) خروج تظاهرة غاضبة احتجاجاً على اعتقال الشبيبي وجماعته، وقد لاحظ فيها أستاذ حسن عوينه وسليم مرزه، وصديقه ومعميله صاحب الحكيم، وعدد آخر من الطيبين ومعارفه المقربين، وكاد أن يترك (العربانه) ويندمج بالتظاهرة لولا منعه من قبل اسطه نوماس، أنطلقت التظاهرة من ميدان النجف مروراً بالسوق الكبير، ومن ثم إلى دورة الصحن، وقد سمع أطلاقات نارية هناك من قبل الشرطة لتفريق التظاهرة وقد أستشهد نتيجة ذلك (كاظم ذرب) ثم تفرقت التظاهرة.

قرر (مظلوم) حضور مجلس الفاتحة المهيبة للشهيد حيث أقيمت في أحد مساجد محلة (البراق).

قال (مطشر) انّ هناك وفداً من أعلام الحركة الوطنية في النجف ذهب إلى بغداد والالتقاء بكامل الجادرجي، وإطلاعه على ما حدث في النجف ومطالبتهم بمحاسبة القاتل، وإطلاق سراح الشيخ الشبيبي وانصاره.

المهم بعد كل الذي جرى والسيطرة على صناديق الاقتراع من قبل أنصار الحكومة ووضع الأوراق المزورة في الصناديق أسفر عن فوز ممثل نري السعيد (عطيه السيد سلمان) والمحامي (كاظم أحمد) من جماعة صالح جبر، رغم ذلك لم تأت الانتخابات مطابقة لما ارادته السلطات حيث دخل البرلمان (١٠) شخصيات غير مرحب بها، مما أدى إلى إعلان استقالة حكومة (فاضل الجمالي) حسب ما أذيع براديو اسطه نوماس، وتشكيل حكومة (أرشد العمري) في ٢٩-٤-١٩٥٤.

ولكن الاوضاع لم تستقر في البلاد، وتخبط السلطة الحاكمة في مواقفها وعدم تخليها عن ظلم وقهر المواطنين من أحرار العراق، فاستقالت وزارة العمري وشكلت وزارة (نوري السعيد) في ٣-٨-١٩٥٤، التي كرست كل جهودها لمحاربة القوى الوطنية العراقية، وحل مجلس النواب لأبعاد كل من يساند الشعب ومطالبه المشروعة.

خلال أحد الأيام أخبره ولده (مطشر) كيف حضر اجتماعاً جماهيرياً كبير عقد في أحد بساتين الكوفة، لما يسمى ب(أنصار السلام) بحضور الشيخ الشيببي وشخصيات وطنية نجفية وكوفية وعراقية بارزة، وقد كان عبارة عن مهرجان رائع تميز بالمحبة والاصرار من أجل نصرة راية السلام والمحبة بين كل شعوب العالم.

- ايخويه بعد عيني ابصم ليش ما ابصم على عريضة السلام،  
الله يديم السلام عليه وعله كل الناس.

وهكذا بصم (ابو مطشر) على عريضة أنصار السلام التي  
نظمت في مدينة النجف والتي جمعت الآلاف من التواقيع  
لنصرة الأمن والسلام.

(هاك أصبعي بل كل أصابعي

خذها أوقع لا أريد مجازرا) - حسن عوينه.

كان (مظلوم) يتسائل في سره عن السر الكامن وراء هذه  
النشاطات الشعبية الواسعة والمنظمة، ومن يقف وراءها ومن  
يقودها، وما هو السر الكامن وراء أستجابة الناس لهذا الرأس  
المدير والمسير لهذه الأحداث من تظاهرات واعتصامات  
وتوزيع المنشائر والصور، وهي كما هو واضح تشترك في  
أغلب الشعارات الموحدة، رغم أنه وبحده يمكن أن يخمن  
دور صديقه نوماس وأبو لميعة وأستاذ منير والتتنجي والذي  
يدعونه بأبن عوينه أستاذ حسن، ودكتور خليل، ووووو الخ.

فيتأكد له أن من يناصرهم سائراً على الطريق السليم من أجل  
نصرة الفقراء والمظلومين، ولذلك فهو يشعر بالفخر لنشاط  
ولده مع هؤلاء الناس، كما أنه أخذ لا يمانع في ذهاب زوجته  
(حياة) لزيارة الائمة في الحلة، وكريلاء، والديوانية، وحياناً  
إلى الكاظمية، وحماس ولده مطشر لزيارات أمه هذه، وقد  
حدس أن وراء هذا الحماس وتكرار هذه الزيارات مدفوعة

الثلث من قبل مجهول وأن أدعى ولده أنه يتكفل بمصاريف والدته للقيام بهذه الزيارات!

ثقته العالية بزوجه وبولده يجعله لا يثير المزيد من الأسئلة على هذا التبدل في حبها لزيارة الاضرحة، التي لم تكن تحلم بها سابقاً وقد لا تزيد على مرة واحدة في السنة.

أنصرت العديد من الأشهر وعمل (مظلوم) بروتينه اليومي واقفاً وراء (العربانه) واتقانه لعمله وتفننه في أن يكون طعم اللببي أشهى وأطيب، وكان عدد زبائنه والمدمنين على (لبليه) يزداد يوماً بعد آخر ودخله يتحسن بشكل مستمر، وقد كان نوماس وعبد الساده ورضا عبد ننه ممن يزدون من تفاؤله بالحياة الأفضل له ولعائلته ولكل الكادحين في العراق.

وفي أحد الأيام وعند عودته لداره حاملاً أكياس من الفاكهة التي تحبها أم مطشر وخصوصاً الرمان، فاجتته بتجهمها وانخطاف لونها، على غير ما عهدته منها في كل يوم فالبسمة لم تفارق تغرها الشهوي، وهي تتلقف منه الحاجيات وتساعد في غسل قدر اللبلي وتنظيف الكاسات، وعزل لحم الكسور المتبقية في القدر ووو.

وحينما سألها عن السبب قالت: اليوم اجتنه وحده من نسوان اخوك، تكول خل أبو مطشر يضيع وجهه خلال هاي الفتره، لان واحد من اولاد عمه كتله زلمه من (آل رطان) بعركه

چبيره عله حصه الماي، وبعد لهساه ما اخذا عطوه منهم،  
والرطان يريدون ايكتلون واحد منكم، واته تدري بيهم ملا  
ليچ وشرانين، وعدهم سلاح وفلوس ومچلووين عله الناس  
الفقره.

والله يحياة هاي مصيبه لا عله البال ولا عله الخاطر، الوادم  
بياحال وهذوله بياحال، الناس تتظاهر وتموت وتنسجن حتى  
توفرلهم لكمة خبز بكرامة وشرف، وهذوله يتعاركون عله  
مود الماي، والهوايش، ونهية مره، وملهيتهم الحكومه بهاي  
المكسرات حتى لا تخليهم يفكون عيونهم على ظلم الحكومه  
وينتفضون ضده ويه اخوتهم بالولايه، والله صدگ المهوال  
الگال: (الصوج لا بشطنه ولا بالحميدات، الصوج بحكومته  
تدور العانات).

عموما لا تحزني حبيتي الغالية، ساحاول ان اجد حلا لهذه  
المشكلة، سأزور صديقي (ابو ماهر) وأنّ اصدقائي سوف لا  
يدخرون جهداً لمساعدتي وتدبر هذا الأمر.

الذي يهمني هي سلامتكم، انت وسعوده ومطشر، وقد أصبح  
الآن طالباً في الثانوية، وأن شاء الله يبقى متفوقاً في دراسته  
وعمله.

الآن اعدي لنا العشاء، لتتعشى بحضور مطشر، ونام والصباح  
رباح ان شاء الله، بس اليوم لا تنگعين حمص ليوم باجر.

ها، لقد نسيت أخبرك أنّ اسم مطشر من اليوم ورايح صار (كفاح) الم يخبرك بذلك، حيث تبرع احد الاصدقاء من المحامين، تغيير اسم ولدنا من (مطشر) إلى (كفاح) فهو الآن طالب مجد مجتهد وانسان واعى يعرف ما يريد فعله لم يعد يليق به اسم مطشر.

لكن آنى خبر (الچتل) نسانى هذا الخبر، يمه فدوه اروحللك (كفوحى).

زين وينه هساه (كفاح) الله شحلاته أسم كفاح الله يرحم (مطشر)؟

گاعد بغرفته يقره ويمه (سعوده).

ما طول هچي انطيني بوسه من هالخد الحلو، وانسى الحزن وابتسمي رحمه عله والديچ ما اگدر اشوفج حزنانه، لثمها بقبلة حرى ثم ترك لها المجال لعمل وجبة العشاء.

أجتمعت أفراد العائلة على وجبة العشاء من لحم الكسور وبقايا (اللبلي) وخبز البربر، وشيئ من الخضرة، والرمان الذي جلبه معه (ابو كفاح) شربوا الشاي ثم خلد الجميع للنوم، بعد حديث اداره (كفاح) حول اخر تطورات المدينة وعموم العراق.

أخبر (مظلوم) ولده بحادث القتل ووجوب أخفائه تحسباً لخطر القتل من قبل (آل رطان) وأنه سيكون المسؤول عن العائلة إلى حين.

نهض صباحاً متوجهاً إلى محل أسطه (نوماس) متخذاً طريقاً غير الذي يسلكه في كل يوم، محترزاً مما قد يحدث. وبعد أداء التحية والسلام على أسطه نوماس، الذي أستقبله بالترحاب، مستغرباً عدم خروجه للعمل مصطحباً (عربانته) كالمعتاد صباح كل يوم، ويستمع إلى صوت فرقة الأنشاد العراقية في اغنية (خدري الحاي خدرية).

أمر (نوماس) باستكانين شاي، وبعد احتساء الشاي، قال (ابو كفاح): أسطه أنه أمر هل الأيام بوضع غير آمن فقد قتل أبني عمي شخصاً من آل رطان وهؤلاء يطالبون بشار أبنهم، مما يستدعي أن نتواري عن الأنظار في هذه الفترة لحين أخذ (عطوة) من آل (رطان) وعليه أصبح متعذراً عليه الأستمرار في عملي وبيع (اللبلي) في شوارع المدينة، لذلك قررت إن أعيد لكم (العربانه) لأنها ملكا لكم يعني (حلالكم يرد لكم). هذا الموضوع الأول إما الموضوع الثاني، أريد أن يتم إخبار الأستاذ (منير) وضعي عسى أن يجد لي عملاً بعيداً عن المدينة.

قال أسطه نوماس: أبو (كفاح) انت صرت واحد من عدنه، وليصير عليك أيصير علينا، وأستاذ منير وصانه بيك، لكن أهو الآن مختفي لأن الحكومة تاهمته بتوزيع المناشير اللي انت انحبست بسببه.

بالنسبة للعربانه فأني أقترح عليك تبيعه وتستفاد من فلوسه  
لمن يجي الفرج،

ضرب (مظلوم) كفا بكف مولعا سيكارة جديدة قائلاً:-  
(اسطه نوماس) العربانه لا يمكنني بيعها، كما لا أستطيع أن  
أبيع (كفاح) هي مصدر رزقي وعيشي وأصبحت جزءاً من  
حياتي و حياة أطفالي، نحن في الريف العراقي نختلف عنكم  
في المدينة في عدة أمور ومنها: إن أدوات عملنا " المنجل،  
والمسحاة، المرواح والدكره، الخ" بالإضافة للحيوانات حتى  
الكلاب، يكون لكل واحد منها أسم خاص، واني أتذكر ما ذا  
حدث لنا حين قرر والدي بيع (الحولي أبو غره) فأقيمت في  
الدار مناحة للنساء والأطفال حتى والدي أخذ بيكي معنا  
وكانه سيبيع واحداً منا وليس الحولي ابو غره" في حين انتم  
في المدينة تقتنون الحيوانات والأشياء لغرض بيعها فلا  
يحزنكم فراقها.

أظهر الأسطه تفهما وتعاطفا كاملا مع مشاعر أبو (كفاح)  
مستذكراً ما حصل لهم حين باع جدهم (الجومه) حين هجروا  
الريف وارتحلوا للمدينة.

بعدما طمأنه الأسطه نوماس، ودعه على أن يزوره فور ورود  
جواب الأستاذ منير.

في اليوم التالي التقى أسطه نوماس برفاقه عارضاً عليهم حال  
صديقهم (مظلوم) الذي صار جميعهم يعرفه لأنهم شاركوا

في كلفة عربائه وعلموا بقصة سجنه، ثم طلب منهم رأيهم بمصير (العربانه).

قال أحد الرفاق (هسه هيه "عربانه" يو (الطراد اوررا) يو المدرعة (بوتمكنين) سنعرضها بعد الثورة في المتحف لأن عربانة (مظلوم) ساهمت في انتصار الثورة من خلال قذائفها اللبلبية الساخنة على قصر (الزهور).

ضحك بعضهم في حين صمت البعض الآخر لصمت الرفيق (نوماس) الذي وجد صعوبة في وصف مشاعر ابن الريف وتعلقه بأدواته وحيواناته وتماهيه معها وما يعانيه من ألم لفراقها سواء يبيعها أو موتها أو ضياعها، فقرر أن يكتب بالأمر إلى اللجنة الأعلى للبت في الموضوع بالإضافة للاستفسار حول إمكانية لقاء (أبو مطشر) بالرفيق (منير).  
بعد عدة أيام وردهم الرد الأتي:

الرفاق الأعزاء

تحية رفاقية

بخصوص الصديق (.....) يمكن لقاءه بالرفيق (.....) وفق خطة اتفق عليها مع حامل الرسالة. وأما بالنسبة (للعربانه) يمكنكم أن تعطوها لأي شخص بحاجة إليها، سنرسل لكم بعض الكراريس ذات الفائدة لتعميق وعيكم بمثل هذه الحالات، تحياتنا ودمتم للنضال).

ذهب أسطه نوماس لزيارة (ابوكفاح) وأخبره بأن أستاذ منير سيلتقيه ويتدبر أمر عمله وسكنه في بغداد، طلب منه أن يواصل ولده (كفاح) في ورشة النجار ليتقن مهنة ويحصل على أجرة ليعيل نفسه ووالدته واخته الصغيرة، ويستمر في مدرسته، فسيكون برعايته هو وأمه وسيعاملهم كأحد أفراد عائلته، عليه أن يجهز نفسه للسفر بعد يوم غد بمرافقة احد الأصدقاء كي يوصله للأستاذ (منير).

تناوب الفرخ والحزن على محياه متسائلاً مع نفسه (ها ولك (مظلوم) شردت من الريف للنجف، وهل التشوف ولاية النجف بعد متضمك، الدور مدري ليوين راح اتروح ليا ولايه، ولايه الماشايه بعمر ك انتة المشهد جا ضعت بيه ادور مدري وين، لكن لا انه بأمان لا زال أستاذ (منير) قريباً مني). سأله (اسطه نوماس) بعد أن أرتشف شايه وولع سيكارة (المزبن) من يده: ها خويه شقررت.

والله يسطه هاي هيه والكاتبه الله يصير، نتوكل على الله ونروح ونشوف تاليه ويه هل الوكت.

مسح رأس ولده الذي كان جالسا بجواره، والذي أبدى حماساً للعمل مع عمه (نوماس) والاستعداد لتحمل المسؤولية خلال غياب والده.

## انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

معاني بعض الكلمات والمصطلحات المتعارف عليها في  
منطقة الفرات الأوسط من العراق:

١- الصميمصملله: قلب حشائش الحلفاء التي تنبت بكثرة  
في المناطق غير المزروعة، طرية، حلوة الطعم غالبا ما  
يتقوت بها أطفال القرية أثناء اللهو أو الرعي في البراري  
والمراعي المحيطة بالقرية.

٢- الطبر: نهر صغير يكثره الفلاحون لنقل الماء من النهر  
الرئيسي لسقي الأرض.

٣- غنوص العوين: أصابع نبات اللوبياء.

٤- فروك: سد صغير يفصل ألواح الزرع عن بعضها.

٥- الشلب: نبات الرز بأنواعه (العنبر، النعيمة، الحويزاوي،  
الخ).

٦- الحجل: طائر الحجل الشبيه بطائر القبج يتميز بطعم  
لحمه اللذيذ وصوت ذكوره المتميزة وخصوصا عند الغروب  
فتغط الطبيعة في هذا الوقت في سكون عميق كمستمع رفيع  
الذوق يرنو لعزف موسيقي ساحر.

٧- الفخته: طائر الفاخته وهو طائر يألف الإنسان ولا يخضع  
لسجنه اصغر من الحمام يكثر في قرى وبساتين العراق.

٨- الكارور: (أبو الخضير) وهو طائر اخضر اللون يدور محلقا في السماء مع إصدار أصوات بشكل جماعية كعزف موسيقي رائع خصوصا عند المساء.

٩- غريب الجول: طائر ملون نادر شبيه بالهدد ولاكن بدون - عرف - يصدر صوتا كصوت غريب تائه!

١٠- الطسلة: طير اكبر من العصفور واصغر من الحمامة ذو جناحين ملونين باللون ألحني الغامق وصدر ابيض له صوت قوي مميز كزغرودة حورية بحر تبشر بعرس دائم ينشر لحنه طائرا ملامسا سطح ماء النهر يقر ويتكاثر في كهوف صغيرة في جرف النهر لا يريد أن يفارق النهر رمز الحياة والنماء.

١١- البنيه: احد ألد أنواع اسماك الأنهار العذبة والأهوار في العراق.

١٢- المحجال: (المقلاع) يصنع من خيوط الصوف الملونة من قبل صبية القرية وأطفالها ويستعمل لرمي الحجارة باعتباره سلاحا شخصيا يحمله أطفال القرية.

١٣- الأحذية الشعبية: تسمية لشركة صناعات الجلود في العراق، تنتج الأحذية والحقائب والأحزمة الجلدية الرخيصة الثمن والمدعومة من الدولة لسد حاجة الفقراء من الصناعات الجلدية.

١٤- اصملله: (اسم الله) تلفظ بالصاد لدفع الشر عن الاحبة من المرضى أو المرعوبين والخائفين.

١٥- أمهات: لعبة تلعب بواسطة نوى التمر، (الغميضه) لعبة مشتركة بين الجنسين يحصل خلالها احتكاكهما ببعض مما يثير خدرا بريئا حين يفاجأ احدهما الآخر من الخلف ويسد عينيه بكفيه لحين معرفته من قبل مغمض العينين.

١٦- الصكّله: لعبة تعتمد على خفة حركة تقلب كف اللاعب وتستخدم فيها مكعبات صغيرة من الطين.

١٧- السدائين: أسطوانة مصنوعة من الطين تشبه برميلا مفتوح الطرفين ولكن قاعدته أوسع من فتحته العليا تستخدم لخزن الحبوب في الريف.

١٨- المجرشة: احدى أدوات أزاله القشرة عن (الشلب) ليتحول إلى تمن وهي مصنوعة من طاقين من الخشب مكسوین بالقير يدار الطاق العلوي حول (قطب) مركزي مثبت في بؤرة الطاق السفلي مخترقا قطعة معدنية أو خشبة على شكل قنطرة لدائرة في الطاق العلوي يوضع فيها الشلب ويدار الطاق بواسطة قضيب خشبي مثبت على حافة الطاق العلوي. وغالبا ما تقوم النساء بعملية الجرش لإحضار الطعام للأسر وهي الأداة المشهورة في قصيدة المجرشة للشاعر الشعبي العراقي المعروف عبود الكرخي.

١٩- الرحة: أداة تشبه المجرشة ولكنها مكونة من طاقين من الحجر الصلد تكون الجهة العليا للطاق السفلي خشنة ويدار الطاق أو القرص العلوي باليد بعد إن توضع الحبوب

(الحنطة، ألتمن) في العين لإنتاج الطحين بدوران القرصين  
الحجرين المطبقين على الحبوب المحصورة بينهما فيتجمع  
الطحين عند محيط القرص السفلي للرحه وهو ما يحصل  
للشلب في المجرشة والمرتبة.

٢٠- المرتبة: أداة لها نفس شكل وطريقة عمل المجرشة  
ولكنها مصنوعة من الطين.

٢١- الجاون: أسطوانة من الخشب السميك محفور بداخلها  
تجوف توضع فيه الحبوب وخصوصا ألتمن ليكون صالحا  
للطهي بعد إزالة قشرته الخارجية تحت ضغط (الميجنه) في  
عملية تدعى (الهيش).

٢٢- الميجنه: وهو عمود من الخشب مثقلة بآخر قصير  
يركب بقمة العمود الأول على شكل حرف T الإنكليزي  
تكمل عمل الجاون حينما تحرك صعودا ونزولا بحركة  
إيقاعية جميلة من قبل النساء الريفيات لتخلص (الرز) من  
قشرته (السحالة) وأحيانا تتقابل اثنتان من النساء وهن يشدن  
خصورهن بأطراف عبااتهن لأداء عملية (الهيش) مع صوت  
وحركة إيقاعية جميلة.

٢٣- الكطينه: قرعة كبيرة تترك لتجف ثم تفرغ من حبوبها  
عن طريق قص (رأسها) فتكون على شكل حاوية يحفظ فيها  
الملح وبعض الحبوب أو بيوض الدجاج وما إليه.

٢٤- الجرداغ: بيت مصنوع من القصب وعيدان الخشب (الصفصاف) ذا جوانب مسرحة الجانبين تستند بزاوية حادة على الهردي الذي يستند على الشباب وتغطى بالبواري.

٢٥- البيت: مصنوع من القصب والبردي مقوس الظهر ولا يدخل الخشب في تقويم هيكله العام بل يقوم بحزم من القصب (الحنايه) تشد إلى بعضها على شكل أقواس يعتمد عددها على طول البيت وسعته تدعمه وتربط بين الحنايا حزم متوازية من القصب تسمى (الهطر) ومفردها (هطار) ثم يكسى بالبواري المصنوعة من القصب أيضا وتربط بالحنايا والهطر بواسطة حبال مصنوعة من سف فسائل النخيل الطرية يكاد كل قروي أن يكون ماهرا في صناعتها وقتلها وبقطر يعتمد غلظه على الحاجة المراد استعمال الحبل فيها فقد يستعمل لربط الحيوانات وجر الزوارق والشؤون الأخرى.

٢٦- الكوناغ أو الربعه: جرداغ كبير وهو بدل عن المضيف مخصص للضيوف من قبل الفلاحين الكرماء ولكنهم اقل شانا من الشيوخ أو الملاكين والإقطاعيين فقد يقاس مقدار كرم الشيخ أو الإقطاعي وصاحب المضيف بعدد وسمك حنايا مضيفه وقدرته الاستيعابية من الضيوف.

٢٧- الحجره: تحاكي بناء غرف المدينة ولكن جدرانها مصنوعة من الطين وسقفها مغطى بالخشب والبواري والطين.

٢٨- النبي احمد: ضريح احد السادة يتوسط الهور وغالبا ما يكون في القرية الواحدة أكثر من ضريح لسيد أو صاحب كرامه قد يتناسب عددها طرديا مع شدة إلام ومعاناة وبؤس القرويين.

٢٩- العلوية، الخطافة: أسماء مختلفة لطير (السنونو) ولا نعلم من أين أتت الحرمة والقداسة لهذا الطائر واعتياده في مشاركة القروي بيته ومؤوى أسراره وأفراحه وأتراحه!

٣٠- السدرة: شجرة السدر (النبق) شجرة تحاط بالقدسية في الريف والمدينة العراقية في وسط وجنوب العراق.

٣١- السرجين: براز البقر والجاموس وهو احد المصادر الهامة للوقود في الريف العراقي حيث يخزن على شكل قباب من الأقراص المجففة كاحتياطي مضموم من الطاقة للعائلة تتفاخر القرويات بعدد وحجم هذه القباب كدلالة على شطارة وحسن تدبير رب البيت!.

٣٢- ربع: جماعة أو شله.

٣٣- حوبه: شارة أو جزاء المظلوم الذي يقع على صورة أذى مادي أو معنوي على الظالم إنصافا للمظلوم ولو بعد حين.

٣٤- شيشة عطر: قنينة أو قارورة عطر تتحرز عليها (حديثات) أو صبايا القرية كهدية من الحبيب وفارس الأحلام الموعود

٣٥- بشكير: منديل مزركش.

٣٦- يديه: يا أختي.

٣٧- المشوفه: مرآة مدورة صغيره.

## الجزء الثاني

### كفاح





حمل (مظلوم) (بقجة) صغيرة تضم ملابسه، ودع حبيته  
(حياة) وقبل (كفاح وصغيرته) موصيا إياه أن يكون الولي من  
بعده، ويلتزم بالعمل مع أسطه (نوماس) رافق دليله (واثق)  
متوجها إلى حيث سيأخذه دون أن يسأل، وحين علم في  
الكرج إنهم متوجهين إلى بغداد قال مع نفسه (أي ولك،  
لبغداد مره وحده لا هنا ولا هنا، انته جا ضعت بـ) (المشهد)  
ادور لبغداد، شلون راح أتدبره، الله كريم عليك يا بو الجوادين  
يا باب الحوايج، لنك تسفره بوجهي وتامني بوطن)

سأله (واثق) ما بك يا (أبو كفاح) ساهماً، تحاكي نفسك؟

- لا تهتم صديقي كل مشكلة ولها حل.

على طول الطريق وهو مبهور بما يرى من مشاهد المدن  
والسيارات المختلفة الأشكال والألوان وهي تجري على  
الطرق الاسفلتية الملتوية كالأفاعي السوداء، رفيقه يصف  
ويسمي له المدن والقصبات والأماكن المهمة التي تمر بها  
السيارة، الكفل، الحلة، المحاويل، المحمودية، الاسكندرية  
اللطيفية ثم بغداد، حيث توقفت السيارة في علاوي الحلة  
وقد كان الوقت ظهراً.

كان رفيقه كريماً معه حيث تناولا طعام الغداء في أحد  
المطاعم الشعبية في العلاوي مع أقداح من الشاي، أبتاع له  
ولـ (مظلوم) علبي سكاثر (غازي)، قائلاً إنَّ مواعده مع أستاذ

(منير) في الساعة الثالثة بعد الظهر، فعليهما أن يستغلا هذه الفترة ليتعرف أبو كفاح على بعض مناطق بغداد، ومواقف باصات النقل وو، وقد كان واثق يقوم. بالشرح والتوضيح لمختلف المناطق والمحلات والمطاعم. الدوائر والمقاهي والمطاعم، الخ.

مبيناً له أن لا وقت لديهم لزيارة مرقد الأمام الكاظم الآن لأرتباطه بموعد (منير) ولكنه سيأخذه للزيارة باقرب فرصة سانحة ان شاء الله بعد أن يستقر في عمله وسكنه الجديد المرتقب.

في أحد المقاهي المطلّة على نهر دجلة، قصد واثق إحدى المناضد في زاوية الكازينو، فلمح بفرح غامر صديقه أستاذ (منير) جالسا إليها، نهض مستقبلاً إياه مرحباً به بحفاوة وشوق كبير، أهلاً وسهلاً ومرحباً بابن عمي العزيز (غضبان) رد له (مظلوم) السلام بأحسن منه ولم يستفسر حول (غضبان) إذ أوضح له واثق إن اسمه من ألان فصاعداً هو (غضبان) وليس (مظلوم) حتى لا يستدل عليه أحدٌ من آل رطان أو غيرهم.

أمر لهم الأستاذ بقنيتين من مشروب الكوكا كولا المبردة ليخفف عنهم حر تموز اللاحق. وقد حاول أن يشرح له أحوال المدينة من بعد أختفائه عنها، ومدى شوق الكثيرين ومنهم أم كفاح وكفاح، وأبو لميعه، لكنه استطاع أن يخمن أن

(منير) على علم بأدق التفاصيل على مجريات الأحداث في النجف وأريافها.

بعدها أصطحب (منير) الذي أصبح أسمه من الآن فصاعدا (سعدون) أصطحب (غضبان) عبر العديد من الأزقة والشوارع الضيقة المكتظة بالناس من مختلف الأجناس والأزياء.

ما أثار دهشته الكبيرة النساء السافرات، فلم يسبق له إن شاهد امرأة سافرة غير محجبة تسير في الشوارع والأماكن العامة، والدته وأم كفاح تتدثر بعباءتين فوق بعضهما وتجلسان بالطريق عند مرور أي رجل، لا يسيران إلا بعد أن يتجاوزهما، أستفسر من أستاذ منير عن حال الناس الذين سيرهم جريا، أحدهم يسابق الآخر، وحال هذه النسوان (العريانة) ما الذي حصل للناس وأين ذاهبة بمثل هذه العجلة، من (فرع) النساء وطردهن من بيوتهن دون (عبي) ولاستر، هل من عدو أو وحش أو حريق هدد حياتهم فهربوا خفافا خوفا وهلعا.

أبتسم أستاذ (سعدون): هذا هو حال المدن الكبيرة يا صديقي، إنها ضرورات العمل الذي يتطلب السرعة والخفة والتخلص من كل زائد، فلا تستغرب إن طلب منك صاحب العمل خلع (بشتك) وكوفيتك وعقالك، لترتدي محلها القميص والبنطلون، يعني أتصير (أفندي).

باستغراب ودهشة كبيرة قال (غضبان): عفه أنه أبو كفاح  
يردونني أصير من المفاريع، عمي هاي ما تصير عدنه اله  
بالعركة، الزلمه يفرع ويطب للكونه شاهراً سلاحه.

فقال (سعدون): نعم أخي (غضبان) هذه حياة المدينة عبارة  
عن معركة حامية الوطيس يوميا من أجل كسب لقمة العيش  
والأستمرار بالحياة جري وكدح وخفة وفطنة وغش إن تطلب  
الأمر، يتخلف من لم يستجب لشرط سوق العمل ويداس  
بالأقدام.

والله إستاذ هاي الدنيه تراوينه وتعلمنه دروس مو عله البال،  
اسأل الله لا يحرمني منك ومن أمثالك إستاذ بجاه أبو  
الجوادين.

شكرا أخي (غضبان) والآن دعنا ندخل للعملي والمفيد، إننا  
الآن سنذهب إلى أحد الأصدقاء من أصحاب المطابع  
المعروفة في العراق، الذي هو بحاجة إلى حارس في المطبعة  
ليلا والى عاملا متدربا على رصف الحروف نهارا، وهو  
يضمن لك أجراً مجزيا بالإضافة إلى الأكل والمنام، فهو من  
أصدقائنا المقربين وله علم كامل بما أنت عليه.

لكن إستاذ تره آني لا اعرف اقره ولا أكتب شلون راح اكدر  
أسطر الحروف

(غضبان) هاي ما عليك بيه، هاي شغلة (أسطه جمال)  
صاحب المطبعة وزملائك العمال في العمل.

هسه أمشي وياي نصعد لهذا الفندق فهو لصديقي لنستريح شويه، وهاك هاي العلاكه جايلك بيه بنظرون وقميص وحذاء حتى تبدل بالفندق، وتدخل المطبعة أفندي. والله إستاذ، هاي كلفه، خاف ما أعرف أمشي بالبنظرون والقميص والدور المصبيه مصيبة (القنדרه).

إستاذ تره أني طول عمري ما لابس قنדרه، وخاف واحد من عمامي يشوفني أمفرع وتصير فضيحة أبو مطشر تهيلگ بالولاية وصار يمشي أمفرع؟

ضحك أستاذ (سعدون) كثيرا، ثم طمأن (غضبان) وقدم له سيكارة لوكس ليهدئه قائلا: (غضبان) راح أخليك تتدرب على المشي بالقنדרه داخل الغرفة لمن تتعود عليه ياالله نطلع لبره.

صعدا الي الفندق استقبلهم صاحب الفندق مرحبا ومهلا بأستاذ (سعدون) وبأبن عمه القادم من الريف لرؤيته، أعطاهم مفتاح الغرفة: متمنيا لهم الراحة والسلامة.

بدأ (غضبان) يخلع العقال والكوفية والبشت، والدشداشة، ووضعهما جانبا واضحا عليه الحرج، ثم ناوله سعدون القميص ثم البنطلون الذي بذل جهداً غير قليلا ليدخل ساقبيه فيه، أحتزم عليه بعد أن أدخل القميص بداخله بطلب من سعدون، ناوله زوج الجوراب الذي كاد أن يتمزق بسبب خشونة وتشقق قدمي (غضبان) ساعده (سعدون) في إحتذاء

الحذاء، وحين وقف قال: أشوف روحي چني طاير، بروح أبوك إستاد خل اتوجه عليك لا طيح، أشو چني راجبلي بعيره مو قنדרه، چني فوگ النخله، -تذكر ذلك حين ركب الطائرة متوجها الي ألمانيا موفداً من قبل الحزب وأخذ يضحك من نفسه آنذاك- بالأثكاء على سعدون أخذ ينقل خطواته بحذر وببطء كطفل يتعلم المشي تواً.

لف ملابسه العربية ووضعها داخل (بقچته) التي جلبها من أهله.

غادرا الفندق بعد أن شكرا صاحبه، فابتلعتهم شوارع بغداد مساءً، لا يكاد يصدق ما تراه عيناه، خصوصاً وقد أخذت الناس تتدافع بالمناكب وهي تسير بسرعة لا يدري الي أين، وخصوصاً السافرات الحسنات وهن يتحركن بين الرجال بخفة وسرعة مذهلة رغم إنهنَّ يسرن على (بسامير) السكاربيل العالي وكيف لا يسقطن أرضاً؟ والله يعمي سنه لو أدرب (أم كفاح) حتى تمشيله خطوتين بالسكاربيل ما أتدبره.

إستاد سعدون ماتكلي بروح أبوك هاي الوادم نسوان وزلم ليش چاره الهدوم، الزلم مفرعه والنسوان مصلخه وهدومه مبزنگه، شنهي الخام غالي بغداد يو هذا بخل. أتسم سعدون قائلاً: - أخوي (غضبان) خل أسئلتك عندك وبمرور الأيام تعلمك الولايه إسرارها وإخبارها، أكل الناس

ولبسه وعاداته متعلقة بأسلوب عملها وحياتها. العمل هنا هو أبو السواني والأعراف.

بعد مسيرة غير قليلة، أعتاد السير بالحذاء، شبت عيناه بنفس المشاهد في كل المناطق التي مروا بها في شوارع بغداد، الرشيد الرصافي شارع غازي، الميدان، الخ حتى وصلوا المطبعة التي قصدها سعدون.

دخل إستاذ (سعدون) وخلفه (غضبان) فوجدا الأسطه (جمال) وبعضا من عماله يهمون بالخروج من المطبعة بعد أن أنهت نوبة عملهم اليومية وهم وسط أكداس من الورق بمختلف الألوان والإحجام، وعدد من المكائن الحديدية.

أستقبلهما جمال أحسن استقبال مرحباً بإساتذ (سعدون) وبابن عمه (غضبان) لعلمه المسبق بقدومه.

تسامرا وتذاكرا ودار بينهم حديث حميم القسم الأكبر منه لا يعرف (غضبان) معناه ومبناه إنه حديث مثقفين.

أصطحبهم (جمال) خارج المطبعة لتناول وجبة العشاء على شرف (أبو كفاح) ضيفهم العزيز وشغل المطبعة وحارسها الجديد.

كان عشاء دسماً شهياً من الكباب العراقي اللذيذ تبعته أفداحا من الشاي (السنگین) وسجائر الغازي.

بعدها طلب الأستاذ الأذن تاركاً (غضبان) صحبة أسطه (جمال) متمنيا له عملاً جيداً وصحبة سعيدة مع زملائه

العمال واعدًا إياه بأنه سيزوره بين حين وآخر وأخباره سيسمعه من الأسطه (جمال) الذي أخذ يتامله (غضبان) شاباً، انيقاً، حسن الهندام، ذا شاربين غليظين وطويلين يكادان أن يغطيا شفته العليا، يزين وجته اليسرى خال جميل، يميل لون بشرته للبياض أكثر منه للسمره، تزين معصمه الأيسر ساعة ماركة (أولما) الأبتسامة لم تفارق شفثيه، يده مبسوطة كل البسط لضيوفه ولعماله، تبدو عليه الرزانه والهيبة، سريع الألفة لا تشعر معه بالحرص أو التكلف، محبا للنكتة، كانت نظراته ساهمة صوب أفق بعيد.

عاد أسطه (جمال) بصحبة (غضبان) إلى المطبعة، عرفه بزميله الحارس السابق الذي رحب به بود ومحبة ظاهرة على محياه، دله على مكان منامه وتواجهه وما هو مطلوب منه، الذي وجد من زميله (أبو حسن) الألفة والفهم المشترك فهو من أصول ريفية أيضا من العمارة، مطمأنًا إياه بأنه سيعيش وسط هؤلاء الناس بأمان وسعادة وحب، فهو سيسافر صباح غد عائدا إلى أهله في العمارة بعد أن أمضى أكثر من عام في المطبعة ولم يشهد من متسببها غير الطيب والمحبة والمساعدة وقد "أكسبوني الكثير من الخبرة والمعرفة التي كنت أجهلها".

في صباح اليوم التالي التقى وتعرف بالعمال والأسطوات العاملين في المطبعة وكانوا جميعاً لطفاء طيبين متعاونين

يتكلمون بلهجات ولغات مختلفة منهم الكردي والعربي والصائبى والمسلم والمسيحي، الشيعي والسني والأزدي والمسيحي، إئتلف معهم وأحبهم وأحبوه، بعد أكثر من أسبوع أقترح عليه اسطه جمال أن يتعلم رصف الحروف في ألواح خاصة، فرغم جهله القراءة الكتابة سيعمل وفق صور الحرف ومكانه في الكلمة ومكان الكلمة في الجملة، وقد رسم له أسطه جمال الحروف وأعطاه نماذج منها.

بدأ (يتمرن) عليها طيلة فترة أنفراذه بنفسه ليلا في المطبعة، فأحرز تقدما كبيراً في تشخيص الحروف وأسماءها وبالتالي كتابتها وقراءتها مما شجع الأسطوات إلى تكليفه برصف بعض الألواح وفق ما مكتوب أمامه وما يراود منه، كرس كل جهده وقدرته وفطنته من أجل إجادة هذا العمل الممتع الذي تعلم من خلاله على الكثير من المعارف التي كانت أشبه بالطلسم بالنسبة له، بحيث أنه لم يصدق تعلمه القراءة والكتابة خلال عدة أشهر بعد إن كان هذا حلمًا شبه مستحيل بالنسبة له، كما أنه أخذ يحل شفرة العديد من المفاهيم والمصطلحات التي يتحدث بها (الأفندية) وغيرهم أمثال (أستاذ سعدون) واسطة نوماس وأسطه جمال وبعض العمال والأسطوات في المطبعة.

كما أنه اقبل بدافع لا يوصف في التعرف على معنى ومضمون (الشيوعية) من خلال بعض المطبوعات في

المطبعة وبعض الكراريس التي يجلبها له أسطه جمال أو بعض العمال حين يسألهم عن بعض المصطلحات في مختلف المجالات السياسية والأدبية والعملية والثقافية العامة، تعرف أسماء ماركس وانجلس ولينين وستالين وفهد ووووو. ديكتاتورية البرولتاريا، الرأسمالية، الاشتراكية، الأدب الواقعي، الرواية القصة، والشعر الثوري وووو، السريالية، والرومانسية، والشعر العمودي والشعر الحر، و(القرامطة) و(ثورة الزنج) ووو،

حاز (غضبان) على المهارة الكافية بشهادة الأسطوات في المطبعة رفعت درجته الي مرتبة عامل ماهر وتحسن مردوده المالي الذي كان يرسل فائضه إلى عائلته حين يلتقي ولده أو الأسطه (نوماس) وغيره من معارفه هناك ممن يثق بهم. قرر أسطه (جمال) أن يقيم حفلة ووليمة خاصة على شرفه على شاطئ دجلة. بمناسبة إتقانه لعمله بمثل هذه الفترة الزمنية القصيرة والتزامه الكبير وانضباطه في العمل، والمحبة الكبيرة التي حاز عليها في قلوب زملائه.

حيث يتحفهم بأبيات الشعر الشعبي، وخزين كبير من الأمثال الشعبية، كما يروي لهم قصصا شيقة حول عادات أهل الريف، وحكمة (علي آل صريح) و(حمد آل حمود) والمشاهير من شيوخ الفرات التوسط والمنطقة الجنوبية، كان محل ثقتهم لحل ما قد يحدث بينهم من مشاكل أو إشكاليات

حتى في مناطق سكناهم في بغداد، وقد كان بحكمته  
وحنكته يتمكن من حل هذه الخلافات ليحل الصفاء والوئام  
بين الجميع، يشارك في (مشيات) الخطوبة للشباب،  
(ومشيات) التراضي خارج مجال العمل، بحيث أخذوا  
يطلقون عليه لقب (الفريضة).

التأم الجمع مساءً، طابت الجلسة قرب نهر دجلة الذي كان  
يتدفق ماءه احمرأً (دهله حميره) جعلت (غضبان) يتذكر أيام  
زراعة العنبر في ريف المشخاب، وسحره ضوء القمر وهو  
يرسل شعاعه على كل بني البشر دون تفريق، حركة السفن  
والزوارق في النهر، شباك الصيد، اخذ الجميع يتبادلون  
القريض وأبيات الابودية التي تعبر عن هموم ولواعج الكادح  
العراقي.

طاب الحديث فطلبوا منه أن يسمعهم صوته الجميل الذي  
طالما استمعوا إليه وهو واقف خلف مكائن الطباعة، بلغ  
الشوق به أشده لأهله ولام (كفاح) حبيبة الروح بعد أن دارت  
كؤوس (الزحلاوي) والبيرة في الأيدي، متذكرا (زبيب) غنوده  
الذي فهم الآن ما هو وما مفعوله، أنطلق صوته منسابا مغردا  
شجياً ساحراً لعذوبته وبلاغة قوله، فتوسعت حلقة السامعين  
من الحاضرين في الكازينو ومن الصيادين اللذين ركنوا  
زوارقهم وأسرعوا نحو هذا الصوت المذهل جمالا وسحراً،

متمنيا في داخله لو كان معهم أَلان صديقه الشاعر العذب (أبو علي).

فأصبحت وليمة عض سمكات والآخر بالمقبلات وواو.  
فأصبحت وليمة سمك وأحتفالية لم يشهد الشاطئ مثلها من قبل،

تعلق الحضور بـ(غضبان) صوتاً وخلقاً، عاش الجميع ساعات من الفرح والبهجة والطرب والتمتع بسحر شواطئ دجلة وسمكها اللذيذ، وقد أحب التعرف عليه شابا اسمر يفيض حيوية وذكاءً، أسمه (حسن) من أهالي كربلاء، عسكري في معسكر الرشيد، مغرماً بحب الريف وأهله ومحباً وعاشقاً للشعر وللغناء الريفي، وقد توثقت علاقتهما فيما بعد.

أختتموا حفلهم بعد منتصف الليل، عاد إلى المطبعة هو والأسطه (جمال) ودعه، وحين أختلى بنفسه وراجع ما آل إليه حاله وتكشف له المخبوء والمستتر مما لم يعرفه، ضحك من نفسه وجهله "أي (يمظلوم) ولك ها الشيوعية طلعت عالم من الفكر والعلم والمعرفة، كاشفة أسرار الماضي والحاضر وأفاق المستقبل، الآن واضح ليش انتة وغيرك تعيشون الحرمان والفقر والقهر، الفلاحين والعمال والكسبة. الخ: وعرفت ليش يطاردون أستاذ (منير) ويخافون من مناشير الشيوعية، وانتة عيالك الشيوعي علويه، باجر ومن كل ولازم

أفأتاح الاسطه جمال وهو صديق حميم لأستاذ منير حتماً  
شيوعي، لازم أوصله واحيله رغبتى بالاتصال بالحزب"  
عند صباح اليوم الثانى أنفرد (غضبان) باسطه (جمال) طالباً  
منه أن ينظم له لقاءً سريعاً بأستاذ منير لأنه لا يعرف شيئاً عن  
عمله ومكان سكنه، وعده الأسطه خيراً، وبالفعل قال: إنَّ  
الأستاذ سيلتقيه بعد يوم غد وهكذا كان إذ التقاه فى أحد  
المطاعم الشعبية فى شارع الكفاح حول وجبة غداء (تمن  
فوغاه).

نعم أخ (غضبان) عرفت انك طلبت مقابلتى، هل ضايقتك  
أحدهم فى العمل؟ هل لديك مشكلة مع أحد؟  
لا أستاذ المسألة لا تتعلق بالعمل، بل هناك أمر خاص أود  
مفاتحتك به بشكل منفرد، فأجابه، على الرحب والسعة أبو  
(كفاح) تفضل سارا بمحاذاة نهر دجلة، فقال: أستاذ (منير)  
أنى عندي رغبة الانتماء للحزب الشيوعي، بعد ما عرفت  
شبهو الشيوعية، وبعد ما عرفت إن الحال ما يتغير بدون  
وجود مثل هذا الحزب ليدافع عن الفقراء والكادحين  
والمظلومين فى كل مكان، فأجاب أستاذ منير: اسمع يا  
صديقي بعد ما تعرفت عليك وأنت تباع اللبلى، وعرفت  
أخلاقك وكرهك للظلم وشجاعتك وإحساسك بالقهر،  
توقعت انك ستجد طريقك يوماً لحزب الكادحين، ولكن لا  
أنا ولا غيري من الرفاق فاتحك بالأمر وأنت تمر فى مشكلة

عشائرية، ربما تضطر للموافقة طلبنا مقابل إيجاد حل لمشكلتك، أما الآن وقد انتهت هذه المشكلة وأصبحت حراً في العودة إلى دارك واهلك وفضلت البقاء في عملك في المطبعة، وبعد أن تعلمت القراءة والكتابة واطلعت بنفسك على الفكر من مصادره وعرفت سيرة أعضائه من خلال معاشرتكم لهم وحبك لهم فأنت حر في خيارك فإن شئت، فاكتب رسالتك وأعطاها للرفيق جمال لإيصالها للحزب وسيأتيك الرد عن طريقه، فجمال هو أحد الكوادر الشيوعية، وأنت الآن برعايته وسأتصل به أنا لإبلاغه برغبتك.

شكره سرحان شكراً كبيراً وعاد للمطبعة فرحاً ومتحمساً للعمل، وهو ينظر الأسطه (جمال) وكأنه إنسان جديد آخر. إضافة له صفة الشيوعي الكثير من الهيبة والاحترام.

وبالفعل كتب رسالته كما أفهمه أسطه جمال ووعدته أن يأتيه الرد بعد اطلاع الرفاق وأخذ موافقتهم على طلبه، وهكذا كان فقد ورده الرد الإيجابي بقبوله مرشحا لعضوية الحزب في الوقت الحاضر وسيوضع تحت التجربة النضالية العملية لمدة ستة أشهر قابلة للتمديد للبت في عضويته من عدمها.

أخذ (غضبان) يضاعف عمله وقراءته ويواظب حضور اجتماعات خليته الحزبية التي كانت تشكل من عمال المطابع وبعضهم ضمن مطبعته التي يعمل فيها، كان يزور عائلته كل ما سنحت الفرصة لذلك، وأخذ يزور أعمامه وأبناء

قريته، منورا مثقفا مقيما كل فرد من أفراد العائلة للأقارب وبقية الفلاحين وأصدقائه ومعارفه الآخرين، أصبح ولده الأكبر (كفاح) شابا يافعا يتقدم في عمله المهني (النجارة) ويبرع فيه بشكل أعجب الأسطه (نوماس) الذي اخذ يقطر له الفكر الاشتراكي وفقا لمدركاته وقدراته مما جعله يصبح من نشطاء (الاتحاد العام لطلبة العراق) البارزين في النجف ومنطقة الفرات الأوسط.

أخذ الناس يلمسون التغيرات الكبيرة التي ظهرت على شخصية وسلوك (غضبان) واستطاع أن يقنع أم (كفاح) ببقائه هناك في بغداد لأنه أصبح ملك عمله الجديد قبل أي شيء آخر، وانها وابنتها (سعوده) سيتنقلون إلى بغداد، بعد إن ينهي (كفاح) دراسته في الثانوية، ويدرس في الكلية التي يرغبها في جامعة بغداد، أستطاع أن يبني له قاعدة قوية في الريف وفي المدينة، وبين أصدقائه وزملائه في العمل بالإضافة لصداقته التي توثقت يوماً بعد آخر مع صيادي الأسماك منذ يوم الحفلة المشهودة على ضفة النهر.

أخذ نجم (غضبان) يستطع كعامل واعٍ مثقف محبوب صاحب جماهيرية كبيرة بين العمال والصيادين والفلاحين، وهذا ما كان يتوقعه له الأستاذ (سعدون) بعد مرور الستة أشهر الذي كان يعدها يوماً بعد آخر منتظرا اليوم الموعود على أحر من الجمر.

جاء عشية الأحتفال بذكرى ميلاد الحزب في ٣١ آذار ١٩٣٤ فأبلغه مسؤول الخلية بأنه وعدد من الرفاق الآخرين حصلوا على شرف العضوية في الحزب وكان أسمه الحركي (عاصف).

أحتفلت الخلية بميلاد الحزب الحادي والعشرون ١٩٥٥، وبميلادهم الجديد بمنحهم شرف العضوية في حزب الفقراء والكادحين.

قرر أن يحتفل بهذه المناسبة العظيمة، أن يدعو (جمال) وبعض رفاقه وأصدقائه إلى سهرة جميلة بالمناسبة على ضفاف دجلة مع أصدقائهم الصيادين، وكان لهم ذلك أحتفلوا في الهواء الطلق في ليلة قمراء براقص نور القمر موجات دجلة التي أكتست بشعاعه كما يزين سماء صافية، سرعان ما مسحت الرياح عن وجهه المشرق بعض قطع من غيوم متفرقة فتألق نوره مع صدى صوت (غضبان) المتدفق عذوبة ورقة، بلغ الفرح والمرح منتهاه في هذه الليلة السعيدة، أزداد (جمال) فخراً برفيقه الرائع الممتلئ حماساً ونشاطاً وحيوية وجرأة، أصبح مثالا رائعا للمناضل المأمول.

بعد مرور فترة على منحه شرف العضوية، طلب منه إن يتفرغ لفترة أسبوع لحضور دورة تدريبية خاصة حول عمل وتصليح وصيانة الطابعات بطلب من الحزب بلغ به بشكل فردي عن طريق الرفيق جمال، وقد غطي أمر غيابه بسفره إلي عائلته في

النجم فالأمر يجب إن يكون في غاية السرية والكتمان حتى على رفاقه، وهكذا التقى (غضبان) الرفيق (سعدون) الذي أوصله بدوره إلى البيت الذي تمت فيه الدورة، تمكن (عاصف) من اجتيازها بشكل يثير الإعجاب نظرا لحماسة وتجنيد كل طاقته من أجل خدمة عمله النضالي وتطور حزبه فذلك يقرب الفقراء من يوم الخلاص كما يرى.

عاد إلى عمله في المطبعة وبعد عدة أيام قرر الحزب أن يتفرغ لمهمة خاصة وعليه يجب تغطية أنقطاعه عن عمله في المطبعة بادعاء سفره إلى بلدته والتحاقه بعائلته بسبب ظروف خاصة، وبالفعل ترك عمله مودعا زملائه ورفاقه ومنهم الرفيق والصديق (جمال) ليذهب إلى بلدته وتفقد عائلته وأطفاله وأبناء عمومته ليوودعهم بعد عدة أيام على أن يزورهم وقت تسمح له الظروف بذلك.

عاد وهو مملوء ثقة وفخراً بتطور الخلايا التي أسسها في الريف، وتطور عمل ولده، الذي تم تغيير اسمه بطلب من الأسطه إلى (كفاح) الذي كان فطنا جميلا ذكيا وشقيقته التي دخلت المدرسة أيضا بإلحاح من (كفاح) الذي أعلن عن رغبته بالدراسة في كلية الآداب، عند تخرجه في نهاية عام ١٩٥٦ نظرا لعشقه للشعر والرواية بعد شغفه بقراءة كتب الأدب الذي يحصل عليها من عدد من المثقفين الثوريين في المدينة أمثال (حسن عوينه) و(مرتضى فرج الله) ومن زملائه

الطلبة، نظرا لما يملك من موهبة شعرية وحبه للأدب  
عموما.

التقى الأستاذ (سعدون) فور عودته إلى بغداد وفق موعد  
مسبق متفق عليه، رحب به معبراً له بفخره واعتزازه لتفانيه في  
سبيل قضيته وحزبه، والآن يطلب منه الحزب أن يعمل في  
إدارة وتشغيل مطبعة من النوع الذي تدرب عليه من أجل  
زيادة فعالية إعلام الحزب ووسائل تحريضه وتواصله مع  
جماهيره في ظل المستجدات السياسية على الساحة الوطنية  
وبروز دور الحزب القيادي في قيام وقيادة (جبهة الاتحاد  
الوطني) من أجل الخلاص من النظام الملكي الرجعي.

تقدم سعدون أمامه مبلغا إياه أن يتبعه ويفعل ما يفعله، توقف  
(سعدون) في موقف أحد الباصات فتبعه ليصعد الباص خلفه  
دون أن يجلس إلى جانبه أو يكلمه، في المنطقة التالية نزل  
(سعدون) فتبعه (عاصف) سار (سعدون) متوجها لأحد الأزقة  
بعد أن تأكد بان لا أحد كان يتابعه أو يراقبه، أنتظر (عاصف)  
وافهمه انه سيلتقي بالرجل والمرأة القادمين من الاتجاه  
المعاكس لخط سيرهما، سيسألهما بعض الأسئلة ليثبت له  
بأنهم المقصودون بلقائه وعندما يتركهما عليه أن يمثل لقائه  
بهما كأنه صدفة، يقبل بعضهما البعض الأول بأسم (فالح)  
والثانية (مليحة) كأنهم من معارفه ومن أقربائه التقاهم

بالصدفة هنا وعندها سيتولى الأمر الرفيق والرفيقة الذين التقيتهم، وهكذا كان

فعل ما طلب منه حين لقاءه (فالح) و(مليحة) سلم عليهما بحرارة وهم ردوا عليه بمثله كذلك، السؤال عن الأهل والأصدقاء والعيال وإنَّها صدفة جميلة أن يلتقيا به، وما عليه إلا أن يذهب معهما لدارهما فهو ضيفهم اليوم.

رغم حرارة هذا الحديث ومظهر عفويته كانت عينا (عاصف) لم تفارق (مليحة) أخت فالح، لاشك انه سبق وإن رأى هذه الفتاة في مكان ما يجب أن يتذكره، طولها، شكلها، عيونها، صوتها إلا إنَّها سافرة ولهجتها بغدادية.

أنعلك يا الشيطان، أيصير اهييه، لآلا موهيه وين ذيج وين هاي، الله يخلق من الشبه سبعين، لآلا موهيه موهيه ابعيدة. وبعده گليك يرفرف عليه.

سار معهم مسافة ليست ببعيدة، أتجها نحو داراً في أحد (الدرايين) البغدادية القديمة، أدارت (مليحة) المفتاح في باب الدار، فتح الباب، دخل الثلاثة للدار وجدها داراً بسيطة ذات أثاث متواضع جداً، يتوسطها تنور وأكوام من الحطب، الخ.

جلس الثلاثة على بساط يغطي أرضية الغرفة، قال فالح: رفيق (عاصف) :- أنت الآن في احد بيوت الحزب و(مليحة) بمثابة شقيقتك، تشاركك السكن في الدار وأنا ابن عمكما إلى حين أستقدام عائلتك.

الدار تضم آلة طباعة سوف تكون أنت أحد المشرفين على تشغيل هذه الآلة المهمة جداً بالنسبة للحزب في الوقت الحاضر، ستأتيكم طلبات الطباعة منسوخة باليد لتقومون بطباعتها ومن ثم إحراقها، وحسب الأعداد المطلوبة وفي الأوقات المحددة، أما توزيعها فستكون من مسؤوليتي فانا سأكون يومياً هنا لاستلام أرغفة الخبز التي تتولى خبازتها (مليحة) باعتبارها خبازه توفر الخبز للمطاعم والبيوت لمن يطلبها، ستكون كمية من المناشير بين أرغفة الخبز مؤشرة بعلامة خاصة سأوصلها للحزب بطريقتي الخاصة ليتولى الرفاق والأصدقاء بتوزيعها، أما القسم الثاني فستتولى مليحة طريقة إيصالها للحزب، أي طلبات لك ولمليحة وللطابعة كل طلباتكم واحتياجاتكم سيوفرها الحزب لكم، والآن أودعكم وإلى لقاء.

انفرد (عاصف) بمليحة التي كانت اسماً على مسمى جمالاً ورشاقة وحسن حديث.

أطلعته على غرفة داخلية، أزاحت (الكاتورت) جانباً فظهرت باباً خلفه، تحتوي الغرفة على آلة الطباعة وكمية من الأوراق والأحبار وما إليه من مستلزمات الطباعة أفهمته أن هذا مكان عمله، ليقوم بطباعة كل ما يطلبه الحزب منه المنشورات والبيانات الحزبية، الخ، التي ستتولى هي و(فالح) عملية توزيعها وإيصالها إلى المنظمات الحزبية بطريقته ووسائله

الخاصة، كانت تتحدث معه وتشعر انه سارح ومشغول رغم سماعه لها، بأمر آخر، على لسانه سؤال وكلام يتردد في البوح به لها فبادرته بالقول: نعم يا أبو (كفاح) حدسك وتوقعك وشكك صحيح تماماً فانا (سميرة) التي عرفتُها سابقاً وقد ماتت لتولد بمحلها (مليحة) الشيوعية زوجة الرفيق الشيوعي (مشتاق) السجين في نقرة السلطان لعشرة سنوات، فبعد إن افترقنا وعلمت بهروبك من المدينة تعرفت مشتاق بالصدفة فكان ودوداً طيباً صادقاً، يفيض حباً وحناناً وإنسانيةً، كان يعمل في أحد محلات بيع القماش، كانت لنا علاقة حب كبيرة توجناها بالزواج، ترك (مشتاق) العمل في السوق وتوارينا للعمل في بغداد، ألي حين إلقاء القبض عليه قبل اقل من سنة من قبل الأمن وحوكم محاكمة شكلية بدعوى قيادته للتظاهرات وتوزيعه للمنشورات، بقيت لوحدي، كلفني الحزب للتفرغ لإدارة الأوكار الحزبية والقيام بمهام مختلفة في مختلف المدن العراقية، ومنذ ذلك الوقت نذرت نفسي وجهدي وكل حياتي للحزب ولزوجي الحبيب الذي انتشلني من حالة الفقر والتشرد والوحدة بعد موت والدي، كان مشتاق ضحية أنهيار احد الرفاق في السجن تحت التعذيب، وها أنا الآن أقوم بدور الأخت الخبازه للرفيق (عاصف) الذي هو أنت للعمل من أجل طباعة وتوزيع بعض منشورات الحزب وبياناته بالأشتراك مع بقية الرفاق في بيت المطبعة،

فمن هذه اللحظة أنت أخي ورفيقي في النضال علينا إسدال الستار على الماضي الذي تعرفه وأتمنى إن تكون بمستوى المسؤولية الكبيرة، فقد ماتت (سميرة) كامات (مظلوم) وولدت (مليحة) و(عاصف).

أصيب (عاصف) بالذهول والعجب مما سمع ومما رأى كيف دارت الأيام وما هو سر هذا الفكر في تغيير سلوكيات الناس من حال إلي حال لا يمكن تصورهما في الخيال، وإلا من يصدق ما وصل إليه (مظلوم) الفلاح والبائع المتجول الجاهل إلى ما وصل إليه، ومن يصدق ما وصلت إليه (سميرة) الأمية اليتيمة الفقيرة بائعة القيمر لتكون (مليحة) المناضلة تضحي بشبابها وراحتها وتمتعها من أجل قضية كبرى تجر عليها الولايات من سجن وتشريد وتعذيب.

أمام مثل هذه الصورة والتحويلات الكبرى في حياة الناس ومثالها (مظلوم) و(سميرة) والأمثلة الكبيرة لشياع ومشتاق وأستاذ منير ونوماس وجمال ووو عظم أمام عيني (عاصف) الفكر والحزب ومسيرته الكفاحية الجبارة، فضاعف حماسه وأقسم أن لا يدخر جهداً من أجله، وأن تكون علاقته علاقة الرفقة والأخوة الصادقة النقية البعيدة عن الغرائز الحيوانية.

واصل (عاصف) عمله في المطبعة، ازدادت نشرات الحزب وبياناته، بعد قيام (جبهة الاتحاد الوطني) بين القوى الوطنية العراقية، أثر الجهد الكبير والتبدل النوعي في سياسة

ونشاطات الحزب فأصبح له دور كبير في قيادات نضالات الجماهير العراقية من أجل التحرر والأنعتاق. كان يتابع بألم كبير أخبار الانقسامات والخلافات والصراعات بين القيادات الحزبية، التي كانت لاتعدو أن تكون خلافات شخصية من أجل تبوأ المواقع العليا في القيادة الحزبية أو نتيجة اجتهدات وتأويلات فكرية، إما يفتقر بعضها لنضج في الوعي، أو عدم القدرة على الإقناع وإيصال ما يريده إلى بقية الرفاق. وقد كان يتألم كثيرا حينما يرى عملاً ينم عن الأنانية أو الكذب والأحتيال ممن يقول إنّه (شيوعي) فقد تمثلهم أنقياء لا يقربهم الخبث أو الغش لأمن قريب أو من بعيد، ولكن التجربة والحياة الواقعية علمته غير ذلك.

"أي ولك (مظلوم) ذهوله هم مثل شيوخ الأفخاذ عدنه كله أتريد تصوير شيوخ عموم وتگوم تامر وتنهي، هاي أحنه وين ما نروح شايلين أمراضنه ويانه، چا وين الوعي والفكر؟" وكان هناك سؤال كبير يؤرقه ولم يجد له جواب، كان يضايقه كثيراً ويبحث له عن جواب مقنع فلا يجد، ألا وهو مالذي يجذب هذه العناصر الأنانية، الكاذبة، المتعثلبة إلى الحزب، حيث النقاء والتضحية والصدق والشجاعة كما تتجسد في أفكاره وسلوكيات قاداته؟

بناقش الأمر مع (مليحة) ولكنها تبدو عاجزة أيضاً أن تجد جواباً شافياً لهذا السلوك المتناقض خصوصاً وانها قد تعرضت للكثير من الأذى من قبل مثل هذه النماذج، التي تصفها كالبثور المتقيحة في وجه وسيم نصر.

كان يتمنى إن تصلهم كتب وكراسات خاصة تهتم في البحث في السلوكيات الخاصة بالافراد وما يدفعهم للبس الأقنعة، ولكن يبدو إن الاهتمام بمثل هذه الأمور لم تحض بأهتمام قيادة الحزب ولجانه الفكرية بالرغم من أهميتها فقد كان الأهتمام في الأمور التنظيمية والسياسية هو السائد في ظروف عمل غاية في الخطورة والسرية.

وكم كان فرحا وسعيداً حينما قرأ حول تجربة الرفاق الشيوعيين الفرنسيين في سجون النازية حيث كان الرفيق جورج مارشيه معتقلاً مع جمع هائل من المواطنين الفرنسيين عند سقوط باريس وسيطرة الفاشست عليها.

تتلخص القصة في أن أحد الشيوعيين العمال المعتقل في نفس معتقل جورج مارشيه والذي تعرف عليه لان صورته كانت غالبا ما تتصدر صحيفة الحزب وأدبياته آنذاك لكونه قائدا مشهورا، ونظراً لكون الشيوعي يجب أن يكون ناشطاً في كل وسط يتواجد فيه بما فيها السجون والمعتقلات، فأن واجبه يقتضي العمل على تنظيم السجناء وضمهم للحزب أو كسب صداقتهم على الأقل، فاقترب من مارشيه عارضاً

عليه ما ينوي عمله طالباً منه إرشاده إلى أسلوب العمل وكيفية التحرك وما هي أفضل الطرق لإيصال فكر الحزب للسجناء.

فأجابه مارشيه:- ما مضمونه أنهم قد مضى على وجودهم في السجن فترة غير قليلة وأنَّ أغلب السجناء يشعرون بالجوع الشديد، وإنَّ غريزة الجوع هي من أهم الغرائز الإنسانية والحيوانية على حد سواء، لذلك فإنَّ كبتها أو ضبطها والتحكم بها يمكن أن تكشف عن معدن الشخص، فبعد قليل سيشر الفاشست (لفات) الطعام من على سياج السجن فوق رؤوس السجناء، وسنرى ما يحدث، فعلا حان وقت رمي الطعام فشاهد الأنان إن بعضهم تلقف (اللفة) من يد زميله في السجن وهو يحاول الحصول على أكثر من واحدة، إما الآخر فقد احتفظ بما وقع في يده، في حين كان الثالث أعطى ما حصل عليه إلى زميل مجاور لم يتمكن من الحصول على شيء.

فخاطب مارشيه رفيقه قائلاً:- هل راقبت ما جرى؟ فمن حصل على (لفة) وأعطاهها إلى زميله مفضلاً إياه على نفسه هذا شيوعي وإنَّ لم ينتم ولا يحتاج إلى جهد كبير لينضم إلى صفوف الحزب ومؤازريه، وإما من أحتفظ بواحدة لنفسه دون إن يزاحم غيره فهذا ممكن إن يكون صديقاً للحزب.

إما من أخذ (لغة) زميله وأحتفظ لنفسه بأكثر من واحدة فهذا لا يصلح أبداً ليكون مناضلاً شيوعياً نظراً لأنانيته وغريزته الحيوانية المفرطة.

كان (عاصف) كثيراً ما يعرض هذه القصة على رفاقه ومعارفه ويتداول معهم ومع (مليحة) وقد كانت أشبه بالكاشف لطبيعة من يلتقي خلال عمله الحزبي وحياته العامة.

لاحظ الحماس المفرط وعلو الصوت حد الصراخ للبعض أثناء المسيرات والتظاهرات والهبات الشعبية، حينما يكون محمولاً على الأكتاف، ولكن الوحدة والمواجهة الفردية مع الجلاذ وفي المواقف الصعبة تظهر حقيقة هذا الفرد، فبعضهم سرعان ما ينهار وتذوب كل عترياته في أول مواجهة وقد فهم إنَّ هؤلاء هم من الساعين إلى البطولة والشهرة وسط الجموع ولكنهم يتحولون إلى فئران عند المواجهة الفردية.

إما الصنف الثاني والذي غالباً ما يتصف بالهدوء والإبتعاد عن الضجيج والصراخ والأدعاء وقديكن من حملة الأبطال على ظهره وسط الجموع، نراه كالفلواذ في مواجهة جلاذيه في زنارته الأنفرادية يذهل جلاذيه بقوة تحمله وصبره وتحديه وهؤلاء هم المناضلون، فكل مناضل هو بطل، ولكن ليس كل بطل مناضل. فقد كان فهد ورفاقه مناضلين حقيقيين، في حين كان مالك سيف بطلاً.

بعثت في روحه الأخبار الأخيرة بوحدة الفصائل الشيوعية بفضل حنكة ومهارة وكفاءة الرفيق (سلام عادل) الذي أحبه كثيراً دون أن يعلم بأنه هو نفسه (سلام عادل) وهو حسين الرضوي، بعثت إخبار لم شمل الحزب مزيداً من القوة والأندفاع والحماس فظل يسهر الليالي لطباعة منشورات الحزب وبياناته وأبدع في صيانة الطابعة والمحافظة على كفاءتها بالتعاون مع بقية الرفاق في بيت المطبعة، لأنها كانت ذات أهمية استثنائية في مثل ظروف الحزب آنذاك، كانوا يبدعون أساليب ووسائل استلام وتسليم الرزم المطبوعة وهم يعلمون إنَّ هناك أكثر من طابعة وأكثر من وكر للطباعة ولكنهم يشعرون وكأنهم الوحيدون المسؤولون عن طباعة منشورات الحزب، كانت هذه المطبوعات تلهم حماس الجماهير والتفافها حول الحزب وتبنيها لسياسته وبرامجه وتزيد من استعدادها للتضحية من أجل تحقيق أهدافه المتمثلة في (وطن حر وشعب سعيد) هذا الشعار الذي أصبح يتردد على كل لسان نظراً لعمق وبلاغة وغنى مضمونه.

كانت السلطة تفقد صوابها لعدم قدرتها على كشف هذه البيوت والأوكار السرية للشيوعيين ومطابعهم فقد كان يعلم إنَّ هناك مطابع سرية أخرى يمتلكها الحزب ويديرها الرفاق من أجل طبع منشورات الحزب وأدبياته، رغم جيش مخبريها السريين ووكلاء أمنها ومخابراتها التي باءت بالفشل ولم

تستطع إخماد صوت الحزب الذي ظل عاليا ومسموعا في كل المناسبات الوطنية والقومية والأممية عبر منشوراته ومسيراته وتظاهراته الداعية للخلاص من الحكم التابع لقوى الاستعمار والرجعية، والعمل للحفاظ على الثروة الوطنية العراقية وان تكون لصالح كادحي الشعب وجماهيره الفقيرة والمهشمة.

رغم أنّ إنهماكه في العمل في بغداد، إلا انه ظل متابعا بشكل دائم لمجريات الإحداث في النجف حيث كان يزور عائلته بين فترة وأخرى، ويستمتع كثيرا لولده (كفاح) الذي أخذ يشتد عوده في طريق النضال مع بقية رفاقه في المدينة، وقد حدثه بإعجاب كبير لزيارة الرفيق المشرف في صيف ١٩٥٥ قيل انه المسئول الأول في (راية الشغيلة) للحزب الذي زارهم قبل فترة، وهو يرتدي لباس رجل دين من عمامة خضراء وجلباب المتدينين، وقد كان موسوعيا في ثقافته ويمتلك قدرة كبيرة في الإقناع، كان مهتما ومهموما في قضية وحدة الحزب والتخلص من الشرذمة والأنشقاق، مما أثار إعجابه قدرة الرفاق على التمويه والحركة والنشاط رغم انف قوى الأمن والسلطة وجواسيسها، وقد كان (كفاح) ووالده في غاية السرور لإعلان وحدة الحزب بجهود كبيرة من قبل قيادتي الطرفين (جمال الحي دري) عن راية الشغيلة و(سلام عادل) عن الحزب الشيوعي العراقي (القاعدة).

مدينة النجف لم تتخلف عن ركب أغلب مدن العراق كبغداد والحي، حيث هب أحرار العراق لنصرة الشعب المصري الشقيق الذي تعرض للاعتداء الثلاثي في ١٩٥٦، حيث كان (كفاح) من المساهمين النشطين في هذه التظاهرة الحاشدة التي شاركت فيها أغلبية كبيرة من النجفيين، وبمشاركة القوى القومية ومن البعثيين، وقد انطلقت التظاهرة من ثانوية الخورنق، وحال انطلاقها أشتبكت مع قوى الشرطة والشرطة السرية، أدى إطلاق النار من قبل الشرطة إلى أستشهاد كل من (أحمد الشيخ علي الدجيلي) من الشيوعيين، ومن القوميين الشهيد (عبد الحسين الشيخ راضي) مما أوجج مشاعر النجفيين وازداد غضبهم وتحديهم للسلطة، فقد حملوا قميص الشهيد متوجهين صوب السوق الكبير فالصحن الحيدري، وقد جلبت السلطة قوة من الشرطة غربية الهندام من بغداد حيث يضع كل منهم خوذة وريشة في أعلاها لإرهاب المتظاهرين، وقد حاصروا المتظاهرين عند باب القبلة، وقد قاموا بإطلاق العيارات النارية لترويع المتظاهرين، وبالفعل لم يبق من المتظاهرين إلا القليل، وعندها انبرى لهم البطل والمناضل الصلب (محمد موسى التتنجي) حيث أعتلى تلة صغيرة في (العكد) الضيق خلف بناية معين سنجر، واستل من تحت دشاشته (قامة) أربع بريقها الشرطة، وقد هتف صائحا: (نوري رصاصك منهابه)

مما بث الحماس بين صفوف المتظاهرين وزرع روح الصمود والتحدي بين صفوفهم، وأستمرت التظاهرة رغم أنف السلطة وجبروتها.

لقد كان القائد الميداني للتظاهرة محمد موسى التتجي مثلاً كبيراً في الإقدام والشجاعة، مما جعلني أقف مبهوراً أمام ببسالته وتحديه للسلطات الرجعية، وكسر شوكتها والأستمرار في التظاهرة وإيقاد حماس الجماهير، وقد شاهدت عدداً من الطلبة النجفيين الدارسين في بغداد وهم يشاركون في تظاهرات النجف حيث تم إغلاق وتعطيل الدوام في بعض الكليات هناك وخصوص كلية القانون ومنهم الكادر الطلابي الناشط (حكمت شبر) طالب كلية القانون، الذي سبق وأن التقاه (كفاح) في بغداد وفي نادي كلية الآداب تحديداً.

كان (مظلوم) يدخن ويستمتع بإعجاب كبير لما يرويه ولده حول بطولة أهالي النجف ونخوتهم القومية والإنسانية تضامناً مع اخوانهم المصريين.

وقد كانت أخبار الجماهير الغاضبة والمنتفضة في قضاء الحي تثير الحماس بقدر ما تثير الغضب في نفوس كل العراقيين نظراً لما أقدمت عليه السلطات الغاشمة في استخدام العنف المفرط ضد جماهير الحي وخصوصاً من الشيوعيين قادة التظاهرات، بعد احتلال المدينة وأستباحتها من خلال التحريات على المنازل واعتقل المئات من

المواطنين. وأجريت محاكمة صورية في إحدى مدارس لواء الكوت لبعض المعتقلين الذين اتهموا بالمسؤولية المباشرة عن ما كان يجري في المدينة من اعتصامات واضرابات وتظاهرات احتجاجية، ودور أساسي في إدارة وقيادة الانتفاضة، وصدّرت تلك المحكمة حكمها بالإعدام شنقاً على كل من المناضل الشيوعي علي الشيخ حمود ورفيقه عطا مهدي الدباس، والحكم بالإعدام غيابياً على المناضل المعروف الشهيد عبد الرضا الحاج هويش.

السجن بثلاث سنوات على الشخصية الوطنية البارزة الجادرجي على خلفية انتفاضة ١٩٥٦ المساندة للشقيقة مصر.

تحدثاً كثيراً وبألم ظاهر حول الأسلوب والطريقة التي جرت خلالها التظاهرات الجماهيرية سواء في ١٩٥٢ أو في ١٩٥٦، كونها كانت تحدث في مدن والوية مختلفة وفي أوقات مختلفة، فكان المطلوب أن تحدث هذه التظاهرات الجماهيرية العارمة في توقيت واحد أو على الأقل متقارب في المدن العراقية، لكانت الخسائر أقل بكثير والمكاسب أكبر مما حصلت عليه الجماهير، وهذا طبعاً يعتمد على مدى حنكة ودراية وفطنة قيادة الحزب، وقد تم مناقشة هذه الأمور

من قبلهم خلال المؤتمرات والاجتماعات الحزبية ووضعت كل الملاحظات أمام قيادة الحزب، وقد كان الرفيق (سعدون) يشارك (عاصف) في أغلب ما ذهب اليه.

في نهاية هذا العام أكمل (كفاح) الدراسة الثانوية ناجحاً بتفوق وقرر الدراسة في كلية الاداب لعام ١٩٥٦-١٩٥٧.

أطلع على رسالة الرفيق سلام عادل في ٢٤-١٠-١٩٥٦ حول رفض أسلوب الأغتيالات كوسيلة لتصفية أعداء الشعب والوطن وعملاء الاستعمار من أمثال نوري السعيد وزمرته، حيث أعتبرت الرسالة انَّ أسلوب الأغتيالات الفردية تشخصن نهج الأنظمة المعادية لشعوبها وتحمل شخصاً بعينه مسؤولية ما يجري ضد الشعب وهذا يعتبر قصوراً في الوعي وعدم تحميل الطبقة الحاكمة بكانلها مسؤولية حالة التردى والتبعية للقوى الأجنبية، وقد كانت الرسالة مقنعة وحججها مسلم بها، كما أنَّه اكبر الرفيق (سلام عادل) في رده الواضح والحاسم حول ما أراد ان يقدم عليه بعض قادة الحزب من الاكراد في حل الحزب الشيوعي في كردستان بتنظيمات البارتي، وطمر هذا النهج الخاطيء في مهده.

في أوقات تناول الطعام واوقات الفراغ يحلو السمر في بيت المطبعة، وقد كان (عاصف) يحضاً بحب وأحترام رفاقه وقد كانوا خليطاً من الكرد والعرب والاشوريين، مسلمين ومسح وصابئة وايزيديين، حتى انَّ بعضهم لا يعرف دين الآخر ولم

تكن هذه الأمور من أولوياتهم، شجع هذا الاختلاط أن يعلم بعضهم البعض لغة قومه بقدر ما يسمح الوقت وبقدر استعداد الرفيق للتعلم أو التعليم، أخذ عاصف يفهم الكردية ويستطيع أن يوصل ما يريد عند التكلم بها، وأختزن الكثير من لغة الأشوريين، والصابئة، لقد كان يريد ان يتعلم كل شيء وبأسرع وقت ليكون أكثر قدرة وكفاءة على أداء واجبه النضالي، وقد كانت له علاقة مميزة برفيقه الكردي (عوله) الذي أتاها من صفوف حمالي (الشورجة) وهو في الأصل من أهالي (السليمانية) ضاقت به مدينته فجاأ إلى بغداد، وهنا انخرط في طريق الكفاح بعد طول معاناة، كان كاكه (عوله) طويل القامة مفتول العضلات، وشارب خشن طويل يغطي شفته العليا، كان لون بشرته أبيض يميل للحمرة المحببة، مغرم بأحتساء عرق بعشيقه، كان يحتسيه (ساده) دون تخفيفه بالماء كالآخرين ولكن الغريب أنه لا يسكر ابداً على الرغم من إن مزته (جاجيك) لبن أربيل فقط، لا يفارقه (مشربه) أو (بايه) الخشبي الطويل المقوس المصنوع في السليمانية، ونهمه في تدخين سكاير (لف) من تبغ عراقي يدعى (أبو الريحه) كان يحفظه في محفظة جلدية صغيرة مصنوعة من جلد ماعز بخلاف اغلبية مدخني التبغ (اللف) حيث يضعونه في كيس قماش يعد لهذا الغرض. بالإضافة إلى قداخته النفطية المميزة والتي يقول انه ورثها عن ابيه وانها مصنوعة

في روسيا كما مكتوب عليها، وكان بعض الرفاق يقولون له  
أنّها هدية الرفيق (ستالين) إلى المرحوم والدكم فيرد عليهم.  
- أني ميدري يجوز كان الوالد شيوعي كبير وأنّي ما يدري،  
هي مرات يبسبس مع والدتي ويدخلون غرفه ويسدون باب  
عليهم، بس ما أدري ليش من يخلص أجمعهم يروحون  
يسبحون، يجوز كانوا يلتحمون بنقاش حار، مو مسل  
أجماعات ما ل أحنه بارده.

يضحك الجميع لطرافة وخفة روح رفيقهم (عوله).  
كان عاصف يحاول دائماً أن يثير شجون رفيقه (عوله)  
لتخفيف أثر الضغوط الكبيرة التي تحد من حريتهم وتثير  
تحفظهم خوفاً من أن ينكشف امرهم من قبل سلطات قمعية  
لا ترحم، فكان يساله عن حياته السابقة في كردستان ومنها  
غرامياته المخبوءة، والتي هي عبارة عن جمرات لا تبرد ولا  
تكف لسعاتها طوال حياة الفرد العاشق فكان (عوله) يقول  
ضاحكاً: رفيق عاصف لا أدري ماذا تجد النساء في (عوله)  
فقد كن يطاردنني اينما أكون رغم اني لا أمتلك قوت يومي،  
ولا أظنني فائق الوسامة كما ترى، وقد كن هن سبب هروبي  
إلى بغداد، فقد جننت وجنت في حبي (زمرد) رفيقتي في  
رعي الأغنام في قرينتنا، كانت حبي الحقيقي، وكانت غاية في  
الجمال تفيض أنوثة ورقة، ذات عيون عسلية ساحرة، وصوت  
عذب كان يناغي قمم الجبال وخيرير ماء الينابيع، وحفيف

أوراق أشجار الجوز، تسمعي صوتها العذب حينما نكون في  
خلوة بعيداً عن عيون المتطفلين نرعى أغنامنا وعزائنا عند  
سفوح سلسلة جبال ازمر الشامخة، كنا نرتوي قبلاً وعناقاً  
لايتهي من نبع غرام لا يعرف الجفاف، ولكن هذا الحب  
هاجمه على حين غرة ذئب بشري مفترس، حيث أختطفها  
من بين يدي أبني عمها وتزوجها دون رضاها وقد تسبب هذا  
القهر إلى انتحارها المفجع بالقائها نفسها من على قمة الجبل  
نحو الوادي السحيق وقد عثروا عليها جثة هامدة ونتيجة  
لذلك سقطت طريح الفراش لأكثر من أسبوع، وقد كبت  
المني وحزني فلم أكن أبوح به إلا لعزاتي حيث كن الشاهد  
الوحيد على حبنا الجارف، ستبقى (زمرد) جرحي النازف  
الذي لا اظنه سيندمل ابداً.

وبعد ماذا يا معشوق النساء؟

لقد أبليت بعشق ابنة أحد الأغاوات الطغاة في من في  
منطقتنا، كانت تلاحقني أينما ذهبت، كانت تتعقب أخباري  
وأماكن تواجدي محاولة الأفراد بي، معرضة نفسها وأنا إلى  
خطر انتقام والدها وقبيلتها التي لا ترحم، وقد حاولت ثنيها  
دون جدوى، مما جعلني اقع تحت خطر داهم سيفقدني  
حياتي وحياة عائلتي فقررت مغادرة القرية والذهاب للعمل  
في مدينة السليمانية كعامل بناء وبعد مرور ما يقارب الشهر،  
تفاجأت بها تقف فوق رأسي وأنا أتناول طعامي في أحد

مطاعم المدينة وقد توعدتني بأنها ستفعل ما لا أتصوره أن لم أعد إلى القرية، فأخباري سوف لن تخفى عليها أينما ذهبت حتى ولو كنت في السماء السابعة!

مما جعلني في حيرة من امري فإلى اين المفر من هذه المجنونة بحب راع فقير لا يملك قوت يومه، طمنتها ممتصا غضبها خشية حدوث ما لا يحمد عقباه وأني سأعود إلى القرية بعد أسبوع، وقد ألفت علي أحداهن شباكها في السليمانية وحدثت منافسة حادة بينها وبين كتنها، فقررت الهرب بعيدا إلى مدينة بغداد هارباً من نقمة الحب القاتل الذي يلاحقني وقد غيرت أسمى والتحت بحمالي الشورجة لكسب قوت يومي وأرسال الفائض إلى عائلتي بطريقة سرية بحيث لا تصل أخباري إلى بنت الآغا.

وما هو سر تعلق النساء بك رفيق (عوله)؟

يبدو أن هناك سراً لا أعرفه بالضبط، ولكن لا بد إن هناك ما يثير غريزة بعضهن الجنسية، ربما رائحة خاصة في جسدي، ربما تركيبة جسمي، وربما حظي العاثر، أن تلاحقني السلطة والنساء، والمشكلة يا رفيق أن الأمر لا يقتصر على النساء فقط وإنما على الشواذ من الرجال، وقد ادخلني هذا الحال في الكثير من الأحراجات والمطبات الخطيرة والطريقة أحيانا، تذكر أُمي أن أحد أجدادي عن أبي ربما قبل مئات من السنين كان يمتلك هذه الصفة أيضا، وقد تعلق بـحبه ابنة

أحد السلاطين آنذاك دون أن يتمكن من الأفلات منها،  
فكانت حياته ثمنا لحبه هذا؟

ظلت قصة حبهم تلوكها الألسن كل هذه السنين يضيف عليها  
الرواة ما تجود به مخيلتهم بما تشاء، حتى لم يبق ما يربطها  
بالاصل سوى القليل القليل اللهم إلا أسم العشيقة والعشيق،  
وأحيانا تضاف إلى أسميهما ما يشاء الرواي من الألقاب  
والصفات، ناهيك عن التفنن والخيال الواسع الذي لا يعرف  
الحدود حول جمال وسحر وشجاعة ومغامرات العشيقين  
ووووالخ.

فحين كنت أعمل حمالا في الشورجة، أستلطفني أحد التجار  
الأثرياء، وقد كان رجل مكروش، قصير القامة، أحص، تبدو  
عليه علامات الخنوثة رغم كبر سنه ومركزه الكبير في  
السوق، يحاول أن لا يجعلني بعيداً عنه، يزوره إلى المحل  
أحد أبنائه من زوجة سابقة يعمل ضابطا في الأمن وقد كان  
يرعيني بفضاضته وغروره، وما يرويه لوالده والحضور من  
أساليب التعذيب الذي يمارسها مع السجناء وكل متهم يقع  
بين يديه، يروي هذه الجرائم بتلذذ كبير وبفخر اكبر، فقد كان  
بارعاً في أنتزاع الاعتراف من المتهم الذي يعجز عن انتزاعه  
منه زملائه في المهنة، يفخر بأنه كان يغتصب بعض السجناء  
أو السجينات أمعانا في أذلالهم وتعذيبهم أو دفعهم للادلاء  
باعترافات حتى وإن كانت كاذبة.

وكان والده يقهقه مفتخراً بولده رجل الأمن الذي لا يقهر!!  
كان أحد أقربائه المقربين عضواً في مجلس النواب، يذكره دائماً بأفضاله عليه في فوزه في الانتخابات ووصوله لقبة البرلمان بفضل ما يبذله من أموال للدعاية وأقامة الولائم وأعطاء الرشوات لضمان الفوز، فقد كان بالغ الشراء يمتلك العديد من البساتين والأقطاعات على اطراف العاصمة، وفي المحافظات الأخرى، ناهيك عن جنيته الارباح الطائلة من التجارة البيضاء والسوداء، لا رادع يردعه من اجل المزيد من الربح سواء عن طريق الغش أو الاحتكار والمخاتلة والاستغلال، كان أغلب تجار السوق يحتقرونه لخساسته ولكنهم يخشون غدره وأحتياله ودسائسه، بالإضافة إلى علاقاته الواسعة بالطبقة الحاكمة من وزراء ومدراء وباشوات وأغوات وشيوخ، وشقاوات، ومومسات، ورجال دين وووو.  
طلب مني أن أتفرغ لطلباته هو فقط، أخذ يكلفني بحمل أثقاله وحاجياته إلى داره كان يجزل لي العطاء، وفي أحد المرات، طلب مني الدخول للدار وقد كان وقت غداء، فاستجبت لطلبه، كانت مائدة عامرة بما لذ وطاب من لحم السمك والدجاج والأعشاب والأرطاب، والحلويات، وقد شاركتنا الغداء زوج التاجر وكانت شابة ساحرة الجمال غنجة دلعة تصغره بأكثر من ثلاثين عاما، كانت تلتهمني بنظراتها

الفاضحة، كاشفة عن مفاتن جسدها البض الشهي، دون أي حرج من زوجها الذي كان يبدو منشراحاً راضياً بما يجري. (عاصف) وهو يستمتع لحديث رفيقه يستعرض صور لقاءاته بـ (غنوده) أيام زمان، فيسرح بعيداً، ولكن (عوله) يعيده إلى دائرة الحديث باعطائه سيكارة جديدة من كيسه الماعزي المعبأ بسكائر ملفوفة، يعدها ليلاً ليحرقها في النهار.

وما إن انتهت وجبة الغداء حتى انصرفت عنا زوجته، وأغلقت الباب خلفها، فأنبطح الرجل على بطنه طالباً مني أن أدلك له ظهره فقد هذه التعب هذا اليوم في العمل، تململت في باديء الأمر محرجاً ولكن الح علي الحاج بصوت ناعم متوسل، فاقتربت منه، وباشرت تدليك ظهره، ولكنه أخذ يأمرني بأن أنزل إلى أسفل الظهر، ثم أسفل، ثم خلع (دشداشده) وبان كرشه المندلق، وطلب مني مباشرة التدليك

ثانية، قائلاً لي: يبدو لي أنك خبيراً بالتدليك كاكه (عوله)؟ أنقلب على ظهره ومد يديه بين ساقِي، أنزل شروالي وأمسك به، ممسداً، مهددني أن رفضت سيدعي بأني حاولت قتله وسرقته.

أنكفأ على وجهه وكان معه ماكان، وأثناء هذا الفعل الذي اوصلني إلى درجة الغثيان والقيء اشمئزاً من مؤخرته الكريه وابتذاله الفاضح، فتح باب الغرفة ووقفت قبالي زوجته ضاحكة مخاطبة زوجها: بالعافيه حجي!

- الله يعافيج عيني، وليج يابه هذا يشفي العله، لگطه ما تتفوت.

- بالعافيه حجي وخلي نجرب ونشوف!

- آني متاكد هسه يعجيج هوايه هوايه يعني (يسد ويمد) هههه.

- والله حجي انتة خير بهل الشغلات وتعرف شلون تختار.  
دون أن تبدو اية أستغراب وكأنها أعتادت هذا الفعل، بعد ذلك نهض قاصداً الحمام، تاركاً زوجه بجانبه وهي مبتسمة،  
أرتدى ملابسه بعد أن شربنا الشاي معا، طلب مني أن أبقى في الدار لمساعدة (الخانم) في ترتيب بعض الحاجيات في البيت.

كنت مذهولاً بما يجري، ربت على ظهري (زور باش كاكه عوله) ونقدني (خمسة) دنائير ثم خرج.

طلبت مني زوجه أن أستحم، بعد أن أحضرت المناشف وصابون أبو الريحه لم أره في حياتي وقد كانت عيونها تجدح شبقاً، فعلت ما أرادت، وبعد ان اكملت أقتادتني إلى غرفة نومها باذخة الأبهة والأناقة والأغراء، أجلسني قبالتها، خلعت عني ملابسني قطعة اثر اخرى وهي تلتهمني بقبلات حري، بعد ان تعرت تماما، ناشرة العطر الفواح بعد أن تزينت كما تتزين العروس لعريسها في يوم زفافها، ثارت كل براكين شبقني وغريزتي، وانتصبت كل رماح ذكريتي الهامدة رغم ما

أظناها من فعل سبق، اخذتني في أحضانها اشتبكت الأيادي  
والتحمت المنخفضات بالمرتفعات كموجب وسالب حتى  
أنفجرت كل البراكين، وفتحت كل الزنازين، تشظى الخجل  
وتوارى الوجل، وما ان تهده فورة حتى نبدء ثانية حتى هدنا  
التعب فسقط كل منا على جنب وقد ذهبت في شبه أغفاء،  
ايقظتني بقبلة حرى كانت كالتيار المنعش المنشط أعادت إلى  
كل خلايا جسدي النشاط، فامطرتها قبلا وارتشفت رؤوس  
الحلم النافرة متلمسا اردفها وجسدها البض الذي ينز شهوة  
ويؤجج نيران الرغبة، فاعدنا الكرة وابحرنا للمرة الخامسة في  
بحار الرغبة المجنونة، كان اخرها وسط الحمام الفسيح  
وتحت رشاش الماء المنعش وعطر (الشامبو) والصابون.  
كنت أستمع اليه وانا مصاب بالذهول من غريب ما يروي  
حتى ثارت كل مكان من الرغبة والحنين لماض ذهب.  
قدمت لي طبقا من الحلويات الفاخرة، وانقدتني خمسة دنائير  
أخرى، بعد ان أخذت مني الموائيق بأن لا اغيب عنها ابداً،  
أودعتني إلى باب الدار.  
وبعد.

وبعد ماذا أقول أستمع معي هذا الحال عدد من الأشهر، وقد  
أنهكني الجنس المفرط، فاتخذت أختلق الأعذار للتغيب عن  
العمل لأبتعد عن السوق وعن التاجر الذي يكاد يجن حين  
اغيب عنه لعدد من الأيام، علمت ان زوجه كانت أكثر جنوناً

منه، وكانت تطرده من الدار حينما لا يصطحبني معه، حتى أنها أخبرتني أنها مستعدة لقتله والخلاص منه والأقتران بي، فامتلكني الخوف من تهوور هذه المرأة المدججة بالذهب والكانزة لاثمن الحلبي والجواهر، المهوسة بالجنس وهي تعيش مع زوج شاذ وعاجز عن اطفاء جمرة غريزتها المتاججة دوما.

عندها قررت الهرب إلى أسواق الكاظمية لا عمل حمالا جوالا بالقرب من سوق التجار هناك، حرصت على التحرز كثيرا من دخول دار احدهم، وأرفض طلب من أشك في نواياه أو نواياها وكانت غير قليلة.

حتى قاذني أحد زملائي في العمل إلى طريق الوعي والكفاح الذي وجدت فيه ضالتي في تحقيق حلم عالم أفضل فكان حينها قرار الانتماء للحزب.

أما قصة تعلمي القراءة والكتابة فلها حكاية أخرى مع أحد (الملالي) في قرينتنا.

كان نحيف الجسد، منتصب القامة على الرغم من أن أخايد السنين المرتسمة على محياه السمح، بطرقته الخاصة المميزة تتوج راسه (جراوية) بيضاء اللون، لم أرى لها شبيها، تبدو لي وكأنها كلمة (علم) ملفوفة على شكل عمامه أو (جراوية) يشد منتصفه شدا محكما بحزام منسوج من شعر الماعز بلون التراب، له عيان واسعتان كحيلتان كعيني الصقر، واهداب

طويلة معقوفة بشكل ملفت تشبك بخطي حاجبيه  
المعقودين، من يرقبه جيدا يشعر ان المله يلقي التحية على  
الحجر والشجر، وينحني امام الخضرة والزهور، يقف طويلا  
حينما يرى هدهدا يوكر بعيدا على أغصان شجرة، وكأن هناك  
سر ما يربطه بهذا الطائر الجميل، الذي ينأى بنفسه بعيدا عن  
انظار بني الأنسان، يعيش الوحدة والسكينة والهدوء، كمن  
يعي أنه يحمل فوق راسه كنز الجمال والحكمة التي يبحث  
عنها الانسان، اما عاشقا محب أو كارها منتقما من كل حكيم  
جميل، يبدو احيانا ان (الهدهد) كان يناغي ويحاور (المله)  
يرسل له اشارات لا يمكن ان يحل شفراتها غيرهما، وحينما  
يكتمل الحوار يحوم الطير فوق رأس الشيخ كم يؤدي طقس  
تبجيل واحترام ثم يحلق بعيدا.

كان هذا المله مغرمًا بتعليم الحرف لابناء القرية وبدون  
مقابل، فقد كان يقصد الرعاة إلى اماكن تواجدهم، يغريهم  
ببعض الحكايات ويسمعهم بعضا من ابيات الشعر تدغدغ  
مشاعرهم، فيانسونه ويتحلقون حوله ليعلمهم الكتابة  
والقراءة.

كان يرشي بعض الأطفال ببعض الحلوى ليقبلوا على التعلم  
والتعليم وحفظ الشعر الذي كان كالنوع يفيض من لسانه حبا  
وحكمة وحب الحياة، لقد موسوعي المعرفة، لم ادرك وافهم

فلسفته في الحياة وسر اندفاعه في حب العلم والتعلم الا بعد ان ادركني الوعي الان.

لم يجالس الأغوات والأثرياء ولم يقترب من مجالسهم رغم توددهم اليه، باعجوبة كان يتخلص من العديد من محاولات الغدر والقتل على يد مجهول، ولكنه كان لا يهتم ولا يلين، يطرب كثيرا لأصوات الرعاة ويستمتع كثيرا بعزف الناي، يكلم الزهور والاشجار والطيور.

يصلي في محرابه الخاص تحت شجرة الجوز العملاقة على حافة الوادي في اطراف القرية ولم يؤد الصلاة خلف امام الجامع ابدا، كما يمتنع عن عقد قران العرسان إلا بعد ان يتأكد من عدم وجود اكراه أو اجبار، يعتاش عيشة الزهد والكفاف من غلات قطعة أرض صغيرة ورثها عن ابيه، غالبا ما يشارك الفلاح المكلف بزراعتها العمل في أعداد الأرض وتشذيب الأرض والعناية بشتلات التبغ.

كان يحدثنا بأعجاب كبير عن ثورة عدل حدثت في أرض بعيدة عنا، ولا بد أن يصل وهج نورها ألينا.

أضرب عن الزواج بعد أن فقد زوجته وحبيبته رفيق شبابه التي لم يرزق منها بمولود، فعاش وحيداً برفقة كتابه وريشته ودواته، بعد وفاة والديه، فكان يحمل روح أنسان وحكمة نبي، وحماس داعية لا يلين ولا يستكين من أجل بث روح المحبة والمساواة وصيانة كرامة الأنسان.

حينما يذكر المرأة يخصصها بكل تكريم وأحترام وتقدير، من لا يحترم المرأة لا يحترم ذاته، ومن يحتقرها يحتقر ذاته، أنها صانعة الحياة، ومنبتت النبات ومروضو الحيوانات ولولاها لبقى الإنسان الذكر لا يعرف غير فنون القتال والصيد، فهي مبدعة السكن الآمن النظيف، وهي مبدعة أدوات الخزن وأفرشة وأغطية النوم، وهي صاحبة الصوت الرخيم والقلب الرحيم، فكانت هي أم الفن وهي نموذج الحكمة، ورسولة السلام، فحين كان يتحدث عن المرأة يجعلنا نخجل من أنفسنا، ونشعر بأننا صغار أمام أمهاتنا وزوجاتنا وأخواتنا، فأتهمه أهل السلطة والمال بأنه يفسد النساء ويحرضهن على الرجال ويهدد وحدة الأسرة، فيرد المله سهامهم إلى نحورهم بقوة الحجة وبلاغة شواهد التاريخ.

يهزز كثيراً من المشعوذين الذين يمتصون دماء الفقراء من الرجال والنساء عن طريق عمل بعض الحروز والتعويذات، جالبة الرزق ومانعة الشر، وطاردة الشياطين.

الإنسان هو صانع حياته ومستقبله، هو القادر بأرادته وعزيمته ان يصنع حياة أفضل بعيداً عن هذه الخزعبلات، ووسائل التخدير.

كان بفور غضباً عندما يرى الأغاوات والأقطاعيين يشعلون النيران ويرقصون ويحتفلون بعيد النوروز، ويستذكرون (كاوه) الحداد يقول: لا يحق الا للفقراء والمعدمين لا يحق لغير

المظلومين أن يستذكروا كاوه الحداد، الذي أشعل نيران الثورة ضد رموز الظلم والاستغلال والقهر، أما هؤلاء القساة الظلمة الطغاة فيجب أن يحرقوا لا أنسانيتهم وجشعهم ووحشيتهم بنيران كاوه الحداد حتى يتفهموا روح ثورة (كاوه) ومعناها من أجل الحرية والمساواة.

تصرفات المله تعزز مكانته ومحبه في قلوب وصدور الفلاحين والرعاة، في حين تستعر غضبا عليه في قلوب وصدور الاغوات وعبيدهم، وكان بعض اصحاب العمائم يصفونه باقذع الاصوات، مرة بالمارق واخرى بالزنديق والملحد والخارج عن الدين (القوم) وقد كان المله يدحض كل فتاويهم بذكر سيرة الانبياء والصالحين من الزهد وحب العدل وتكريم الانسان، كعلي، وعمر، والغفاري وغيرهم الكثير من ائمة العدل وحب الانسان ومحاربة الظلم والاستغلال على مدى التاريخ.

كانت دموع (عوله) تسيل على خديه وهو يتحدث عن المله، الذي افتقدته القرية ذات صباح احد الايام، فلم يعثر له على اثر لحد الان، لا يعرف هل قتل ودفن في مكان مجهول، أو عرج إلى السماء، أو غادر إلى ارض مجهولة وبلاد كانت محط آماله.

لفت أنظارنا صبيحة هذا اليوم دوران سرب من طيور (الهدهد) حول كوخ الشيخ لأكثر من مرة، وهذا أمر لم

يحدث ابدأ ولم تر القرية مثيلاً له، فلم تر طيور الهدهد على شكل أسراب بل منفردة لا تقترب من بيوت البشر ابدأ، ثم غادرت دون ان تعود اليه ثانية الا بعد مرور عام بالتمام والكمال من تاريخ أخفائه الأول، وأستمرت هذه الظاهرة (الهدهدية) تتكرر في كل عام حيث تحول كوخه إلى مزار يحج اليه كل طالب للعدل والحكمة.

ظل فقراء القرية يرقبون قدومه كل صباح ومساءً، يتفقدون كوخه عسى ان يجده، طوال كل هذه السنين دون كلل أو ملل سيرته لم تزل على كل لسان يتمثله الثوار انساناً واعياً ثائراً صلباً يقتدى به.

ويتمثله البسطاء من الصالحين واهل الكرامات فيحجون لكوخه، وينذرون له النذور.

كفكف (عوله) دموعه، أخرج سيكارتين من كيسه، فأحرقنا سكارتين الأخيرتين قبل الأنصراف للعمل، وأنا أعيش أجواء حياة الرفيق (عوله) الضاجة بالغرائب والمفاجآت.

يستذكر عاصف جيداً قصة شقيقة (مليحة) التي راحت ضحية (غسل العار) من قبل أهلها، بعد أن أغتصبها ابن الأقطاعي حيث كانت نساء وفتيات القرية يخدمن عائلة الأقطاعي الشيخ بالتوانب.

في إحدى الليالي عندما وجدها حزينة دامعة العينين وأستفسر حول سبب حزنها وما يضايقها فحكّت له قائلة: في قريننا

كان الشيخ والأقطاعي (ابو طلفاح) هو الحاكم الناهي على حياة وممتلكات أن كانت هناك ممتلكات للفلاحين في القرية، فلا يمتلك الفلاح غير كوخ متهالك من البواري المصنوعة من القصب، تشده عيدان من شجر الصفصاف والجريد، يفرش بحصران من سعف النخيل، مؤثث ب (سدانة) وهي أسطوانة طينية تصنعها النساء من الطين لتكون بمثابة مستودع لخزن الحبوب في أوقات المواسم، بالإضافة إلى (فاتية) صندوق خشبي أو معدني لحفظ الملابس، بالإضافة إلى (المجرشة) و(المرتبة) و(الرحة) وربما زوج أو أكثر من الدجاج، في حين يوصف بالشراء من يمتلك بقرة.

كانت أكثر الفئات حقارة وخسة هم (السراكيل) فهم الأكثر خضوعاً للأقطاعي يتذللون ويتجسسون له، يرصدون كل تصرفات الفلاحين، يتعاملون بقسوة ونذالة مع أخوانهم من الفلاحين، لأن الأقطاعي سلاحهم وخصص لهم حصة خاصة من محصول الأرض مستقطعة من حصة الفلاح الذي قد يخرج صفر اليدين من كد عام كامل هو وعائلته بسبب نهب الأقطاعي ومن تراكم الديون عليه، وقد كان هؤلاء (السراكيل) يتصيدون الجميلات من النساء وبالأخص في مواسم الحصاد وقدم (المنيسنجنيات) من القرى الأخرى أو من قبل مربى الأغنام للقيام بعملية جنسي ودرس المحصول خصوصاً في شهر نيسان، بواسطة (مدار الحمير) بعد نقله من

الحقل إلى البيدر محمولاً على رؤوس النساء، مقابل  
اعطائهن كمية محددة تافهة من الحبوب بعد أكمال عملية  
الحصاد والدراسة والتصفية، قد يقع السركال في حب  
أحداهن فيجزل لها العطاء ويميزها عن صويحاتها بالعطاء،  
بعد تنصيبها على رأس المجموعة (الشدة) كانت لهن  
طقوسهن الخاصة وقت الحصاد حيث الأناشيد الجميلة التي  
يرددنها اثناء العمل، فتبدو مواسم الحصاد وجني المحصول  
كرنفالا من البهجة المعجونة بعرق وجهه ومعاناة الفقراء، في  
حين تصب ذهاباً في جيوب الاقطاعيين العتاة.

هناك الكثير من قصص العشق والمغامرة اثناء هذه المواسم،  
تظل تلوكلها الألسن حتى تغطي عليها قصة جديدة في موسم  
جديد، وقد يختتم بعضها بمأساة كبيرة خصوصاً بالنسبة  
للفتيات سواءً بالقتل غسلاً للعار أو انتحاراً خشية الفضيحة.

في حين يصغي (عاصف) لحديث رفيقته المحزن، تعرض  
ذاكرته صور علاقته بحبيبته (ام كفاح) حياة التي كانت واحدة  
من (المنيسنچنيات) في أرضهم انذاك، وكيف استحوذت  
على قلبه حد الهيام، ولم يفز بها الا بعد سلسلة من المغامرا  
ت التي كاد بعضها ان يقضي على حياته، فقد كان أهلها،  
الأب والأشقاء والأعمام من الرعاية الأشداء لا تفارقهم  
بنادقهم (البرنو) وخناجرهم (العفجاوية) حيث كان بإمكانهم

قتل من يشاؤون ويتوارون في جوف الصحراء دون ان يتركوا  
اثرا يذكر.

ها خويه (عاصف) وين رحت، أكيد اذكرت ايام عشقك  
الأولى لأم كفاح، أي والله حقك أم كفاح تستاهل كل الحب،  
جمال، وكمال ووفاء ومحبة.

يلقم عاصف فمه سيكارة جديدة، يعود منصتا لحديث  
(مليحة) المملوح والمؤثر حيث استأنفت حديثها قائلة: وضع  
الأقطاعي جدولا على القرويات بالحضور إلى قصره وهو  
البيت الوحيد المشيد من الطابوق في القرية، للقيام بعملية  
التنظيف والطبخ وخدمة سيداتهن من نساء وبنات الشيخ  
الأقطاعي، بالإضافة إلى (العبدات) والعبيد المملوكين  
للشيخ، ولهؤلاء حديث آخر من حيث قسوتهم على القرويين  
ونفوذهم المطلق في القرية بأمر سيدهم الأقطاعي.

عموما كانت شقيقتي (زهوري) ضمن تلك الفتيات وقد  
كانت شابة جميلة رشيقة خفيفة الدم والروح مما لفت نظر  
أبن الاقطاعي، وأخذ يحوم حولها، محولا الأفراد بها  
واغرائها ببعض الدراهم، أو بعض الهدايا البسيطة كالعطر  
وأساور من البلاستيك الملون مدعياً حبها، وقد كانت لا  
تستطيع ان تفصح لأهلها بأفعال ابن الشيخ وهي غير مخيرة  
بين الحضور والغياب، كان يرسل بطلبها أحد (العبدات)  
للحضور الفوري ان تخلفت يوما، أسكرها بنعومة وحلاوة

حديثه كعاشق وأرهبها وأخافها بتهديدها كسيد، فتمكن منها وأفقدوها عذريتها، وبعد أن أشبع غريزته الحيوانية، أخذ يتهرب منها، حتى انكشف سرها بانتفاخ بطنها حاملا منه، فدخلت العائلة في حالة من الرعب والأندار وخبر الفضيحة، وبدلاً من معاقبة المجرم صاحب الفعل، تم نحر الضحية في ليلة ظلماء ودفن جثتها في مكان مجهول، ومن ثم قرر والدي هجر القرية واللجوء للمدينة، فابتدءنا حياة كد ومعاناة جديدة أمتدادا لمعاناتنا الأولى وانتَ على اطلاع عليها مذ عرفتك وعرفتني.

هذه المعاناة التي لا يمكن اختزالها ببعض حكايات، وأنت مطلع على قسما منها، هي التي جذبتني إلى مشتاق الذي بدء ينير لي طريق الكفاح من أجل الحرية والخلاص من المعاناة القاسية التي عشتها ويعيشها أهل قريتي من النساء والرجال، منتظرة اليوم الذي أثار فيه لدم شقيقتي ولأذلال أهلي من قبل هؤلاء المجرمين القتلة.

والويل لمن تمتد يده إلى المحصول ليسد أفواه أطفاله الجياع، وقد روى لها (عاصف) ما شاهد هو ما جرى للفلاح الشاب "ميران" الذي ضبط متلبساً بسرقة "شكبان" من الحنطة لأطعام أطفاله من أحد البيادر قبل القسمة، حيث ربط إلى جذع نخلة في باب مضيف الشيخ الأقطاعي ونال ما لا يحتمل من سياط عبيد الشيخ، وتركه تحت رحمة شمس

الصيف الحارقة، دون ماء ولا غذاء حتى قارب الموت، ولم يعف عنه الا بعد أن قبلت زوجته وأطفاله يد ورجل الشيخ أمام أنظار عشرا من الفلاحين الخانعين لحكم الأقطاعي.

- بالمناسبة "مليحة" هؤلاء الحرامية والسراق من الجياع والمعدمين، يمتلكون الجرأة وأرادة المغامرة والأقدام، هم ثوار ينقصهم الوعي لفهم أسباب الفقر والحرمان، وبذ الحلول الفردية، والأنخراط في طريق الكفاح الجماهيري المنظم من أجل الخلاص والتحرر، وهذا واجب ومسؤولية العناصر الواعية فتتویر مثل هؤلاء في المدينة والريف، وأن لا يكون مثلهم "محمد حرامي" بل (فهد الثائر).

كانت هذه القصص وغيرها الكثير من حكايات الأضطهاد والقهر والاستغلال للأنسان العراقي في الريف والمدينة، نيران تأجج ارادة الاصرار على مواصلة طريق الكفاح من أجل غد الخلاص والحرية والمساواة، حيث تنقشع عاصفة الظلم والقهر لتشرق شمس الاشتراكية الأمل المنشود لكل فقراء العالم.

كان (عاصف) يتواصل مع عائلته بين حين وآخر وكلما سنحت الفرصة للقيام بذلك وقد يستمر غيابه عنهم لعدة أشهر.

أستجاب لطلب الحزب بضرورة نقل عائلته إلى بغداد، لأن الحزب كلف (مليحة) بمهمة أخرى في أحد الألوية في جنوب العراق.

تألق (كفاح) في دراسته في كلية الآداب كطالب وكشاعر مبدع ومجدد، كانت العائلة تتدبر عيشها من خلال الدنانير القليلة التي خصصها الحزب لهم نظرا لتفريغ والدهم للعمل الحزبي، كما ان (نوماس) كان يمدهم ببعض المساعدات رغم انقطاع (كفاح) عن العمل بسبب انتقاله إلى بغداد للدراسة،

ما تحصل عليه (حياة) تساعد به عائلتها ومصاريف ولدها وابنتها الصغيرة التي دخلت المدرسة في بغداد. من خلال المناشير والأدبيات المطبوعة من قبله ولقاءاته المتقطعة بالرفيق (سعدون) كانت الكثير من البشائر لقرب فجر جديد في العراق يلوح في الأفق.

هناك معلومات عن قوة تنظيم الحزب والحركة الوطنية عموما وهي تزداد بشكل مدهش في القوات المسلحة ضباطا وجنودا ومراتب وخصوصا بعد انعقاد جبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧.

تشكلت قواعد وخلايا رصينة للحزب في الريف والمدن والقرى العراقية من أقصاه الي أقصاه، أصبحت المنظمات المهنية والديمقراطية قوة فاعلة في الحراك الاجتماعي

والسياسي العراقي كاتحاد الطلبة والشبيبة ورابطة المرأة والجمعيات الفلاحية والنقابات العمالية ونقابات الأطباء والمعلمين والمحامين، والصحفيين العراقيين، وخصوصا في قطاع السكك والكهرباء والنفط والموانئ والنسيج الخ.

تعزز الوجود بأم (تسواهن) وهي رفيقة متوسطة العمر تمتلك وعيا سياسيا وثقافة رفيعة ومعلومات غزيرة في مختلف جوانب الحياة وتجيد اللغة العربية والكردية والتركمانية، ذات مهام كبيرة ومتشعبة ومنها كتابة وترجمة وتصحيح المقالات والبيانات باللغة الكردية والتركمانية.

تقوم بكل ذلك وكأنها ابنة الأربعة عشر وبسرية وهدوء تام، تبدو كأم بسيطة طيبة من جنوب العراق.

تعزز البيت بعدد آخر من الرفاق وبمطبعة جديدة من نوع متطور تعويضا لمطبعة الحزب التي صودرت عام ١٩٥٧ حيث أخذت تطبع ادبيات الحزب على الرونيو، وقيل إنَّ المطبعة الجديدة كانت هدية من الحزب الاشتراكي الألماني، حيث كان الحزب الألماني يطبع بواسطتها منشوراته اثناء مقاومته للنازية فما عاد بحاجة لها بعد الانتصار على الفاشية وولادة جمهورية المانيا الديمقراطية أو كما اسموها بالمانيا الشرقية (الاشتراكية) المتحالفة مع الاتحاد السوفياتي، والمانيا الغربية الرأسمالية المتحالفة مع النظام الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

كان للبيان الأول لجبهة الاتحاد الوطني بتاريخ ٩-٣-١٩٥٧ أثر كبير في أنتعاش آمال الجماهير في تحقيق النصر على قوى الفساد والرجعية، وقد تم تحديد خمسة أهداف للجبهة كانت تعبر عن أبرز طموحات الشعب العراقي في تلك المرحلة من تاريخه وهي:

- ١- تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي.
  - ٢- الخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع سياسة البلاد العربية المتحررة.
  - ٣- مقاومة التدخل الاستعماري بشتى أشكاله ومصادره وأنتهاج سياسة عربية مستقلة أساسها الحياد الإيجابي.
  - ٤- إطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية.
  - ٥- الغاء الإدارة العرفية وإطلاق سراح السجناء والمعتقلين والموقوفين السياسيين، وإعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب والمفصولين لأسباب سياسية).
- سلام عادل - ثمينه ج ١ ص ١٧٨.

كان للحزب الشيوعي تحالف ثنائي مع الحزب الديمقراطي الكردستاني بسبب أعتراض أو عدم مرونة قيادته في دخوله جبهة الاتحاد الوطني في حينها مما عزز الدور الكفاحي للجبهة في كردستان العراق وعزز من دور الحزب هناك.

كان (عاصف) يتوقد حماساً لهذه الأخبار والتطورات خصوصاً وقد أشدد عود الاضرابات العمالية في عام ١٩٥٧

و١٩٥٨ مطالبة برفع الأجور وتحسين ظروف العمل، حيث  
أضرب (٤٥٠) عاملاً من عمال معمل نسيج الوصي في ٢٤-  
٣ - ١٩٥٧ و٧٠٠ عامل من عمال الكونكريت في المنصور،  
وأضرب العمال الزراعيين في ٢٠ نيسان ١٩٥٧ وأضرب  
٦٠٠ عامل من عمال شركة الغزل والنسيج وعمال البلوكات  
في شركة (زبلن) بمدينة تكريت وعمال شركة هو كتياف  
الألمانية. سلام عادل ص ١٩٠.

كما كان (عاصف) يتابع ويشكل مستمر نضالات الفلاحين  
وخصوصاً في منطقة الفرات الأوسط، وصدور صحيفة  
(صوت الفرات) حيث شهدت الحركة الثورية الفلاحية تطوراً  
كبيراً وملحوظاً للمطالبة بحقوقهم والألتحام بالحركة الثورية  
العراقية في عموم الوطن.

كانت هناك انتفاضات كبيرة للفلاحين المسلحة وخصوصاً  
في الديوانية والعمارة المطالبة بأقتسام الحاصل مناصفة بين  
الملاك والفلاحين، حيث وصل عدد الفلاحين المسلحين  
المتفضين في الديوانية اكثر من (٧٠٠) مسلح في العشرين  
من شهر حزيران ١٩٥٨، والذين قاموا بأقتسام الحاصل  
مناصفة من قبلهم وهروب بعض الأقطاعيين خوفاً من غضب  
الفلاحين المتفضين (أصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً  
في ٣-٦-١٩٥٨ أعلن فيه مساندته لأنتفاضة الفلاحين وحث  
فيه الشعب على مساندتها).

وقد كانت لطيفة (أم كفاح) وروحها المطبوعة بحب الناس، والتضامن معهم أثراً كبيراً في تقرب نساء المنطقة منها، وأخذت العديد من النساء تزورها بين حين وآخر، لتبادل أحاديث وهموم نسوية تحتاج النساء أن تفضفض بهومها للأخريات ممن تثق بهن وتجد لديهن العون والمساعدة، وأخذت بعض النساء تستفسر من (أم كفاح) عن طبيعة عمل زوجها وأخوته، وسبب عدم اختلاطه بأهل المحلة، فكانت تخلق الكثير من القصص والأعذار والمهن لأبي كفاح للأجابة عن أسئلتهم وأرضاء فضولهم في معرفة زوار البيت وكانت تغطيها بذكاء كونهم من أخوانه وأبناء عمومة وأقارب (أبو كفاح) كونه من (شباب) العشيرة وأعمدتها مما يستوجب مراجعته من أقاربه لحل مشاكلهم، كما أنها أخذت تعاني من مشكلة أخرى الا وهي طلب بعض النساء من (أم كفاح) أن تزود بيوتهن بالخبز ظناً منهن أنهنّ بذلك يقدمن المساعدة لأم كفاح وعائلتها، فكانت تعتذر بأنها لا تتمكن من تلبية حاجتهن من الخبز لأنّ لها التزامات واجبة مع العديد من المطاعم والفنادق ولا يمكنها الأخلال بمثل هذه الألتزامات، رغم أنّها كانت تمنحهن العديد من أرغفة الخبز دون مقابل عند الحاجة.

كل ما سبق من مضايقات أخذت تشغل بال (أبو كفاح) خشية أن ينكشف أمرهم وقد تتعرض الدار للمداهمة عند إثارة

شكوك رجال الأمن في المنطقة، مما جعله يفكر جدياً بترك الدار في أقرب فرصة ممكنة وقد أخبر الحزب بذلك، أتخذ تدابير أخرى لحين إيجاد الدار البديلة، حيث أخذ يغادر المنزل للعمل في البناء أو أعمال تحميل ومساعداً لصاحب المقهى لسد باب الفضول حول طبيعة عمله، في حين كان يزاوّل عمله الطباعي مع رفاقه في الليل وفي الأيام التي يدعي عدم حصوله على عمل وأضطاراه للبقاء في الدار، كان يصطحب معه أحياناً رفيقه (عوله) وخصوصاً في أعمال البناء أو تفريغ سيارات الحمل أو البناء ولكنه عزف عن ذلك نهائياً، بسبب ما كان يتعرض له (عوله) من ملاحقة بعض النساء وإثارة فضول بعض الشاذين حتى من قبل عناصر الأمن، اللذين ما كانوا يتركون (عوله) لحاله إلا بعد أن يقضي وطره منهم أو يتعرض للأعتقال، فقد كان هذا (العولة) يمتلك سر جذب مثير لمثل هذه النماذج المثيرة للمشاكل والذي قد تسبب مخاطر كبيرة له ولرفاقه،

كاد أن يطير من الفرح وهو يطبع منشورا للحزب، يبشر بقرب فجر جديد، ويوجه كل منظماته الحزبية وأصدقائه للتهيؤ لحدث هام في العراق بات ليس بعيداً، وسط هذه الأخبار المتفائلة بدت بغداد مشرقة فرحة تتجمل من أجل عرس كبير، مما قلل من لهيب حر تموز وأضافه للهب نشاط وحماس رفيقات ورفاق الدرب، وهم ينتظرون يوماً جديداً

ليس ككل الأيام وعيدا ليس ككل الأعياد، يوم ستعلنه ديكة  
الأكواخ وبيوت الصفيح الرشيقة وليس ديكة القصور الخاملة  
السمينة الكسلى، وذات يوم في الثلث الثاني من شهر تموز  
دخل عاصف الدار وهو يتهلل فرحاً بعد عودته من أجتّماع  
طارئ مع قيادة الحزب، سألته (ام كفاح): ما الأمر (ابو  
كفاح) أراك اليوم في غاية الفرح والتفاؤل هل من أمر جديد؟  
نعم نعم، إنّ هناك ماهو جديد ما زال ينتظر خلف أبواب  
الزمن المتسارع، يجب أن نهىئ كل البيانات والمنشورات  
التي سترافق هذا لحدث المهم.

إنني أرى الفجر السعيد يقترب رفيقه (حياة)، حيث علم  
مؤخراً إنّ زوجته كانت مكلفة بحمل البريد بين ألوية الفرات  
الأوسط وهو السبب الحقيقي وراء زياراتها لأضرحة الأئمة  
والصالحين لغرض التمويه، ونتيجة لفطنتها وذكائها أبدعت  
في لإنجاز هذه المهمة على أحسن وجه، مما زاد من حبه لها  
وأعجابه بجريئتها وكتمانها لأسرار الحزب حتى على حبيبها  
ورفيقها.

ليلة الرابع عشر من تموز زار بيت المطبعة الرفيق منير (سلام  
عادل) مبدئياً توجهاته للرفاق عشية أندلاع الثورة حيث كان  
قد عاد إلى الوطن من موسكو في شهر ايار من عام ١٩٥٨،  
بعد أن حصل على ضمانات من الحزب والقيادة السوفيتية

وأغلب الأحزاب الشيوعية بدعم ثورة الشعب العراقي القادمة.

سجرت (حياة) التنور وأعدت كمية كبيرة من العجين، وقفت على التنور وأخذت رائحة الخبز الحار تملأ فضاء الدار والجوار، لا تدري هي لمن تعد الخبز فقد تجاوزت مرات ومرات عدد ما مطلوب منها للمطاعم والبيوت.

كانت تكلم نجوم السماء. المتألثة وكأنها تومئ لها أن أخبرني فيوم غد ليس ككل الأيام، أعدي خبزك لفجر جديد، لا تيأسي فنحن معك لا يغيبنا إلا فجر يوم يحمل البشر والفرح، الكل ينتظر الصباح، تستمع لصوت مطبوعة (عاصف) وهي لا تتوقف عن العمل تدور وتدور وتدور دون كلل، لا تعرف ما يطبع الرفيق وليس لها أن تعرف قبل الأوان، الأم (تسواهن) غادرت قبل ثلاثة ايام متوجهة إلى العمارة كما قالت لحضور زفاف ابنة أخيها ولا بد من تواجدها هناك يوم الزفاف.

(أبو عادل) القهوجي أعاد تنظيف المقهى وضاعف عدد قواري الشاي والقهوة والأقداح يقول: إنَّ حفلاً كبيراً سيقام في المقهى قريباً ولا بد من الاستعداد، كانت تراقب حركة غير مسبوقة للشهب وهي ترجم الشياطين بقوة هذه الليلة، الكل يترقب الحدث الكبير، قلوب حرة تترقب ندق ينابيع الفرح، أخرجت القدور، وأطلق سراح قناني العطور، أوقدت المواقد وأعدت الموائد ترقباً للزائر الجديد.

في هذه الليلة استأذن (كفاح) أبيه ليكون غداً صباحاً في مدينة النجف ضيفاً على المنظمة هناك تلبية لطلب الحزب، ودعه والده متمنياً أن يكون الفجر فجر خير ومحبة وسلام على كل العراقيين، خصوصاً وهو يتمتع بالعطلة الصيفية قبل بداية العام الدراسي للسنة الثانية في كلية الآداب.

اقتربت الساعة لتعلن بداية بث إذاعة بغداد كالعادة امتزجت دقات الساعة مع دقات قلوب بنات وأبناء العراق، قلوب تنتظر وعيون تترقب.

مع الافتتاح الأول للبث جاء البيان الأول للثورة (في الساعة السادسة من صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ ومع بدء البث الإذاعي المعهود من إذاعة بغداد، قرأ العقيد الركن عبد السلام محمد عارف بصوته البيان الأول للثورة معلناً نهاية الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية) -عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العرقي الجزء الثاني ص ٢٦٠-.

مع الكلمات الأولى انطلقت زغاريد بيوت (التنك) والطين، دكت الأرض دبكات عمال وفلاحين وأحرار العراق انه اليوم الموعود، تعالت الزغاريد امتزجت الأصوات، فتحت الشوارع اذرعها للجماهير الهادرة بحياة الثورة وموت العملاء والمستبدين عملاء الاستعمار، كانت مليحة تتقدم الجموع وقد التحقت بهن (ام كفاح) رفعت اللافتات وعلت الهتافات، وسط تواصل بيانات الإذاعة وهي تدعو الجماهير لمساندة

وتأييد ثورتها المباركة، تلاقت الأيدي منشورات الحزب وهي تدعو لنصرة الثورة وملاحقة قوى الظلم والظلام. هرعت جماهير الشاكرية وما جاورها من سكنة الصرائف، تدفقت شوارع وأزقة المناطق الشعبية في بغداد، الميدان، الحيدرخانه، الكسرة، لتلتحم كروافد تصب في مجرى نهر جارف، هدير الجماهير في ميادين وشوارع بغداد الرئيسة، هياج ما بعده هياج، بين اليا واليعيش واليسقط، كتل بشرية تشتعل حماسا هستيريا، تهول صوب هدف هناك من يعرفه والأغلبية تتبعه دون ان تعلم إلى أين، تتوعد، تعربد، تحمل الهراوات، والعصي، بين فرح راقص، ومتائر نائر، هستيريا جماعية لم تشهد لها بغداد سابق، سيول لا يمكن أن تلجم ولا أن تحجم.

لاحت من بعيد سيارات عسكرية، تشق طريقها بصعوبة بالغة بين الحشود المترصة، اشتمت الجماهير رائحة الدم الحار، فنهض في لاوعيتها جوع كبير، وتعطش مكبوت للدماء، مما زاد من هستيريتها وخدرها الجماعي، أنتشر بين الجمهور خبر مقتل العائلة المالكة بنيران (الشوار) فبلغ الهيجان أوجه ونطح الصراخ عنان السماء، فبدا كرصا ص مغلي في وهج شمس تموز اللاهبة، قطرات من دماء تسيل من بوابة الشاحنة الخلفية، انها جثث الخونة، جثة الوصي عبد الاله.

تحرك الحس الناقم فأنهال على الجثة بطعنات متلاحقة من خنجره، وهو يتابع علامات الأعجاب وشارات البطولة التي يقلدها له الجمهور، وكأنه صرع أسداً هائجاً وليس جثة هامة.

أنشطر الجمع شطرين جمع يطارد الشاحنة العسكرية، وجمع هرول صوب قصر الرحاب مغالباً السنة النيران في نهب ما يمكن نهبه وحرق ما يستعصي على الحمل.

ظفر الجمع الأول بجثة الوصي القليل، فشدها بالحبال وهرول بها سحلا مع وابل من الضرب بالعصي والأحذية والحجارة ووو.

التقت جماهير الكرخ بجماهير الرصافة، جلبت الحبال الغليظة، علقت جثة الأمير على شرفة فندق الكرخ، فصارت تحت رحمة حملة السكاكين، قطعت الأطراف، قطع العضو الذكري للوصي ورمي لتلقفه الأيدي ليكون لعبة بأيدي من يظن أنه كان مغتصباً بواسطة هذا العضو الذكري للسلطة الظالمة.

بعد دقائق أنزل ما تبقى وأستمر مرثون السحل الدموي لتعلق ثانية أمام وزارة الدفاع، تقطع منها قطع من اللحم وترمى للجمهور الهائج الجائع، وقد تحول إلى جمع من أكلة لحوم البشر!

كان المتبقي طعماً للنار ليحرق ثم يذر في نهر دجلة، الذي أصابه الشلل والعجز إلا لأعلن الطوفان منتقماً لأهانتته وتدنيس مياهه بأجساد البشر من الحلاج إلى فضائع التتر والأتراك والفرس، مرة ببقايا الأجساد المقطعة ومرة بوعاء الفكر الأنساني الكتاب.

كان (سعدون) يهرول وهذه المرة كان يرتدي البنطلون والسترة بدلاً من الكوفية والدشداشة حيث كان يتنكر بها عند تنقله قبل الثورة، وهو يتمتم بهذه الكلمات بعد أن عجز عن وقف هذه الهستيريا الدموية الوحشية التي لا تصدق، كانت ملامح وجهه تنم عن حزن وقرص كبير، وقد أخبر (مظلوم) بأنه ذهب إلى دائرة البريد وقد أبرق برقية تؤيد الثورة بأسم اللجنة المركزية للحزب في أول ظهوره العلني.

ماذا دهاك رفيق (منير) ارك قلقاً ومهموماً، اليس هذا اليوم الذي كنا نحلم به،

ليست هذه هي الثورة الموعودة، إنها الثورة أنه الانتصار على الخونة عملاء الاستعمار والأمبريالية وكلاء شركات النفط الاحتكارية؟

أنا (مظلوم) ما بك لا تسمعني رفيق (منير). أمسكه من ذراعه، فالتفت إليه مستغرباً وجوده بجانبه.

-رفيق (مظلوم) هل ترى ما أرى؟

وماذا أرى أنَّها الثورة، أنَّها الجماهير الغاضبة، الجماهير  
الفرحة، الجماهير الثائرة، لفظها وأحس بألم شديد يعتصر  
قلبه حيث أتت الثورة وكأنها مرادفة للثأر من سواني وأعراف  
العشيرة.

يبدو لي أنَّه ثأر وليست ثورة ماذا يفعل هؤلاء الرعاع، أنَّهم  
يسحلون الجثث بشكل وحشي وغير أنساني، من اعطاهم  
هذا الحق، من أصدر هذه الأحكام، أنَّها محكمة الشارع  
المسعور!

لا أحد يسمع لا أحد يصغي للتوجيهات والتوصيات أنَّها  
الفوضى المدمرة، أنَّها اساءة كبرى للثورة، أنَّه زفاف وعرس  
دموي مرعب، أين الحزب من كل هذا رفيق؟

من يستطيع أن يسيطر على هذا الهيجان، من يستطيع أن  
يكبت هذا البركان المتفجر، خصوصا وأنَّ اغلب كوادرناء في  
السجون، أستولدت الجماهير الهائجة قيادتها، أصبح  
الجمهور يتصرف بعفوية، أطلق كل مكنونه التدميري  
الانتقامي، وحش الانتقام استيقظ في الرؤوس الهائجة، لم  
يعد يستمع لأي صوت أو أي توجيه، إننا نشعر بالشلل حد  
القيء والعجز.

نحن أعداء العنف والتخريب والانتقام الأعمى، ثم أننا ليس  
وحدنا في الشارع العراقي فهناك أصار الأحزاب السياسية  
الأخرى، ناهيك عن الجمع والحشد العفوي.

أنَّ ما يجري الآن سيجر على الثورة وعلى الشعب العراقي وعلى الأحزاب ويلات لا يمكن التنبؤ بمداها ومستواها، أنَّ هذا الخزين من لاوعي العنف والتدمير، كان للحكام لقرون من الزمان في العراق الدور الأول في تراكمه ودرجة قساوته، فلم توفر السلطات المتعاقبة وسيلة من وسائل القمع والبطش إلا وأستخدمتها لقمع الجماهير ومصادرة طموحات وآمال الشعوب، مما أوقد مزيدا من النار تحت مراجل الغضب الشعبي ضد الحكام وها انت ترى هذا العنف المنفلت في أول فرصة أتيحت له للتعبير عن جبروته وقوته وعنفته.

بعد أنْ أصابهما الأنهاك وبحث أصواتهم وهم يرشدون ويطالبون الجماهير ومن يتعرف عليهم من رفاقهم بأنْ يحكموا العقل والحكمة، قرروا عقد لقاء للكادر المتقدم لتدارس الموقف، ودعم الثورة، منع العنف المفرط، الاحتكام للقانون، إيصال التعليمات للمنظمات الحزبية في كل مكان، تنظيم الصفوف، الابتعاد عن الفوضى، بذل كل الجهود الممكنة من قبل الكادر الحر الآن بانتظار الأفراج عن الكوادر القيادية من السجون للعهد المباد، التعاون مع جميع قوى جبهة الاتحاد الوطني والقيام بفعاليات مشتركة قدر الأماكن.

على الرغم من إنَّ الحزب قد أصدر تعليمات مستعجلة صباح ١٤ تموز تحت الجماهير على تأييد الجمهورية من

خلال البرقيات، والتأكيد على الجبهة الوطنية والاتحاد  
الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة، وتشكيل لجان  
دفاع، تعبئة الشعب للمساندة، عدم كشف وزج كوادر الحزب  
في نشاطات علنية، تنظيم الجماهير تحت قيادة الحزب لدعم  
وإسناد الثورة وحمايتها.

ظل (منير) و(مظلوم) وعدد آخر من قيادة الحزب مستيقظين  
حتى الصباح، يشغل الجميع

امر هروب ثعلب العراق وسند قوى الاستعمار والرجعية  
(نوري السعيد) الذي ما زال هارباً، لم يستدل على مكانه،  
رغم إعلان جائزة بـ(١٠٠٠٠) دينار عراقي لمن يخبر  
السلطات الثورية عن مكانه، فقد أدعى (وصفي طاهر) بأنه لم  
يجده في قصره، وقد أستطاع الأفلات من قبضة القوات  
القاصدة القاء القبض عليه (عندما أستيقظ وعرف من الخبازة  
بخبر الانقلاب العسكري أخرج مسدسين كانا مخبأين في  
درج إلى جانب سرير نومه، ولم يخرج من القصر عن طريق  
الباب الخارجي المؤدي إلى الشارع العام، بل سلك الطريق  
إلى جهة النهر بلباس نومه (البيجامة) وفي قدميه النعال ونسي  
أن يلبس في دوامة أرتبأكه طقم أسنانه، وبعد أن أنحدر من  
المسناة إلى جهة النهر رأى زورق أحد الصيادين راسيا قريبا  
من مسناة داره، فركب الزورق وطلب منه أن ينقله إلى جانب  
الرصافة).

بعد ذلك غير مسيره ليتوجه إلى دار صالح البصام، ولخطورة الموقف وخشية تفتيش دار البصام، تقرر نقله، فتم نقله إلى الكاظمية بعد أن لبس عباءة نسائية لغرض التخفي عن أنظار الجماهير الغاضبة ونقاط التفتيش التي أنتشرت في الطرقات، وقد تمكن من الوصول إلى دار (صادق البصام)، وقد كان قلقاً حول مصير الملك فيصل الثاني، ومرتقياً السماء منتظراً أن يتدخل الطيران الحربي التابع لحلف بغداد لأنقاذ حكمه، كما حدث سابقاً بعد ثورة الكيلاني، ولخطورة تواجده في بيوت البصام في الكاظمية تم أخباره عن طريق (زكية) أخت صادق البصام، لينتقل إلى عقرقوف ومن ثم تهريبه خارج العراق، ولكنه غير وجهته لخطورة التعرف عليه متوجهاً إلى دار الحاج (محمود الأستربادي) وبعد مكوث قصير في بيت الأستربادي طلب إيصاله إلى أن يتم إيصاله إلى دار (الشيخ محمد العريبي) في البتاوين، حيث تقع مزارعه قريباً من الحدود العراقية الإيرانية ويمكن من خلالها تهريبه إلى إيران، وقد أخبر (عمر) ابن السيد هاشم جعفر هتفياً بوزارة الدفاع مخبرين عن وجود نوري السعيد في دارهم في البتاوين، فأحس نوري السعيد بالخطر الداهم، فقرر الخروج من الدار مرتبكاً حيث عثرت قدمه بعتبة الباب المرتفعة فسقطت عن رأسه العباءة النسائية فشاهده الناس وأنكشف أمره.

قريب ضحى يوم ١٥-٧-١٩٥٨ وردت أنباء عن مكان نوري السعيد متخفياً بملابس امرأة، وقد تناهشته الجماهير الهائجة، لم ينفعه مسدسه، الذي يبدو انه أطلق النار على صدغه بعد أن عرف أنّ مصيره القتل والسحل على أيدي الجماهير الغاضبة، حصل ابن الأثرياء على الجائزة وهو المستفيد من حكم الباشا في حين خسرها فقراء القصر لعائلة الأستربادي بكتهم الأمر عن السلطة، وفاءً لآسيادهم وأولياء نعمتهم!

وهكذا كان سحل الباشا في شوارع بغداد، وقد شفى الجمهور الثائر غليله في جثة الباشا بين قطع وصفع، وسحل، وحينما علة عبد الكريم قاسم بأنتحار أو مقتل نوري السعيد أمر بدفنه وقد تم ذلك بالفعل ولكن قام الجمهور بنبش القبر وأستخراج الجثة وتقطيعها ثم حرقها، وبذلك طويت صفحة النظام الملكي إلى الأبد، وقد أستلم (عمر هاشم جعفر) الجائزة المقررة (١٠٠٠٠) دينار عراقي وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت، وقد سافر بثمانها للدراسة في بريطانيا.

وفي اليوم نفسه قدم الحزب الشيوعي مذكرة إلى الزعيم عبد الكريم قاسم، تكونت من (٣) فقرات حول موقف الحزب ودعمه للثورة، والحرص على حمايتها من مؤامرات الاعداء في الداخل والخارج، وتقديم عددٍ من المقترحات العملية لأدامة الثورة وحمايتها.

في مدينة النجف: في الثالث عشر من تموز وزع الرفيق (س) المنشور الحزبي الذي ينذر بحدوث تغيرات سياسية هامة في البلاد وعلى الجميع ترقب الحدث، أوصله إلى الرفاق في النجف ووالمشخاب والشامية ومناطق أخرى، ولا شك إنَّ رضا عبد ننه كان على علم بهذا المنشور.

أستيقظ الحاج (عبد ننه) كعادته في كل فجر، ليرتب الأفرشة على (القنفات) ويسجر نار السماورات، يقوم برش باب المقهى بالماء، وهو يستمع إلى صوت (بلبل) اذاعة بغداد، ومن ثم سماع القرآن من اذاعة بغداد مهللاً مرحباً بزبائن الفجر من العمال والكسبة وبعض أصحاب المصالح، استعداداً ليوم كدح وعمل جديد، وما ان توقف عقرب الساعة عند الساعة السادسة صباحاً، حتى لعلع صوت المذياع بانبثاق فجر جديد فجر ثورة الشعب بقيادة الجيش لتطوي عصر الملوكية والرجعية وعملاء الاستعمار.

تسمر الجميع حول المذياع منصتين إلى البشرى والحلم الجماهيري الكبير، وما ان تيقنوا من الخبر حتى أعتلى (القنفة) رضا عبد ننه، وهو يبشر أهالي النجف وجماهيرها بانطلاق ثورة الشعب، ويدعوهم للتضامن وأعلان التأييد كل بطريقته للثورة والقضاء على عملاء الاستعمار وذبوله، فالتفت الجماهير حوله من كل حذب وصوب، وشاع الخبر بين الناس، غردت الحناجر، واستبشرة الأكواخ وبيوت

الطين، وأستبشر كل أحرار العراق بالنصر وهم يتابعون بيانات الثورة من الراديوات وينصتون لأقوال المناضلين ممن قارعوا أهل الظلم والظلام.

ومن أجل أن لا تعم الفوضى في المدينة، بادر الشيوعيون في المدينة إلى تنظيم تظاهرة جماهيرية حاشدة عصر نفس اليوم، وكان خطيبها المتاجج ثورية وحماسة المناضل (رضا عبد ننه) وقد تكررت في اليوم التالي وبنفس الوتيرة من الحماسة وقوة التأييد، الكل تشعر بالفرح بالنصر المبين، ما عدا كبار الحوزوين وأنصارهم، وجماعة نوري السعيد وصالح جبر، والأقطاعيين، الذين أخذوا موقف المتفرج والمترب لما ستسفر عنه الأيام القادمة.

عمل (كفاح) وزملائه من الطلبة للمبادرة لفتح مقر للاتحاد بالقرب من نادي الموظفين وقد أقبل الطلبة بالعشرات لتسجيل أنتمائهم وتأييدهم للثورة ولاتحادهم، كذلك تبنى الشخصية العمالية المعروفة (شهيد أبو شبع) مسؤولية تنسيق عمل المنظمات المهنية والديمقراطية.

رفيق (مظلوم) يجب أن نعمل المستحيل من أجل ترويض هذا الجمهور الهائج والعمل على تمدينه، وأنضباطه، وهذا أمر غاية في الصعوبة في الوقت الحاضر.

الرايات الحمراء خفاقة في كل المدن لا بل في الساحات والأزقة، في القصبات والمدن الصغيرة والقرى النائية،

الأربطة والقمصان والمسابح والكوفيات الحمراء أصبحت مطلوبة بشكل لا يصدق، بدا اللون الأحمر طاغياً على مفردات الحياة اليومية في عراق ما بعد ١٩٥٨، صار مألوفاً أن ترى لاقتات كبيرة تحمل أسماء اتحادات مهنية، طلابية شبابية عمالية فلاحية، روابط النساء، كتائب من (المقاومة الشعبية) حراس الثورة وقائدها الزعيم المحبوب، وفي الوقت نفسه تصاعدت حمى الخوف والعداء لما يسمى بالمد الأحمر، أختفى كبار الأقطاعيين والمشايخ ولكن مراسيلهم الخفية أخذت تنشط وبقوة، هناك قوة خفية وحدث بين الأخوة الأعداء من أصحاب العمائم البيضاء والسوداء، وأصحاب الكوفيات اللندنية، وأصحاب (الجراريات) والشراويل من الأغاوات، أثار حفيظتهم قانون الإصلاح الزراعي، وقانون الأحوال الشخصية، وقانون رقم ٨٠ لتأميم النفط، الأقطاعيون أختفوا وتركوا قصورهم وضياعهم بعدما انتشرت بين الفلاحين أشاعة (يوم اليقظة) وفيه سيقوم الفلاحون بقتل الأقطاعيين كل في منطقته، والقطاعي صفة أصبحت غير محددة حيث قال أحد شيوعي العفوية: حتى من يمتلك نخلة واحدة فهو أقطاعي ولن يفلت من الحساب! في خضم هذا الصراع بدأت الألوان تصبح أوضح، الأسود والأخضر والأحمر والأصفر، توحد أهل الباطل وتفرق وتشتت أهل الحق، الحزب يطالب الزعيم والزعيم يخشى

الحزب، فريق تعاطى بالتسامح وحسن النية وفريق قرر أن لا ينتظر، قرر التعاون مع الشيطان منعاً لهيمنة اللون الأحمر، واللون لأحمر مكتوف الأيدي، لا الرفيق الأعلى يتفهم ولا الرفيق الأدنى يستوعب ويلتزم، ولا الحليف الزعيم يدرك، جمع من الرفاق يهتف بحياة الثورة والزعيم وجمعاً آخر يساق إلى السجون والمعتقلات أو ينحى عن مناصبه ومسؤولياته المدنية والعسكرية، نشطت الأذاعات وتكاثرت البيانات، انتقل الصراع من التلاسن والصراخ إلى تبادل اللكمات والطعن بالسكاكين،

وفاة الشيخ (محمد الشيبلي) بعد أيام من أندلاع الثورة، رحل قريبر العين والد الشهيد حسين محمد الشيبلي وقد شهد الأيام الأولى من الثورة، وقد تم له تشييع مهيب جداً في مدينة النجف، ونصبت له عدت مجالس للفتاحة وفاءً وتكريماً لشخصه وعطائه وعائلته للشعب والوطن.

كما شهدت النجف مهرجاناً حاشداً للمنظمات والنقابات المهنية والديمقراطية وقد أنتخب الدكتور (خليل جميل) رئيساً للمؤتمر، وصاحب الحكيم سكرتيراً.

كما قرر أهل النجف تشكيل وفد من الوجهاء والأدباء ورجال السياسة لزيارة بغداد والألتقاء بالزعيم عبد الكريم قاسم قائد الثورة من اجل التهاني والتبريكات وطرح هموم مطالب النجف، وقد شارك أبرز أصدقاء (ابو مطشر) في

الوفد، وقد قابلهم الزعيم معلناً استجابته لمطالبهم لمشروعيتها، فعاد الوفد منتشياً بالفرح وبالأمل في مستقبل أفضل للشعب والوطن، لم يعكر هذه الفرحة إلا الحادث المأسوي للشخصية الشيوعية المحبوبة الدكتور (عبد الأمير السكافي) الذي تعرضت سيارته إلى حادث سير أدى إلى وفاته، مما أحزن النجفيين وكل الوطنيين لفقدانهم هذه الشخصية الوطنية والمناضل الأنسان السكافي، شيعته النجف في موكب تشييع مهيب يليق بمقامه وتاريخه النضالي والمهني المشرف.

وقد كان للنجف مكانة كبيرة بين المدن العراقية حيث أصبحت قبلة لزيارة الكثير من الوفود للمنظمات المهنية والديمقراطية العراقية والعربية والعالمية كزيارة وفد اتحاد الطلبة العالمي للمدينة، وأنعقاد مؤتمر أنصار السلام العام في النجف وأنتخاب عزيز شريف وأمين عجيته و خليل جميل كأبرز قياداته في تشرين الثاني ١٩٥٨.

صادفت زيارة سلام عبد السلام عارف لمدينة النجف وجود (كفاح) في المدينة حيث شهد استعدادات القوى القومية والبعثيين لهذه الزيارة حيث أعتلى عبد السلام المنصة المعدة في الميدان، وألقى خطبته الارتجالية كعادته، وقد كانت تؤكد على الوحدة الفورية بين العراق ومصر التي تحمس لها القوميون والبعثيين، في حين عارضه وأستاء منه الشيوعيون

وأنصارهم مما أثار سخط عبد السلام وقد غادر المنصة دون أن يكمل كلمته، وقد أشار مطشر لوالده كون هذا الحادث كان بداية لحالة من النفور والتباعد والحساسية بين الشيوعيين والقوميين، وقد كان انعكاساً واضحاً لتصدع وحدة جبهة الأحاد الوطني، مما أثر سلباً على الوضع السياسي العام ليس في النجف فقط وإنما في عموم العراق، على الرغم من حذر الشيوعيين وعدم معارضة القوى القومية وشعاراتها وعدم الرد على أستفزازاتهم، وكيف أنقذ حسن عويّنه ومحمد موسى التتنجي (مهدي محسن بحر) الملقب (مهدي الخبازة) من بطش الجماهير حينما أستفزهم أثناء إحدى التظاهرات.

ومما أثار أستغراب (ابو كفاح) مدى تدمير وسخط القوى الدينية الحوزوية من صدور قانون الإصلاح الزراعي الذي أنتصر لمظلومية الفلاح العراقي في ٣٠ ايلول ١٩٥٨ رغم نواقصه الكثيرة بما لا يرضي طموح الشيوعيين ولا فقراء الفلاحين في الريف العراقي، في الوقت الذي يفترض فيهم مساندة الفقير أقتداءً بالإمام علي عليه السلام وانتصاره للفقراء وهو القائل (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) نعم يا سيدي ها هو سبب الفقر رجلاً أقطاعياً مستبداً لا نريد قتله بل أخذ حقنا منه ولكن الداعون إليك يعارضون أسترجاع هذا الحق،

إنَّ أصحاب العمائم المزيفه يحرمون علينا أستعادة حقوقنا منهم.

وقد أستشاطوا غضباً بسبب صدور قانون الأحوال الشخصية والداعي للمساواة بين الرجل والمرأة واعطاء المرأة حقوقها المشروعة، مما دعاهم إلى تأسيس ما أسموه بـ(جماعة العلماء) وكان لها دور تحريضي كبير ضد الشيوعيين وضد الثورة وضد عبد الكريم قاسم، مستندين إلى فتوى (الشيوعية كفر والحاد).

وقد كانت هذه الأحداث محل أهتمام (ابوكفاح) وقد أبانت له حقيقة الصراع الطبقي وكشف زيف الأدعاءات والمواظ حينما تتعرض مصالح أصحابها للضرر، كيف أتحدث العمامة الزائفة مع الأقطاعي المستبد والزوج الظالم، ضد الفلاح الفقير والامرأة المظلومة.

-شفتي يأم (كفاح) شلون بيّن غش أهل ((العماميم))؟  
وشلون بين سبب التبجيل والتعظيم لأهل العماميم في مضاييف الشيوخ الأقطاعيين ودواوينهم وفرض أتاوه عله كل فلاح لبو عميمه، ولكم عمي يبين هذوله مو من ربع علي ولا من ربع عمر هذوله من ربع عثمان ومعاويه (الذين يكنزون الذهب والفضة).

والله يبو كفاح همه هذوله متحالفين من زمان مو من اليوم، لا الأقطاعيه يفارجون أهل العماميم ولا أهل العماميم يفارجون

الأقطاعيه، ولا ونوب يخالفون شرع الله بأنصاف المـره  
العراقـيه المظلومـه، يريدونه تظل (حرمه) و(تكرم عن طاريه)  
طول عمره، والله ما أدري شلون تصير جاريه وخدامه  
وحيوانه تكرم عن طاريه والله خل الجنه تحت أقدامها؟  
هذوله ما خذين وكاله من الله وگاموا يحللون ويحرمون  
بكيفهم، ها بالمناسبه خل أقرالج قصيدة الشاعر عبد الحسين  
ابو شبع عله هل المايخافون الله:

يا آية الله شلون آية  
وتعترِ بِحَدِيدٍ وَبِغُبَايَةِ  
ما تدري بِحَدِيدٍ وَلَا مَا تَدْرِي  
سافل وسرسري لواطُ كُفْري  
يَشْرَبُ خَمَزٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ  
وَيَسِبُ الْأَيِّمَةَ وَالنَّبَايَةَ  
يا آية الله شلون آية!

\*\*\*

اي تُخَمِّمَ حَرُومَه چَراهنن چين  
تعمل لاجل امريكه بيا دين؟  
چثيرة طلاييك تَتَخَلَّضْ مُنِينْ  
مُتَعَفِّلُقْ صِرْتُ شَيْخُ الْوَلَايَةِ  
آية الله شلون آية!

الى آخر القصيدة الهجائية الطويلة للشاعر.

\*خَدِيدٌ، غُبَايَة: أَسْمَاءُ أَصْحَابِ سَوَابِقٍ، كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ فِي تَنْفِيزِ مَآرِبِ آيَةِ اللَّهِ، فِي النِّجْفِ حِينَهَا.

بعد عيني (أبو علي) ولا عاب حلگه والله حجايته توگع عله الجرح، ولكم هاي امچان ما توگفون ويه الفقره، وتناصرون اليناصرونهم والناس التشردت وانعدمت وانسجنت حتى اتخلص الشعب والوطن من المصايب ومن الاستعمار والأقطاعيه أنتم تصفون ويه أهل الظلم.

والله (ام كفاح) أرى إنَّ قوى الاستعمار الأنكليزي والأمريكي وشركات النفط بدأت تفقد صبرها وخصوصا بعد صدور قانون رقم (٨٠) وهم يرون صعوبة أن تتدخل جيوشهم بشكل مباشر في العراق، مما سيعملون على تحريك عملائهم للعمل بالنيابة عنهم لمحاولة أسقاط الحكم الجمهوري.

كان يوماً لم تشهد مثله بغداد الاول من ايار ١٩٥٩ حين أحتشد مايقارب سدس سكان العراق في مسيرة هادرة بمناسبة عيد العمال العالمي وسط غابة من الرايات الحمراء وصور الزعيم الأوحد (عاش الزعمي عبد الكريمي، الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي) الزعيم أحس كأنه يطفو فوق موج احمر هائج امتلك الشارع، مما استفز عنده حاسة الخوف على السلطة وكرسي الحكم، الاغوات والباشوات والسماحات والعروبيون تناسوا خلافاتهم الثانوية امام هذا

الخطر الداهم، كثرت الدعاو وانتشرت الأشاعات وأصدرت الفتاوي أنَّ الأمر لا يطاق، يجب كبح جماح (العمايديّة) و(الرّعا) أقتربت الساعة، سيفور التنور، امتشق الزعيم المكرفون موجها خطبه التي لا تنتهي، تصور الـ(أنا) كانها شهب سماوية ترجم الشيطان من كل لون ومن كل الاشكال، موجها نيران خطاباته النارية صوب اللون الأحمر أقرب واصدق أنصاره ليتفادى سخط وغضب الأسود والأخضر والرمادي، العروبيون يحوكون المؤامرات ويعززون مواقعهم في الأجهزة الأمنية والعسكرية مستغلين سخط الزعيم على الشيوعيين وانصاره.

(نزيه بالت علجسر خل يتمزلك المهداوي)  
(ابن كفيه) يريد أن بفرش الأرض بالزهور على ان تكون هذه الزهور خالية من الأشواك ولم تثر حمرتها خفافيش الليل، هل ينحاز للجماهير الهادرة المطالبة بالضرب بيد من حديد على أعداء الثورة من الأقطاعيين وأنصارهم:  
(لا تكول ما عندي وكت، اعدمهم اللية)

وبذلك يستجيب للشعارات المرفوعة من قبل الشيوعيين المهيمين على الشارع العراقي، فهو ليس شيوعياً ولا يمكن ان يكون، لابد من تحجيم قوتهم على الرغم من كونهم القوة الأكثر دفاعاً عن حكمك يابن كفيه.

لا بد من أرضاء العروبيين وعلماء الدين وأسترضاء الأقطاعيين حتى لا يفلت صولجان الحكم من يدك امسكه من المنتصف.

- ماذا عساك فاعل يابن كيفيه فانت تحب الفلاحين الفقراء وتريد أن تملكهم أرض (اسيادهم) ولكنك لاتريد أن تغيض الأسياد، انت تريد أن تسعد العمال الفقراء دون أن تززع أصحاب رؤوس الأموال، تريد أن تكون ثروة الشعب للشعب ولا تريد أن تغضب شركات البترول الاحتكارية، تريد أن تديم الثورة دون أن تززع المتآمرين، وتنزع السلاح من الحراس، آه يابن كيفية كلما أشدت التأهرعت إلى المكرفون لترجم الأعداء بسيل من (إننا) عصاك السحرية التي لم تعد تقوى على قتل ذبابة - في حين تسمع هتافات الجماهير الهادرة المنادية بضرب القوى المضادة للثورة (ما كو مؤامرة تصير والحبال موجوده)

أختار أن يمسك بالمكرفون، والخطب النارية والأنا المتعالية على كل الصعاب تاركا الحبال تلتف على رقاب من يحملونها ضنا منهم بأنهم قادرين على كسب ود الزعيم وتبصيره بالأخطار الداهمة، والوقوف بوجه المد القوماني والمد الإسلاموي، المد القوماني الداعي للوحدة الفورية مع مصر، والمد الإسلاموي الذي يطالب بالغاء قانون الإصلاح

الزراعي وقانون الأحوال الشخصية وضرب المد الأحمر الذي أرب قلاعهم وهدد مصالحتهم.

المد الأحمر يتبنى الشعارات والتهافت أكثر مما يعد البرامج والخطط لمقاومة هذا المد الرجعي الخطير، وقد تم للزعيم ما أراد بشق وحدة الصف لجبهة الاتحاد الوطني وخصوصا بين البعثيين والقوميين والشيوعيين، ففي الوقت الذي يرى (الشيوعيين) ضرورة التصفيق للزعيم هو عنوان التأييد للثورة والأنحياز للجماهير (الما يصفك عفتي).

وقد أتهم القوميين بعد الخلافات مع عبد السلام عارف وحزب البعث، أتهموا الزعيم بالديكتاتورية والتفرد بالحكم والأنحياز للشيوعيين، ومشروعهم في الأحاد الفدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة وعدم الاستجابة للوحدة الفورية مع سوريا ومصر، وقد قدموا استقالاتهم الجماعية في السابع من شباط ١٩٥٩، مما فاقم الأمور والتوتر السياسي الكبير بين القوى المختلفة، وقد كان (أبو كفاح) يشعر بالمرارة لما يجري من حالة الشرذمة بين مختلف القوى، وكان يجد الرفيق (منير) أشد حيرة، رغم أنعقاد الكثير من الاجتماعات المطولة لقيادة الحزب، التي كانت تؤكد على ضرورة دعم موقف الزعيم والدفاع عن الثورة، رغم إن الزعيم أخذ يناصب الحزب العداء وقد رفض كل المحاولات لأشراكه في الحكم كقوة فاعلة وذات وزن كبير

على مستوى الشارع العراقي، وعدم سماعه لكل التنبيهات والتحذيرات من نشاط القوى المعادية للثورة تحت مختلف الواجهات والأدعاءات.

تفاقت الأوضاع إلى ما هو أسوأ خلال انعقاد مؤتمر أنصار السلام في أم الربيعين في الموصل.

(في يوم الجمعة ٦- اذار سارت مواكب أنصار السلام من محطة القطار إلى ملعب الإدارة المحلية مروراً بأغلبية شوارع الموصل وساروا على شكل مواكب وهم يرددون (أهل الموصل يا كرام أحنه أنصار السلام).

تعرضت المسيرة للعديد من الاستفزازات حيث تم رمي القطار بالحجارة عند مروره بتكريت، ثم كانت هناك محاولة لإخراج القطار من سكة سيره قبل وصوله للموصل، كذلك تعرض الموكب إلى إطلاق النار في الموصل، مما أحدث المزيد من الاحتكاك العدائي بين مختلف الأطراف، مما أعطى الذريعة للقادة العسكريين القومانيين في الموصل للأقدام على اتخاذ إجراءات قمعية ضد أنصار وقيادات وأصدقاء الحزب الشيوعي.

تحدث (كفاح) بالتفصيل حول مسيرة أنصار السلام لوالده، حيث كان القطار عبارة عن شعلة من الغناء والهتاف بأسم الحرية والسلام، بأسم الشعب والثورة وقائدها (الأوحد) عبد الكريم قاسم، والده عقب على حديث ولده:- نعم أريد

للمسيرة أن ترسل رسالة للقوى المتآمرة في العراق عموماً وفي الموصل خصوصاً، ولكن الرسالة كان لها مفعول سلبي، حيث أعطت للمتآمرين الذريعة لأشعال فتيل تأمرهم المدعوم من قبل سوريا ومصر والمخابرات الأمريكية والبريطانية وبالتمويل من قبل شركات النفط الاحتكارية التي ضربت مصالحها.

أستل سكاره من علبه (الجمهوري) ولعها ثم قال: والله يا بويه أشوف هالشغله هم لاعبه الزعيم، من حيث حيل ما أرتاح من المظاهرة المليونية بقيادة الشيوعيين، وكأنه يحس بأهتزاز كرسيه على رأس الحكم، وبرأيه الشيوعيون يريدون يعبرون عليه حتى يوصلون للسلطة، فما حدث في الموصل يصب في مصلحته لضرب المتآمرين، وتحجيم دور الشيوعيين بأتهمهم بأثارة الفوضى وأرتكاب جرائم.

قال (كفاح): هذا الكلام خطير أبو كفاح، هذا رأيك لو رأي الحزب؟

لا يابه هذا رأيي وهذا ما تقوله مجريات الأحداث وقادم الأيام يظهر لنا المستور.

(في الساعة الثانية عشرة ليلاً قام العقيد الركن عبد الوهاب الشواف إلى الإعلان عن منع التجوال اعتباراً من الساعة الرابعة ظهراً، وفي الساعة الثانية عشرة ليلاً قام العقيد الركن عبد الوهاب الشواف بأعتقال جميع الشيوعيين في الموصل

وعدددهم (٤٨) وهم من العناصر المتبقية من المهرجان بالإضافة إلى قيادة اللجنة المحلية.

كما أعتقل جميع أعضاء نقابة المعلمين والعمال وأنصار السلام بالإضافة إلى كامل قرانجي ووضعهم الشواف في مستودع الجيش ومن ثم في الثكنة الحجرية فكانت الشرارة وأعلنت الثورة) ص ٩٠ عبد الكريم قاسم البداية والسقوط - جمال مصطفى مردان.

الشيوعيون ينكفؤون إلى الخلف، قاعدتهم تتململ، الأسلاميون ينشطون بقوة تحت غطاء فتوى (الشيوعية كفر وإلحاد) المخابرات الأمريكية والبريطانية تعمل بكل ما أوتيت من قوة مكر ودهاء لارباك الوضع في الشارع العراقي، تأجيج الصراعات العرقية والطائفية والسياسية، مرة باسم العروبة ومرة باسم الأسلام.

الخطط السرية ترسم في الغرف المظلمة لانتزاع كرسي الحكم من (الديكتاتور) (الشعوبي) ولجم المد الأحمر الذي لم يعد يحتمل بالنسبة للقوى المعادية، المحكمة الثورية تحكم، والزعيم يعفي عما سلف، قوى الردة والرجعية تتبوء مناصب مهمة في الجيش والشرطة وعموم دوائر الدولة مقابل أقصاء الشيوعيون وأصدقائهم من المواقع الهامة، قوى الفاشية تطلق الرصاص على الزعيم وتصيبه بجروح خطيرة،

الزعيم يتلقف المكرفون بيد وقلم أقصاء وسجن ومحكمة الشيوعين باليد الأخرى، ويصدر مراسيم الأعفاء والغفران. الحزب ينكمش على نفسه، يوقف الترشيحات، القشور الحمراء أصابها الأصفرار والعفن فاخذت تتساقط كأوراق الخريف، فور هبوب رياح خريف الثورة وأنكماش المد الأحمر.

كان (مظلوم) يتفكر ظاهرة الزعيم كثيراً، طبيته، حبه للفقراء، شعبيته، نزاهته، مقابل فرديته، سذاجته، لامبالاته بما يحاك للشعب والوطن من وراء ظهره، تحجيمه لمحبيه، تسامحه المفرط حد الغباء مع أعدائه ليس هو كفرد بل أعداء كل منجزات الثورة، وسعيهم لوأد أحلام الفقراء، فلذلك كان غالباً ما يلتقيه في منامه يحاوره ينتقده، يسأله عن أفعاله وسلوكه.

"بعد أن توقف قليلاً عند فرن الخبز الذي وضع في مقدمة الفرن صورة كبيرة للزعيم، تأمل (الشنكة) فسقة الخبز وبعد إن وزنها وجدها ناقصة، التفت لصاحب الفرن قائلاً:- وليدي أتمنى عليك أن تصغر صورة الزعيم وتكبر حجم (الشنكة) ثم غادره متوجهاً إلى محل الحاج زباله.

شرب الزعيم قدحاً من شربت زبيب الحاج (زباله) وقد أمر للحضور وقتها لتناول الشربت أيضاً على حسابه ومن ضمنهم (مظلوم) طلب (مظلوم) منه أن يتفضل بالأجابة على

أسئلة تحيره، فأستجاب الزعيم لطلبه بأريحيه، جلس الأثنان في أحد المقاهي الصغيرة في أحد الفروع المتصلة بشارع الرشيد، وهما يرتشفان الشاي (المهيل) من يد صاحب المقهى سأله: سيادة الزعيم، وقبل أن يكمل ما يريد قوله قاطعه قائلاً: رجاءً أخي، ابو،

- ابو (كفاح) سيادة الزعيم.
- عاشت الأسامي، نعم اخي ابا كفاح أتمنى عليك أن تترك (سيادة الزعيم) وتنادي بأخي عبد الكريم.
- صار اخي كريم (ابو حاتم).
- أتمنى أن تعرفني بنفسك، فأنا محتار بوصفك، هل أنت شيوعي، قومي، بعثي، برجوازي، متدين، علماني؟
- نعم أخي كفاح أنا كل هؤلاء ولكل هؤلاء.
- وهل هذا ممكن؟
- ربما يبدو لك الأمر غير منطقي ولا معقول، فلو كنت مواطناً كسائر المواطنين العراقيين، لكنت واحداً من الأوصاف والأسماء الذي تفضلت بها، وبصراحة أكبر لو كنت مواطناً فإنّ وطني عراقي الاقرب إلى القوى الاشتراكية والشيوعية، لأنني وكما افهم نفسي دائماً بأنني عراقي فقير ومن عائلة فقيرة، ولذلك فأنا منحاز للفقراء وأسعى من أجل اسعادهم ورفع الظلم والاستغلال عنهم.

- ولكن بما أنني الآن رئيس وزراء العراق والرجل الأول في الدولة في جمهورية العراق، فأنا ملك لكل العراقيين لا يمكنني أن أحمل صفة فئة دون فئة أخرى، الفقير أنا المسؤول عن رفع الفقر والاستغلال عنه، والثري المستغل أنا المسؤول عن نزع صفة الاستغلال عنه ليس بغضا له وإنما حبا به ليعود إلى إنسانيته، أنا مع القومي ولكني ضد تطرفه وشطحاته، ومع البعثي ولكن ضد همجيته وغروره، مع المسلم المتدين ولكني ضد فرض أرائته على غيره، ومع المسيحي ما دام مع الله، متفهم لدوافع سارق قوته ولكني ضد أسلوبه في الحصول على حقه.

- ربما أنت لا تعلم مدى معاناتي وألمي وأنا أسلك هذا السلوك ولكني أرى في ذلك قدرتي لا زلت الرجل الأول في الدولة، ولا أشك بأنك ستنهج نفس النهج لو كنت مكاني في المنصب لتكون منسجما مع إنسانيتك ووطنيتك ومسؤوليتك وأنت على كرسي الحكم.

- هلا تخبرني كيف سيكون حال الشعب العراقي لو أنني أنحزت ولبست لباس وأتصفت بأحد صفات ما ذكرت، لو كنت أسلاميا، أو بعثيا، أو شيوعيا أو قوميا؟

الا ترى اني ساكون مضطرا إلى نصب المشائق للعناوين الباقية وانت ترى مدى يغضها لبعضها البعض ومحاولة بعضها اقضاء بعض حتى ولو بالقوة والقتل، والا بماذا تفسر

احداث الموصل وكركوك وغيرها من الأحداث، وانت ترى رغم اني قاسي على أقرب أصدقائي وهنا أقصد وبصراحة تامة (الشيوعيين) حجمتهم والقيت الكثير منهم في السجون، وابتعدتهم عن العديد من المناصب الحكومية الهامة، ولكني لم ارق للكثيرين واصبح رأسي ورأس الثورة مطلوباً بالنسبة لهم.

- أخي (أبو حاتم) أنا أحاول أن أتفهم ما تفضلت به من تبرير سلوكياتك وقراراتك، ولكن هذا لا يغفر لك تغاضيك عن القوى المتآمرة من أنصار الأقطاعيين وشركات النفط، والموالين لدول خارجية، وأنت تمتلك كل الأدلة الموضوعة أمامك لادانتهم؟

- أخي (أبو كفاح) ان ارى لو اقدمت على اعتقال وسجن كل من تردني معلومات عنهم حتى وان كنت واثقا منها لوضعت اغلب شركائي في الثورة، والمئات بل الآلاف من العراقيين في السجون، ولما خلت ساحة الاعداد من رؤوس متدحرجة من (المتآمرين) على الزعيم وعلى الثورة وهذا ما لايمكنني ان اكونه، ولا هذا ما قامت الثورة لاجله، أخي (أبو كفاح) اتعلم بأنني بكيت كثيرا عندما نفذ حكم الاعداد بالشواف ورفعت الحاج سري والطبقجلي، رغم انهم كان يطلبون رأسي ورأس الثورة التي كانوا من صناعها، كيف لي ان اشعر

باني الحارس الوحيد والمخلص الوحيد للثورة وللشعب  
العراقي؟

- وهنا اتفهمكم تماما اخي (ابو حاتم) ولكن عندما يقع  
الحدور ويمسك المتآمرون بالفعل المشهود ويقدمون  
للمحاكمة وتدينهم القوانين القضائية العسكرية والمدنية  
العراقية النافذة، فانك تعود إلى تطبيق منهجك في (العفو عما  
سلف) وتطلق سراح المجرمين ولا اقول المتهمين، ومثالي  
على ذلك المجرم والمتآمر عبد السلام عارف الذي فشل  
بمعجزة عن قتلك شخصيا.

- نعم اتفهم تماما حرصكم على ثورتكم من هذه النماذج  
المتآمرة، ولكنني لا اتصور نفسي يوما قاتلا لمن شاركني  
طريق الكفاح والثورة، شاركني (الزاد والملح) حافظ أسراري  
وأسراره، فقد أسميت العديد من (المتآمرين) برفاق طريقي  
واخوتي وأمناء سري، اني احاول ان اكسب حبهم بالتسامح  
والعفو عند المقدرة، عسى ان يعودوا إلى ذواتهم ومراجعة  
اخطائهم، فليس بامكاني ان اضع توقيعي لاعدام (عبد السلام  
عارف) احد قادة الثورة، والذي اذاع بصوته البيان الاول  
للالثورة مهما كان، فهو مضلل، أو طامح بسلطة ولكن  
لايمكنني ان اراه مضرجا بدمائه ببنادق الثورة التي كان احد  
صناعها، فانا اعرف ان اغلبية فقراء العراقيين من عمال  
وفلاحين يحبون (الزعيم) ويضحون من أجل الثورة فهؤلاء

جانبيهم مامون، ولذلك علي كسب ود ورضى من يناصبني  
العداء، وبذلك اكون من الراحين ويربح العراق دم ابنائه دون  
ان يسيل هدرا.

- ولكن أخي (ابوحاتم) أنت بذلك لم تتنازل عن حقك  
الشخصي فقط، وإنما تعرض رأسك ورأس رفاقك  
المخلصين ورأس الثورة إلى قوى لم ترض عنك وعن الثورة  
الا بقتل الثورة والتخلي عن كل مبادئها وأهدافها ومكتسباتها،  
وهذا مما يفقد الأمل بك من قبل من أحبك وأحبو الثورة،  
فحالك هنا كحال (مجير أم عامر).

أطال صمته وخرجت من صدره حسرات حرى، وهو يقول:  
هكذا أنا، لا يمكنني أن أكون الا هكذا، أنا مع الجميع أحب  
الجميع ولا بد أن يرضى عني الجميع، نعم أحاول أن، أمسك  
صولجان الحكم من الوسط ولكن للأسف هناك من يريد أن  
يخطفه من يدي ليمسكه من أحد أطرافه ليكسر به رأس  
وأرادة وقوة الطرف الآخر، وهذه هي الكارثة والمصيبة  
الكبرى، هل ترون اني امتلكت عقاراً أو فللاً أو قربت أهلي  
وعشيرتي، أو تقلدت الرتب أو بذخت في المأكل والمشرب  
 والملبس، فهذا هي بدلتي من خالص راتبي، وها هو  
السفرطاس لا يفارقني، وها هي جيوبي شبه فارغة لا بل لا  
يمر شهر الا وأنا مدين إلى بعض رفاقي لأنني أنفق من  
خالص راتبي على من يطلب العون مني ولا شك أنكم

تعلمون قصة (عريس الناصرية) وقصة العامل البصري (منان) والخ الكثير مما لا تعرفونه ولا يمكن ان أصرح به، بمعنى أنني لم أهادن ولم أسامح ولم أعف عن أحداً من أجل نفسي ومصلحتي أو مصلحة عائلتي وعشيرتي التي لم أذيل بها أسمى فأنا عبد الكريم ابن قاسم النجار وابن كيفية من عائلة فقيرة وأعيش في حي الفقراء، شيدت المساكن لأصحاب الصرائف ولم أشيد لنفسي قصراً ولم أملك أختي ومريتي الفقيرة داراً حتى أسوة ببقية فقراء العراق رغم طلبها مني ذلك.

أخي نائب ضابط في الجيش العراقي قدم أستقالته وقد وافقت عليها بناءً على رغبته ورغبتني خشيت ان يعامل معاملة خاصة بأعباره شقيق (الزعيم). لم أفكر بالزواج وتكوين عائلة لأنني أريد لها أن تكون عائلة مستقرة مرفهة سعيدة آمنة، ولكن كيف يكون لي هذا وان عائلتي الكبرى الشعب العراقي لم تتمتع بالأمن والسلام والسعادة والرفاه الذي أطمح به لحد الآن فلا يمكنني ان أفصل بين حال العائلتين الكبرى والصغرى.

- أقول الصراحة أخي (ابوحاتم) أنت بهذه الصفات لا يمكن ان تكون حاكماً لبلد مثل العراق مثقل بالتناقضات والصراعات الطبقية والعرقية والطائفية، وتكالب إلى أفتراسه كل ذئاب الأرض وفي مقدمتها ذئاب الاحتكارات البترولية

المسعورة، ويجب أن يكون لك عبرة في التاريخ في حكم  
الأمام علي عليه السلام خير عبرة في كيف يجب أن يكون  
الحاكم، نعني أن السياسة والمبادئ لا يمكن أن يوضعا في  
كفتي ميزان واحد.

أطال فترة الصمت، شاكرًا لي صراحتي ومباشرتي في ابداء  
الرأي دون لف أو دوران قائلًا: أنني أتفق معك في كل ما  
ذهبت إليه أخي (أبا كفاح) وما تقوله ليس غريباً علي، فأنا  
كما قرئته في التاريخ وتشبعت بسلوك ومبادئ الأمام علي  
عليه السلام وأن أتعلق بعباءة أمي (كيفيه) وهي تصحبني معها  
في زيارة الأمام علي في النجف والأمام الحسين وأخيه  
العباس في كربلاء كما قرئته في عيون وملامح الكثير من  
وجوه الكادحين في الشارع وفي عيون ووجوه الكثير من  
أقرب الناس الي وحتى في كلام وعيون أفراد أهل بيتي، يبدو  
انني قد تورطت ولا يمكنني التراجع أو التخلي عن كرسي  
الحكم في ظل هذه الفوضى التي تعيشها البلاد وهذا الصراع  
الدامي بين الأحزاب السياسية في العراق سأحاول جل ما  
أستطيع لتهدئة الأوضاع حتى ولو بالجور على أقرب أنصاري  
وأقصد بالضبط الشيوعيين منهم، ورغم عدم وفائي بكل  
طموحات أحبائي من العمال والفلاحين والكادحين  
العراقيين، للعمل بدستور عراقي دائم وأجراء انتخابات حرة  
ديمقراطية وأقامة حكم دولة الدستور والقانون والتعددية

السياسية، ياليتني بقيت معلماً بين طلابي وأحبتي في الشامية حيث المودة والحب والأمل والبساطة والعلم والمعرفة، مكتفياً براتبتي التسعة دنانير وكتبتي وأحلامي بغد سعيد للفلاحين الفقراء وهم منتجو ذهب العنبر يخوضون في وحل الواح الشلب تحت هجير تموز وآب، ولكن أرادة الأقدار كانت كذلك.

- أخي أبا (حاتم) رغم اني أتعاطف معك فيما ذهبت اليه حيث أنني رغم شيوعتي لما زلت أحن لأخلاقية الريف ولطيبة وعفوية الفلاح العراقي، مغفلاً مبادئ الشيوعية في هدفها النهائي في الاستيلاء على الحكم وبناء ديكتاتورية البرولتاريا ولو عبر الديمقراطية الشعبية وأنت تعلم أنها يجب أن تكون بقيادة الحزب الشيوعي طليعة الطبقة العاملة، وربما معرفتك بهذا الاستراتيجية للأحزاب الشيوعية هو الذي يخيفك من الشيوعيين، حيث أنك ترى أستمالة أئتمائك للحزب الشيوعي كما فعل كاسترو كوبا مثلاً، ومن الصعوبة أقتناعك أننا لانسعى إلى أقتلاعك من سدة الحكم، وإنما نسعى إلى أقتلاع هيمنة الأقطاع والبرجوازية الطفيلية من طريق أ استمرار التطور الاجتماعي والأقتصادي صوب المجتمع الاشتراكي عبر التطور اللارأسمالي صوب الاشتراكية، ولا نطن أنك ضد هذا التوجه، ولكني رغم ذلك ايضاً أقول وماذننا نحن الشيوعيون، فنحن قد ذقنا صنوف القتل والشتق والتعذيب

والسجون والتشريد والتجويع على مر عشرات السنين من أجل تحقيق أهداف الشعب والوطن وتحقيق شعار (وطن حر وشعب سعيد) ووضعنا كل طاقتنا وأمكانياتنا وأنت تعلم ذلك من أجل حماية الثورة وزعيمها (الزعيم الأوحـد) عبد الكريم قاسم، ولكنك تنكرت لكل هذه التضحيات وأشرت حتى أعداء الثورة في الحكم الا الحزب الشيوعي العراقي مستنكرا شعارنا (عاش زعيمـي عبد الكريمي، الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي) وهو شعار عفوي رفعته الجماهير المليونية الحارسة والمحبة للثورة وزعيمها، فلم تستجب لها وإنما أوغلت في مطاردتنا وسجن رفاقنا وأصدقائنا ووو، وأغلقت أبواب المتظمات المهنية والديمقراطية التي تتمثل منهجنا، لا والأكثر من ذلك عملت على تصنيع حزب شيوعي هزيل ليكون بديلاً لنا.

قوى الفاشية القومانية تعتدي على رفاقنا ومنعت صحيفتنا وأعتدت على مقراتنا، والقوى الدينية أستجابة لرغبة الأقطاعيين أصدرت ضدنا فتوى (الشيوعية كفر والحاد) لا لشيء الا لأننا لم لم نخنك ولم نخن الثورة ولم نتخلا عن مبادئنا في حرية ورفاه الشعب والوطن، وانت تعلم كم كان كرسي الحكم قريبا منا لو اننا تخلصنا منك حينما حاول حزب البعث القضاء عليك واصابتك بنيرانهم في رأس القرية في شارع الرشيد، وهناك فرص أخرى ولكننا وفينا بالعهد

للثورة والشعب، فما بالك كلما أقتربنا إليك ابتعدت عنا، مالك وكأنك تشعر ان قبضاتنا التي تهتز ضد قوى الرجعية والاستعمار كأنها تريد ان تقبض على رقبتك، مالك تشعر أننا نريد أن نجعل منك جسراً للوصول للسلطة والحكم؟ ماذا سيبقى لديك لو اغرانا الحكم وتراصفنا مع الشواف والقوى القومية لنرميك بصفة الديكتاتورية والشعبوية وخائن الثورة والعروبة؟

هل قدرنا ان يكون حالنا أشد ايلاماً وبؤساً وظلماً من حال (أبو ذر الغفاري) في عهد عثمان، الذي ضحى بكل شيء من أجل الإسلام، ولكنه مات منفيًا غريبًا جائعًا مذلاً مهانًا في (الربذة) لا لشيء الا لأنه أنتصر للفقراء وحارب الأثرياء وأحب علي وأهل بيته، فان أكتفى معاوية وعثمان بنفي الغفاري وان علياً لم يستطع ان يفعل له شيئاً غير المواساة، فهو لاء لا يكتفون بنفينا بل أنهم يطلبون رؤوسنا بعد ان يقطعوا رأسك ويقطعوا رأس الثورة؟

أطال الصمت، لا أدري بالضبط من منا أتى في غير زمنه، هل أنتم، أو الثورة، أم أنا، هناك خلل كبير فيما نحن فيه الآن، ولم يتمكن اياً منا وضع يده على الجرح ويتمكن من معالجة الخلل لتستقيم المسيرة، تحوم في سماء العراق غربان الشركات الاحتكارية ودولها الساندة، تحوم غربان الفاشية القومانية وأنصارها في بلدان مجاورة، تحوم غربان أدعياء

الدين والتدين، تحوم غربان الجهل والمغامرة من كل الألوان، ليس لنا الا أن نقول اللهم أحفظ العراق وشعبه. أنهم يرفعون شعار الوحدة، كما رُفِعَ قميص عثمان ذات تاريخ، ومن منا يعادي الوحدة العربية، هل أنا عبد الكريم قاسم الذي ككان في مقدمة الجيش لاستعادة فلسطين، أو الشيوعيون ضد الوحدة العربية وهم الساعون إلى وحدة كل العالم، لا شك إنَّ الجميع مع الوحدة العربية ولكن ليس الفورية كما يريدونها وحدة حكام ضد شعوبهم وليست وحدة شعوب مدروسة ومقامة على أسس راسخة، وبخطوات مدروسة، وإني على ثقة كبيرة إنَّ هؤلاء الوحيدون الفوريون هم أشد أعداء الوحدة الحقيقية وسيثبت التاريخ ذلك وترى ونرى أن بقينا أحياء.

طلبت ان يسقينا صاحب المقهى بقدحين شاي، فما ان رأى عامله الزعيم حتى اختل توازنه وانقلبت (صينية الشاي) الحار، احسست بحرقه شديدة على ساعدي، فاستيقظت متالما.

قص (مظلوم) تفاصيل حلمه وما دار خلاله مع الزعيم على رفاقه وخصوصا الرفيق (منير) وعلى ام كفاح وكفاح، مما تطلب المزيد من التفكير والتدبر من اجل ان لا تسرق فرحة الاكواخ ورقصة المعامل وبهجة العراقيين على ضفاف قناة الجيش ونهر دجلة والفرات، الذئاب المسعورة في كل مكان

لم تعد تخفي نواياها وخفاياها، والزعيم يسعى إلى (حقنا للدماء) غير مدرك ان الذئب المسعور يلتذ بولوغ الدماء.

طلب (مظلوم) ان يخصص له رفيقه (منير) وقتا لسماع هواجسه وتساؤلاته وشكوكه وتحفظاته، قصدا حد الأماكن القريبة إلى قلوبهم في أيام ما قبل الثورة، على شاطئ دجلة ليتبادلا هم الساحة السياسية المنذر بالخطر.

رفيق (منير) الا ترى ان الحزب لم يتخذ الاجراءات الاحترازية الكافية لمواجهة المد الفاشي، وقوى التآمر على الثورة؟

نعم، ساجيك ولو ان مثل هذه الامور يجب ان تثار في الاجتماعات الحزبية فقط وليست محل نقاش فردي أو ثنائيا ولكن ما تحمله من توجسات فانا مثقل بها، وانت تعلم قبل فترة طلب من المنظمات الحزبية ان تقوم بعملية تدريب وتسليح وتخزين السلاح، وتحت اجراءات تنظيمية وانضباطية مشددة تحسبا لظروف طارئة، وقد طالبنا قيادة الحزب بدراسة كافة الخيارات للحد من لامبالاة قاسم ومن الاعتداءات الاجرامية ضد رفاقنا واصدقائنا، ولكن للأسف قررت القيادة نبذ هذه الاجراءات ووءدها في بدايتها خوفا من استفزاز الزعيم وبناءً على توصيات من قبل الرفيق الاكبر، ولاشك ان هذه الاجراءات قد اثارت الكثير من التساؤلات وربما التذمر من قبل الكثير من رفاق الحزب ولكن القيادة اصرت على اتباعها، وكما تعلم أو لاتعلم ان سبب سفري

خارج العراق كان بسبب ذلك، واني أرى الآن ان الوقت  
ينفلت من بين أيدينا، قبل أن نكون مستعدين للحدث قبل  
حدوثه، وعلى كل منا ان يتفقد رأسه.

ولكن يارفيق هذا الأمر يعني أننا سنكون لقمة سائغة للقوى  
الفاشية المتربصة بنا، الآن نرى ونسمع قتل أو جرح أو  
الاعتداء على رفاقنا ومقراتنا، فلم يبق في مركز مدينة  
الموصل حتى رفيق واحد على قيد الحياة بعد خطاب  
(الكنيسة) والفتوى الخطيرة للمراجع الشيعية، وبعد أحداث  
الموصل، وأقدام الزعيم على سجن وملاحقة العشرات من  
الشيوعيين وأصدقائهم.

اتفهم واتألم كثيرا لما وصل اليه الحال والمأزق الخطير الذي  
نجد انفسنا فيه وسط هذه الفوضى السياسية وكأن أيدينا  
مشلولة من الفعل، ان اجراءاتنا اضعف بكثير من حركة  
القوى الرجعية والفاشية المتآمرة، ومن الصعوبة بمكان عودة  
الحزب وكوادره إلى الوضع السري لتفادي قوادم الاحداث.  
رفيق (منير) كيف تفسر تراجع شعبية الحزب في الآونة  
الاخيرة؟

(ابو كفاح) انّ أغلب من انتمى للحزب كان انتماءؤه عاطفيا،  
وليس فكريا وفلسفيا، وأنّ ترى مدى سعة أنتشار الأمية  
والجهل والخرافة بين الأغلبية فانحيازاتها غير مدروسة،  
منقوصة الوعي، معرضة للاهتزاز في أية لحظة وأمام أبسط

الضغوط والمتغيرات وأنت خير من يعي هذه الحالة لما مررت به من مراحل تطور الوعي، فلا تستغرب ما يجري، ولكن رغم ذلك هناك نخبة غير قليلة ممن يؤمنون بعمق وصدق بالحزب كوسيلة للنضال من أجل الحرية والرفاه والتقدم، كوسيلة لتعزيز الذات القوية المستقلة وليس الفرد المهزوز السائر بلا وعي كالمخدر مع التيار الجارف. عموما (ابو كفاح) هذا هو قدرنا وهذا هو خيارنا ولا بديل لنا سوى الصمود والاستمرار والمقاومة، مقاومة الذات، ومقاومة شطحات قيادة الحزب، ومقاومة تردي الوعي الاجتماعي، ومقاومة المد الفاشي والرجعي الذي يستهدفنا ويستهدف عموم الشعب والوطن.

من المعروف رفيق (منير) ان مؤتمر الحزب هو الذي يضع ويرسم السياسة العامة للحزب، ويختار القيادة الاقدر على قيادة المرحلة، ووضع المنهج التنظيمي والفكري بين مؤتمرين، وان حصول تحول كبير في الوضع السياسي يستوجب من الحزب وقيادته ان ترسم سياسة تنظيمية وخط سياسي جديد، واسلوبا تنظيميا جديدا، ولكننا نرى ان الحزب لم ولن يعمل على عقد مؤتمر للحزب رغم الضرورة الملحة لذلك، ماهي الاسباب برأيك؟

انّ التحول الكبير، والأحداث الكبيرة المتلاحقة، جعلتنا نغمس فيما نحن عليه، والقيت المسؤولية كاملة على اللجنة

المركزية والمكتب السياسي وأجتماعاتها الموسعة والمستمرة إلى محاولة التعويض عن مقررات المؤتمر، فالأحداث تلح على عقد المؤتمر، والاحداث تعقد وتحول دون عقده، وها نحن في حالة من الارباك وعدم وضوح الرؤية، وقد يكون للأجتهاد الذاتي أثر كبير في اتخاذ القرارات، اني أشاركك الرأي بأهمية عقد المؤتمر بأسرع وقت، رغم ضخامة وصعوبة الأمر.

الآن أودعك بسلام رفيق (ابو كفاح) فربما لانتمكن من اللقاء ثانية.

أفترقا فراقاً مشوباً بالحسرة والألم والقلق، والأصرار، وقوة وعمق القرار للأستمرار في طريق الكفاح من أجل عالم أفضل، رغم أنّ (مظلوم) شعر أنّ في قلب وروح رفيقه الكثير من الألم وإنّ لم تتمكن من أطفاء نور الأمل ولكنها، مؤلمة، أحس أنّه غير راضٍ على الخط السياسي العام للحزب ولا إلى قرارات واجراءات اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب، فلم يحاول أن يضغط عليه أكثر، ويعرضه للمزيد من الأحرار، فليس كل ما يتمناه (السكرتير) يدركه. لفت نظره أنّ أسراباً من الغربان تحوم في سماء المدينة، وكأنها تحتفل بخبر سار، وبشارة رزق وفير في قابل الأيام فرقصت رقصتها المشؤومة.

حتى كان ما كان في صبيحة الجمعة قارسة البرودة الرابع عشر من رمضان الثامن من شباط في (عروس الثورات). مخلوق مخيف رغم صغر حجم رأسه، الا أنه مزروع بعيون حمراء تقدح شرراً بكل الاتجاهات، تدور في محاجرهما كما تدور شعلة لهيب حارق يترصد عدواً مجهولاً، مكشراً عن أنياب طويلة مخلقة ورائها شفتين تخشرت الدماء عليهما، له كفوفاً سوداء كأنها (فالة) صيد، تخرج من كل مكان في جسده كاقدام أمييا الزحار، مئات الأرجل كغابة من رماح محروقة، متقدما قطعانا من جنسه، لا زالت تخرج بأعداد غفيرة كما تخرج الصراصر والعقارب من فوهات المجاري والمياه الثقيلة في الساحات والشوارع والأزقة والبيوت، من دورات المياه في الجوامع والمساجد والأضرحة المقدسة ودور البغاء والملاهي والبارات، والمدارس والجامعات، من كروش الأقطاعيين والمرابين، وجيوب المتسولين والمتسولات، ما عدا المجانين والكلاب السائبة لم تنتج مثل هذه المسوخ الهائجة، في طريقها تلتهم الأشجار وتلتهم الزهور والطيور، يتصحر كل مكان تمر به هذه القطعان، تنطفئ الأضوية تنفجر المصابيح تختفي الألوان تلوذ تحت معاطف السواد، أحرقوا آلات العود والكمات وكل الشبابات، حطموا الدرابك، والربابات، ما عد طبول ضخمة مصنوعة من جلود المطربين التي ما زالت تنزّ دما كلما لامستها قضبان

الطبالين، اصوات تمزق طبلة الاذن البشرية تشبه العواء  
تطالب برأس اللون الأحمر، أحرقوا الأربطة والمسابح،  
واطنأنا من الأقمشة الحمراء والمزركشة، أمروا بأستخدام قلم  
الفحم بدل أحمر الشفايف، الأسود بدل الأحمر لتجميل  
الخدود وأصباغ الأضفار، مزقوا اللافات ذات الخطوط  
الحمراء، حطموا شارات المرور الحمراء، أختفت علامات  
المنوع أو الوقوف أو منبهات الخطر، شب حريق هائل في  
أكداس الكتب الحمراء.

يا الهي مالذي يجري انهم يتقدمون نحو الدار تتقدمهم  
جرافات وسلالم استبدال الأضوية الكهربائية المحمولة للقفز  
على سطوح الدور والعمارات وفوق الاسواق، انهم يقتربون  
من دارنا المطلية باللون الأحمر من الخارج، اصابته رعشة  
من الخوف والهلع، يا الهي مالعمل اغطية بطانيات حمراء  
سأموت بردا في هذا اليوم الشباطي المثلج ان احرقوها، كاد  
يجن فما العمل كيف له باطفاء الحريق فصناير الماء متجمدة  
تماما، اصابه الرعب عندما قرر الاستعانة بمطفأة الحريق انها  
حمراء كالعادة ذات لون احمر!

لو انهم ضبطوه وهو ممسك بها سيقتلونه فورا، انه أخطر من  
حامل مدفع رشاش فلون الرشاش أسود، لعن في سره من  
صبغ مطافئ الحريق بالأحمر ولم يطل البنادق والرشاشات  
والمسدسات باللون الأحمر، رغم خوفه ضحك في سره من

غباء (الحرمان) الا كان الجدير بهم ان يطلوا أسلحتهم  
الكلاشنكوف وأخواتها باللون الاحمر. البنادق الأمريكية  
سوداء اللون كالأفاعي، ماذا عساه ان يفعل؟

الجموع تقترب اصوات الانفجارات يهز بغداد هزا،  
الاذاعات تستصرخ القطعان وتحثهم على قطع راس الاحمر  
واقْتفاء اثره في كل مكان.

يا الهي من اين لي بقميص أسود، قمصاني كلها حمراء أو  
بيضاء أو زرقاء اللون، لعن الله ذوقي.

الابيض لا ليس هو المخلص فهو يضمّر اللون الاحمر وهم  
يعرفون هذا جيداً، الازرق عليه شبّهات كبيرة بتواطئه مع  
الاحمر انهم يعتبرونه متماهيا مع الاحمر.

نعم انها هي المخلص الوحيد رغم انها لم تنجح في تخلص  
نوري السعيد، لالا أنّه كان يجب ان يرتدي قميصاً أحمر  
آنذاك ليضمن الخلاص فقد كان غيباً رغم ذكائه المشهود له  
به، دعك من هذه المحاكمة السخيفة وتدبر امرك الآن.

ولكن من اين لك بالعباءة السوداء، زوجك وأمك وشقيقاتك  
كلهن سافرات ولا يمتلكن عباءة، الان فهمت مدى ذكاء  
وفطنة وبعد نظر اهل العمام، واعمامي في الريف واجبارهم  
النساء بارتداء العباءة السوداء في مثل هذه الظروف الا تبا  
للرصافي وسحقاً لميميته القاتلة (اسفري يينت فھر فالسفور  
للناس صبح والحجاب ليل بهيم).

تعال يا ابن، لترى عظيم فائدة الليل البهيم!  
ضحك بملء منقاره الغراب الذي كان يحوم فوق سماء داري  
عندما قرأ سري وانا اتمنى ان اتحول إلى غراب لانقذ جلدي  
من السلخ، مذكراً إياي كيف كنت اناصبه العداء منذ صغري  
فغالبا ماكان هدفا ل (مصيادتي) اينما اجدته أو المحه عندما  
كنت طفلا، وكيف اتشائم منه خلال شبابي وبلوغي وقد كنت  
في هذا منسجما تماما مع رأي جدتي وجدي رحمهم الله،  
قال لي مستهزئا بي، ان تستنجد بعنادلك وبطيور حبك  
المدللة، أو ان شأت تحول إلى عنز بري وانتظر سكين  
القصاب!

حاولت ان احصل على شربة ماء لأبل بها ريقى فقد تخشب  
فمي من شدة الخوف. يا الهي الماء جامد لا بد من تسخينه  
حتى يسيل، وانا افتش عن عود كبريت أصابني الفزع وأنا  
أرى سلة كبيرة من الطماطة الحمراء القانية وكم تمنيت لو  
انّها أنقلبت باذنجان في مثل هذه الساعة السوداء، انظر في  
المرآة فارى وجهي عبارة عن قطعة لحمية حمراء، إنّ  
الخوف يجعل لون الوجه اصفرا وليس أحمر كما أنا الآن، آه  
أيها الأحمر.

النهر نعم إلى النهر، افردت اجنحتي وطرت محلقا في سماء  
بغداد حيث ارتال الدبابات وقطعان (الحرس القومي) هناك

جثث مبعثرة في الطرق والساحات، الاقزام في كل مكان،  
الغربان غطت نصب الحرية فظهر كتابوت اسود.

هبطت عند ضفة دجلة في منطقة تبدو خالية من الحركة، ما  
ان حذقت في النهر حتى عدت ادراجي مرعوبا، انه نهر من  
دم. توجهت نحو النهر طوابير الاقزام، مطلوب رأس النهر أنه  
احمر انه احمر، صدر امر الاعداء انهالت عشرات الالاف من  
الاطلاقات النارية صوب النهر، اخذ يغلي من حرارة  
الرصاص والبارود، كلما علا صوت الرصاص علا صوت  
دجلة بالضحك هازئا بنيران وهستيريا الاقزام، اخذت تسبح  
على سطح الماء الالف الصور الحمراء فتنهال عليها زخات  
الرصاص، تغطس ولكن سرعان ما تظهر ثانية تتحدى  
الرصاص، فيصاب الاقزام بهستيريا الرصاص إلى الحد الذي  
القى البعض بانفسهم في النهر محاولا القاء القبض على  
الصور والاوراق والكتب الحمراء، خاب ظني بالاغتسال في  
نهر دجلة، قررت ان احلق صوب الفرات.

سقطت من على سريري مرعوبا من هول هذا الكابوس  
المرعب، لعن الله نوم الضحى، هداً من روعي بسملات  
زوجتي وصوت الطبال في الشارع وهو ينادي: لا صوم هذا  
اليوم ولا صيام ستفطرون بكاسات الدم الحار الذي أخذ  
يفور في شوارع بغداد، ماعدت عيونهم تألف النوم وسط  
سمع الاطلاقات النارية وفوضى المدهمات لمليشيات

(الحرس القومي) للمنازل والحارات، صوم عن الطعام لوجه الله وصوم عن الكلام والاحتجاج خوفا من بطش السلطة، عم الكساد اللون الاحمر وقد اخفى (البزازون) الاقمشة الحمراء، واختفت الاربطة الحمراء، وقد ابعد البرد القارس الطماسة من الاسواق.

هب اهل الثورة وما جاورها، حمالي الشورجة وكسبة وعمال المساطر، الجنود، والالاف من الكادحين حاملين الهروات والعصي والسكاكين والخناجر و(المگاوير) قبلتهم وزارة الدفاع حيث المحبوب هاتفين (ماكو مؤامره تصوير والجمال موجوده) مطالبين بالسلاح لآبادة موجة الجراد العفلي الذي يريد خنق الثورة، خرجوا هذه المرة لانقاذ الحاكم ابن الشعب ممن يريدون قتله، وليس كما خرجوا صبيحة الرابع عشر من تموز لسحل جثة الحاكم وتمزيقه اشلاء.

الان السكين توضع على رقبة آمالهم وأحلامهم ومكاسبهم، عيونهم معلقة بقرار الزعيم لفتح مشاجب السلاح، والزعيم في حيرة من أمره، الخيار صعب بين رأسه ورأس الثورة وبين انهيار الدم التي ستسيل في شوارع بغداد لا بل في كل ساحات وشوارع العراق بين قوى الفاشية وانصارها وبين انصار الثورة وجماهيرها، لقد أنطلق عفريت الدم والعنف من عقاله، الآلاف بلا عقل، الكل متمسك بالعنف وافناء الآخر.

(مظلوم) وسط الجماهير الغاضبة يسترجع وقائع حلمه ولقائه  
المفترض مع الزعيم، يتسائل: والآن (ابو حاتم) ما العمل؟  
هل مع صوت الجماهير أم مع قطيع الذئاب؟  
هل ما زلت تحب الجميع وتطلب رضا الجميع؟  
كيف يمكن التوفيق الآن بين الذئب المسعور وحمامة  
السلام؟

وعلى حين غرة أقبلت على الجموع دبابات مسرعة تحمل  
في مقدمتها صور الزعيم، فاستبشرت وهلت لها الجماهير،  
مفسحة لها الطريق لتتجه صوب الدفاع، أنها دبابات الثورة،  
انهم ابطال الجيش وحراس الثورة، ان للثورة جيشاً يحميها  
(كلنه نروح فدوه لبن قاسم).

ولكن، واي لكن ماإن وصلت الدبابات إلى سياج وزارة  
الدفاع، حتى هدرت مدافعها صوب الدفاع، والاخرى صوبت  
رشاشاتها نحو الجماهير الهادرة لتسكت صوتها، لتغص  
حناجرها بدمائها، كسرت الدبابات سياج الرايات الحمراء  
الحافة بوزارة الدفاع عرين قاسم ورفاقه المهداوي ووصفي  
طاهر والشيخ، الطائرات بين قاصفة ومحمومة فوق الدفاع  
ترسل بحمها الحاقدة صوب الجماهير، متناغمة مع اذاعة  
بغداد وصوت المهوسة الصارخة بالانتقام والحق وهي تذيع  
بياناتها الشريرة الموجه قطعانها بملاحقة انصار الثورة.

الأتري يا (ابو حاتم) كيف يعمل الساسة، كيف تعمل ثعالب  
وذئاب السياسة، الأتري كيف خدعوا الجماهير ليمرروا  
جريمتهم؟

جلال الأوقاتى سقط صريعا فى باب داره، إذاعة الكويت  
توجه الذئاب صوب بيوت وعناوين الشيوعيين المطلوبة  
رؤوسهم، رفيقك وشريك (الزاد والملح) عبد السلام عارف  
على رأس القتلة، يطالبك اليوم بتسليمه رقبتك التى فلتت من  
يده يوم أراد قتلك، والذي حسبت أنك اعتقتها منه يوم  
عفوت عنه ورافقته إلى داره كتفا إلى كتف وكأنه ولي حميم.  
الم تكن أسماء وعناوين ورتب وأعداد القتلة على مدرجك  
قبل وقوع المؤامرة، وأنت لا تحرك ساكنا، لا بل مشككا فيمن  
كشف لك كل أسرار المؤامرة، أردت أن تمسكهم بالجرم  
المشهود، لتعف عنهم بعد حين، غافرا لهم كل جرائمهم  
لتفوز برضاهم ومحبتهم، مالفائدة فى خطاباتك الان  
ومطالبتك الجماهير بالدفاع عن الثورة وقادتهم فى سجونك  
ومبعدين عن مجال قرارهم وفعلهم، ماذا تفعل جماهير  
عزلاء خذلتها أكثر من مرة ولم تسمع صوتها وتتجاهل  
مطالبها، رغم ذلك فهي لم تتخلى عنك رغم كل ذلك ولكن،  
فات اوان الفعل؟

ما زلت ترى أنهم يطلبونك لذاتك - فتنهض لتحلق لحيتك،  
وتلمع حذائك وتتأكد من قيافتك كأى عسكري منضبط قبل

أَنْ تتلفن لهم اني مستعد للتنازل عن السلطة مقابل حقن دماء العراقيين، ومرة أخرى تقع في مصيدتهم، لتسلم رأسك لهم، رافضا تسليم السلاح لمحبيك، غير مدركا انهم يطلبون رأس الثورة ورأس مكاسبها، فها انت وجهها لوجه امام من (عفى الله عما سلف) سيفجرون رأسك ورؤوس رفاقك دون رحمة أو سلوك شرف، كل همهم الان اخفاء جثتك عن جماهير العراقيين الغاضبة المترقبة خشية ان تشعل فتيل الثورة الشعبية، فقرروا ان يلقون جثتك تحت ستر الظلام في النهر ليحرموك حتى من مزار، خوف أن تكون قبلة الجماهير فتكون مصدر قلق لحكمهم حيا وميتا.

وأنت أيها (الحزب) ماذا أعددت لمثل هذا اليوم الأسود، وأنت تعلم ان المستهدف أولا وأخيرا هو رأسك وجماهيرك، أنصارك الذين بدد عزيبتهم تهادنك وذيليتك وتبعيتك، تبعت الزعيم والزعيم خذلك، تبعت الرفيق الأكبر، والرفيق الأكبر وقف متفرجا، تبعتك الجماهير ولكنك خذلتها، انها الخاسرة الأكبر بين خذلانك وخذلان الزعيم، فما العمل الآن؟

أشعل سيكارته الجمهوري، وقد بلغ غضب (مظلوم) أشده، الآن (الأهل) أم كفاح وكفاح وسعوده، و(الذات) أستاذ منير، نوماس، أبو لميعه، عبد الحسين أبو شبع، محمد موسى التتنجي، رضا عبد ننه، خليل جميل ووووو: (هلي يامن ضيعوني وكحه النفس ماتقبل تلين

الليل لو سد الروازين

شمسين حمرة يخضر الطين).

لا وقت للحزن ولا جواب لمن يسألون عن ما جرى، يجب أخذ زمام المبادرة وانقاذ مايمكن أنقاذه، بعد ماورد من أخبار غاية في السوء بالقاء القبض على العديد من أبرز قادة الحزب وكوادره المتقدمة وقد تمت تصفية أغلبهم برصاص الحرس المسعور أو الموت تحت التعذيب، سلام عادل، ابو العيس، عبد القادر أسماعيل، حسن عوينه، جمال الحيدري وووو انها قائمة طويلة بطول عذابات العراق والعراقيين التي لايراد لها ان تنتهي.

يجب أبعاد أم كفاح وسعوده إلى الريف لتكون في مأمن وسط أعمامها، وعلى (كفاح) اختيار الطريق والحل الممكن لخلاصه وخلاص رفاقه وأصدقائه، حتى تنجلي الغبرة وصد هذه الهجمة الفاشية، فالأخبار غاية في السوء، فمن قاوم قتل، وقطعان الحرس تجوب الشوارع وتعتقل على الشبهات، تحولت المدارس والملاعب إلى معتقلات تحت حراسة بنادق لا ترحم أوغلت في القتل والجريمة دون محاكمة أو بمحاكم صورية يديرها نفر من الحاقدين.

تشنت خلايا الحزب وقواعده وانقطعت أواصر الصلة بين أغلب تنظيماته، الآن مطلوب الفطنة والمبادرة الذاتية والتصرف الفطن السريع.

بعد أن اتقن طريقة تنكره بزى رجل دين خصصا وقد  
أستطالت لحيته لأنشغاله في الفترة الأخيرة ما قبل الأنقلاب،  
والبس ام كفاح وسعوده (البوشيه) أستطاع ان يوصلهما إلى  
مدينة النجف، ثم رافقهما للقرية احد اقاربه لينضما إلى عائلة  
عمه والد ام كفاح، ثم عاد إلى بغداد، متنكرا بزى ابن الريف  
قاصدا كوخ صديقه العريف (حسن سريع) في سعيده، الذي  
جمعته به علاقة صداقة ورفقة حميمة حينما كان يعمل في  
المطبعة، وكان لهم آراء وأحلام وتطلعات مشتركة، وقد  
نشأت وتطورت بينهما علاقات عائلية على مستوى الأسرتين  
آنذاك.

اما (كفاح) فعلم أنه قرر ان يغادر العراق عبر البصرة فايران،  
فالاتحاد السوفياتي ان نجح في اجتياز الحدود بمعونة احد  
الرفاق من حزب (توده) الايراني.

قصد (حسن) إلى كوخه في (سعيدة) بعد ان عاد من الدوام  
في معسكر الرشيد، فرحب به (حسن) ترحيبا كبيرا، واخذه  
بالاحضان بعد طول فترة عدم لقاء بسبب الظروف الغير  
ملائمة المتلاحقة، اعد له وجبة غداء تليق به، افترشا حصير  
(الخصوص) وتناولوا وجبتهما وهما يتبادلان الحديث والاعبار  
المؤلمة، وما جرى وما يجري من انتكاسة كبيرة للحركة  
الوطنية العراقية، نتيجة الانقلاب الفاشي الذي دمر كل شيء،  
لمس (ابو كفاح) حماسا واصرارا كبيرا من لدن (حسن) على

مواصلة طريق الكفاح رغم كل الصعوبات، كما انه لمس تقارب وجهات نظرهما في فهم وتفسير ما حدث، فقرر العمل من اجل اعادة البناء، وتواصل مسيرة الكفاح وتحقيق الاهداف النبيلة في (وطن حر وشعب سعيد)

طلب (ابو كفاح) من حسن ان يفتش له عن عمل، خصوصا وانه ناقش مع نفسه الكثير من الخيارات التي تناسبه من حيث حرية الحركة والتمويه في مثل هذه الظروف الغاية في الصعوبة والخطورة، وتوصلت ان افضل عمل يمكن ان يناسبني حاليا هو (فلاح) أو (حدقجي)

أي والله خويه ياريت تشوفلي شغلة فلاح حدايق للناس التحتاج (حدقجي) وبيش ما چان، واني عندي چم فلس اشتريلي بيهن بايسكل حتى اگدر افتر عله البساتين والبيوت، وبعدين هاي الشغله راح تبعد عني العين - وتفسحلي المجال بالحركة في مختلف المناطق ودخول مختلف الدور.

استحسن (حسن) مقترح رفيقه كثيرا معجبا بحماسة وفطنته وذكائه، واخبره بانه سوف يكلف احد معارفه فلاح حدايق وبساتين حتى يدبرله هاي الشغله واعتقد هو محتاج هچي واحد.

بعد مرور ثلاثة ايام، قضاها (مظلوم) بعيدا عن اماكن تواجد القوى الامنية والحرس القومي، اخبره (حسن) بانه عثر له على عمل، وسيعرفه مساء اليوم بصديقه الفلاح، الذي سيدله

على اماكن عمله، فقد اخبره ان (ابو كفاح) (شمران) ابن عمه، وقد ضاقت به مدينة كربلاء فقرر البحث عن عمل في بغداد، وبالفعل تم له ذلك، حيث اعاره (حسن) بنطالا قديما، وقميصا من قمصانه، واضعا منجله في حزامه، ورابطا (الكرك) على الدراجة، مرافقاً سيد نعمه الذي استأنسه كثيرا، وبعد ان افطرا سوية عند احد باعة (الشوربه) اصطحبه إلى اصحاب الدور الذين هم بحاجة إلى خدماته لتنظيم والاعتناء بحدائقهم التي كان هو يعمل فيها والان هو مضطرا للانقطاع لانه حصل على عمل (فراش) في احد المدارس الحكومية، كذلك فانه سيحصل له على عمل في احد البساتين القريبة متى ما اراد ذلك.

وهكذا كان، ثبت (شمران) عناوين ومواقع واسماء اصحاب البيوت في ذاكرته، باشر عمله في حديقة دار احد الاطباء، بعد اكمل مروره بالجميع واتفق معهم على أوقات عمله حسب جدول يمكنه من رعاية كافة الحدائق.

خلال مزاولته على العمل تعرف على العديد من الشرائح الاجتماعية، ولمس مدى الاختلاف بين عائلة واخرى من حيث التعامل، كذلك على اذواق اهل الدار في حبهم للخضرة وانواع واشكال النباتات والزهور والوانها، ومدى انسجام وتناسق الوان طلاء الدار، وأسلوب لبس وأشكال مختلفة من الملابس، وقد كان يحدس من خلال ذلك على

طبيعة ومنهج حياة هذه العائلة أو تلك، ووفق فرضياته واستنتاجاته هذا قرر طريقة التعامل مع هذه العوائل، مع انه حاول عموما ان يظهر بمظهر الفلاح الساذج الامي البسيط، عبر لهجته وملابسه، وعدم فهمه لمفردات الانسان المديني والمثقف، ناهيك عن الابتعاد عن كل مايتصل بالشأن السياسي، وقد كان يتقبل على مضض بعض الهدايا والاعطيات من الملابس وبعض المأكولات والاكراميات المالية، وكان غالبا ما يستجيب للمساعدة في عديد من الامور وان كانت خارج مجال عمله، ناهيك عن غض بصره وعفته وامانته وطيبته والتزامه الصارم بمواعيده ووعدده، ومبادراته الدائمة لتكون الحديقة اجمل وانظر، مما جعل اغلب العوائل تألفه بسرعة وتعتبره مقربا من الاسرة تحرص على ادامة علاقتها به.

لفت نظره احد القصور الشامخة حين دخولها، فقد كان اللون الاصفر طاغيا على جدرانها واقسامها، الحديقة تنتظم فيها الزهور صفراء اللون، فيا تماثيل اسود ونمور وذئاب. ناداه بصوت بدوي من داخل الدار: تفضل ييه، تفضل يولد دش، هلا بيك هلا بيك.

اغعد هين، اغعد هين، وشسمك يولد؟

كان شيخا ضخمة الجثة، يهيمن البياض على شعر رأسه ولحيته وشواربه، تكتسي اسنانه باللون الاصفر، فقد كانت

السيكارة لاتسقط من يده، يمسك بيده الضخمة عكاز ذو  
قبضة ذهبية، يتكأ على كرسي مجلل بجلد نمر، معلق على  
جدار الغرفة عدد من السيوف والخناجر، وينادق مختلفة.  
نعم حجي أسمى (شمران).

من يا منطقة أنت؟

آني من أهل العماره حجي.  
أها يعني أنت شروكي يولد؟  
مثل ما تگول يمحفوظ.

نادى على شاب أسمر ليحضر القهوة، حاملا (دلة) فضية  
اللون، مقدما للشيخ ولـ(شمران) فناجين القهوة المهيلة،  
وبينما هما يرتشفان القهوة، دخل الديوانية شاب كثير الشبه  
بالشيخ يرتدي زي (الحرس القومي) خلفه ثلاثة منهم  
يحملون رشاشات البورسعيد.

ودون أن يلقي السلام، مستفسراً باستغراب من الشيخ: كيف  
سمحت لهذا الشروكي أن يجلس في مجلسك يا شيخ؟  
أنه ضيفنا ولدي وللضيف حق الضيافة، ديوانيتي ليست مقرا  
للحرس يجب ان تفهم هذا.

قال هذا والتفت إلى (شمران) قائلاً: رح شوف شغلك  
بالحديقة يا ولد (شمران) في حين رن جرس الهاتف طالبا  
(حردان) الذي يبدو قائدا من قادة الحرس القومي، فتبادل  
الحديث مع المتكلم على الطرف الثاني، قائلاً بانهم

منشغلون جدا في متابعة خيوط تحاول اعادة بناء خلايا تنظيمية جديدة للحزب الشيوعي، وخصوصا في الجيش، اظهر (شمران) تشاغله في قلع الحشائش الصفراء عن ارض الحديقة في حين كان مركزا انتباهه إلى مجريات المحادثة التليفونية ل (حردان) مع رفاقه.

فشعر (شمران) انه الآن وفي المستقبل سيكون قرب عدوه اللدود، وتحت حمايته، وسيكون مصدر معلومات هامه بالنسبة له ولرفاقه، وعليه أن يتعامل مع (الشيخ) ومع ولده بذكاء كبير وفطنة، تبعد عنه كل شك في الوقت الذي تمكنه من الحصول على الرعاية والمعلومة.

كان (شمران) لايعود إلى كوخ حسن خالي الوفاض بل يجلب ما يحصل عليه، ويشترى ما امكنه من خضرة أو فواكه فكمية من اللحم قدر المستطاع، وان كان (حسن) كان ينزعج ولايوافقه على ذلك، فهو ضيفه وهو غير عاجز عن ضيافته، فكان (شمران) يرد به سؤال: السنا رفاق السنا اخوة؟

أذن لا بد ان نتعاون ونشترك في ادارة أمور حياتنا سويةً. فيسكت حسن مدعنا لقوة حجة رفيقه.

اثناء تناولهما لطعام الغداء أخبر حسن بما حصل له اليوم في دار الشيخ (ابو حردان) أحد قادة الحرس القومي وأعرض له من الاستجواب من قل الشيخ، ومضمون المحادثة التليفونية للحرس القومي، ومدى اهتمامهم بمتابعة الخيوط التنظيمية

للحزب وخصوصا في الجيش مما يستدعي المزيد من الاحتراز والحيطه والحذر من الأندساس أو أنهيار أحد العناصر، وعدم الثرثرة في الأماكن العامة، أشبعا الأمر نقاشا واتخاذ بعض التدابير الضرورية لصيانة العمل.

كان حسن يبدو لـ(شمران) غاية في الانشغال والانهماص بأمور شتى غير معروفة بالنسبة له ولا يمكنه أن يطلب منه معرفتها، ولكن ليس من الصعوبة حدس أن دماغ حسن منشغل بامر غاية في الأهمية والخطورة، ولا شك أنه يتعلق بالحزب والوضع السياسي القائم.

كان أمر إعادة الصلة بقيادة الحزب هو جل ما يشغل بال (شمران) لذلك فقد كان يقوم في كل يوم بجولة في مختلف مناطق بغداد عسى أن يلتقي بأحد الرفاق ممن له صلة بالحزب، أو ممن يريد التواصل، يعني كانت مهمة مزدوجة في لم شتات الرفاق وإعادة صلتهم بالحزب، وقد كان لا يخفي كونه يعمل فلاحا في بيت الشيخ (ابو خالد).

كانت (غزاله) الشغالة في دار أحد الأساتذة الجامعيين، امرأة لم تغادرها حيوية ونظارة الشباب بعد، سمراء عينا مريوعة، تفيض ملاحظة ولطفا وعذوبة وطيبة ابنة الجنوب، تزين، ما بين حواجبها، وعلى خديها، وشم أزرق أمتد من حنكها على مقدمة رقبتها، أستلطف (شمران) كثيرا، وغالبا ما ترهف السمع له وهو يدندن بصوته العذب احد أغانيه الريفية المثيرة

للطرب والشجن، كانت (غزاله) تختلق الأعذار لتكون بالقرب منه في حديقة الدار، فمرة تجلب له الماء أو الشاي، وأحيانا (لفة) اكل، أو فاكهة، مما جعل سيدتها تضطر أحيانا لمناداتها أو تخرج للحديقة لتفقد لها لحظها على القيام بعمل ما، وقد كانت تلحظ أهتمامها بتنظيف الحديقة عند حضور (شمران) فتظهر على محياها ابتسامة ذات مغزى، فتغمزها: ها عيني (غزيلة) عيني الحديقة دينظفها (شمران) انت شدتسوين.

ها عمه مثل متگولين صدگ الحديقة مخليه (شمران) ترگص رگوص، ورد الجوري والرازقي صاير يخبل من ريحته وحلاته، عمه من اچه (شمران) اچت للحديقة روح جديده، شوفيه شلون حنين وبه الورد والاشجار، والثيله، وريحته ترد الروح.

أي عيني الله يخليه، بس يلله تعالي بسرعه شوفي شغلج بالمطبخ.

صار، صار عمه، عيني فدوه لعيونك (شمران). غالبا ما يشعر (شمران) بالاحراج، وهو العليم بما تريده هذه الـ(الغزاله) ولكن هو الان باي حال، ياليتها تعلم ما انا فيه (خاييه اني وين وانتي وين) وقد نقله خياله إلى ايام الفتوة والشباب وذكريات الحب والعشق والغرام، ولكنه الان هائم

في عالم آخر، هو الان عاشق لقضية كبرى هيمنت على كل حياته.

بعد ان تناول قدح الشاي وقطعة الكيك التي جلبتها له (غزاله) اخرج باكيت الجمهوري، ولع سيكارتته، وقد لاح له خيال حبيبته ورفيقة دربه حياة، وولده كفاح، وعزيزته (سعوده) نفث دخان سيكارتته على شكل دوامة من دخان، اثارث تحسس وريقات ورد الجنبذ الاحمر.

واصل عمله حيث قام بتشذيب النخلات، التي تصورهن لجمالهن وصفتوتهن كانهن صبيات مراهقات، مثقلة صدورهن بـ(عثوق) التمر البرحي، كانها نهود متمردة.

قام بازالة السعف اليابس، والكرب الزائد، كحلاق يقوم بتجميل وتصنيف شعر فتاة في يوم عرسها، يجملها يصف لها سعقاتها يزيل من حولها الاعشاب، يعدها عروسا مدللة في احضان امها الطبيعية، تستعد لاستقبال عريسها ليلة الزفاف، يسرح في خياله، واستمتاعه بعمله وكأنه في بستان اهله ايام فتوته وشبابه وسط مزارع ورائحة عنبر المشخاب.

لم يصح من تخيلاته الا بعد أن وضعت (صينية) الغداء امامه بيد (غزاله) بامر من سيدة المنزل وهي موظفة في احد دوائر الدولة، تتمتع بنبل الخلق والانسانية الطافحة بالمحبة والكرم خصوصا عندما تكون في الدار عند مجيئ (شمران) لدارهم.

تناول غذائه الشهى من التمن العنبر، ومرق البامياء ولحم الغنم، والخبز الحار متمنيا لو شاركه بها رفيقه (حسن) بعد ان اكمل ناولته (غزاله) قدحا من الماء البارد وقدحا من الشاي محاولة ان تتلامس اصابعها مع اصابعه (يلزارع البزنغوش ازرعلي انه ورده) يتحرز ويتحرج (شمران) كثيرا يتناول القدح بحذر، شاكرا لها حسن رعايتها، متابعا مشيتها المتبخرة وهي تجر عجيزتها الرجراجة المشتهاة، وضميرتها التي تنساب على ظهرها معانقة مرتفعات وركها الهزاز وهي تسير في ممر الحديقة أمام ناظريه.

جمع اغراضه، ثم قاد دراجته مودعا اهل الدار. خارج الدار ثبت (الكرك) على الدراجة، مع حزمة من سعف النخيل، والكرب، ليستفاد منه وقودا لتنور بيت حسن، وهو يقود دراجته قبل ان يركبه في الشارع العام، احس بوقع خطى تتبعه، التفت فشاهد غزاله تسير خلفه.

ها عيني (شمران) آني هم رايعه لبيتنه، عمتي انطنتي اجازه اليوم، لك عيني اني اشم بيك ريحة اهلنه، والله داده من اشوفك ترد روحي، ومن اسمعك تدندن بصوتك الحلو تذوب روحي.

عيني (غزاله) انا اشكرج هوايه على اهتمامج بيه، ولطفج، وهاي اهي طباعنه احنه الفقره واحد يحن للثاني. بس انتي منين وشجابع لهل الشغله؟

ولك دادة انه جابني الوكت، اني اطوني لرجال شايب فصليه،  
ما عشت وياه سنه وراح لدار حقه، ورديت انه لهلي،  
الساكنين بمدينة الثورة، بعد هدم الزعيم الاكواخ وبنى لنا  
دورا جميلة تأوينا، وحالتهم تعبانه حيل، فاضطريت اشتغل  
هل الشغله عد هذوله الناس الطيبين، الله يطيهم ما مقصرين  
وياي، يطوني ثلث دنائير بالشهر ولبسي واچلي عليهم،  
ويكرموني بالمناسبات، ويطوني الملابس الزايده واكل، اخذه  
لامي وابوي واخوتي.

چان جيرانه خوش آدمي راد يشوفلي شغل بمعمل الزيوت،  
لكن مناعيل الوالدين، حبسوه وره ما كتلوا الزعيم الله يرحمه،  
وبعد ماعرفنه عنه أي شي، يگولون چان شيوعي، من صار  
الأنقلاب عله الزعيم، چان عدنه (أُميمن) أشو من أجو  
الحرس القومي، نزع صايته وعمامته ولبس حرس قومي وگام  
يلگط بالوادم نسوان وشبان وشياپ، علبو شيوعيه لو من ربع  
الزعيم، يريد ياخذ بثاره والله ليش نزلوه من المنبر لأنه حرم  
عله الفلاح اخذ الغاع من الاقطاعيين حسب قانون الاصلاح  
الزراعي، وگلب الدنيه عله القانون الي اطه حقوق المره.

عيني وينك يلزعيم، دمة عيونها وهي تخرج مدالية معلقة في  
صدرها تحمل صورة الزعيم، خويه صدگ شافوا الزعيم  
بالگمر؟

ابتسم، (شمران) قائلاً: (غزاله) شدي حيلج وديري بالچ عله  
اهلچ وشغلچ، وماكو شده واله فرج. وهسه الله وياج.  
الله وياك عيني ومصحوب بالسلامه، من فدوه ارواح لهل  
الجهامه.

احس (شمران) بانه يمر بمأزق جديد، لا يدري كيف  
سيتعامل معه، يبدو ان هذه الفتاة قد وقعت في عشقه،  
والنساء عندما تعشق تكون كالمجنون، لا تفكر بعقلها ابداً،  
وانما تكون تحت هيمنة عاطفتها، انها شابة تعرضت للظلم  
والحرمان والقهر الاجتماعي في ظل تخلف العادات  
والتقاليد الاقطاعية والعشائرية السائدة، وهي تحاول بكل  
وسيلة ان تعيش في كنف رجل يراها ويحترم مشاعرها  
ويحرص عليها، يشبع لها رغباتها الجسدية والروحية.  
ولك هاي شلون شغله (يمظلوم) لو (حرس قومي) لو (غزاله)  
ها يشلون راح تراوسه، هسه (الحرس القومي) ومكدور عليه،  
لكن هاي الراح تغط بالحب شنسويله؟

من أجل ان يعطي لنفسه فسحة من التأمل لما هو عليه، تأمل  
المزيد من الظواهر التي يشهدها البلد في هذه الأوقات، عليه  
ان يدور الاحداث في مشغله الفكري والمعرفي لغرض  
تظهرها على حقيقتها، ما هو الرئيسي وما هو الثانوي في  
طبيعة الصراع الدامي الجاري في البلاد، في ظل بلد ودولة  
ربعية، تعتمد الثروة البترولية مصدراً رئيساً للدخل، لم تهتم

بتطوير ولا بتدوير عجلة العمل المنتج، أدخل المجتمع في أتون الثقافة الاستهلاكية، وبالتالي المزيد من الأضعاف للطبقة البرجوازية الوطنية المنتجة، ونقيضها الطبقة العاملة، مع تبعية موضوعية للطبقة المتوسطة للسلطة الحاكمة، لأنها مستوظفة عندها ولا تمتلك ذاتها واستقلاليتها كما هو الحال في المجتمعات الصناعية المتطورة في البلدان الرأسمالية، وكل الشواهد تشير إلى فشل نظرية ومنهج التطور الرأسمالي صوب الاشتراكية بقيادة البرجوازية (الثورية) وهما كما تصورها مروجاً هذه النظرية، فالطبقة الحاكمة هي خليط من بقايا الأقطاعية والبرجوازية الطفيلية التابعة بما يمكن وصفها بالطبقة (الأقطاعية).

إنَّ حالة الميوعة الطبقيّة وتداخل الطبقات الاجتماعيّة ببعضها، وتحولاتها جماعات وأفراداً من حال إلى حال ومن موقع إلى موقع، لا يمكن أن يخلق ولا يمكن أن ينتج طبقة عاملة واعية لذاتها، تتمكن من رفع راية الكفاح من أجل إقامة المجتمع الاشتراكي، مما يتطلب أن تكون هناك شريحة ثورية واعية لاوعيها وتردي موضوعها تمسك بالسلطة السياسيّة، تعمل من أجل تطوير وتثوير طبقات اجتماعية منتجة مستقلة عن المركز الرأسمالي الاستغلالي، وهذا يتطلب العمل من أجل تحقيق ذلك بالاستيلاء على السلطة بالقوة سواءً بانقلاب عسكري، أو بثورة شعبية مسلحة.

حينما توصل إلى هذا الأستنتاج أخرج علبة سكائره مشعلا سيكارة الجمهوري الحارة، نفثا دخانها بعيدا كمن يزيل عن صدره هما ثقيلًا، يشعر وكأنه تلميذ تمكن من حل مسألة رياضية في قاعة الامتحان.

ركب دراجته وسار مسرعا خشية ان يتأخر عن وقته المحدد إلى دار (حسن) مما قد يثير مخاوفه وقلقه عليه، كما انه يشعر بانه حامل اليه حل معضلة فكرية كبيرة ستطرد حالة الضبابية والغموض المهيمن على الوضع السياسي والاجتماعي العام في البلاد، يشعر بأنه قد وجد مفتاح الحل الذي يجب أتباعه لبناء (وطن حر وشعب سعيد) يعطيه هذا الشعور قوة مضافة للضغط على دواسة الباسيكل ليندفع مسرعا ملتتهما الشارع الأسفلتي صوب قرية (سعيده)

بيد أنّ غنج ومحبة وشاي (غزالة) قد فتح مغاليق الألغاز وبدد ضباب طريق الخلاص، ولا أدري مالذي يشغل رأس (غزاله) الحلوه الآن؟

حينما وصل الدار، وجد (حسن) ينتظره بلهفة وقلق، ولم يتناول غداءه لحد الآن.

اعتذر وطلب منه أن يتناول غداءه لأنه لا يستطيع الأكل فقد تغدى في بيت أحد أصحاب الحداثق، أنزل سعفات النخيل والكرب واضعاً اياها خارج الدار، ثم أدخل دراجته، وقرر أن يعمل الشاي بنفسه هذا اليوم، وهم يتناولون الشاي شرح له

ماتوصل اليه بخصوص الحل الثوري لما يجري الآن  
ووجوب أستلام السلطة من قبل الحزب والقوى الديمقراطية  
في العراق وبدون ذلك لايمكن تحقيق أستقلال البلد ورفاه  
الشعب.

كان حسن في غاية السرور لما طرحه (شمران) وكأنه كان  
ينتظر منه مثل هذا القرار الثوري المصيري بالنسبة لهم، مما  
فتح الباب على مصراعيه لحسن ليكشف لشمران ما قرره  
(المجلس الثوري) من العسكريين والمدنيين الشيوعيين  
للاعداد والتحضير لانقلاب عسكري انطلاقا من معسكر  
الرشيد للقيام بالثورة ضد الحكم القائم، تحمس (شمران)  
كثيرا لما يخطط له رفاقه بعد ان اطلع على بعض التفاصيل  
ومنها تاكده من وجود صلة وتنسيق مع قيادة الحزب حول  
الأمر، وقرر تعريفه ب (محمد حبيب) و(حافظ لفته) لغرض  
تدارس جميع الخطط ومستلزمات التحضير للثورة وضمان  
نجاحها،

أخذ (شمران) يضاعف من نشاطه قاصداً الأماكن التي يتوقع  
أن يلتقي خلالها ببعض رفاقه القدامى والمنقطعين عن  
العمل، وقد تمكن بالفعل من إعادة صلة فردية بالعديد منهم  
من العمال، وصيادي الأسماك، وعمال المطابع، والكسبه،  
موضحا لهم نية الحزب في الأعداد للثورة وأستلام السلطة  
وعليهم أن يكونوا جاهزين لهذا العمل في وقت التنفيذ، ولا

يألوا جهدا في إعادة الصلوة بمن يثقون به من الرفاق والأصدقاء المنقطعين.

كما أنه وحسن كانوا يسهرون حتى ساعات متأخرة من الليل لمواصلة متابعة نشاط رفاقهم ورسم المخططات في كيفية التحرك حينما تحين ساعة التنفيذ، كما كانت تصلهم ملاحظات وآراء رفاقهم الذين كانت لهم عدد من المناطق ومحلات للقائهم وأجتماعاتهم غطت أغلب مناطق بغداد الشعبية ومنها محل خياطة (حافظ لفته) خلف السدة، وستديو شاهين للتصوير في بغداد الجديدة، وكوخ صغير في كمب ساره، ومخبز في منطقة الجواد بالثورة، ومقهى ابو حسن (دي لوكس) في ساحة الطيران، بالإضافة إلى العديد من المقاهي والدور السكنية في مدن الثورة والشعب والحرية.

كما ان التنظيم أوجد له نواة عسكرية ومدنية في باقي المحافظات وخصوصا الوسطى والجنوبية، وقد وضعت عدة تواريخ للقيام بالثورة منذ ١٥-٥-١٩٦٣ والتي تم تأجيلها بسبب حالة الانذار للحرس القومي، نتيجة لصراعهم ضد القوى الناصرية الحليفة للبعث والذين تم أبعادهم فيما بعد.

كان (شمران) يحصل على معلومات هامة جدا من دار (الشيخ ابو حردان) عن طريق متابعة أحاديث حردان مع رفاقه في الدار أو في التلفون وعن خطط الحرس القومي ضد الشيوعيين، وعن ما حصلوا عليه من معلومات وما قاموا به

من أعتقالات لناشطي الحزب وأصدقائه، وقد كانت هذه المعلومات ذات أهمية كبيرة لقادة (الثورة) وما يتخذونه من إجراءات وقائية سريعة.

لقد كانت (غزالة) مصدرا كبيرا لمضايقته وأحراجة، ولم تنفع معها جميع الأعذار لتبتعد عنه، وكاد أُنْتَوِطَ معها في ممارسة حميمة حينما زار الدار ولم تكن سيدة البيت موجودة في الدار لانشغالها في الدوام، فقد رمت غزالة نفسها عليه ملتهمة إياه بقبل لا تنتهي، حركة كافة كوامن غريزته، لتهيمن على كل سحب الألم والهَم والانشغالات الكبرى، فتستيقظ مجنونة فوارة أما اغراءات جسد (غزالة) ومداعباتها المثيرة، لم ينقذه من هذا الموقف الا عندما رن جرس الباب من قبل (الخبازة) التي جلبت لهم تخصيصهم اليومي من خبز التنور الحار، وخلال ذهاب غزالة لجلب الخبز، أستطاع ان يعيد التوازن إلى نفسه ويكبح جماح غريزته، وقد أقترَبَ موعد قدوم ربة المنزل من الدوام، رغم تشبث (غزالة) به وأنهمار دموعها في حضنه، رفع رأسها من حضنه، ماسحاً دموعها واعداً إياها بأنّه سوف لن يخذلها لو توفرت ظروف مواتية، وأستطاع أن يتخلص مما هو فيه من هم وكدر بسبب مرض والدته، وسوء صحة ولده وابنته في القرية وقلقه الكبير عليهم، تشغل عنها في زراعة بعض أعواد زهور جديدة وتعديل التربة حتى تأتي ربت البيت وأستلام

أجرته التي استحقها في هذا اليوم وهو بأمس الحاجة اليها الان.

أحضرت له (غزالة) طعام الغداء كالعادة، وسلمته أجره من السيدة مضافة لها أكرامية محترمة تقديرا لجهوده المتميزة في العناية بالحديقة.

حمل أدوات عمله مثبت ايها على دراجته، وقد شيعته من باب الدار غزالة بحسرات حرى ودموع ظاهرة حاولت ان تواربها عن سيدتها التي أمرتها بتحضير الحمام، وتهيئة طعام الغداء للعائلة، فسيدها على وشك الوصول من المكتبة، حيث يحضر ويبحث في الكتب المهمة بتاريخ العراق القديم، تاريخ الاسطورة، وتاريخ الحركات الثورية في بلاد الرافدين في مختلف العصور.

حاول (شمران) شراء بعض المستلزمات الضرورية للتحضير للثورة المقبلة، كالحصول على بعض البدلات العسكرية، والرتب، وتكليف البعض بعمل قطع قماش تحمل مختصر مقاومة شعبية (م. ش) لتربط بالساعد لغرض تمييز الثوار عن غيرهم، اثناء بدء الحركة مع علبتين من سكاثر (الجمهوري) والله ي (مظلوم) لو مو هل الوضع الي احنه بيه مال گعدت (زحلاوي) وسميچ مسگوف، راحت ايامك اسطه جمال.

حبييتي حياة رغم مرارة فراقكم أيتها الحبيبة انت وعزيزتي (سعوده) ولكن مرارات حكم الفاشست ليس لها حدود، ومن

مثلك لا يحتاج أن أشرح له ما نحن فيه، وجسامة المسؤولية الملقاة على عاتق كل مناضل للخلاص من هذا الطاعون الأسود، اغتالوا أحلامنا اغتالوا أحلام الفقراء، أغتالوا الحرية، قتلوا ومثلوا وأستهتروا ولا بد من الثورة، كلنا أمل بأننا سنحقق آمال أحرار العراق، كلنا أمل بأننا سنحقق أحلام الشهداء اللذين اغتالتهم الفاشية ومزقت

أجسادهم هذه الذئاب المسعورة، حيتي الغالية لا يمكنني العيش في ظل العبودية والقهر، لا يمكنني العيش ورفاقي يذبحون، وشعبي يعذب، لذلك قررت اما حياة حرة سعيدة واما فلا معنى للحياة، حبيتي ربما نلتقي في مهرجان فرح أو ستلتقي أرواحنا بعيدا عن رقابة الفاشية.

لم تفارق فمه سيكارتته الا لتخلفها ثانية حتى وصل إلى كوخ (حسن) فاليوم لقاء تقرير المصير وبغداد على موعد مع فجر جديد، وجد حسن منهمكاً وهو يحدث نفسه، يرسم على الارض ويمحو ثم يرسم، ادى التحية وجلس قرب، تذاكرا حول أجمعاع الليلة للتوصل إلى قرار لأختيار موعد جديد لأنطلاق الثورة.

ما أن حل الظلام حتى بدء الرفاق بالتقاطر على الكوخ، بازياء وهيئات مختلفة، أغلبهم جاء على ظهر دراجة هوائية أو بخارية، بعد أخذ كافة الاحتياطات حتى يكونوا بعيداً عن

أنظار السلطة، وأنَّ عنوان تجمعهم المعلن هي (مشية) صلح  
لزميلين متخاصمين في العمل.  
أفتتح حسن الاجتماع بشرح عام لطبيعة الأوضاع الحالية،  
ومراجعة أغلب التطورات ونضوج أغلب الاستعدادات مما  
يتطلب تحديد ساعة الصفر لأعلان الثورة، فتح مجال النقاش  
والمداخلة لإغلب الحاضرين لأبداء آراءهم وملاحظاتهم  
لتكون الخطة محكمة والموعد لا تشوبه اية محاذير لتكون  
المفاجأة مذهلة ومربكة للعدو.

خلص المجتمعون إلى تحديد فجر يوم ٢٤-٦-١٩٦٣ من  
حيث المبدأ موعداً لأنطلاق شرارة الثورة، وستكون كلمة  
السرهذه المرة (فهد) ويكون انطلاقها من موقع "دبابب" أبو  
غريب نحو الأذاعة في الصالحية لأذاعة البيان الأول للثورة،  
انفض الاجتماع على أن يتم التواصل في الأيام اللاحقة  
ومتابعة التطورات والمتغيرات، مع أخذ الحيطة والحذر  
والكتمان الشديد لتفادي المخاطر التي قد تجهض الثورة.

خرج المجتمعون الواحد تلو الآخر وكل منهم يشعر بدنو  
موعد النصر والخلاص القريب، خصوصاً وأنه قرأ الأصرار  
والحماس والاستعداد للتضحية في عيون كل الرفاق. في  
حين واصل (حسن) و(شمران) نقاشهما في الشأن العام  
والخاص، وقد عرض (شمران) على رفيقه خيار تركه لعمله  
في حدائق البيوت، للعمل في أحد البساتين، مما يوفر له

سكنا مستقلا ليكون بمثابة وكر جديد يضاف إلى الأوكار  
الحالية، كما أنه يخفف من الضغط عن (حسن) وكوخه،  
وربما يفكر في دعوة (أم كفاح) لتعيش معه في هذا الكوخ،  
فقال (حسن) مبتسما: ها رفيق يبدو أنك لم تعد تحتمل فراق  
أم (كفاح)؟

تريد الصدك أبو فلاح فرگتهم صعبه، لاکن مو هذا القصد،  
آني أفكر بالأفضل لتطوير عملنا وأبعاد الشبهات عنا.  
آني وياك أبو كفاح، بس أحنه على وشك إعلان الثورة ولا  
ندري كيف ستسير الأمور، خليهم الأهل الآن على ما هم  
عليه، وبعدين خلي تواجدنه سوية يصير حالة معتادة أولاد  
عم عايشين سويه حتى نبقى على تواصل مستمر وهو  
مانحتاجه في الظرف الحالي، ووضعنا الان لايشير الشبهات.  
خلص كما ترى ابو فلاح العزيز، ونشوف شلون نراوسه وياه  
(الحرس القومي) وياه العاشقة الولهانه البطرانه (غزاله)؟  
الحرس القومي انتة تلفه وتلف أبوه، وظل الزلمه فايدنه  
بمعلومات مهمه، وهو مصدر معلومات موثوقه ولايمكن  
الاستغناء عنها في الوقت الحاضر، اما (غزالتك) فهللت انهله  
بيه ولاتكسر خاطره، هههه.

التفضلت بيه ابو فلاح صحيح، وهاي المسكينه اتمنه تلگاله  
ابن حلال تشاركه حياته بامان، واياهم گبل راحت وياه اهله،  
وحنه اتعلمنه ما نواعد ونخلف.

وهسأه اسمع عوعه (ديج المختاضه) هاك هاي جكاره خلصه  
ولف راسك ونام وراك غبشه للدوام. تصبح عله نصر تصبح  
عله خير.

تصبح عله خير وسلام (ابو كفاح).

قبل موعد التنفيذ بعدت أيام تم تأجيل الموعد الى ٥ تموز  
١٩٦٣ والذي تغير إلى يوم ٣ تموز ١٩٦٣ لعدة أسباب من  
بينها قيام الحرس القومي بأعتقال ضابطي صف قياديين في  
الحركة، ونقل إحدى الوحدات العسكرية في نفس اليوم إلى  
كرديستان العراق، وكان في الوحدة عدد من أنصار الحركة،  
وقد لوحظ ازدياد نشاط ومداهمات الحرس القومي ضد  
العديد من العناصر من أعضاء الحركة وأنصارهم وقد عثروا  
عند بعضهم قطع من القماش تشد على الذراع وكتب عليها  
حرفي (م.ش) أي مقاومة شعبية، وأستخدام شتى أنواع  
وأشكال التعذيب لانتزاع أعتراقاتهم على ما كان يظنونه  
مجرد (تنظيم جديد) للحزب مستبعدين قدرة أية قوة على  
القيام بثورة أو أنقلاب عسكري نظراً لأنها جميعاً بقيادة  
البعثيين وتحت سيطرتهم.

وقد وصل إلى سمع (شمران) عن طريق (خالد) قائد الحرس  
القومي بأنهم تمكنوا من مسك رأس خيط لتنظيم جديد  
للشيوعين، الذين أصدروا عدداً جديداً من جريدتهم الرسمية  
السرية، وأن القوى الأمنية والحرس القومي سيقومون بشن

حملة واسعة النطاق لأعتقال كل المشتبه بهم، مما جعل أمر التنفيذ غير قابل للتأجيل.

في كوخ صغير، مفروش بحصران سعف النخيل، تم أجمعاع (اللجنة الثورية) بمن فيهم (حسن، وشمران، ومحمد حبيب، وقاسم محمد، ورئيس العرفاء كاظم البندر وغيرهم) تم وضع اللمسات الأخيرة لأنطلاق الثورة بكل تفاصيلها وتوزيع المهام على الجميع ثم أقسم الجميع وسط دوامة من دخان السكائر، وتبادل أنخاب أقذاح الشاي (نقسم بترية هذا الوطن الغالي ان نحرره من الظالمين الطغاة).

وقد كانت الوصية الأخيرة من قبل (حسن) ورفاقه أن (لا تقتلوا أحداً بل اعتقلوهم وسنقدمهم للمحاكمة)! وفي الساعة الثانية عشرة والنصف قبل ٣ ساعات من بدء التنفيذ انفض الأجمعاع، وقد عاد حسن ورفاقه من عسكريين ومدنيين بمن فيهم (شمران) إلى معسكر الرشيد، وقد كمنوا في مهاجع مدرسة قطع المعادن.

عند الثالثة والنصف فجر يوم الخامس من تموز، وضع حسن وعدد من ضباط الصف وعدد من المدنيين من ضمنهم (ابوكفاح) الذي ارتدى الملابس العسكرية فوق ملابسه المدنية فبدى أكثر بدانة مما هو عليه، وضعوا الرتب والاشارات على اذرعهم، وتوجهوا نحو حرس مدرسة الهندسة الآلية العسكرية، وبحركة رشيقة وموحية مد حسن

ذراعه صوب الحرس وكذلك فعل رفاقه، امرا الحرس بالاستسلام فورا، فأستسلم الجميع وتم أعتقال عريف وضابط الخفر، وأحتلال المدرسة، ومركز التدريب المهني، وكسر مشجب السلاح والأستيلاء على (١٥٠) بندقية، وقد التحق بهم (٣٠٠) جندي من سرية الحراسة، ولكنهم لم يكملوا أحتلال المدرسة وكان ذلك بداية لعدة أخطاء أخرى توالى بعد إطلاق رصاصة إشارة التنفيذ، ومنها التزامهم بوصيت (لا تقتلوا احدا، ) وقد تمكن العريف (كاظم فوزي) الملقب ب (كاسترو) بكسر باب سجنه هو ورفاقه من أنصار الحركة والسيطرة عليه، وتمكنوا بعد ذلك من السيطرة على مقر اللواء (١٥) كذلك تمكنوا من السيطرة على كتيبة الدبابات الأولى وأعتقال قائد وضباط الكتيبة، وأنتظروا ضباط سجن رقم واحد ولكن دون طائل، وعدم مفاجئتهم لحراس سجن رقم واحد واكتفاء مسؤول المجموعة (عريبي محمد ذهب) بمناداتهم بالاستسلام التي لم يستجب لها أحد، مما مكن (الأحمر) البعثي المتطرف من المقاومة وصدهم مما أفشل عملية إطلاق سراح المعتقلين وأغلبهم من الضباط الدروع والطيارين وبقية الكوادر الهامة الأخرى والذي كان المعول عليهم على قيادة الطائرات والدبابات بعد تتم السيطرة عليها من قبل الثوار الجنود، وأرتباك أو تخاذل قائد الدبابة الأولى العريف "راضي كاظم شلتاغ" بقيادة عبد

السلام عارف رغم كونه من الثوار، وعدم وصول الضباط إلى الطائرات، وإلى كتيبة الدبابات، وفشل عملية الأستيلاء على الأذاعة، مما مكن السلطة من أستنفار قواها من الحرس القومي والجيش وأخماد أصوات رصاص بنادق الثوار بعد حوالي اربع ساعات من انطلاق رصاصتهم الاولى لأنها التزمت بالوصية الأولى ولم تبادر بالقتل، ورغم أن بعضهم حمل رتبة ضابط ولكنه ظل يتصرف ويسلك سلوك الجندي في لا وعيه احتراماً للضباط والأميرين، وهذا ما أستغله اعداؤهم ومكنهم منهم رغم كونهم كانوا الأقدر على المبادرة والقتل وهذا ماحدث من قبل العريفيين (كاظم زراك وجليل خرنوب) في باب النظام لمعسكر الرشيد حيث بدل أن يقتلوا عبد السلام عارف رفع العريف لا اراديا يده اليمنى لتحتيته، مما أدخل الخوف والتردد بين صفوف رفاقه من الثوار، وقد أندفعت الدبابة الثانية التي كانت صحبة دبابة عارف صوب السجن المركزي وقد داست وفرمت بسرفتها عددا من الجنود الثوار، ونتيجة لذلك تصرف معهم أعدائهم بوحشية كبيرة، فقتل من قتل، وأعدم من أعدم فوراً على يد عارف والحرس القومي وقد تم إطلاق سراح كبار البعثيين الأسرى لدى الثوار كل من (وزير الداخلية حازم جواد، ووزير الخارجية طالب شبيب ومنذر الوندائي قائد الحرس القومي، ونجاد الصافي وبهاء شبيب وأمر كتيبة الدبابات

الأولى وسالم مريوش وعدد آخر من الضباط البعثيين) وهرب من هرب، وقد كان (حسن سريع) من ضمن من تم القاء القبض عليهم.

نزع (شمران) ملابسه العسكرية، وشد جرحا بسيطا في ساعده، وتمكن من التسلل هو واحد رفاقه من الصيادين الذي كان قد دخل المعسكر عن طريق النهر رابطا زورقه على ضفته قصدا الزورق بعد ان ادركا عدم جدوى المقاومة امام هجوم الدبابات البعثية التي اخذت تجوب المعسكر ونفاذ ذخيرتهما.

كان حسن يؤكد على الضرورة القصوى على الصمود بوجه التعذيب والحفاظ على أسرار الثورة وعدم الأدلاء بأي معلومة تكشف رفاق الطريق وتعطي اية معلومة عنهم وقد كان يرد على كل اسئلة من حاكمه بأنه هو المسؤول عن الثورة وهو من أجبر الجميع على حمل السلاح، وبعد المحاكمة الصرية له حكم عليه بالأعدام رمياً بالرصاص، وعند التنفيذ تقدم نحو الموت بعد ان قبل رفاقه وهو يهتف (يحيا الحزب يحيا الشعب) وهو يهتف (السجن الي مرتبه والقيد الي خلخال والمشتقة ياشعب مرجوحة الابطال). وقد هتف الثائر نائب العريف (عبد الواحد راشد) وهو يتقدم إلى منصة الاعداد "لنا شعب يأخذ بثأرنا ولن تضيع دماءنا"، في حين هتف الثائر صباح ايليا (ان قتلتم أشبالا فالعراقيات تلد

الأشبال باستمرار)، وقد كانوا (٢٦) ثائرا ضمن الوجبة الأولى للذين أعدموا من أصل (٤٦) ثائرا حكموا بالأعدام. وقد حدث الكثير من عمليات القتل والتعذيب في مناطق ومعسكرات أخرى حيث تحرك عدد من الثوار هناك في محاولة للسيطرة عليها وتأييد حركة معسكر الرشيد وقد حدث هذا في "معسكر أبو غريب، ومعسكر الوشاش ومعسكر التاجي، ومعسكر الحبانية، ومقر الفرقة الأولى في محافظة الديوانية، وشرطة الموسيقى، وفي العديد من الأحياء والمدن، كمدينة الثورة، وضواحي بغداد.

نصبت المحاكم الصورية والقتل بمزاج فردي حاقدا في العديد من المعسكرات ومنها ما قام به (طه الشكرجي) في معسكر الرشيد في مقر اللواء ١٩ لواء عبد الكريم قاسم، حيث قام هذا الفاشي مهرجانات من التعذيب والقتل لعدد كبير من (الضباط الأحرار القادة كالزعيم الركن دواد الجنابي والمقدم إبراهيم الموسوي، والعميد عبد المجيد جليل، والعقيد حسين خضر الدوري الذي قلع له الشكرجي أذنيه بكلايتين، قبل رميه بالرصاص بأمر من صالح مهدي عماش). بالإضافة إلى قائمة تضم ٣٤ ضابطا معتقلين في مقر لواء ١٩ (نادى عليهم المقدم الركن محمد حسين المهداوي ضمت النقيب الطيار منعم حسن شنون والنقيب عباس الدجيلي، بأمر من صالح مهدي عماش وأخذهم بسيارة لوري إلى

منطقة قريبة من عكركوف وتم هناك رميهم ودفنهم في نفس المكان) وهناك الكثير الكثير من جرائم القتل والتعذيب والأغتصاب.

وامعانا في الترويع والارهاب، وكشف الروح الفاشية الانتقامية قررت السلطة الحاكمة تعليق عددا من جثث الثوار في مناطق واحياء مختلفة من بغداد، خصوصا ممن كان يظن ان ابنائها قد شاركوا في حركة (البرية المسلحة) حيث علق: الخياط "حافظ لفته" في منطقة باب الشيخ في رصافة بغداد الذي اعدم في ٣١-٧-١٩٦٣.

العريف (عريبي محمد ذهب) علقت جثته خلف السدة الشرقية، وكان قد اعدم بتاريخ ٣١-٧-١٩٦٣.

نائب العريف "راشد عبد الواحد الزهيري" من اهالي المشرح، اعدم في ٢-١٠-١٩٦٣ وعلقت جثته في ميدان مدرسة المخابرة بمعسكر التاجي.

جندي اول "فالح حسن" اعدم في ٢-١٠-١٩٦٣ وعلقت جثته في ميدان مدرسة المخابرة بمعسكر التاجي.

العريف "كاظم زراك" والعريف جليل خرنوب اعدما وعلقا على الباب الشمالي لمعسكر الرشيد.

تعليق جثة "حسن سريع" في مدينة الثورة.

اعدام اربعة جنود في معسكر الوشاش لبث الحماس لدى افراد دورة تدريبية لافراد الحرس القومي.

امر احمد حسن البكر باعدام عدد من المعتقلين في ٣-٧-١٩٦٣ رغم ان اعتقالهم كان قبل ٣-٧-١٩٦٣ ولم يشاركوا في ثورة حسن سريع.

شق الزورق صدر الماء، كما شق الالم صدور الثوار بعد ان حل كابوس الفشل على الحركة، الأمل التي كانت قاب قوسين أو ادنى من الانتصار، فبدلاً من ان تصدح اذاعة بغداد باناشيد الثورة وبيانها الاول من اصل (٨) بيانات كان من المفترض ان تذاع عند انطلاق الثورة.

بعد ان تأكد الرفيقان ابتعادهما عن الخطر، تأكد (شمران) من اخفاء جرحه البسيط تحت ملابسه، وقاما بتفكيك بندقيتهما واخفائهما تحت دكة الزورق، قاما بنشر شباك الصيد كالعادة في كل يوم، وقد اتفقا على الاستمرار بعملهما كالمعتاد، الصياد يعود إلى صيده، و(شمران) يذهب إلى عمله بعد ان يجلب دراجته التي اودعها قبل يوم عند صديق له في السوق، على أن يتوصلا فيما بعد لمواصلة كفاحهما واعادة الحياة إلى التنظيم بعد لم شتات الرفاق من مختلف مناطق بغداد وضواحيها وتجاوز محنة الفشل المؤلم للحركة، كذلك العمل على توثيق ما جرى ومتابعة مصير رفاقهما خصوصا من وقع منهم في قبضة السلطة البعثية.

قرر (مظلوم) ورفيقه الصياد السبات خلال الفترة الحالية حتى تستقر الأوضاع، وتسكن الموجة المسعورة للحرس القومي، فلا يقومان بأي تحركات أو نشاطات حتى اشعار آخر.

كما قرر ان يغير محل سكنه، فلا يمكن بعد الان الذهاب والمبيت في كوخ (حسن) وبعد التشاور مع (الصياد) الذي اشار عليه ان يسكن في كوخ صغير على ضفة دجلة غالبا مايلجأ اليه حينما يضطر للمبيت بالقرب من شباك صيده ليلا، وبالإضافة إلى كونه يؤمن له المبيت الامن ليلا، يمكنه ايضا من ممارسة مهنة الصيد في الاماسي وخلال الليالي المقمرة وتزجية الوقت حتى تنجلي لغبرة ونرى ما نحن فاعلين.

استحسن (مظلوم) مقترح رفيقه، وبالفعل حل محله في الكوخ، الذي كان يحتوي على سرير من جريد النخيل وفراش بسيط ووسادة بالإضافة إلى حب لشرب الماء، قضى ليلته الاولى هناك على جرف دجلة وامواجه التي تثير الشجن والحنين، وهي تعكس نور القمر فينطلق صوت (مظلوم) لا اراديا من حنجرته معبرا عن حزنه وحنينه والمه لفقدانه الاهل والرفاق والاحبة وفي مقدمتهم (حسن سريع) الرفيق والاخ والصديق الوفي والشجاع والمضحى الصادق من اجل الشعب والوطن، كلما علا صوته يحاول ان يكبحه لئلا يلفت اليه الانظار في لياليه الاولى، تمر امام ناظريه صور ومجريات الاحداث وما الت اليه حال الحزب والشعب، والمصير الذي

سيحل بحسن سريع ورفاقه الاحياء وهم في قبضة الحرس القومي، وما مدى قدرتهم على الصمود وتحدي السلطة الفاشية وعدم الكشف عن اسرار الحركة وعدم كشف الاسماء والشخصيات التي تمكنت في الافلات من ايديهم، في الوقت الذي يراهن فيه على صلابه (حسن) فلا يمكنه المراهنة على صمود كل الثوار الاخرين، خصوصا وهو يعرف تماما مدى وحشية وقسوة جلاديههم من افراد الحرس القومي، وعندها هل سيتمكن من مواصلة عمله دون ان يتعرض إلى خطر استدلال الحرس القومي عليه، أو عليه ان يغادر المنطقة والعمل لينتقل إلى مكان اخر، واذا فعلا ترك عمله بصورة مفاجئة تزامنا مع الحركة الا يثير ذلك الشكوك لدى اصحاب الدور وبالاخص لدى دار (خالد) المسؤول في الحرس القومي، هل سيغامر ويستمر في العمل؟ أو يحزم امره ويغير محل سكنه وعمله؟

اسئلة مصيرية ظلت تشغل باله كثيرا ومن الصعوبة الاجابة عليها وسط وضع غامض في الوقت الحاضر.

سيحاول ان يستشف الاخبار عن طريق لقائه بـ(غزالة) وقت قدومها إلى دار سيدتها أو خروجها من الدار، ليعرف هل هناك من جاء ليستفسر عنه اولا وبطريقة غير مباشرة بحيث لا يثير شكوكها، فان كان مطلوبا من قبل الحرس القومي

فسيألون عنه كافة اهل الدور الذي عمل فيها ومنها دار عمل (غزاله).

لبس زي مغاير لزيّ المعتاد، راقبها بعد خروجها من الدار في اليوم الرابع من الاحداث، وبعد ان ابتعدت عن المنطقة قاصدة كراج السيارات الذاهبة صوب مدينة الثورة، اعترض طريقها، أجفلت منه أول وهلة:

- هاي شنو (غزالة) شبسرعه نسييتيني انه (شمران)؟  
- ها اي والله يعيوني تيهتك وانت بهل العكله الحلوه، طالع جنك شيخ، شلونك يابعد روعي شلون صحتك، شنهو چانته وين رايح؟

- والله طالع ارد ارواح ازور صديج الي نايم بالمستشفه؟  
- انتي شنهي ما شنهي اخبارچ شكو ماكو؟  
- والله يابعد عيني مدينة الثورة مكلوبه گلاب الحرس القومي يدور عله الشوعيه، يگولون مسوين مؤامرة مدري انغلاب عله الحكومه، وكلسا جافتيلهم بيت وسحاليهم واحد يو اثنين من اهل البيت، والوادم كله خايفه، ولو هيه شايله رووسه ومتباهيه بالزلزم الخشنه الرادت تكسر خشوم هذوله الموخوش اوادم جتالت الزعيم وربعه الله يرحمهم.

- خو ماكو شي عله الوادم التشتغلين عدهم؟  
- لا خويه كلش ماكو ظل هذوله وادم من العلالی ما لهم شغل لا بالحكومه ولا بغيره.

بعد ذلك استأذن منها (شمران) رغم أنَّها كانت تطمح أن تجالسه وتستمتع برؤيته الا أنَّه أعتذر لضيق وقته وأنَّه سيلتقيها في وقت آخر بعد أن يخرج صديقه معافى من عمليته في المستشفى، مما قد يشغله عنهم بعض الوقت فلا ينشغل فكرهم عليه ان تأخر عن مواعده في متابعة أمر الحديقة هذا الأسبوع.

جيد لحد الآن الأمور تسير بسلام، سننتظر الأيام القادمة، بعد أن فارق (غزالة) كان الوقت مساءً تموزياً حاراً، عرج على أحد المطاعم الشعبية، ليسكت نداء معدته الخاوية، فتناول ماعون (يابسه على تمن) ورغيف من الخبز الحار ورأس من البصل الأحمر الحار، أردفه بـ(استكانين) شاي مهيل من أبو (الچمبر) المحاذي للمطعم، بنهم كبير يمتص دخان سيكارتة الجمهوري، وهو يسمع وشوشة وهمس الناس حول أحداث (مؤامرة) العريف لقلب السلطة البعثية في العراق، ملاحظاً علامات الحسرة والأسف لفشلها مرتسمة على وجوه اغلبية الناس من الكسبة والطلبة وعمال المساطر والحمالين، بعد ذلك حاول أن يقضي جل وقته في الأماكن المنزوية والقلية التواجد من قبل الحرس القومي ورجال الأمن والشرطة، حتى يحل المساء، فيشتري بعض أرغفة الخبز و(بطيخة) قاصداً كوخه على ضفة النهر ليقضي ليلته هناك وهو يدندن

اغنية التجليبه لزهور حسين: (اجلبنك يليلي الف تجليبه تنام  
المسعدو وتكول مدربيه.

فيضيف اليها من عنده قائلاً: "اجلبنك يليلي والوياي اوياي  
والوياي بلواهم مثل بلواي".

تأخذه سنة النوم عند نسمات الفجر الأولى ولا زالت  
سيكارتته بين أصابعه تمدن بحرارة خفيفة تشعره باستمرار  
الحياة بين النوم واليمقظة.

يعد الشاي على جمر أعواد من الخشب موضوعة بجانب  
الكوخ تستعمل أحياناً لشي السمك المسكوف مما يهبه النهر  
للصيادين، فيتناول كاساً من الشاي وقليلاً من بقايا الخبز  
الذي أحضره ليلاً، ثم يتناول (السلية) المخبأة في زورق  
رفيقه المربوط على مقربة من الكوخ في جرف النهر، يسرح  
في وسط النهر، ناشراً شبك (السلية) ليصطاد بعض أسماك  
البنى والشبوط والقطان التي يتوفر عليها بكثرة دجلة الخير،  
يكتفي بما حصل عليه خلال ساعة الصباح الأولى ليعود إلى  
كوخه، مستقبلاً رفيقه في نوبة عمله لنهار جديد، متبادلين  
التحية وبعض الاخبار الهامة، بعدها يقف على الشارع العام  
عارضاً صيده من السمك (التازه) ليحصل على بعض النقود  
مما يسد مصاريف عيشه واحتياجاته اليومية من الاكل  
والشرب والشاي والسكائر.

قرر أن يقوم بجولة على البساتين الواقعة على ظفة نهر دجلة بالقرب من الكرادة والكاظمية، عارضاً عليهم أستعداده للعمل كفلاح في أحد هذه البساتين على أن يتوفر له مكان للسكن في البستان، ومن خلال اليوم الأول لجولته حصل على هذه الفرصة في بستان كبير من النخيل وأنواع من أشجار الفاكهة، وزراعة أنواعاً من الخضروات في الواح ما بين البساتين، وقد اطلع على محل سكنه في غرفة صغيرة مبنية من الطابوق، قربها يوجد طباخ نفطي، وداخلها سرير حديدي وفراشا مطويا يبدو ان الغرفة مهملة منذ زمن، فالأفرشة متربة وهناك ادوات طبح مبعثرة، علم انها كانت تعود لفلاح ترك العمل لظروف عائلية خاصة كما اخبره مالك البستان وهو من التجار الكبار الاثرياء من أهالي الكاظمية الذي كان يبدو عليه الترف، والبشاشة والتواضع، مما جعل (شدهان) وهو الاسم الذي اعلمه لصاحب البستان، يطمأن له ويستأنسه، وقد اتفق معه انه سيباشر عمله في البستان بعد ثلاثة إلى اربعة أيام تاليه، وافق الحاج (ابو توفيق) قائلاً بانه سيرضيه تماماً وسيعطيه نسبة من الخضروات المنتجة في البستان والمباعة في السوق، ويده مطلقة في سد حاجته وطعامه الخاص من التمر والفواكه والخضرة، مد يده إلى جيبه ووضع في يده دينار لتمشية اموره ونقل حاجياته.

قرر (مظلوم) أن يخبر اصحاب الدور بأنهاء عمله لديهم لأنه قرر العودة إلى أهله وعائلته بسبب مرض زوجته مما يتطلب تواجده قريبا وقرب أطفاله خصوصا بعد أن مرت أكثر من شهر دون أن يتعرض هو ورفيقه الصياد لأية مسائله وهو نتيجة لاتقبل الشك لصمود رفاقهم تحت التعذيب وعدم أدلائهم بأية أعترافات، كما أنه قرر عدم أخبار حتى رفيقه بمحل عمله وسكنه الجديد كأجراء أحترازي مما قد يفرزه المستقبل من مخاطر.

أمضى ليلته في الكوخ وقد أصدقاء في وقت مبكر من الليل سمكة بنية، قام بتهيئتها للشاي على لهيب نار من الخشب جنب الكوخ، بعد أن ملحها جيدا، وأخرج أرغفة الخبز التي أحضرها معه من السوق مع حبات من الليمون الحامض وحبّة من البصل، بعد أن نضجت السمكة جيدا، رفعها ودس قور الشاي في مخلفات نيران الخشب، حتى يفور الماء تمهيدا لـ(تخدير الشاي) بأشر أكل السمك الشهي المطعم بالليمون الحامض، على صوت قرقرة ماء (القوري)، الذي وضع فيه كمية من الشاي، ليكون حاضرا بعد أكماله العشاء. أبعد بقية الفضلات خارج الكوخ، غسل فمه ويديه في ماء النهر الجاري، ثم تناول كأس من الشاي الساخن، ولع سيكارته من نار الموقد القريب منه، وجلس على حافة النهر،

مستنشقا النسيمات الباردة المعانقة لمويجات النهر، مراقبا  
لعب وسبحات صغار الأسماك قرب الجرف.

الذي أقلقه كثيرا صورة حبيته (ام كفاح) وحبيه كفاح  
وعزیزته (سعوده) التي لا تريد أن تفارقه صورهم وذكرياته  
معهم، يدور شريط الذكريات مع تساقط دموع الالم والحسرة  
والحزن المتساقطة من عينيه متحدية محاولاته لحبسها  
وكبحها وخصوصا امام انظار الناس، ولكنه الان يشارك دجلة  
المه ونواحه الذي لايتتهي نادبا احرار العراق وثواره ومفكره  
منذ عشرات القرون ولحين التاريخ، فروح الحلاج عانقت  
روح المقفع وروح الزعيم ومن سبقهم ومن لحقهم حتى  
تشرق شمس الحرية والسلام والرفاه على ارض الرافدين،  
وهو الحلم الذي من اجله بذل الاحرار ارواحهم رخيصة من  
اجله، مسح دموعه بطرف كم قميصه، ثم خلع ملابسه عام  
في مياه دجلة المنعشة، وكأنه يغسل عن روحه ركام وسخام  
الحزن والكدر، مستمدا القوة والحكمة والديمومة  
والاستمرار من روح النهر العظيم.

خرج من الماء وهو يشعر بجسمه أكثر خفة ومرونة، ونفسه  
أكثر أطمئنانا وسكينة، أرتدى ملابسه، قرفص قرب موقد النار  
وسكب لنفسه كأسا ثانية من الشاي، مدندنا ببعض أبيات من  
الأبودية:

(من الضيم اريد اكتب كتاب الهم من الضيم

واحپيلهم ما بدلاي من الضيم  
احبابي الچنت الوذ بهم الضيم  
أصبحوا ياوسفتي حدر الوطيه) .

يتأمل بعمق الاسى عظمة وكبرياء وحكمة دجلة، تحمل  
موجاتها سجل آلاف السنين لارض الرافدين، أتت من بلدان  
الجبال الشواحق لتستريح على صدر الفرات ولتلتحم معه في  
قبلة أبدية في ارض سومر قريبا من جنات عدن، وعلى مرمى  
ذنب الافعى سارقة عشبة الخلود، وعزف اوركسترا لحن  
السلام والعطاء لنقيق الضفادع وحفيف اجنحة الحذاف  
والكركي وابو بسيله، وقبلات شفاف سمك البني، ورقصات  
الشبوط وغنج القطان وهو يلتهم عراييص (الخريط) ويقضم  
لب (العگيد) الحلو.

في صباح اليوم التالي وبعد ان التقى رفيقه الصياد، مخبرا اياه  
بأنه قرر الانتقال للعمل في مكان آخر وربما في مدينة عراقية  
غير بغداد، وسيتواصلون بين حين وآخر وحسب الضرورة  
وسيكون هو المبادر للقائه خصوصا وانه يستطيع الوصول  
إلى كوخه هذا والى محل سكنه ان تطلب الامر، لانه لايدري  
اين سيستقر في الوقت الحاضر ليدله على عنوانه، ودعه  
مؤقتا، امتطى دراجته وتوجه إلى الدور التي يعمل فيها، دار  
عليها بيتا بيتا، مخبرا صاحب الدار بانه قرر الالتحاق بعائلته  
لحاجتها الماسة إلى تواجده، متمنيا لهم السلامة شاكرا

لحسن تعاملهم معه طوال فترة عمله، حاولت بعض العوائل ثنيه عما نوى عليه لاعتزازهم به وحبهم له، واعلن البعض استعداداه لمساعدته بكل الوسائل، لينجز مهمته عند اهله والعودة اليهم، اجزلوا له عطاء أجره وما يزيد.

معرجا على دار (الشيخ ابو خالد) الذي بعد ان أخبره (شمران) بقراره لترك العمل والمغادرة إلى ديرته خاطبا ضاحكا: ها يولد يشروكي يبين حنيت، لريحة الجاموس والزوري، هاك خذ حسابك والله معاك. ودعه غير اسف لمغادرت دارهم.

ما يشغل تفكيره هو كيفية خلاصه من (غزاله) ان وجدها في الدار، وعلمها بتركه لعمله في حديقة الدار، ولكنه قرر مواجهة الموقف على اي حال، فتح باب الحديقة الخارجي ادخل دراجته، القى بالسلام والتحية على سيدة الدار وعلى غزاله التي بان عليها الفرح والسرور عندما التقت عيونها بعيون (شمران) كما عرفته، سارعت إلى احضار الشاي والفاكهة احتفاءا بقدومه.

اخبر السيدة بما نوى عليه، مع اظهاره اعتزازه بهم ويظل يتذكر ووفيا لطيب وحسن تعاملهم وكرمهم معه، متمنيا منهم تفهم وضعه، وفي الوقت الذي بان الارتباك وعلامات المفاجأة والحزن على محيا (غزاله) تمت له السيدة التوفيق والسلامه له ولعائلته.

طلبت من (غزاله) احضار الغداء لـ(شمران) قبل ان تعطيه  
اجره واكرامية مجزية تثمينا لعمله وامانته وحسن سلوكه.  
بعد ان اكمل غذائه، اخرج دراجته مودعا الجميع، وقد لاحظ  
دقق دموع (غزاله) وألمها، وكالعادة بعد وصوله الشارع العام  
لحقت به (غزاله) ولكن هذه المرة دامعة العينين محملة  
بعتاب حار بسبب الفراق.

شبهى صدى (يشمران) بهل السرعة تريد تعوفنه وتمشي بعد  
ما تعلقك ارواحنا بيك؟

:- (غزيله) والله آني ما ودي بس وضع اهلي وعائليتي هي  
الجبرتي عليه هل القرار، وانشالله هذا مو فراگ دايم، حتما  
راح نتشاور، وبين فتره وفتره امر عليج الچان ضلينه  
عائشين، تدرين انت نكعتي بگليبي، يلله نشف دموعج وخل  
نشريه گلاصين شربت نبرد گلوبنه.

هدأ من روعها وبدت تستعيد توازنها، وتتحكم بدموعها، وقد  
أزهرت خدودها بمزيد من الحمرة الشهية.

سألها (شمران) حول حالها وحال مدينة الثورة، فتجهم  
محيها وطفح الحزن على وجهها قائلة:- الثورة وأهل الثورة  
عاليهم الحزن والقهر، من يوم علگ الحرس القومي جثة  
(حسن سريع) على عمود الكهرباء، والوادم تبجي دم عليه  
وعله ربهه الي علگو جثتهم على طول وعرض احياء الفقره،  
اكثر النسوان لبسن اسود، ونصبت الوادم مآتم بالسكنه بعيد

عن عيون السريه وجماعة الحرس الله لا يرضه عليهم،  
الارواح والنفوس تفور وعله ساعه تنفجر وتحرك الاخضر  
واليابس عله روسهم وروس الخلفوهم.

كاد (شمران) ان يسقط لولا تماسكه في اللحظة الاخيرة، وقد  
غص بعبرته وكاد ان ينكشف على حقيقته امام (غزاله) وهو  
يسمع بخبر اعدام وتعليق جثة رفاقه على اعمدة الكهرباء في  
شوارع وساحات الاحياء الفقيرة، ظنا منهم انهم قادرون على  
ترويعهم وتخويفهم، ولم يستفيدوا من عبر التاريخ الحاضر  
والماضي.

بألم وحسرة ودع (غزالة) جارا دراجته بصعوبة وكأنه ماعاد  
قادراً على ركوبها فكل جسمه يرتجف غضبا وحنقا وألماً،  
جلس في أحد المقاهي محتسباً قدحاً من الشاي مولعاً  
سيكارة بأثر أخرى عليها تطفأ نيران قلبه، قرراً أن يشتري قنينة  
(عرق زحلاوي) وأشتري كاسة من (اللبليبي) مستذكراً أيام  
زمان، وأشتري نصف كيلو نومي حامض، ونصف كيلو  
طماطه، وعدداً من أرغفة الخبز، واضعاً الأكياس في سلة  
دراجته التي أخذت تلتهم الطريق بقوة دفعه قاصدا الكوخ  
على الشاطيء لينفس عن بركانه الهائج، بالغناء أو البكاء أو  
الفقدان ولو لسويغات قليلة فلم يعد يحتمل، ياليتَه قضى مع  
رفاقه شهيدا لكانت روحه أكثر راحة ولكن قسما يا حسن

قسماً يا شعب لن تذهب دماء أحراك هباء ولا بد ان يأتي يوم الحساب.

ما وصل حتى قصد النهر، لتكن موجاته حاملة دمه المدرار وعبرته الكظيمة ليفرغ مخزون قلبه الذي كاد ان ينفجر حزنا لايسعه الكون بما رحب، ثم خلع ملابسه وأغتسل مزيلا دبق وعرق جولته المتعبة هذا اليوم، بدأت نسائم آب المساء تداعب روحه المشبعة برائحة النهر وعبق اشجار الشاطيء الجميل، عاد إلى الجرف مرتديا ملابسه، وقد لمح زورق رفيقه يقترب من الجرف بعد انتهاء رحلة صيده اليومي، فسرره ذلك كثيرا فهو بحاجة إلى سمير يشاركه جلسته وهمومه هذا اليوم.

كان صيد رفيقه هذا اليوم وفيرا، حينما استقبله، اخبره بما نوى عليه هذه الليلة المقمرة والمثيرة للشجون، واقترح عليه ان يذهب للسوق ليشتري (قالب) من الثلج اولا لحفظ اسماكه حتى الفجر حيث تتم عملية البيع على باعة الأسماك الذين يدورون على أصحاب الزوراق لشراء أسماكهم الطازجة، وثانيا لحاجتهم للثلج لتبريد كاسات (الزحلاوي) ولا بأس من جلب عددا من أرغفة الخبز، وقدحين زجاجين لأستكمال لوازم الشراب.

وقد رحب رفيقه بهذه الجلسة عشية فراقهم، خصوصا وأنه سبق أن أخبر عائلته بأنه ربما سيبيت هذه الليلة في الكوخ،

وافطارهم بقنينة الزحلاوي بعد مرور أشهر من صيام لخطورة الوضع، فلا بد من (غسل الزنجار) كما كان يقول (شمران) فلم يعد (الشاي خمرة للشوار) في مثل هذه الحال كما كان يقول الرفيق (فهد).

أمتطى دراجة (شمران) وسرعان ما جلب المطلوب وعاد إلى كوخه، قاما بتكسير الثلج ووضع قسمه الأكبر على السمك وتغطيته بـ(كونية) للحفاظ على برودته داخل الزورق، أنشغل (شمران) بترتيب منضدة الشراب في مقدمة الزورق واضعاً (صينية) (المزة) والاقداح وقطع الثلج والحامض واللبلي، و(دولكة) من ماء الحب، فوق صفيحة دهن (الراعي) الفارغة، في حين نزل صديقه للاغتسال من عرق وتعب يوم العمل.

فقد أتفقا أن يتناولوا شرابهما من على الزورق بعد أن يركنانه في مكان بعيداً عن تطفل وعيون الآخرين، وهكذا كان، فقد أرخيا الزورق في النهر ليسير متهادياً مع الموج، وتوجيهه من خلال (الغرافة) بيد الصياد، قاصداً المكان المحدد بينما، بدأ (شمران) حديثه حول ما سمعه من آخر الأخبار الذي تسرب الكثير منها مثيراً الهلع والخوف والاستنكار والغضب في بغداد وخارجها، وبالخصوص ما حدث لشوار الثالث من تموز في معسكر الرشيد، وأعدام قيادة الحزب، وشيع فضيحة قطار الموت من بغداد إلى السماوة، محاولاً استذكار

ومراجعة ما جرى من الأحداث وخصوصاً منذ ثورة تموز عام ١٩٥٨ وما رافقها من أحداث، وما جرى أثناء الانقلاب البعثي في ٨ شباط ١٩٦٣، وأنتفاضة معسكر الرشيد، ومراجعة دور وسياسة الحزب في الأحداث، وأسباب الأنتكاسات التي حلت بالشعب والوطن وما حصل من كوارث للحزب وآخرها القاء القبض على قيادة الحزب في الوكر السري (محمد صالح العبلي، عبد الجبار وهبي، جمال الحيدري) وأعدامهم في ١٩ تموز ١٩٦٣، بعد أن تم تصفية أغلب الكادر المتقدم للحزب وعلى رأسه الرفيق (سلام عادل) (منير) الرفيق والأخ والصديق الحميم لـ(شمران) على مدى سنواته الماضية، كما تحدث عن مدى التزام وشجاعة وإنسانية الرفيق الشهيد (منير) سلام عادل، وصلابته الأسطورية في مقاومة قسوة وهمجية وفاشية جلاديه حيث تم تفجير رأسه بـ(المنكنه) بعد أن أعجزهم وهزمهم بصمته وعدم افشائه لأسرار الحزب ورفاقه.

وقد عقب رفيقه الصياد (ابو يوسف) على حديثه، وروى له مشاهداته المؤلمة لجثث الشهداء المعلقة في مختلف احياء بغداد، كما اشار إلى مدى المرارة والأنزعاج للكثير من الاصدقاء والرفاق وتحميلهم بعض قادة الحزب مسؤولية السياسة التابعة والذيلية التي اتبعوها في التعامل مع الاحداث، وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لصيانة الثورة

ومكتسباتها، وصيانة الحزب وجماهيره التي ذبحت على مذبح السياسة الخاطئة للجنة المركزية، وعدم أخذ زمام المبادرة في التصدي لفردية قاسم ومحاربتة للشيوعيين، ولا التصدي لمؤامرات القوى الاسلامية والقومية الساعية إلى اجتثاث الشيوعية من العراق كما يعتقدون تنفيذا لارادة اسيادهم في بريطانيا وامريكا وشركاتهم الاحتكارية.

تم ربط الزورق إلى جذع شجرة قرب الشاطيء في مكان شبه معزول، ووسط رقصات مويجات دجلة استجابة لنسمات آب المنعشة ومزيد من اشعاع القمر في كبد السماء، فتح (شمران) غطاء قنينة العرق، وسكب كمية من المشروب في كأسه وكأس (ابو يوسف) ووضع كل منهما مايناسبه من الماء والثلج ليستحلب الخليط في الكاس، قاما برج كاسيهما كي بيردا، ثم شربا نخب الالم، وتناول حبة من (البلبي) ومص قطعة من الليمون الحامض، ولعا سكارتيهما واستئنفا حديثهما، وقد بدأ (ابو يوسف) يروي لرفيقه ما رواه له شاهد عيان هو احد افراد (الحرس القومي) المتخفي بزي مدني، كان يرافق (قطار الموت) في الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم ٤ تموز ١٩٦٣، أي في فجر اليوم الثاني بعد الانتفاضة، بأشراف آمر السجن العسكري رقم واحد في معسكر الرشيد الرئيس أول (حازم الأحمر) وأشرف على تنظيم وترتيبات الرحلة (مصطفى الفكيكي) وهو مسؤول نقابة عمال السكك

وآمر لقوات الحرس في قاطع السكك). العراق البيرية المسلحة ٢٧٦.

وقد ذكر هذا الحرس، مشاهدته حضور ترتيب رحلة القطار كل من (عبد السلام عارف، وطاهر يحيى، ورشيد مصلح التكريتي) وقد جلب السجناء الذي يقدر عددهم بأكثر من (٥٠٠) سجين بمختلف الرتب العسكرية والاختصاصات المهنية والاكاديمية المهنية، وكانت اياديهم وارجلهم مقيدة بالسلاسل والحبال، وقد تم غلق ابواب القطار غلقا محكما (السير والربد) وان على القطار ان يستغرق (١٠) ساعات حتى وصوله إلى مدينة السماوه، وقد أحضر السائق (عبد عباس المفرجي) في الساعة الثانية عشر ليلا من داره في الكراة ليتولى قيادة القطار بحمولته (الهامة) التي لا يعلم ما هي، مع توصيته بالسير الهوينا حتى لا تتأثر البضاعة داخل عربات القطار.

تناولا الكأس الثاني من شربهم وسط دخان سكائهم التي لم تنطفئ، مسح (أبو يوسف) شاريه (الستالينيتين) من بقايا العرق بكم قميصه، وواصل سرد روايته نقلا عن (الحرس). "تحرك القطار بحمولته، ونحن ممسكين بعرباته، أنا ومجموعة أخرى من رفاقي من الحرس بملا بسنا المدنية الدالة على كوننا من بسطاء منطقة الفرات الأوسط للمزيد من التمويه، نتلصص أحيانا على السجناء من خلال ثقب

وفتحات صغيرة، كان الهدوء سائداً في بداية المسير ولم تزل الشمس ليست بمستوى عمودي، ولكننا بدءنا نراهم في حالة من الاضطراب بعد اشتداد حرارة الشمس، هذا الهياج يزداد مع ازدياد درجة حرارة شمس تموز المحرقة والتي تجاوزت الـ (٥٠) درجة مئوية، اخذنا نسمع الطرق على جدران العربات مع صرخات النجدة، وأخذ بعضهم يلتصق على فتحات (الفراكين) وثقوبها الضيقة، كي يتنسموا شيئاً من الهواء، وبعد أستراحة قصيرة تقف خلالها القطار بعد قطع حوالي (١٤٠) كيلو متر، عاود القطار مسيره ولكن بسرعة كبيرة وغير معتادة كما كان قبل التوقف، وقد علمنا فيما بعد أن أحدهم همس في أذن السائق قائلاً (خالي تعرف ان حمولتك ليست حديد بل بشر هم افضل ابناء شعبنا) البيرييه ص ٢٨٣. وعندما توقف القطار في الديوانية بدأ بعض الناس برش الماء على عرباته آمليين أن يساعد على تبريد العربات الساخنة، واصل الحرس حديثه قائلاً كنا نرى بعض الناس يلتصقون بعربات القطار ولا نعلم ما يوشوشون به للسجناء داخل العربات، بعد وقت اختزله السائق وصل القطار إلى مدينة السماوة، ووجدنا الناس بالعشرات مصطفين في محطة القطار يستقبلون حمولة القطار، ارواح بشرية محجوزة في فرن لا يتحتمله حتى الحيوانات، حال توقف القطار تم كسر ابواب العربات، وتناثرت الاجساد المفزوعة والمروعة والتي تشبث

بالحياة على رصيف المحطة، تم نقل بعضهم بسارات الاسعاف إلى المستشفى وقد مات احدهم يدعى (الرائد يحيى نادر) وكان يبدو ان آمرنا الضابط المرافق للقطار لايعلم ماذا يحمل القطار، بحيث كانت اوامره في السماوة بضرورة فتح ابواب العربات واحدة بعد الاخرى والحرص على الدقة بنقل البضاعة إلى الباصات المتوقفة عند المحطة ومن ثم نقلها إلى الصحراء حسب التعليمات ولكنه أدرك بعد حين مدى الورطة التي وضعه آمريه فيها قائلا (هاي راد يخلوها براسي). أمر الاطباء الأهالي بأعطاء السجناء (لهمة) من الملح قبل شرب الماء أو اللبن للحفاظ على حياتهم، وكانت مفرزة الحرس القومي في محطة السماوة قد فوجئت بوصول القطار، مما أربكها وخضوعها للأمر الواقع وفسح المجال للأهالي بمساعدتهم ومساهم بعضهم بأسعاف السجناء تحت وقع الصدمة، ولو انَّ آمر المفرزة حاول ان يكون عنيفا وسيء السلوك فعاجله السجين (الملازم قيس محمد صالح) بصفعة على وجهه بـ(راشدي) مما وتر الوضع كثيرا وسحبت أقسام البنادق ومحاولة سحب الملازم (قيس) ولكنهم واجهوا وقوف كل السجناء بوجوههم قائلين (سنموت جميعا قبل تسليمه) وبعد أخذ ورد، سجل السجناء في مركز شرطة المحطة فارضين هيبتهم وأحترامهم على أفراد الشرطة، ثم أركبوا بـ(١٥) سيارة نقل، لنقلهم مباشرة إلى

سجن نفرة السلطان، وسط حشد كبير من مواطني السماوة وتضامنهم معهم، مما خفف من وضعهم ومعاناتهم النفسية. جدد (شمران) كاسات الألم، وهو يصغي بدهشة كبيرة إلى الحد الهمجي الذي وصل اليه هذا الحرس الفاشي، وقادتهم ممن أرادوا مجزرة وحشية رهيبة لاكثر من سجين من أحرار العراق ومناضليه، ومحاولة تخلصهم وتملصهم من مسؤولية هذه الجريمة البشعة، والذي وردت معلومات لاحقة انَّ البكر وعماش وعارف وعبد الغني الراوي، كانوا يريدون اعدامهم بالجملة ودفنهم في مقابر سرية، لو لا معارضة بعض العناصر المدنية و(المتعلقة) والتي سأمت حمام الدم والموت، وبالتالي ثنيهم عن ارتكاب جريمتهم الوحشية (حازم جواد، ومحسن الشيخ راضي، وسعدون حمادي، طالب شبيب وأنور عبد القادر الحديثي وغيرهم من القادة المدنيين خصوصا).

على الرغم من شرابهم ولكنهم يمسون باطراف احاديثهم ونقاشاتهم وان شابها شيء من العاطفة الجياشة لهول ما يجري، بعد استعراض الاحداث اخذت تتبلور لديهم المزيد من الأفكار والمعالجات للخروج من هذه الحال المزرية، وضرورة تكثيف النقاشات لتفادي الاخطاء والانحرافات ومحاسبة المقصرين والمتهاونين والأنتهازيين، خصوصا من

قبل مايسمونه الخط (اليميني) للحزب الذي بدت تتوضح صورته وتوصيفات شخصياته في قيادة الحزب.

ما يتوجب تحري اراء الرفاق في بغداد وغيرها حول ما جرى وما يجري وضرورة بلورة رأي موحد، بعد ان يستقر الوضع وتخف حملة السلطات، كما توصل الرفيقان إلى استنتاج ان قوى البعث والحرس القومي بدأت تتكلس وتفقد هيمنتها نتيجة تصلب الدماء حول قبضتها نتيجة تلوثها بدماء العراقيين وهي تواصل نهجها الفاشي في القتل العشوائي، وحدوث شرخ بين عبد السلام عارف واتباعه من القوميين وغيرهم وبين قيادة البعث، وقادم الاسابيع والايام تنذر بحدوث مزيد من التدهور في قيادة السلطة، الامر المحير ان يرى الناس أبنائهم وآبائهم وأخوانهم وأصدقائهم معلقين على اعمدة الكهرباء ولا ينتفضون، ربما يذرف بعضهم الدموع ولكنه حتى لا يجهر برفضه لمثل هذه الممارسات الفاشية وان كانت ليست غريبة على تاريخ المستبدين في العالم العربي والاسلامي، وتعليق جثمان الثائر (زيد بن علي) احد شواهد هذه الممارسات الوحشية، ولكن الا يدرك الحكام ان هذا الفعل ان اطال عمر حكمهم بعض سنين فنهايتهم على يد اعدائهم ستكون اسوأ مما فعلوا.

بعد ان اكملوا شرابهم وبدء نور القمر يتارى شيئاً فشيئاً، فقررروا العودة إلى الكوخ، وقد اطلق (شمران) لصوته العنان

في ابيات من الابودية البالغة العذوبة والحزن والمعبرة عن  
واقع الحال لهم ولشعبهم.

(يعله زمانى حطلي عله يعله)

ينزل الفوگ والواطي يعله

من ريت العمر يگضي يعله

ولا ساعة مذكه تمر عليه).

تهادى زورقههم طربا مع انتشائهم وحزنهم النبيل، قريبا من  
كوخهم، اوثقوه إلى جرف النهر، اختاروا واحدة من سمك  
(الشبوط) انشغل (شمران) بجمع وايقاد النار في كومة من  
الحطب، بينما انشغل (ابو يوسف) بتنظيف السمكة  
وتمليحها، ثم وضعها قبالة نار الموقد، حتى نضجت،  
افترشوا حشائش الشاطيء واضعين الخبز والبصل والنومي  
حامض على جريدة قديمة، بدؤا عشائهم بعد ان دسوا  
(القوري) وسط الفحم، ليكون جاهزا بعد اكمال وجبتهم،  
يتحدثون ويستذكرون وقد اخذ خدر (العرق) ماخذه منهم،  
تمددوا على الشاطيء حتى غالبهم النعاس فغطوا في نوم  
عميق، حتى اصططحوا بخيوط نور الشمس الاولى.

بعد غسل وجهه ويديه وراسه في ماء النهر البارد المنعش  
الذي بدد اخر علامات الخدر، اوقد النار ووضع القوري،  
ركب دراجته، قاصدا السوق القريب، جلب من هناك كاسة  
من قيمر العرب، والصمون الحار، وعلبتين من السكائر،

وجد رفيقه مستيقظا، وقد اتم صفقة بيع اسماكه على (السفاطة) تناولا افطارهما وسط وجوم وصمت، كأنه علامة قفل على حديث الامس، وامانة في صدر كليهما، تعاهدا على اللقاء، تعانقا، بعدها اقتاد (شمران) دراجته واضعا في سلتها جودليته ووسادته، غادرها مع تلويحات الوداع لابي يوسف، الذي ردها ثم مرر كفه على عينيه مخفيا دموع الوداع لرفيقه وصديقه الحميم.

توجه (ابو كفاح) إلى الكاظمية صوب البستان الذي قرر العمل والسكن فيه، وقبل ان يصل للبستان ذهب إلى الحاج (سلمان) مالك البستان في محل عمله ليسلمه مفتاح غرفته، وليكون على علم بمباشرته في عمله، رحب به الحاج كثيرا، دعاه إلى الجلوس وامر له بشاي، وناولته سيكارة (روثمان) من علبة موضوعة امامه، هذه السكارة التي لم يتذوقها منذ زمن (غنوده) شكر للحاج لطفه وكرمه، ثم استاذن بالذهاب إلى البستان بعد ان استمع منه ببعض التوجيهات التي تهم عمله، وكيف يمكنه ان يحصل على احتياجاته الخاصة بالإضافة إلى مستلزمات عمله.

عبر طريقه وتجوّاله في شوارع العاصمة وحاراتها، كانت الناس منشغلة بشؤونها، العمل، اللهو، السهر، الأنوار في كل مكان، الجوامع والمراقص والبارات ومحلات عرض أنواع وأشكال البضائع، تبدو وكأن الحياة تسير بعيدا عن عذابات

وآلام ومعاناة المناضلين والسجناء والمشردين، الذين كرسوا كل حياتهم من أجل حياة أفضل للناس، مضحين بكل شيء حتى حياتهم من أجل هدف سام.

قاد دراجته نحو البستان، الذي ما أن دخله حتى تفتحت أساريه، حيث صفوف النخيل المشذب بعد أ انتهاء موسم جني ثماره، وأشجار الرمان والبرتقال الليمون والارانب، وبعض شجيرات من الزيتون، ودلالة حسن ذوق من كان يعمل في البستان وجود عدة شجيرات من ورد الجوري والقداح، وزهور ملونة أخرى.

أصوات العصافير، وتغريد البلابل، وصوت (ياقوقي) للفاخته، يبدد وحشة الصمت في البستان، عادت هذه الاجواء بـ(مظلوم) إلى ايام طفولته في قريته الغافية على نهر (المجيهيلة) ابن الفرات في المشخاب ارض العنبر، ركن دراجته على جذع شجرة التوت الشامخة قرب باب السياج الطيني للبستان، فتح باب الغرفة، فكانت كما تمنها، غرفة فسيحة نظيفة، يجد في أحد جانبها سرير حديدي وفراش اسفنجي مع بطانية ووسادة تبدو نظيفه، وقربه منضدة خشبية مغطاة بجرائد قديمه، في واجهتها الامامية شباك واسع، وضعت على رفه، ساعة منضدية، (قوري) ثلاثة اقداح (استكانات) للشاي، وعلبة مملوءة بالشاي واخرى مملوءة بالسكر، ومطفأة سجائر صغيرة، ارضية الغرفة مفروشة

بحصيرة من سعف النخيل، ووجود ماكنة طبخ نفطية (چوله) وماعونان المنيوم، ومقلالة، وعدد من الملاعق، في باب الغرفة يوجد حب متوسط الحجم للماء مربوط إلى جذع شجرة التوت يستظل بظلها، اغترف قليلا من الماء بواسطة (البوشي) وهو نصف قشرة حبة جوز الهند، ليروي عطشه نتيجة الجهد المبذول في قيادة الدراجة عبر طريقه الطويل نسبيا بين كوخ رفيقه ومحل (الحاج سلمان) والبستان، البستان يروى سيحا عن طريق ساقية متصلة بأنبوب اسمنتي يمر تحت الطريق العام ليتصل بالنهر، بالاضافة إلى وجود (مضخة) صغيرة قد تكون ضرورية للسقي وقت الصيهد.

تجول (مظلوم) في البستان مطلعا على الواحه المزروعة بالبرسيم، والخضروات المختلفة، وهناك بعض منها متروك تكسوه الأعشاب.

جلس قرب شجيرة من ورد الجوري المجاورة لعدة اشجار من المشمش والتين، استل سيكارة الجمهوري، اشعلها بواسطة قداحته النفطية، واخذ يرسم في مخيلته خطة عمله في البستان الواسع الجميل، بماذا سيزرعه وماهي متطلبات السوق من الفواكه والخضر، وقد كان من ملاحظته نقص البستان إلى اشجار الزيتون، والى (سوبات) عنب، فهذه الارض مناسبة لمثل هذه الشجيرات، وقد استدرك مخاطبا نفسه قائلا: ان أرض العراق أرض السواد تصلح لكل

المزروعات، أنها أرض الخير والعطاء، فأبن الرافدين تمكن من زرع كل أنواع النباتات والأشجار، كيف لا وهو أول من علم الإنسانية الزراعة، لكنه للأسف لم يتمكن طوال تاريخه قد عجز عن انبات ودوام ازدهار وأثمار شجرة الحرية، على الرغم من كونه قد رواها بدمه وعرقه طوال آلاف السنين، حلم ايضا بان تكون له حظيرة للابقار وبعض رؤوس من الاغنام، وزورق صغير وشبكة صيد ووو، انها احلامه واحلام اغلب اخوانه من الفلاحين العراقيين، والتي وأدها الانقلاب الفاشي، وسبق ان تعثر في تحقيقها من قبله (الزعيم)، فز من احلامه على حين غرة فقد لسعته جمرة السيكاارة التي سها عنها وهو سارح في تأملاته في عمق تاريخ وطنه الجريح وشعبه المقهور في الماضي والحاضر.

ابتسم وهو يسمع غناء عندليب من على شجرة (المشمش) ومنظر زهرة حمراء تشق ظهر صخرة مركونة قرب الساقية. كان بأمس الحاجة لسماع اخبار (ام كفاح) و(سعوده) فقد بلغ به الشوق والقلق أشده، فلا يعلم ما حل بهم، كما انه قلق على مصير ولده (كفاح) هل بلغ هدفه ووصل إلى مبتغاه ام لا؟

لو تحسنت الظروف وانقشعت سحابة الفاشية عن سماء العراق، لجلب (ام كفاح) وأبنته إلى بغداد، ليكونا بجانبه في

هذا البستان الجميل ولكن ما الحيلة وما زال كابوس الفاشية كابسا على النفوس .

كم هو مشتاق ومتلهف للقراءة، انه الغذاء الروحي، مسكن الألم، طارد للغربة، مبدد للوهم، لا أرغب حتى بالجنة ان وجدت بدون كتاب، ولا أدري لماذا لا يعد الله الإنسان (المتقي) بروائع الكتب في جنات الخلد؟

وهل يكفي الإنسان غذاء الجسد فقط من التين والزيتون والرمان، وحواري العين والاولاد المخلدين، أين غذاء الروح الكتاب، والموسيقى، هل يعقل ان يحرم الله الصالحين من صوت (فيروز) أو (داخل حسن) أو من سمفونيات (بتهوفن) مثلاً؟

سأتدبر امر شراء الكتاب، واتدبر امر القراءة هنا بعيداً عن عيون الجميع، وقرر أن يخصص للكتب مخبأً سرياً حتى لا يعرف أحد أنه يجيد القراءة والكتابة حتى يبعد عنه الشبهات، فقد أصبحت الثقافة شبهة في ظل الفاشية، مستذكرا ما حصل مع عالم الفيزياء السجين في سجن رقم واحد (عبد الجبار عبدالله) رئيس جامعة بغداد في عهد عبد الكريم قاسم، حيث تعامل المجرم الملازم (غازي عبد الصمد) باستهتار معه عند التحقيق مع السجناء بعد فشل حركة (حسن سريع) (فمنذ اللحظة الاولى لمباشرته سأل عن الدكتور عبد الجبار عبدالله

رئيس جامعة بغداد سابقا، وعندما جاؤوا به بصق بوجهه قائلا: انت هو عبد الجبار عبد الله؟)

كل ذلك نابع من حالة شعور بالنقص والدونية الحاقدة أمام العلماء والمثقفين. فالثقافة الرفيعة أصبحت صفة ملازمة لوصف الشيوعي، وهذا ما أعترف به وأقره أعدائهم قبل أصدقائهم، فالفكر والفلسفة الماركسية لا يمكن أن يفهمها الا من امتلك قدرا متوسطا على الأقل في مختلف العلوم الإنسانية والعلوم الصرفة كالفيزياء والكيمياء وقوانين تطور وتحول المادة، وهذا هو الفرد الذي لا يمكن ان تجرفه مختلف الموجات الفكرية والأدولوجية، أما من ينخرط في العمل الحزبي الشيوعي كونه نظاماً اقتصادياً واجتماعياً يتصف بالعدالة والحرية فمن الممكن جداً ان يتحول تحت ضغط العقل الجمعي وضغط وتهديد السلطات القمعية، فما اكثر اصحاب القمصان الحمر عند المد الثوري الشيوعي في ١٩٥٨ و ١٩٥٩ الذي اخذ بالانحسار بعد ال ٦٠ وما تلاها وها نحن نشهد الان كيف توارى لا بل تحول إلى الجهة المعادية الكثير ممن كان يملأ الشارع بالصراخ معلنا انتمائه بمناسبة ومن دونها.

جره هذا التأمل والتفكير إلى أستعراض العناصر، حال، وسلوكيات، العديد من الرفاق الذين صادفهم طيلة تاريخه الحزبي، فقد كان هناك مثلاً أعلى في الالتزام والتضحية

والأيثار والصدق والشجاعة، ولكن كان هناك نفر يبدو كالحشائش السامة في وسط خميلة من الزهور، متملق، أناني، متقلب المزاج، يدعي أكثر مما يفعل، ليس هناك تفسير منطقي لسلوك هؤلاء وما هي الدوافع وراء انتمائهم إلى طريق المتاعب والمصاعب والتضحية، ربما هي محاولة لأصلاح خدش أو علة أو عيب ونقص في الذات يراد ترميمها من خلال ما يمنحه طريق الكفاح من هبة وتقدير للمتممي حينما يحصل على شرف مناضل، فيكون منفوش الريش حينما يكون محمولا على اكتاف الجماهير، ولكنه سرعان ما يتلاشى إلى درجة العدم حينما يواجه موقفا صعبا لوحده، فمثل هذا الفرد سريع الاتصال سريع الانفصال تبعا للظروف المحيطة، يسعى للحصول على صفة البطل دون ان يصون صفة المناضل.

يقف بأجلال وأحترام أمام ذكر وصورة المناضل الشهيد (محمد موسى التتنجي) وكيف كان يركب دراجته ويرعبهم بأطلاق النار من بندقيته الكلاشنكوف وخصوصا على مقر الحرس (القومي) الذي كان في مديرية الشرطة القديمة، متواريا عبر درابزين النجف وازقتها التي يعرف كل زواياها مداخلها ومخارجها وقد كان له الدور الابرز في قيادة مقاومة النجفيين ضد الانقلاب الفاشي، مما ادخل الرعب في قلوب الحرس القومي في النجف وقد خصص مبلغ (١٠٠٠٠)

عشرة آلاف دينار لمن يدلهم على مخبئه ومحل سكنه، حتى توصل الفاشست إلى دار خالته التي كان يتردد إلى دارها أحيانا لأنها كانت بمثابة والدته والتي كانت ترافقه أينما ذهب، وقد عرضوها للتعذيب الشديد، فأعترفت على وكره ومكان تواجده حيث مطبعة الحزب (فتسلقوا سطح الدار من كل جانب يرتعشون خوفا وخسة موجهين بنادقهم الكثيفة نحوه وهو واقف على مغسلة الدار مرتديا دشداشته البضاء، فاثقلوه بالقيود والحبال ووضعوه فوق إحدى سياراتهم المسلحة وهو يهتف عاليا بحياة الحزب مخاطبا الناس باخبار الحزب عن اعتقاله معرفا باسمه الصريح، وهناك في مقر عصابات الحرس الفاشي كان البطل (محمد موسى) معلقا من يديه وحوله المجرمون من امثال (مدلول المحنا ومحسن الشيخ راضي وجعفر الذهب) وسائر المتعطشين للدم والانتقام، عندما قال له احدهم لو كان لدينا في كل محافظة واحد مثلك لاستلمنا السلطة من قاسم، الا انكم جناء فبصق في وجوههم، ٣٦٩ اسرع المجرم بطعنه بالحربة في خاصرته فظل ينزف حتى الموت والشهادة، اطفأت الاضواء ليلا ونقل لدفته في صحراء النجف على ايدي الجلادين انفسهم للتستر على جريمتهم النكراء ولم يعثر علرفاته ليومنا الحاضر) مجلة الشرارة العدد ١١١ ص ٦٦.

تنبه (مظلوم) إلى اسرافه في تأمله وتفكره، ربما شجعه جمال الطبيعة وحالة الهدوء، وجمال النهر ليذهب بعيدا في تأمله ومراجعته لسيرة الفرد والجماعة في الحزب والمجتمع ولا شك ان وصف احدهما ينعكس على وصف الآخر. مخاطبا نفسه، هذه الايام تنظر وتأمل وتتفكر كثيراً يا (مظلوم).

هل بسبب مرارة الواقع وضبابيته، وتسارع احداثه، أو بسبب قرائتك للعديد من كتب الفلسفة والروايات وكتب التاريخ والسيرة؟

أو بسبب السبات التنظيمي في هذه الفترة، وغلبة وقت التنظير على وقت التدبير والتنظيم.

الآن هيا للعمل فالبلستان بحاجة لجهد كبير من اجل تقليص وتنظيف الأشجار، تنظيم السواقى، مراجعة مواسم الزراعة والسقي وري النباتات في موسم الزراعة الآن، وهل هناك ما هو جاهز للجنى والتسويق؟ خصوصا وأنَّ صاحب البلستان قد فوضه زراعة كل ما يراه مفيدا، والأرض صالحة لزراعته، كما اتاح له إمكانية شراء البذور والاسمدة وبقية المستلزمات من أحد المحلات المختصة ببيع الحبوب والمستلزمات الزراعية وتسجل على حسابه، فقرر تهيئة الارض لزراعة البائنجان، والباامياء، والخيار، والطماطة، والواحاً من الخضروات كالفجل والكراث والنعناع والكرفس.

ولكي يكون على اطلاع على مجريات الأوضاع السياسية خصوصاً في البلاد والعالم فقد أبتاع من سوق (الهرج) راديو يعمل على البطارية، بالإضافة إلى بعض الكتب من احدا باعة الرصيف، وقد كان غالباً يستعمل دراجته الهوائية في تنقلاته متحاشياً وجود المفارز العسكرية ومفارز الحرس القومي.

سره كثيراً سماع اذاعة سرية بأسم (صوت الشعب العراقي) تذيع الكثير من أخبار الفعاليات الحزبية في الدخول والخارج، وتقوم بفصح جرائم النظام ضد الشيوعيين والتقدميين والديمقراطيين، وحملات التضامن للقوى التقدمية في كل العالم مع احرار العراق، كما كانت الاذاعة تذيع محتويات الجريدة المركزية للحزب التي عادت للصدور من جديد، بعد فترة قصيرة من الانقلاب الفاشي.

تابع من خلال الراديو مجريات مؤتمر حزب البعث المنعقد خلال الفترة من (١١ - ١٣) تشرين الثاني ١٩٦٣، حيث نشرت الصحف والاذاعات حالة الانشقاق والشرذمة والصراع العنيف بين اجنحة الحزب، تمكن الجناح اليميني ان يفرض سيطرته بالسلاح على الحزب متبعاً خط ميشيل عفلق انسجاماً مع المؤتمر القومي السادس للحزب بقيادة عفلق، في حين تم تنحية (الجناح اليساري) بقيادة علي صالح السعدي وجماعته.

كل هذه الأحداث الدالة على عمق أزمة الحزب الحاكم، تبشر بقرب أنهيار النظام الفاشي حتماً، عندها قرر (مظلوم) زيارة رفيقه (ابو يوسف) قاصداً كوخه مع اتخاذ جميع الإجراءات الاحترازية، فكان له ذلك، وقد أستقبله (ابوسف) بلهفة كبيرة، مخبراً إياه بأنه كان بأمر الحاجة للقائه، ولديه الكثير من الأخبار السارة، فقد تمكن من إعادة الصلة بقيادة الحزب، وحصل على أكثر من عدد من أعداد الجريدة المركزية للحزب، مؤكداً له صحة استنتاجاته حول عمق الأزمة الحالية للحزب الحاكم وما يتعرض له من الشرذمة، ناهيك عما يعانيه النظام من عزلة عالمية ضاغطة أجبرته على التخفيف من إجراءاته التعسفية والقمعية، أطلعته على آخر أعداد الجريدة، التي كانت تظهر وإن لم يكن بشكل ظاهر وجود إلى ما يشير إلى وجود حالة من الاستقطاب وتصادم نبرة النقد الشديد لبعضاً من قادة الحزب وخط الحزب السابق.

بعد دراسة كل هذه المستجدات معاً.

قرر (مظلوم) أن تبقى علاقته فردية في الوقت الحاضر، مع تواصل اللقاءات ومتابعة المستجدات، غادر رفيقه حيث قصد المكان الذي ترك فيه دراجته، لأنه لم يريد أن يعرف (ابو يوسف) أنه قدم إليه بواسطة الدراجة مما يجعله يخمن مكان تواجده، فلم يزل الوضع لا يسمح بالكشف عن مكان عمله

وسكنه الجديد، رغم أنه عاد محملاً بالأمل في تعافي الحزب والحركة الشعبية العراقية رغم الحملة الفاشية. مر بطريق عودته إلى البستان بالحاج (سلمان) وقد أطلعه على تفاصيل ما ينوي عمله في الموسم الشتوي القادم، حسب ما يتيح ما تبقى من الوقت لتهيئة الأرض وزراعة الخضروات الشتوية، ومتطلبات التمهيد للموسم الصيفي، حصل على موافقة الحاج وتمنياته له بالنجاح والتوفيق وأنه سوف لا يقصر بحقه ابداً، وأن يعتبر البستان بستانه ليعود الخير على الجميع، آمراً له بوجبة غداء من مطعم الكباب المجاور، فكتاب الكاظمية له ميزات الخاصة وله معها ذكريات خاصة مع (ام كفاح) وولده وابنته، ومع رفاقه واصدقائه واحبائه طيلة فترة وجوده في بغداد قبل وبعد ثورة ١٤ تموز، هذه الذكريات وبعض الانفراج النسبي في الوضع، واستقراره في البستان جعلته يفكر بطريقة جلب عائلته من ريف المشخاب إلى بغداد ثانية وتهيئة نفسه لمعاودة استئناف نشاطه التنظيمي حتى وإن تمكن منه الشيب، وظهور غضون وعلامات الشيخوخة، ولكن الأمل والطموح بالسعادة والحرية ما زال وسيبقى شاباً تحت مختلف الظروف، بعد أكماله لغدائه واحتسائه الشاي، تزود بعدد من علب السكاثر والكبريت، ودع الحاج على أمل اللقاء مستقبلاً، شاكر له

حسن ضيافته ومودته وثقته، ركب دراجته ورأسه محمل  
بالأفكار والخطط والتدابير التي تستوجبها المرحلة المقبلة.  
بدافع الفضول وكمن يتفقد معالم وذكريات عزيزة على قلبه،  
وكمن يريد أن يتأكد من أنه لا زال موجودا على خريطة  
المدينة بعد عاصفة وزلزال الفاشية، قاد (مظلوم) دراجته نحو  
محلة (البوحيّ) والمروور عبر شارعها الشهير المسمى (شارع  
موسكو) القلب الأحمر النابض بالهم العراقي والمعبر عن  
تطلعات الفقراء والكادحين والمثقفين الثوريين في هذه  
المدينة المقدسة - المدينة التي مات رمزها (الأمام الكاظم)  
في سجن الطغاة، أنّها رمزا من رموز المعارضة للمستبدّين  
والطغاة، كما أنّها مدينة الشاعر والمناضل الكبير (مظفر  
النواب) .

أراد (مظلوم) ان يستمد من هذه المدينة شحنة من الصلابة  
تزيده قوة واصراراً على التواصل، ف(باب الحوائج) لايعني  
المخلص السحري، والمخلص المنتظر للفقراء والمظلومين  
تحفزه لذلك الدموع والحسرات والأدعية والندور، التي  
أصبحت مصدراً لعيش شلة من الطفيليين والمتنفعين من  
هموم المعدمين والبسطاء، بل هو مفتاح ومصباح طريق  
يدلك على طريق المقاومة والصمود حتى الموت من أجل  
قضية عادلة.

كان الشارع ما زال على حاله طبعاً، مع فارق ملاحظة بعض عناصر (الحرس القومي) في الشارع، كما لاحظ أغلاق العديد من المحلات والمقاهي التي كانت له فيها ذكريات، كما ظهرت بعض اللافتات بتسميات مثل (العروبة) و(الامة) بدلا من (الشعب) و(الحرية) التي كانت تعرف بها العديد من الحوانيت والمقاهي، كما لاحظ وجود طلاء باهتا باللون الاسود يحاول ان يمسح ويشوه العديد من الكتابات والشعارات المكتوبة باللون الاحمر من على الجدران في الشارع الرئيسي والشوارع الفرعية في الحي وشوارع المدينة عموماً، وقد كانت علامات الحزن والالام بادية على تقاسيم ووجوه اغلب من صادفهم من الناس في الشارع، حيث غابت اشراقة وأريحية ما قبل اليوم الاسود، مستذكرا ما حدث في ساحة الميدان في النجف بعد الانقلاب حيث رواها له شاهد عيان كان متواجدا حينها في النجف حيث حشد البعثيون المئات من أبناء العشائر عن طريق شيوخهم من الأقطاعيين وتشجيع بعض العمائم للتظاهر والتجمع في الساحة بعد أن وضعوا مئات الكراسي الحديدية على عرض الميدان للاستماع لكلمة رموز البعث القادمين من بغداد (احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش) وكان (الحرس القومي) يدعو المتظاهرين للهتاف بـ(ياثورتنا من سواك غير البعث العربي الاشتراكي) كأحياء لمنافسيهم على السلطة

وربما المقصود عبد السلام عارف وزمرته من القومانيين، دون أن تعرف الجماهير المغزى من ذلك الشعار، وفي غمرة الصراخ البعثي، سمع صوت قرقرة تشبه الانفجار لم يكن يعرف مصدره هل هو شرارة كهربائية أو مفرقة متفجرة زرعتها أحدهم، مما أحدث حالة من الهرج والمرج رافقتها أصوات سقوط وأصصدام الكراسي الحديدية بعضها ببعض وهروب جلاسها من النساء والرجال، وملاحقة بعض الكراسي للهارب لأنها كانت مربوطة بطرف كوفيته أو عقاله بفعل فاعل نكاية بحضوره للأحتفالية من قبل بعض الناقمين من شباب المدينة على حكومة البعث، وقد أدت الفوضى العارمة إلى سحق بعض الحاضرين ودوسهم بالأقدام، وهرب افراد الحرس، وأخفاء البكر وعماش في احد محلات بيع (الباجة) المطلة على الساحة، ولم يبق في الساحة الا (نعل) الفارين وعبائاتهم وأحذية وعبي بعض الحاضرات من النساء، وعدد من رشاشات (البورسعيد) للحرس القومي الذي رماها وهرب، وقد عبرت الحادثة عن مدى خوف وهزلة السلطة وأدواتها وقد تناقل الناس أهزوجة شعبية لوصف الحالة.

(ريتك يبن قاسم حاضر بساحة الميدان، من طگ الكراسي وشردت المعدان، والحرس القومي ظل تايه وحيران) متمنيا حضور الشهيد عبد الكريم قاسم ليرى ما حدث لقتلته من

هزيمة معنوية، معبرة عن جبنهم وهشاشة حكمهم وكره الشعب لهم.

أستنتج من خلال مشاهداته، والربط بين مختلف الظواهر والاحداث الوضع المتوتر للشارع العراقي، بالقول ان الاسابيع وربما الايام القادمة حبلى باحداث كبيرة على مستوى الحكم والسياسة، مما يستوجب المزيد من الحيلة والحذر والتأهب لكل طاريء، (مظلوم) سبق له وأن جلب بندقيته الكلاشنكوف من مخبئها بالقرب من كوخ رفيقه (ابو يو سف) الصياد، عن طريق تفكيكها ووضعها في كيس ونقلها عبر بلم احد الصيادين، إلى مستقره الجديد في بستان الكاظمية، فقرر ان يقوم بتنظيفها هذه الليلة وتهيتها لتكون جاهزة للاستعمال في اي وقت.

أمضى ليلته في تنظيف البندقية والاستماع للراديو حيث جولة مؤشره بين مختلف الأذاعات العربية والدولية، بالإضافة إلى سماع اذاعة الحزب السرية، والتي كانت تذيع مقالات وتحليلات وتتوقع أنهيار حكم البعث وتدعو الشعب العراقي لعدم الاستكانة كما تدعو اعضاء وانصار الحزب للتواصل والألتحاق بتنظيماتهم فالشعب والحزب يضعف ولكن لا يموت، الطغاة يرحلون ولكن الشعوب خالدة البقاء والوجود. بعد أن اسرف في أحتماء اقداح الشاي من القوري الموضوع على نار (الچولة) بالقرب من متكئه خارج الكوخ، وشارفت

علبة التبغ انْ تنتهي، وهو يلتهم سطور أحد روايات (نجيب محفوظ) القرية إلى نفسه والممكن الحصول عليها من المكتبات الأهلية، تسلل النعاس إلى عينيه، خفض نور (الفانوس) إلى مستوى بصيص من نور، ثم غفا على نسمات ما قبل الفجر الزاحفة من نهر دجلة.

استيقظ مبكرا كعادته، نفّض عنه خيوط النعاس والكسل، أشعل فتائل (الجولة) واضعا عليها قدرا صغيرا لسلق رأسا من البطاطا، كوجبة افطار، ثم نزل النهر سابحا ليستحم بمائه المنعش البرودة فجرا، يكمل أفطاره وتناول شاي الصباح على أصوات زغاريد البلابل وزقزقة العصافير بين اغصان التين والرمان والبرتقال، وقد احتزم للعمل في البستان، كتنظيف السواقي، ورفع الحشائش الضارة، وتقليم بعض الأشجار، وزراعة خضروات الموسم، وجني بعض ثمار الفواكه لتكون جاهزة للشخص الذي سيقوم بتسويقها للمدينة.

قام بعملية تقليب وحرارة التربة بواسطة (مسحاته) مما تطلب منه رفع كومة من (كرب) وسعف النخيل المكدسة قرب الكوخ، أثناء رفع كومة الحطب ظهرت له رزمة ملفوفة بكيس من (الجنفاص) لا يدري ماذا تضم بداخلها، قام بقطع الحبل الرفيع الذي كان يلتف حولها بشكل محكم، ثم أفرغ كيس (الجنفاص) فأذا به يعثر على كنز أبهر ناظريه، انْ هذا ما كان يحلم به ويبحث عنه، وهو بحالة ماسة اليه في وضعه

الحالي، فلقد كانت مجموعة من الكتب الفكرية والأدبية والثقافية لاعلام الفكر الماركسي والتقدمي من العراقيين والعرب والعالم، أنَّها مكتبة صغيرة مكثفة ومختارة، مما أسعده ذلك كثيرا، أستعرض العناوين على عجل ثم استل أحد الكتب، واعداد البقية إلى الكيس، وأودعه مع مستودعه للكتب، وعاد يزاول عمله بحيوية ونشاط اكبر، متفائلا بمستقبل افضل فالأرض لازالت تضم سر قوتها ونمائها وعطائها، لاشك أنَّ هذه الكتب قد أودعها عقل ثوري ضاقت به الحيل وعز عليه أتلاف كنزه كحرقه أو القائه في نهر دجلة لتفادي أرهاب الفاشية ووحشيتها، فمثل هذه الكتب تعتبر وثيقة أدانة ودليل تجريم لمن يقتنيها في نظر الفاشية.

اغلق الباب الرئيسي لسياج البستان من جهة الشارع العام كي لايفاجأه أحد وهو يقرأ، في حين لم يفارقه الكتاب أثناء فترة أستراحته والقائه للمسحاة أو المنجل، حتى أثناء تناوله لغدائه، فقد كان يرى في هذه الكتب مفاتيح أسرار العالم ومختلف ظواهره وأحداثه، أنَّها مصباح ينير ظلمات العقل، وساحر يكشف سر الاسرار وتملك الانسان القدرة على كشف السر الاعظم، خلق العالم، سبب الفقر والقهر والتخلف والخرافه.



## الجزء الثالث

### البياض الدامي





يظل يسهر مع الكتاب طوال الليل على ضوء الفانوس، حتى أنه ينسى أحيانا هل تناول طعامه أولا، وقد يصحو وكتابه على صدره، متأسفا عما فات من عمره وهو لا يعرف القراءة والكتابة، أخذ الوقت يمر سريعا، بين العلم والعمل، حتى فوجيء صباح الاثنين الثامن عشر من تشرين الثاني وهو يناول أفطاره ويستمتع لأذاعة بغداد، بأعلان منع التجول في العاصمة بغداد، وأعفاء احمد حسن البكر من منصب رئيس الوزراء وتعيينه سفيراً في وزارة الخارجية وحسب تنسيبها، إصدار بيان بأقصاء الوزراء البعثيين (١٢) الذين كان قد سفرهم رفاقهم المنشقين إلى أسبانيا، وتعيين طاهر يحيى رئيساً للوزراء.

اوكل عبد السلام عارف حماية بغداد إلى موقع بغداد العسكري، وطالب الحرس القومي بتسليم اسلحتهم للجيش وغلق مقراتهم وقد سمع صوت الطائرات وهي تقصف المقر العام للحرس القومي في الأعظمية، وذكر بعض المارة القادمين من مركز العاصمة بان الدبابات والمصفحات استولت على جميع المرافق العامة في بغداد، كل هذه البيانات كانت بأسم عبد السلام عارف.

ألقي (مظلوم) ما في يده وأخذ يستمع بأهتمام بالغ للبيانات الصادرة من أذاعة بغداد، والأسماء المعلنة من قادة الانقلاب

الجديد - ليستدل من خلالها على طبيعة وأتجاه هذا الانقلاب، ثم تتالت أسماء طاهر يحيى، وحردان التكريتي، وسعيد صليبي، وأحمد حسن البكر! وآخرين.

ففي الوقت الذي كان مظلوم فرحاً بما ورد حول حل الحرس القومي، هذه المنظمة الفاشية وخلص الشعب العراقي من شروها، إلا أنَّ عبد السلام عارف المغامر والمجرم الدموي الذي كان الأشد تطرفاً حتى من الحرس القومي في محاربة الشيوعيين والديمقراطيين لا يدعو للكثير من التفاؤل، ولا يختلف عنه بقية رهطه من الفاشيين والقومانيين المتطرفين، كما ورود أسماء بعضاً من البعثيين كواجهة للسلطة أمثال أحمد حسن البكر وغيره إنما هو دلالة على تشطي البعث وانقلابهم على نظامهم نتيجة تنافسهم الدموي على المناصب والمكاسب، حيث بدا لـ(مظلوم) ان الجناح اليمني للبعث ومن ضمنه البكر مشارك فاعل وانه قدم السلطة إلى عبد السلام عارف بدلا من هيمنة الجناح اليساري للبعث بقيادة علي صالح السعدي ورفاقه.

واصل متابعته للراديو باعتباره النافذة الوحيدة بالوقت الحاضر لمتابعة الأخبار نظرا لقرار منع التجول في العاصمة، يبدو من بيانات الحكومة وهدوء الأوضاع في العاصمة بأنَّ الانقلاب قد نجح وتمت له السيطرة التامة على الأوضاع وأمسك عارف بيده على السلطة.

في اليوم التالي توضحت الأمور أكثر فاکثر، توارى الحرس القومي من الشوارع والساحات وأصبح البعض مطارداً، وادّرع البعض في السجون، وهكذا دارت على الظالمين الدوائر، فقرّر (مظلوم) أن يزور رفيقه (أبو يوسف) في اقرب فرصة ممكنة ليكون على بينة من رأي الحزب فيما حدث، أسّطلع الاوضاع أولاً في الكاظمية، حيثُ ظهر واضحاً اختفاء سلطة البعث والحرس القومي، وأنّ الناس تشعر بحالة من الارتياح لأنزياح كابوس (الحرس القومي) رغم حالة الحذر الترقب المهيمنة على الشارع بشكل عام، بعد مرور عدة أيام من الانقلاب، ركب (مظلوم) دراجته قاصداً كوخ (أبويوسف) وقت تواجده، فكان لهما لقاءً طويلاً لتدارس الأوضاع وقد أطلعه على منشور صادر من قيادة الحزب في الداخل مؤرخاً به ١٩٦٣- تشرين الثاني ١٩٦٣ أي بعد يوم واحد من الانقلاب ورد مانصه: (لقد أندفع بعض القادة العسكريين ممن ساهموا في الانقلاب الرجعي الفاشي للقيام بحركة انقلابية في يوم ١١\١٨ وأسرعوا في تنفيذها بعد أن شعروا بكابوس فقدان كراسيهم، يجب على جميع القوى المخلصة وعلى أبطال الكفاح المسلح في كردستان الثائرة، وعلى كل من يريد بحق ضمان الاستقرار والطمأنينة والأمن للشعب أن يدركوا بأن المعركة لم تنته، وعلى أثر الأحداث الأخيرة فإنّها تجابه مخاطر جدية أبرزها الجهود المستميتة في أجهزة

المد الثوري، وبذر روح حسن الظن، وتخدير اليقظة التي لم تجلب سوى فسح المجال لتحقيق ما تصبو اليه القوى الرجعية الديكتاتورية الاستعمارية).

كان للبيان اثر طيب في نفس (مظلوم) حيث إنه ورفيقه قد توصل إلى نفس الحكم على الأنقلابيين الجدد وقادتهم، أغلبهم كان مساهما مع الفاشية في ارتكاب المجازر ضد ابناء العراق، وعلراسهم راس الانقلاب ومدبره عبد السلام عارف والبكر وطاهر يحيى واتباعهما، فالانقلاب لم يكن اكثر من حالة التنافس على المناصب والمكاسب في عصابة واحدة لا يمكن ان تقود العراق وشعبه إلى بر الامان والحرية والاستقلال.

كيف ترى الاوضاع رفيق (ابو يوسف)؟

اني أرى ماتره قيادة الحزب عبر بيانها الذي اطلعت على مضمونه، وأرى أننا يجب أن نسعى بجهد مضاعف ووعي لما مضى لتقوية تنظيمنا ولم شمل الرفاق، والتخلص من حالة الضبابية والأبتعاد عن التحليل المرتكز على واقع الصراع الطبقي الدائر على الساحة العراقية، اننا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في التجربة الماضية.

نفث (مظلوم) دوامة من دخان سيكارتته، أثنى على ما قاله (أبو يوسف) وطلب منه أن يبلغ الرفاق أن يطلب الآن انهاء حالة الاتصال الفردي والعزم على مزاولة عمله التنظيمي

وحسب ما يروونه الرفاق مناسباً، وقد أبلغه أنَّه الآن في بغداد وفي مكان آمن وربما سيعمل على جلب عائلته من الريف إلى محل سكنه وعمله الحالي، أرتباطاً بتطورات الأوضاع ومتطلباتها. ولا بد من الضغط على السلطة الانقلابية الجديدة من أجل إطلاق سراح رفاقنا وأصدقائنا وبأسرع وقت ممكن وأيقاف حملات الاعتقالات التعسفية وانصاف ضحايا الفاشية البعثية وذراعيها الاسود (الحرس اللاقومي) وستكون هذه الخطوات هي المعيار الأكبر لمدى تخلي السلطة عن النهج الفاشي المعادي للشعب وللحريات الديمقراطية لأحرار العراق.

أستحسن أبو يوسف آراء رفيقه وشاركه تصوراتهِ، ووعدَهُ بأنَّه سينقلها بأمانة إلى الرفاق، متمنياً أن ينضم اليهم بأسرع وقت ممكن لمواصلة طريق الكفاح.

أهداه واحدة من السمك البني الذي ما زال حياً (يلبظ) لكونه أعذر لضيق وقته وما ينتظره من عمل عن تناول الغداء معه، واعداً أن يحقق له أمنيته في وقت لاحق، كما أنَّ (أبو يوسف) أوضح له أنَّ نهر دجلة في غاية الكرم في هباته السمكية خلال هذه الفترة، فأهدى رفيقه شبكة صيد (سلية) فائضة لديه، و(مظلوم) يجيد استخدامها، ليتسلى بها كما إنَّه يمكن أن يسد حاجته من أسماك دجلة الشهية من خلال ممارسة

الصيد في أوقات فراغه، خصوصا وهو يسكن قريبا من  
ضفاف النهر.

مستذكراً طيبة وشجاعة وكرم رفاقه، الحي وَمَنْ أَسْتَشْهَدُ مِنْهُمْ  
دفاعاً عن مبادئهم، فأطلق مظلوم صوته بيت من الابودية  
لصديقه الشاعر (عبد الحسين ابو شبع).

(عيني أُنشأوف اعله الهدف وتراب، اوما ترهبنى الاخطارو  
تراب

يره جبرك الشامت حجر وتراب، ويره التاريخ جبرك مزهرية)  
لاحت له دموع عيون رفيقه الذي غطاه الحزن والالام لذكرى  
من رحلوا من رفاق الطريق، فاراد ان ينفس عن همه  
ويخفف من وطئة الذكرى والالام فاردفه بيت ثان من  
الابودية: (انتشينه ابسمج كعدتنه وهلها،  
وبعد ما أعرف الدمعه وهلها

بالكاسات تتبادل وهلها، أوجوه أملاح وانعكست عليه).  
عانق رفيقه على أمل اللقاء القريب متوجها للكاظمية  
وبساتينها، محملا بأمل جديد، عند وصوله، ركن دراجته  
جنب الشارع بالقرب منا احد المقاهي في محلة (البوحيه)  
وقد راقه نظافتها وسماحة وأريحية من يديرها، جلس بجانب  
شيخا تبد عليه الوسامة والرزانة، يطالع في جريدة اليوم، والى  
جانبه إحدى روايات (نجيب محفوظ) وقد كان انفه المدبب

القصير ينوء تحت اطار نظارة ذات عدسات سميكة، تبدو من خلالها حدقات عينيه الزرقاوين.  
أصبح (مظلوم) بالخير ببشاشة تطفح بالحب والالفة.  
صبحكم الله بالخير استاد.  
بيدولي أنك تعمل فلاحاً أو صياداً أبو،  
عفوا قال (ابو كفاح) استاد، نعم أنا فلاح (حدقجي).  
أمر خدمه استاد؟

الحقيقة لا ادري أنا اعتمد كثيرا على حدسي وفراستي في التعامل مع الآخرين في تعاملي اليومي، وأرى إنك من الناس الطيبين الجادين في عملهم، أنا يا أبا كفاح لم أعد قادراً على العناية بحديقة منزلي التي احبها كثيرا، تفرحني وتبدد الوحشة والكابة عني وأنا ارقب زهورها وشجيراتنا وطيورها، لذلك فانا بحاجة ماسة إلى من يرعاها، أتمنى أن تساعدني في ذلك.

ما ادري شگول أستاذ واضح أنك تستحق كل مساعدة، أفتخر واعتز كثيرا بتواضعكم كي يطلب مثلكم المساعدة من هو فلاح بسيط مثلي، ولكني في الحقيقة لدي عمل كثير للعناية في احد البساتين هنا في الكاظمية، مما يجعل من الصعوبة أن أقوم بعمل آخر.

(ابو كفاح) أنا لا أريد ان اغريك بأجرة مقابل عملك، لأنني حدستك بأنك لست ممن يضعون المال في المقام الأول،

ولكنني أقول لك طالبا مساعدتك، لجمال ذائقتك، وأهل للثقة في دخول داري، وأنا لا ألزمك بوقت فلك حرية اختيار أوقات الزيارة وترتيب الحديقة، كما أنك أعتبر زيارتك زيارة لي كأخ وصديق وسأكون محل ثقتك ومودتك وأعتبر الدار دارك.

والله أستاذ يصعب علي أن أرفض لكم مثل هذا الطلب واساحاول أن أقوم بالواجب، أرجو أن تدلني على داركم الميمونه لأزورك في أقرب وقت.

كنت واثقاً بأنك سوف لن ترد طلبي، أشكر هذه المصادفة الجميلة للقائي بكم، والآن هيا بنا للدار، فانت اليوم ضيفي العزيز، أكيد ستبتسم لك الأشجار، وسترقص لحضوركم الزهور، فهي تمتلك حاسة معرفة من يرعاها ويديم لها نمائها ونظارتها.

أصطحب (مظلوم) دراجته، وسار بجانب الاستاذ (فريد) الذي رفض ان يكنى باسم ولده، فلا بد للانسان ان يبقى معتزاً بذاته بعيداً عن رابطة الدم والدين والقراية والقومية، فانت ذاتك رغم كل الروابط والعلاقات كما برر ذلك لـ(ابي كفاح)، لم يطل بهم المسير حين دلفا شارعاً واسعاً فسيحاً بالقرب من ضفة النهر، حيث تتراصف مجموعة من الدور الأنيقة والقصور الجميلة المعرشة اسيجتها بالزهور والنباتات المتسلقة الملونة، حتى توقفا عند مدخل أحدها، دلفا الباب

الخارجي وسارا عبر ممر محاط بشجيرات زهور ورد الجوري والرازي الملونة، اخرج (فريد) من جيبه مفتاحا، فتح بواسطته باب صالة واسعة مزدان سقفها بزخرفة دالة على رفعة الذوق من خلال هندستها وتناسق الوانها، كان جدار الصالة مزينا ببعض مناظر للبحر والسفن الشراعية، ولوحات من احوار العراق وطبيعتها الساحرة، كذلك شاهد وجود صور للعديد من الفلاسفة والمفكرين والمشاهير من اهل الثقافة والأدب، فكان هناك سبينوزا، وسارتر، وهيغل وماركس، وغوته، بوشكين وأيلوار وطاغور والمعري، الخ، كما إنه لاحظ ارتباط الصالة بغرفة مجاورة تزدان بأدراج مرصوفة بأعداد كبيرة من الكتب، فأيقن بانه في حضرة انسان غير عادي.

بعد استراحة قصيرة، طلب منه اساذ فريد التفضل إلى غرفة الطعام لتناول طعامهما معا، وقد وجد على منضدة الطعام، صحنًا من التمن ومرق (البامياء) وقطعة من لحم الدجاج مع أرغفة من الخبز، وأقداحاً من العصائر، وقد أكتفى الاستاذ برغيف خبز وحبّات من التمر وحبّتين من البطاطا المسلوقة وكأساً من عصير البرتقال، حيث علم بأنّه من النباتيين في غذائهم اليومي، ومن خلال الأحاديث على مائدة الطعام علم بأنّ (فريد) أستاذ فلسفة متقاعد، يعيش في الدار هو وزوجته

بينما ولده يدرس الطب في المملكة المتحدة، وأبنته مهندسة تسكن مع زوجها في الكراة.

بعد عودتهما إلى الصالة أطلت عليهما سيدة بادية الهيئة والوقار، لم يزدها الشيب إلا أناقة وجمالاً ومهابةً، مرحبة بـ(أبو كفاح) وهي تحمل (صينية) بلورية وقدر من الشاي الأحمر والآخر من الشاي الأخضر كان حصة الأستاذ فهو لا يشرب الشاي الأحمر تناولا قدحيهما، وقد كبت (مظلوم) رغبته في أشعال سيكارة كعادته بعد تناول الشاي - فقد لاحظ ان الأستاذ لا يدخن، كما لاحظ عدم وجود (منفضة) للسكائر في الصالة فقرر ان يستعجل الانصراف، على ان يزورهم في اقرب فرصة ممكنة، رافقه الأستاذ الباب الخارجي، وقد اخرج (مظلوم) السمكة (البنية) من صندوق دراجته طالبا من الأستاذ قبولها هدية منه فهي بنية طازجة كان من المقرر أن تكون غذائه اليوم، ولكنه أكتفى بكرم سفرتهم الشهية، لم يشأ الأستاذ ان يرد مظلوم، رغم أنه لا يأكل اللحوم لا الحمراء ولا البيضاء، الا ان الأستاذة زوجته تحب السمك فهي من مدينة (العمارة) بالاصل، تناول السمكة شاكرًا له كرمه السومري، مودعا أياه على أمل اللقاء القريب.

أقتاد دراجته ملوحًا للأستاذ بالتحية، أستغرق في تفكير عميق حول شخصية الأستاذ والصدفة الغريبة التي جمعت به، وعبر ربط العديد من الملاحظات وتلميحات أحاديث الأستاذ

إستتج (مظلوم) بأنه يبدو مكشوفاً تماماً أمام نظرات  
وحدوس وتوقعات أستاذ (فريد) لاحظ قيام بعض أصحاب  
المحلات يحاولون محو العديد من الشعارات القومية من  
مخلفات الحرس القومي من على الشوارع والمحلات،  
اختفت العديد من السيترات والمفارز التفتيشية من  
الساحات ومفارق الطرق.

أبتاع علبة سكاثر، وعددا من أرغفة الخبز الحار و(٥) بيضات  
المختومة بالختم الأحمر، حيث أخذ البيض الأحمر كما الرز  
الأمريكي، والطحين تزداد في الاسواق العراقية بعد أن كان  
العاق مصدرا هاما لهذه المواد الغذائية النباتية والحيوانية،  
وقد كانت هذه الظاهرة مقلقة جدا ل (مظلوم) ورفاقه لكونها  
علامة تدهور الأقتصاد العراقي الزراعي والصناعي، وضع  
مشترياته في سلة الدراجة ثم أعتلاها متوجها إلى البستان عبر  
الطريق المحاذي لضفة النهر، الذي انعكست على مويجاته  
المتهداية قطع ونتف من الغيوم السائرة حيث تحملها رياح  
تشرين. كان يراقب العديد من الطائرات الورقية الملونة تحلق  
في سماء المدينة التي تمتد خيوطها إلى أيدي طفولية فرحة  
نظراتها تعانق السماء وهي تراقب طائراتها الورقية.

مظلوم يود لو إنه يستطيع أن يمارس هذه اللعبة الطفولية  
الجميلة، فلم يعرف هو وجيله من اطفال القرى العراقية مثل  
هذه اللعب المدنية، كانت لعبهم (كطيف عصيه) و(امهات)

و(چعاب) و(صگلله) و(أم حچیل) و(غمیضه) بالاضافة  
للسباحة وركوب الخيل والحمير طبعاً، ذهب بعيداً في  
ذكرياته وتصويراته حتى كاد أن ينزلق في النهر لولا انتباهته  
في آخر لحظة.

قبيل الغروب وصل البستان، ركن دراجته في باب الكوخ،  
ولج كوخه، حفظ أرغفة الخبز في الحافظة الصغيرة، ارتدى  
ملابس العمل، القى نظرة خاطفة على كتبه كانه يتفقدّها أو  
يقدم لها الاعتذار لانه لم يقلبها اليوم، في الأثناء بدأت  
تطرب سمعه أوركسترا أصوات العصافير والطيور وهي  
تسارع للأختباء بين أغصان الأشجار لبدء ليلة سبات جديدة  
بعد أن أختفت آخر خيوط الشمس الغاربة.

أنزل (الفانوس) من على دكته الطينية، قام بتنظيف زجاجته  
مما علق بها من الدخان الأسود وتخليصها من السخام  
بواسطة قطعة من القماش، أعاد ملء خزانة بالنفط الأبيض،  
مشذباً فتيلته القطنية وتخليصها من تشققاتها التي تشتت  
الضوء وتعرقل التحكم به عند أشعالها، فلا بد أن يعوض اليوم  
عما فاتته من المطالعة، كما إنّه بحاجة للتفكير وأتخاذ قرارات  
هامّة خلال هذه الأيام، كما أنّ شخصية أستاذ (فريد) شغلته  
كثيراً فليس من السهل فهم كنه هذا الرجل، الذي يبدو كمن  
كشف عن عينيه الستر والمستور، كما أنّ عليه أن يحضر

للأجتماع الهام المقبل مع رفاقه، ومدى قدرته للتواصل مع عائلته في الريف ووو.

تناول كتاب (مالعمل) للنين، مستحضراً في مخيلته صورة هذا القائد العظيم وهو يرسم طريق حزبه ويبدد ضباب الوهم والغموض حول الكثير من الوقائع والظواهر الاجتماعية والسياسية في بلدهم، ولكن يا رفيق دجلة ليست الفولغا وبغداد ليست موسكو والناصرية ليست سانيترسبورج، وأقطاعنا ليس كولاككم، وعمائنا ليست رهبانكم.

نعم أنني مقتنع تماماً بأنك لم تعمم أحكامك وأنت تذكر دوماً بخصوصية كل بلد وتذكر دوماً بالظروف الموضوعية الواجبة لكل حركة ثورية، وكم كان يقلقك التخلف العلمي والأقتصادي لروسيا كعائق كبير يهدد بناء الاشتراكية في بلدكم، وكنت تراهن على ثورة اشتراكية في ألمانيا المتطورة كعامل هام وواجب لنجاح وانتصار الثورة في روسيا، وقد كانت روسيا لا تقارن بما نحن عليه من تخلف في البنية الاقتصادية والاجتماعية فما عسانا فاعلين؟

وكيف خضت نضالاً لا هوادة فيه ضد الانتهازية، وكشفت زيف كل أشكالها وتمظهراتها (ان مظاهر الانتهازية الأممية الحالية المتماثلة في كل مكان من حيث مضمونها الاجتماعي والسياسي تختلف حسب الخصائص القومية. ففي هذا البلد أجمع الانتهازيون منذ امد بعيد تحت راية خاصة وفي بلد

آخر ينفذون عملياً سياسة الراديكاليين الاشتراكيين لأنهم يحتقرون النظرية وفي بلد ثالث يريد بعض أعضاء الحزب الثوري المارقين إلى معسكر الانتهازية ان يصلوا إلى غاياتهم لا بالنضال العلني في سبيل مبادئ وبكتيك جديد بل بافساد حزبهم أفساداً تدريجياً غير ملحوظ وغير مستهدف لعقوبة، وفي مكان آخر يستعمل هؤلاء المارقون الأساليب نفسها في ظلمات الاستعباد السياسي حيث تكون العلاقة بين النشاط المشروع والنشاط غير المشروع الخ، لها طابع خاص تماماً) لينين ما العمل.

أخرج سيكارة من علبة سكائره ولعها من فتيلة الفانوس وقد توقف كثيراً عند هذا المقطع من كتاب لينين وهو يفكك الانتهازية وتمظهراتها، رابطاً ذلك بما جرى ويجري الآن داخل الحزب وقيادته والدور المدمر الذي لعبته النزعة الانتهازية في تخريب الحزب وتعريضه لأكبر الخسائر، لا بل إلى خسائر لا تعوض بالنسبة للحزب والشعب والوطن، واليوم تدور جدالات حادة حد التجريح والتشهير بين اتجاهات مختلفة في قيادة الحزب والقواعد الحزبية.

هل فينا (لينين) أو فلنسأل الواقع الموضوعي والاجتماعي لبلدنا هل يمكن ان يستولد رحمه امثال (لينين)؟  
هل يعقل ان تختفي كل تلك الكتل البشرية الحمراء من الشارع العراقي بمثل هذه البساطة والسرعة؟

هل من الممكن ان تصمت كل تلك الاصوات الهادرة باسم  
الاشتراكية والشيوعية وهي ترى ما يرتكب من ابادة همجية  
وتعذيب لانظير له لرموز الشيوعية وانصارها في العراق؟  
لا يدري من اين خرج هذا الكم من الاسئلة التي ماكانت  
تخطر له على بال، انها تتوالد وتتكاثر وتشظى بشكل لاسابق  
له، يبدو ان الواقع المؤلم حمل معه الكثير من التساؤلات  
التي يتوجب على المناضل الاجابة عليها، انها اعادة نظر  
وتقييم جديد لاسئلة واشكالات طرحتها الواقع الراهن وقد  
وضع بذلك النظرية على محك التطبيق الفعلي، وهذا ما اكد  
عجز القيادة للحزب في الاجابة عليه وفهمه فهما علميا  
ديالكتيكا بعيدا عن الفهم التقليدي والجامد للنصوص، وعدم  
الخنوع الاعمى لارادة الرفاق السوفيت وسواهم في الحركة  
الشيوعية العالمية.

لم يفق من تأملاته وحواره مع المعلم الأول، وأستحضار  
الواقع الا هياج معدته الخاوية الا من دخان السكائر وتوالي  
كؤوس الشاي الذي لم يفارق رأس (الجولة) بقربه، مما جعله  
يتذكر أرغفة خبزه فاحضرها مع كمية من حبات التمر  
(الديري) ليسد رمقه ويتفادى نداء معدته التي أبت أن تشاركه  
همومه وأسئلته.

ما ان اكمل عشائه حتى دب في جسده الخدر مستجيبا  
لنسمات تشرين الباردة فأسلم رمشيه للنوم ولم يصح حتى

أكثرى بحرارة أشعة شمس الضحى، وهو أمر لم يعتده مسبقا، مما جعله ينهض مرتبكا وعلى عجل ألقم فمه بعض حبات من التمر وما تبقى من أرغفة خبز اللية الماضية، ملهبا نار (الجولة) للأسراع ببلوغ ماء (القوري) درجة الغليان لتخدير الشاي.

أحتزم وحمل منجله و(مسحاته) للقيام بأعمال أعداد التربة للموسم الشتوي، ورعاية بعض الأشجار وتشذيبها، فقد كان موزعا بين ملاعبة المنجل والمسحاة بعضلاته ومداورة الافكار في دماغه، وما أقرب وقت الظهيرة، حتى اغتسل من عرق العمل وأستبدل ملابسه، اقفل باب الكوخ، وتوجه إلى حيث موعد الاجتماع برفاقه في الجانب الثاني من النهر، ليكون معهم صحبة رفيقه (ابو يوسف) حيث سيكون اجتماعهم الاول حول مائدة للغداء (سمك مسكوف) في منطقة نائية على شاطئ دجلة، وقد تحقق له ذلك حيث التقى نخبة من الرفاق كان سبق أن التقى وعمل مع بعضهم بينما يلتقي مع آخرين لأول مرة، وقد قرر ان يكون في هذا الاجتماع مستمعا أكثر منه متحدثا.

ومن خلال ما دار في الاجتماع، كان الراي السائد هو الاستمرار برفع شعار أسقاط السلطة، وعدم التعويل كثيرا على التغييرات الشكلية في الوجوه الحاكمة بعد حل الحرس القومي، وقد ظهرت آراء اولية حول كيفية أسقاط النظام

القائم، بين الانقلاب العسكري، أو الثورة الشعبية المسلحة انطلاقاً من الارياف، الخ، عموماً التوجه العام توجهها ثورياً ولكن الوسائل والأساليب والطرق والامكانيات الفعلية لا زالت تكتنفها الضبابية والغموض، أغلبها متأثراً بردة الفعل نتيجة القمع الدموي الفاشي للسلطة، التأكيد على لم شمل الرفاق وتقوية التنظيم وإعادة الصلة بالكثير من العناصر المقطوعة عن التنظيم، ومطالبة السلطات لاطلاق سراح السجناء، وأدانة ما تقوم به من تنفيذ احكام فاشية البعث ضد الشيوعيين انصارهما مطاردهم وأقصائهم وأستبعادهم من الدوائر الحكومية، أنفض الاجتماع باتفاق الكل على العمل بعزم وجد وثبات لاعادة البناء وعدم الانجرار وراء العواطف وأبتكارواجتراح الأساليب الافضل والأنجح في تطور العمل الحزبي والجماهيري.

عاد (مظلوم) إلى البستان، مستأنفا عمله كفلاح نشيط لا بد وأن يفى بالتزاماته لصاحب الأرض الذي أئتمنه على بستانه، محاولاً تحقيق أفضل النتائج من حيث وفرة المنتج ونوعيته وطريقة تسويقه، وقد حاز على قبول ورضا الملاك ومباركته لعمله وجهده، كما كان يمارس عملية الصيد بواسطة (السلية) من على ضفة النهر، فيحصل على قوته وما يزيد من السمك الشهي، مما يقلل نفقاته، ويقوم باهداء الفائض إلى مجاوريه من الفلاحين العاملين في البساتين المجاورة الذين عقد

معهم صداقات وعلاقات حميمة، غالبا ما تكلل بالسهرات الغنائية وتناول وجبات سمكية شهية، بالإضافة إلى كونه كان المبادر دوما في مشاركتهم افراحهم واتراحهم بكل ما يستطيع.

كان يتحين الفرصة المناسبة للذهاب إلى مدينة النجف لزيارة عائلته بعد فراق مؤلم، وقد تحقق له ذلك في مطلع عام ١٩٦٤، فبعد ان تزوجت ابنته أحد أقاربها وبرضاها، لم يتبق من عائلته سوى زوجته (ام كفاح) التي أخذ يفكر بشكل جدي لتنضم اليه في بغداد.

خلال تواصله مع رفاقه، بدأت تظهر المزيد من الدعوات من قبل أعضاء في اللجنة المركزية بالثقيف لحل تنظيمات الحزب والأندماج مع الاتحاد الاشتراكي العربي، مما أثار اعتراضا قويا من قبل قيادات وقواعد الحزب، هذا المد والجزر في مواقف قيادة الحزب شغلت بال (مظلوم) كثيرا، وهي دلالة على عدم وجود خط سياسي واضح داخل قيادة الحزب، بين حالة من التطرف والمطالبة بأسقاط السلطة، يتلوها بعد أشهر معدودة أنقلاب الشعار إلى أقصى اليمين مطالبا بحل الحزب في حزب السلطة، مما يهدد بانشقاق خطير في قيادة الحزب ولم تلتئم جروحه بعد.

كمن يستفيق فجأة، يصاب (مظلوم) بالدهشة وكأنه يرى شعر رأسه لأول مرة من خلال مرآة الحلاق، فقد هيمن الشيب

على شعر رأسه، ولحيته، وشاربيه، فأخذ يستعيد مسيرة حياته، ويعد السنين، وحسب تخمينات والدته، فعمره الآن يقترب من السبعين عاما، في خضم كفاح السنين لم يشعر بالسنين تمر سراعاً، لا يدري ما الذي نبهه الآن إلى حساب السنين؟

اثناء زيارته لبيت الأستاذ (فريد) وترتيب حديقة المنزل، ذكر له أنه يفكر أن يجلب زوجته أم كفاح من ريف النجف إلى بغداد، ويفكر بأيجاد سكن مناسب لهما وضمن أمكانياته المتاحة.

أبتسم أستاذ (فريد) قائلاً: وأنا احضرت لك مفتاح الدار منذ أكثر من أسبوع حين ورد إلى علمي أنك عازم على جلب عائلتك إلى بغداد، أنا عندي هنا في الكاظمية مشتمل صغير كان يسكنه أحدهم، وقد أستغنى عنه قبل فترة، فقلت بأنه سيكون لـ(ابو كفاح وام كفاح).

ولكنني لم أخبرك بنيتي هذه إلا الآن فكيف عرفت ذلك؟ (مظلوم) أنا ما أن أقابل الفرد حتى تكون أمامي كل تفاصيل حياته، أن أردت أن أعرف ذلك، وأنت أردت أن أعرف من أنت، ولماذا انت هنا في بغداد، فلا تستغرب مني كل ما أقوله لك، ولا تخشى من علمي هذا، فأنا أعلم الكثير عن الناس ولكنني لا أتكلم الا بما يقولونه هم، أما من أين لي هذه القدرة على الكشف، وكيف أكتسبتها، وهل ولدت معي؟

فهذه أسئلة بحاجة إلى وقت وهي لا تهملك أصلاً، ولكن الذي يجب أن تعرفه أنها ليست معلومات سلطة أو جهاز أمن أو مخبرات، أنها قدرة ولدت معي وشرط ديمومتها حفظ اسرار وخصوصيات من اتعرفهم، وقد التزمت التزاماً صارماً بهذا الشرط.

لا أري أستاذ هل أنا في حضرة وجود شخص واقعي أم أنا أتخيل كل ما أراه وأسمعه؟

لا أنت تعيش في الواقع والدليل تفضل هذا مفتاح الدار التي سأدلكم عليها وقت تشاء.

لكن أستاذ (فريد) أنا لا طاقة لي بدفع إيجار مثل هذه الدار في مثل هذا المكان، فربما سافتش عن دار متواضعة للسكن في (الثورة) أو أي حي شعبي آخر.

ومن طلب منك دفع إيجار يا (ابو كفاح) فهذه الدار يسكنها من يحتاجها دون دفع أي مبلغ إلى حين ميسرة فيتركها لغيره ممن هو أحق منه في سكنها، فلا تشغل بالك في هذا الأمر.

لا يعرف (مظلوم) ماذا يقول وهو امام هذه المفاجآت التي لم تخطر له على بال، أراد أن يأخذ فترة من التفكير والتأمل متسائلاً مع نفسه؟

هل يحق لك أن تدعي انك مظلوم يا (مظلوم) وأنت تجد من يسهل لك أمرك أتعتقد امور حياتك حتى يحضر من يمتلك مفتاح الحل، أليست محظوظا يا مظلوم؟.

وضع يده على جبهته وهو يستعرض صورة الحاج مالك  
عربة الباقلاء، غنودة، وأستاذ منير، وجمال صاحب المطبعة،  
وحسن سريع، ومالك البستان، والآن هذا الإنسان اللغز أستاذ  
فريد . ألا يجدر أن يكون أسمك "محظوظ" وليس مظلوم،  
فما زالت حياتك تسير رغم المصاعب، وما زلت خارج  
زنازين السلطات التي ابتلعت العشرات من رفاقك، لا يدري  
هل هو "الحظ" هل هي الصدفة هل هي نتيجة حنكته  
وسلوكة المحترز المتدبر؟

وسط دوامة هذه الاسئلة يستذكر ما قالت له الغجرية العرافة  
ذات يوم وهي تقرأ له كفه مقابل كاسة من (البلبي) انه  
محبوب ومحظوظ، يحلم أن يمسك الشمس، وأن يعتلي  
القمر، وقتها ضحك كثيرا هازئاً بقول الغجرية.

أي حظ هذا وأنا؟ أجوب الشوارع ابيع الباقلاء والبلبي  
لأحصل على لقمة العيش، والمشاكل تلاحتني من كل  
حذب وصوب؟

لا أدري كيف يوازن النسان بين العلم وبين الميتافيزيقيا، هل  
هما مفترقان أم النسان لا يزال عاجزاً عن فهم حياته، وواقعه  
ومستقبله، عاجزاً عن فهم ما محته الطبيعة من قوى تبدو  
خارقة، ككنوز غير مكتشفة لا يستدل على مكانها إلا قلة من  
البشر، وربما يكون "فريد" أحدهم، عموماً ما زال امامك  
الكثير.

ألقم فمه سيكارة محرقاً حزمة تساؤلاته، ثم بدأ بمباشرة العمل في الواح الحديقة، فهي بحاجة لتشذيب أشجار الورد والزيتون، والنخلات بدت بحاجة ماسة إلى (التكريب) وأزالة السعف اليابس الزائد فهي خمس نخلات من البرحي الرائع، كما ان الحديقة بحاجة إلى كمية من السماد العضوي.

أخبر أستاذ (فريد) بمتطلبات الحديقة، ففوضه شراء وجلب كل مايحتاجه وسيعطيه المبلغ الكافي لذلك.

تركه الأستاذ يعمل متحمساً مدى حاجته للاختلاء بنفسه ليعود إلى توازنه بعد سلسلة المفاجآت التي سمعها توا، دخل الدار ثم عاد اليه بعد قليل وقد جلب له (صينية) أفطاره، صمونتين وماعون (قيمر) عرب، وقوري صغير شاي مع قرح و(شكردان) مذهب جميل.

تفضل (أبو كفاح) فطورك هذا من إعدادي أنا.

نعم أستاذ رغم اني تناولت أفطاري في البستان ولكني لا أرفض لكم طلبا، وسأكون سعيدا بمشاركتي طعام الفطور أو على الأقل نتشارك في احتساء أقداح الشاي.

جلس (فريد) قبالة، متناولا قدحا من الشاي ولكن بدون سكر، فسأله استاذ لا سامح الله هل انت مصاب بالسكر؟

كلا عزيزي (ابو كفاح) ولكن هل تعلم ان السكر اشد فتكا من الملح و كليهما يطلق عليهما العلماء اسم (السم الابيض) وانصحك بتركهما ان استطعت إلى ذلك سبيلا.

بالمناسبة (مظلوم) اطلب منك ان لاتمثل امامي بانك لاتقرأ ولا تكتب، فأنا أعرف أنك على درجة جيدة من الثقافة وقاريء نهم للكتاب وأنا مسرور بذلك.

أرتجفت يد (مظلوم) وضع قدح الشاي في (الصينية) وقأنفتحت مقلته تعجباً واستغرباً لما سمع من مفاجأة مذهلة. مظلوم ألم أقل لك لاتستغرب، وبالمناسبة فأنا أضع مكتبتي تحت تصرفك، فبإمكانك أن تستعير أي كتاب تشاء، ولا شرط لي إلا المحافظة عليه وتحديد سقف زمني لاتتجاوزه لأعادته، وأنا واثق بإنك خير من يلتزم بهذه الشروط نظراً لمحبتك للكتاب.

ربما يستغرب من يطلع على تاريخ حياتك أن تتمكن من أملاك ناصية الثقافة والوعي بمثل هذه الفترة الزمنية، من فلاح أمي، إلى مثقف واعٍ، ولكن قوة اليمان بقضية، وقوة الرغبة والدافع للمعرفة، والتفكير في فك أسرار الحياة، وطبيعة هذا العالم، يمكن أن تتجاوز المستحيل.

عذرا يبدو إنني قد استرسلت في تفسير ظاهرة أنت محورها، فأنت اعلم بذاتك، عفوا أخي " ابو كفاح".

تفضل أكمل فطورك وواصل عملك فالحديقة بحاجة كبيرة لعنايتك وحنانك، اشعر انك ارتبطت مع اشجارها ونخلاتها وزهورها بعلاقة حب وتناغم رائعة، انها ملعبك المفضل،

فدعنا نستمتع بعزف منجلكم الحاذق في مغازلة وتزيين الاشجار والشجيرات.

كما تشاء استاذ (فريد) انت امطرتني هذا اليوم بوابل من المفاجآت المذهلة، شكرا لك على وجبة الافطار، والآن (حي على خير العمل). ودعني أستمتع بنوع آخر من السموم (نيكوتين السكائر) لأي أعلم إك لا تطيقها.

يا (اباكفاح) هل تعلم: أنّ حتى النباتات لاتطبق رائحة التبغ، فهي تزودك باوكسجين نقي وأنت تبادلها بالنيكوتين السام، تفضل دخن ولكن راقب الزهور فإنّها ستتكمش على أوراقها كمن يحاول الهروب من هذا (الأنفجار النووي) المدمر لبيئتها، أنّي أراها تكاد تختنق وهي تشم رائحة دخان عوادم السيارات المارة في الشارع ولكن.

أستاذ (فريد) ها يشلون تاليته وياك لا ملح ولا شكر ولادهن كلنه ميخالف بس لا جكاير هاي صعبه، هسه شلون نشرد منك؟ لو نشرد من الورد حتى ندخن؟

عمي أمري لله راح أطلع بالشارع أدخني جگاره وأجي لا يروح ايفشخني النخل ويخرمشني ويبجي الورد ههه.

أكمل (مظلوم) عمله، وتناول وجبة الغداء مع استاذ (فريد) دار بينهما حديثا طويلا، حول أمور مختلفة تناولت الثقافة والسياسة وما يجري على الساحة العراقية، استأذنه على ان يعود ليخبره بوقت مجيء ام كفاح وليدله على الدار، شاكرا

له كل ما قدمه له، وقد اعطاه الاستاذ مبلغا من المال كاجرة عمل وتكاليف شراء وجلب ماتحتاجه الحديقة وقت يشاء.  
قرر (مظلوم) ان يخبر الحاج صاحب البستان بنيته في ارسال خبر لزوجته لتلتحق به في بغداد، وبذلك سيكون سكنه خارج البستان ليكون على بينة.

رحب به الحاج معلنا عدم اعتراضه على نيته، وانه مستعد لمساعدته بكل ما يحتاجه للم شمل عائلته، واعطاه مبلغا من المال متمنيا له السلامة والراحة.

أرسل (مظلوم) خبرا إلى أم كفاح لتجهز نفسها لكي تأتي إلى الكاظمية لتلقاه في مكان متفق عليه مع من سيرافقها إلى بغداد وان لاتخبر احدا من أشقائها بنيته وأنها ذاهبة في زيارة عادية كعادتها إلى الكاظمية لزيارة الأمام الكاظم، فمازالت الأوضاع لا تشير إلى الأطمئنان. فما زالت السلطة تلاحق الحزب ومناضليه.

واصل عمله في البستان على افضل وجه وقد حقق نجاحا واضحا في وفرة المنتج ونوعيته، كما اصبح معروفا لأغلب فلاحي البساتين على شاطيء دجلة ومحبوبا من قبل الصيادين حيث يمارس الصيد أحيانا من قبل الهواية وليس الاحتراف.

وهو جالس أمام مرآة الحلاق، هاله الشيب الذي غزا شعر رأسه بشكل رهيب متسائلا مع نفسه عن سبب هذا الشيب:

ما يجري الآن من حالة التشتت والفوضى داخل قيادة  
الحزب؟

أو هو هول المعاناة وطول مشوار النضال والعمل المضني،  
وألَم الفراق والوحدة؟

شعر بقليل من الأنتعاش والحيوية بعد أن أكمل الحلاق  
حلاقة شعر رأسه وذقنه، وعطره بماء الكولونيا المنعشة،  
مستذكر أيام الشباب، شد حزامه جيداً، مما تطلب المزيد من  
عبور ثقب جديدة، حيث بدأ جسمه يذبل سنة بعد أخرى،  
وقرر حضور حفلة مصغرة بمناسبة عيد رأس السنة ١٩٦٦  
مع استاذ (فريد) الذي أصر على مشاركته أحتفاليتهما الثانية  
فقط، حيث أعد لها الأستاذ عدتها، ولكنه قرر أن يأخذ له  
جولة صيد في دجلة، فلا بد من شبوط أو بنية في وجبة عشاء  
هذه الليلة، ركب دراجته التي بدت ليست كما كانت رشيقة  
مناسبة العجلات، بل تطلبت منه المزيد من الجهد لتندفع  
للأمام.

مالك أيتها الدراجة هل اخذت تشعيرين بشيخوختي وتناقص  
قوتي، وبدلاً من مساعدتي تزیدن همي وتعرقلين حركتي؟  
عفه والله انا ابوك ياكفاح.

أخرج علبة سكاثره من جيبه وهو يوجه الدراجة باليد  
الأخرى، سحب سيكارة بأسنانه، اعاد العلبة إلى جيبه ثم  
ولعها بـ(زناده) النفطى، زاده الشوق لام كفاح حسرة والمأ

فأخذ يدندن مع نفسه بأبوذية حزينة يناغي الحبيبة، ويستذكر الاحباب والرفاق، عزيزنه (سعوده) وعزيزه (كفاح) تمكن من أخباره في الفترة الأخيرة، وقد اشرف على اكمال دراسته والحصول على شهادة (الكانديدات) الدكتوراه في الأدب من جامعة (باتريس لوممبا) وأنَّ له حضورا مميزا في عالم الثقافة والادب بين زملائه ورفاقه العرب والسوفيت.

بعد أن وصل البستان، طبطب على دراجته طالبا منها أن لاتزعل بسبب عتبه عليها، وكأنه فهم قبولها أعتذاره، ولكنها عتبت عليه، فهو لم يستبدل الأطارات القديمة، ولم يزيث (الماكنة) منذ زمن، مما أصاب (الزنجيل) والماكنة الصدا، فسبب لها كل ذلك صعوبة الحركة، تبسم، ركنها جانبا، وتناول (سليته) واطل على ضفة النهر، ناشرا اياها لتحط غاطسة على سطحة الماء وكأنها تنورة فتاة في ذروة رقصتها، بعد عدد من الرميات حصل على مبتغاه، في أصطياد بنيتان متوسطتي الحجم تسدان الغرض.

أخرج من حقييته المعدنية، سروالا، وقميصا، جاكيتيه الصوفي، بالاضافة إلى معطفه الذي اهداه اياه يوما رفيقه الشهيد (منير) وقد جلبه معه من الاتحاد السوفياتي خلال سفرته إلى هناك - قبيل أحداث شباط الأسود خلال لقائهما وفطنته إلى ما يعانيه من برودة كانون الثاني وشباط في ذلك العام المشؤوم

شم رائحته مستذكرا طيبة وذكاء وتفاني رفيقه الراحل، لم يتمكن من احتباس دمعة شقت طريقها عبر غضون وجنتيه. تدارك حزنه لف الملابس داخل ملف خاص، ووضعها في سلة الدراجة، ووضع السمكتين في كيس آخر، ووضعها في السلة أيضا، احكم قفل باب الكوخ اخرج دراجته واغلق خلفه باب سياج الستان من الخارج، وتوجه صوب الكاظمية، وبالخصوص نحو احد الحمامات العمومية للاغتسال، قصد بالفعل حماماً في شارع باب المراد، فقد سبق له وان اغتسل في حمام (الجوادين) حين يريد الاغتسال ولايمتلك المزاج ولا الوقت لتدفئة الماء على (الجولة) أو الحطب في البستان، رغم انه اعد حيزاً صغيراً من سعف النخيل ليكون بمثابة حمام يغتسل داخله حيث يشاء.

أنبذ له مكاناً في باحة الحمام المتكاثف البخار، وسط موسيقى خرير صنابير الماء وتداخل اصوات المستحمين، واستعراض اجسادهم في الصالة الواسعة على شكل قبة تتساقط من سقفها قطرات الماء المتكاثف من بخار ماء الصنابير للمستحمين.

أخذ أحدهم يغني أبودية بصوت شجي، أثارت شجون (مظلوم) فأخذاً يتباريان ويتناوبان في الغناء خلال طرطشات الماء الساخن، وسط أعجاب واطراب ومشاركة كل المستحمين، مما جذب حتى أصحاب الغرف الخاصة إلى

دخول القاعة ومشاركتهم تغريداتهم الشجية، كان كأس الأعجاب المعلا من نصيب (مظلوم) الذي أبهر الجميع بجمال مفرداته وعذوبة ورقة صوته، فأخذ ينقلهم بين النشيج والبكاء بأبوزياته تارة، ويرقصهم فرحا عبر (بستته) الجماعية الجميلة تارة أخرى، متسائلين كيف لا يسمعون مثل هذا الصوت الذي قد يفوق حضيري وداخل حسن من خلال أذاعة بغداد ولا توجد له تسجيلات في محلات التسجيل.

تدافع العديد من المستحمين لدفع أجرة إستحمامه وثمان (الدارسين) الذي أحسّاه فيما قاسمه الآخرين ما جلبوه معهم من حمضبات إعتادوا تناولها في داخل الحمام لتفادي البرد أو الاصابة بالانفلونزا، بصعوبة بالغة تمكن من الأفلات من دعوات بعضهم لمشاركته ليلته للأحتفال بمناسبة أعياد رأس السنة الميلادية، كور الملابس التي كان يرتديها قبل الأستحمام ولفها بملف الملابس النظيفة، أكمل لباسه وأرتدى معطفه المهيّب، فظهر بكل وسامته وهيئته وكأنه استاذا جامعا، وليس بستانيا بسيطا.

ودع الجميع شاكرًا لهم حبههم ومودتهم وكرمهم، تفقد السمكتين في سلة الدراجة فوجدهما على حالهما، وضع ملف ملابسه فوقها، وقاد دراجته مشيا، حتى نفذ إلى الشوارع الفرعية فأعتلى دراجته متوجها صوب دار الأستاذ (فريد) وقد أصطبغت الغيوم الداكنة بحمرة الشمس الغاربة.

ألقى بعقب السكارة بعيدا بعد أن أمتص منه نفسا عميقا، نافثا أمامه دوامة من الدخان كادت تحجب رؤياه عن مشاهدة جرس باب دار استاذ (فريد) فتح باب سياج الحديقة النص موارب، ادخل دراجته، وجد لها متكأ على الحائط، فاطل استاذ (فريد) من باب مدخل غرفة الضيوف هاشا باشا مرحبا. أهلا ومرحبا أستاذ (مظلوم) أهلا بهذه الطلة الأنيقة ولا أساتذة الجامعات، فرح بقدمكم العام الجديد، أيها المناضل من أجل عالم أجمل.

شكرا لكم أستاذ (فريد) أراك اليوم تجاملني بما لاعهدة لي به من قبلكم.

تفضل الآن تفضل ودعك من الاعتراضات، فأنا لا أجامل ابداً، فأنت بالفعل أستاذ الفعل والقول وهذا هو معنى الأستاذية بنظري.

شكراً لأستقبالكم وتواضعكم الرائع، ولكن دعني اجلب السمك من (سلة) الدراجة خشية أن تسرقها قطعة عابرة، لأضعه في المطبخ لحين وقت العشاء، واستأذن من الاستاذ ان يقوم بتنظيفها وتهيئتها للشهي حيث سيقوم (بسقفها) بنفسه على الحطب في الحديقة. وبعد ان اكمل عمله.

اخذ مجلسه في الصلاة كانت أمامه منضدة، وضعت فوقها كؤوس من الكريستال الجميل، وقنيتان من النبيذ الأحمر

المعتق، ومكسرات مختلفة، وفواكه مختلفة، وأوراق من الخس.

نعم، هيا يا صديقي تفضل، بعد أن أدار أستاذ (فريد) كأسين من النبيذ متبادلا نخب المحبة والصدقة مع (مظلوم).

أبو كفاح انت في دارك فلا تتحرج، فاني أرى ان محياك يحمل هما ثقيلًا، وقلقا ينغص عليك حياتك، هذه هي الحياة يارفيقي عبارة عن صراع دائم لايتوقف الا بعد الموت، كما نرى، ويستمر بعد الموت كما يرى المتدينون.

ماذا عساني أن أقول لكم أستاذ (فريد) وأنت تعلم تماما ما أنا فيه وما يمر به شعبنا العراقي عموما.

أن ما يقلق حملة المباديء هو حالة التشوش واللاوضوح، فهي أثقل عليه من أقسى أنواع التعذيب، وأت تشهد حالة من الارتباك وفوضى القرار بالنسبة للحزب، والتأرجح الغير مفهوم بين اليمين المهادن واليسار الثائر، مشكلتنا الكبرى يا صديقي اننا نقلد ولا نفكر، نعكر ولا ننور، نبشر ولا نفسر.

هل يمكننا أن نفتخر فعلا بأننا حزب الشهداء؟

وهل سلكنا هذا الطريق لنحصل على درجة الشهادة، هل نحن نؤمن بمكافأة الشهادة؟

وهل سنحصل عليها في جنة الأرض التي نحلم بها أو في جنة السماء التي لانؤمن بها؟

أم أرتضينا هذا المخدر الديني الميتافيزقي لتهدئة الخواطر  
ولتوفير القناعة للمناضلين للتضحية بالنفس مقابل وسام  
الشهادة المزيف؟

عذرا ربما تكون مثل هذه الاسئلة المثارة من قبلي صادمة،  
ولكن عذري في ذلك انك صديقي، وانك فلاح فكر اكثر  
منك فلاح ارض، يسرني صدقك وتفانيك من اجل اهداف  
سامية ونييلة ولكن.

رتب الاستاذ نظارته، محتسبا ما في كأسه، مشجعا (ابو كفاح)  
لمواصلة الشراب، وله ان يدخن سيكارتة متى يشاء، فهناك  
مفرغة هواء موضوعة فوق راسه بالضبط، ستكون كفيلة بطرد  
الدخان خارج الغرفة.

احسنت استاذ (فريد) فقد كانت هذه معضلتي، فلايمكنني  
اشرب دون ادخن ابدا، فالسيكارة هي (مزتي) سارع إلى  
وضع علبة سكائه امامه، ولع الاولى بلهفة كبيرة، ثم افرغ  
في جوفه كأس النبيذ وهو يقول: استاذ (فريد) آني ما يفك  
دماغي غير (الزحلاوي) وهذا النبيذ يصلح ايصير مزه ههه.

ضحك (فريد) وقال (ابوكفاح) النبيذ يفتح الشرايين، وينشط  
خلايا المخ، ويشجع على الحديث، دون ان يجرها للشطط  
والخمول، بمعنى انه ييسر ولا يسكر.

شكرا لكم صديقي انا أتمنى أن أسمع وانصت إلى ماتقوله وماتراه في مثل هذه الفرصة الرائعة التي أتحتها لي للقاء بك، فكيف ترى الأوضاع أنت الآن؟

محتتنا يا صديقي أننا نقرأ العلم ولا نتعلم أن لم نقل لا نتمثله، أن دماء الشباب وحماسهم وأنتصارهم لقيم الحرية والعدالة كما هي في محل ولادتها، أدى إلى أن تكون أرادت الذات هي الفاعلة في بناء وتشكيل منظمات ثورية ومنها الحزب الشيوعي العراقي دون وجود أساس موضوعي ودون وجود أرضية يمكن أن يقف عليها هذا الحزب.

فلو أننا نظرنا إلى المجتمع العراقي في ضوء النظرية الماركسية، هل سنتمكن افراز طبقة برجوازية وطنية منتجة، وبالتالي هل نستطيع أن نفرز وجود برولتاريا صناعية منظمة، وهل نجد طبقة وسطى فاعلة، ففي بلد تهيمن عليه الصفة الزراعية تحت أمرة الاقطاع، وتشكل الأمية آفة تلد الجهل والتخلف، والعلاقات العشائرية تحكم الفلاح والأفندي على حد السواء، شيخ العشيرة وامام الجامع حكمه يفوق حكم قانون الدولة وتشريعاتها.

في مثل هكذا بنية اقتصادية اجتماعية أين تجد الحامل الفكري للفكر الماركسي الشيوعي وأين هي الطبقة العاملة بذاتها ولذاتها، كم عدد عمالنا وكم هو عدد معاملنا، ونحن

نستورد من العالم الخارجي حتى علبة الكبريت ناهيك عن السيارة والطيارة والقطار.

أنت بالتأكيد مطلع على الثورات الجماهيرية في القرون الوسطى قبل أن تتبلور الطبقة البرجوازية في العالم، كثورة العبيد بقيادة سبارتوكوس وثورة بابك الخرمي، وثورة القرامطة، وثورة الزنج، وأنتفاضات وثورات العلويين ضد الأمويين والعباسيين، الخ.

كل هذه الثورات وقادتها لم تكن تمتلك فلسفتها الخاصة كذات طبقية مستقلة، وإنما كانت تلبس جلباب القوة النقيضة، وفكر نقيضها الطبقي من الأقطاعيين والنبلاء، والفكر الديني بالنسبة لثورات العالم الإسلامي، وهذا هو أحد أسباب فشلها وعدم تجذرها، بمعنى عدم وجود حامل فكري وعدم وجود موضوع لولادة فكر ثوري يخلص هذه الطبقات من بؤسها، بسبب عدم نضوج الرحم المولد لهذا الفكر ونقصه به الطبقة البرجوازية المتجة ونقيضها الطبقي الطبقة العاملة وبينهما الطبقة المتوسطة.

عفوًا عموماً هذا حديث يطول "أبو كفاح" ولكن لا بد منه لأيضاح سبب العجز الموضوعي لعدم نضج فكر وسياسة أحزابنا السياسية في بلدان التخلف.

كان (لينين) صادقا مع نفسه ومع رفاقه اذ ربط نجاح الثورة الاشتراكية الروسية بنجاح ثورة مماثلة في المانيا المتطورة

صناعيا وتمتلك البنية التحتية القادرة على تمكين الحزب من انجاز مهامه الاشتراكية في العمل المنتج والتوزيع، اعتمادا على طبقة عاملة مقتدرة من حيث النوع والعدد على أسناد التحولات الثورية ان لم نقل قيادتها كما هو المفترض في كل ثورة اشتراكية، وانت ترى حجم معاناة الاتحاد السوفياتي في هذا المجال وما قام به ستالين ما هو الا نزعة أراذوية لتوفير البنية الاقتصادية التحتية القادرة على أدامة التحولات الاشتراكية، ولا ندرى كيف سيكون مستقبل الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي هذا اذا كانت هناك اشتراكية فعلا؟

لذلك لم يكن (لينين) محقا بوصف (كاوتسكي) بالمرتد، وبذلك فقد ركب مركب الدين رغم نقده له، الأرتداد من صلب الفكر الديني والمرتد حكمه القتل في أغلب الأديان. فكاوتسكي يرى إنَّ روسيا ليست مهيأة لثورة اشتراكية، بل لثورة برجوازية ديمقراطية تمهد الأرض للتحول الاشتراكي، ولو كان ذلك لما كان (ستالين) ولما كانت فضائعه المشهورة بحق حتى أقرب رفاقه، رغم انه ولاشك يعمل مخلصا من أجل اهداف سامية ونبيلة ألا وهي أقامة النظام الاشتراكي والشيوعي ويرى أنَّ كل فعل مهما كان قاسيا ولا أنسانيّا ممكن أن يسهل ويمهد للوصول إلى الهدف بمعنى (الغاية تبرر الوسيلة)

أستاذ (فريد) في كل ما تقدمت به إلى أين تريد أن تصل بالضبط؟

أقول أولاً حتى لا تذهب بعيداً في الحكم عليّ، اني مقتنع كامل القناعة بالماركسية كمنهج حياة وكطريق تفكير وتغيير، وما أقوله ازعم بأنه هو القراءة العلمية والعملية للماركسية، فلا يمكن أن يكون هناك حزباً شيوعياً في بلد ما زال يحترق أرضه بفدان تجره الثيران، ولا يمكن أن يكون هناك حزباً شيوعياً يعاني أكثر من ثلثي سكانه من الأمية الأبجدية ناهيك عن الأمية الثقافية، بمعنى أنّ الشيوعية لا يمكن أن تكون حزباً جماهيرياً في هذه البلدان.

والأين ذهب مليون عراقي يحملون الأعلام الحمراء في ١٩٥٩، صبيحة الثامن شباط الأسود؟

وكيف تتصور وجود أحزاب في بلد سياسي يغتصب، ويسحق رأسه (بالمكنه) ويكوى جسده بالكهرباء واعقاب السكائر، وينشر جسد بالمنشار الكهربائي، وتسمّل عيونه، ويذاب جسده بالتيزاب ووووو حتى يعلن ولائه لسلطة حزب حاكم، وليخون رفاقه واصدقائه، بمعنى ان كل (حزب) قاتل ومقصي للحزب الآخر وبقوة السلاح والبطش والتعذيب.

إنكم تقدمون القرايين تلو القرايين من أروع وأثقف وأنبل أبناء وبنات العراق من أجل ان تستجيب (الآلهة) التي لا تؤمنون بها لأمانيكم في دولة الاشتراكية والسلام، كما يقدم

البوذيون وشعب الازتيك القرايين البشرية من اجل ارضاء  
الشیطان والهة الخصب وتمنح شعبكم الخير والعدل  
والسلام، وكانكم تشربون دماء شهدائكم لتمنحكم القوة، كما  
يشربون دماء قرايين عذراواتهم لتكسبهم القوة والعزم  
والمقاومة!

وها هي قرايينكم لاتنقطع تتوافد وتذبح على مذبح الحرية  
منذ فهد وحازم وصارم والجواهري والذباس وسلام عادل  
وحسن سريع والقائمة تطول بالمئات والآلاف ولا زالت،  
فهل هذا معقول؟

هل هذه أحزاب سياسية تبني دولا أم قبائل جاهلية يغزو  
ويفتك بعضها بعضا؟

كم عامل في قيادة حزبكم "أو حتى في قيادة أغلب الأحزاب  
الشيوعية العالمية ومنها البلدان (الأشتركية)؟

فلا زال التمثيل بالنيابة، ولا زالت البرجوازية تقود وتفرض  
قيوميتها بسبب قصور الموضوع؟

أدار مظلوم النبيذ في الكأسين، وأستل سيكارا الجمهوري  
وهو يستمع بعمق إلى ما يقوله استاذ (فريد) الذي يبدو  
كشلال دافق من الحقائق والاسئلة المذهلة؟

أرجو أن لا أكون قد ذهبت بعيدا في تحليلاتي وأسئلتي  
وأستنتاجاتي، ولكني أدعوك أن لاتستغرب ابداً وأنت ترى  
هذه الفوضى الفكرية، والمد والجزر، والتحويلات السريعة

والمفاجئة بين تطرف يساري وذيلية يمينية في قيادة الحزب ومواقفه السياسية، فهذا انعكاس طبيعي لطبيعة هذه القيادة وخلل بنيوي في البنية التنظيمية للحزب وأعدام المعادل الموضوعي لوجود حزب شيوعي في مجتمع متخلف وستستمر هذه الحالة ترافق الحزب لأنه جزء من مجتمع يتحول تدريجيا إلى كتلة بشرية بدلا من طبقات اجتماعية منتجة مميزة تمتلك كل منها بنيتها المستقلة والمرتبطة جدليا بالطبقات الاجتماعية الأخرى!

استاذ (فريد) هل أنت تحضر اجتماعات قيادة الحزب؟  
طبعاً لا وأنا لست ملتزماً تنظيمياً ولا علاقة لي بتنظيماتكم  
ومنذ عقود من الزمن ولكني أرى كل هذا بعين وفكر وبصيرة  
ماركس وانجلس وليس بعين وبصيرة غيرهم.  
أشرب نخبك أستاذ، وسأقوم لتحضير الحطب من أجل  
سقف السمك فهو عشائي، أتمنى ان تشاركني وتتخلى عن  
نباتيتك هذه الليلة، فقد قاربت الساعة العاشرة، السيدة على  
وشك القدوم، ولا بد لي أن أخلي لكم الجلسة لتحفلوا أنت  
وزوجتك الفاضلة بعيد رأس السنة.

تفضل أنت أكمل عملك، أما أنا فسأتعشى مع حبيبتي  
فستجلب معها عشاء الليلة من بيت إبتها في الكرادة.  
أشعل (مظلوم) النار في كوم الحطب في ممر الحديقة  
الأسمتي بعيداً عن شجيرات الورد، وضع سمكته بعد ملحها

بمواجهة النار، وقد وقف (فريد) يراقبه، وهو يمسك بكأس شرابه، مشيداً ببراعة (مظلوم) في شي السمك المسقوف على الطريقة البغدادية (النؤاسية) المعروفة.

قفز قط من الشارع مستقراً على سياج الحديقة، وكأنه يتمتع نفسه بذائقة الشواء، وهو يراقبهما بحذر، عسى أن يغفلا، وأن لم يغفلا فلا بد من أنتظار فضلاتهم، أختصم مع (عتوي) آخر - فأبعده نحو الزاوية الثانية.

أستاذ (فريد) هناك بعض النباتيين يستثنون الأسماك من قائمة اللحوم التي لا يتناولونها فما رأيك؟

نعم مرة يمتنع الإنسان عن أكل كائن حي ولاشك أن الأسماك ستكون من ضمن محظوراته، والبعض يحظر على نفسه أكل اللحوم الحمراء فقط وأغلب هؤلاء من المصابين بارتفاع نسبة الأملاح في دمائهم يعني يمتنعون لأسباب مرضية أو حسب نصيحة الطبيب، والبعض الآخر تمنعه ديانته عن أكل أنواع محددة من اللحوم، فقد حرم الإسلام على المسلمين أكل لحم الخنزير.

ولكنه حرم الخمرة أيضاً وها نحن نحتسيها. هههه.

ربما نحن لا نمتنع بدافع ديني ولكن للبيئة اثراً كبيراً على أغلبنا، فمن الصعوبة مثلاً أن نتقبل لحم الخنزير، لأننا امتنعنا أو منعنا من تناوله منذ الطفولة.

شعر (فريد) انه قد أثقل على (مظلوم) بتحليلاته وتوقعاته وآرائه التي قد تكون صادمة لصديقه، رغم أنه تلمس لديه حيزاً غير يسيراً من التساؤل وربما قد طرح على نفسه الكثير من هذه الأسئلة وإن لم تكن بمثل هذه الدقة والعمق، ولكن ما العمل وهو غالباً ما يبكيهم بمرارة، فهم كالمصابيح المنيرة تقوم بتحطيمها خفافيش الظلام دون رحمة.

نقل السمكته المشوية إلى غرفة الطعام، التي هيأها له (فريد) مع أرغفة الخبز، والبصل، والطرشي، والطماطة، بالإضافة إلى (دبس الرمان) مما يدل على أنه ملم بمتطلبات ومقدمات السمك المسكوف على الرغم من أنه لا يأكله، ولكن رفيقته وشريكة حياته تحبه كثيراً.

أكمل (مظلوم) عشائه، مؤجلاً شرب الشاي بعد أن يكمل سهرته في كوخه وكؤوس (الزحلاوي) كما اعتاد ذلك.

ذكر الأستاذ بأنه سيأتي اليه صباح يوم الأحد الثاني من كانون الثاني ١٩٦٦ لكي يدلّه على الدار، فام كفاح ستكون في بغداد في نهاية الأسبوع يوم الخميس ليلة الجمعة لزيارة ضريح الإمام الكاظم والمكوث هنا، ودعه والى لقاء قريب، وقد طلب منه (فريد) ان يكون هو وأم كفاح ضيوفه في مساء يوم الجمعة.

ركب دراجته، وتوجه صوب البستان مباشرة، وقد زال قليلاً الخدر أثر تعرضه للسعة الهواء البارد وقليلاً من رذاذ المطر

المنعش، رغم فوران الأسئلة، وأجوبتها تفور في رأسه، بعد هذه الجلسة مع هذا الرجل الغريب عالم الغيب وكاشف السر، ولو أنه يؤمن بأصحاب الكرامات لقال بأنه واحد منهم، ولكنه يقول أنه يرى بعين وبصيرة ماركس، أحقاً لهذا الحد يمكن أن يكون فكر ماركس كاشفا للسر شارحا للصدر مزيلا الحجب فإذا كان هذا صحيحا فما أجهلنا وأجهل قادتنا بفكر ومنهج ماركس؟

ألا ترى أنك تماديت كثيرا رفيق (مظلوم)؟  
بماذا تماديت؟

كشفت نفسك وكشفت أسرار الحزب لأسان لا تعرف من هو، ولم تتعد معرفتك له بضعة أسابيع، فكيف تسمح لنفسك بذلك؟

ولكن من أنت حتى تحاسبني وتخاطبني بهذه الطريقة؟  
- انا لصيقك، انا رقيبك الذي اخترتني بأرادتك، هل تتنكر لي الآن وبعد كل هذه الخروقات اللامقبولة ابداً؟

ما هذا أين أنا، أحس بأصطدام الدراجة بباب البستان، عاد لرشده، فتح الباب وولج هو ودراجته إلى الداخل محكما أغلاق الباب من خلفه، وضع الدراجة جانبا والتي اثقلت أطاراتها بالطين أثر بلل الشارع الترابي بنيث المطر، فتح باب الكوخ، أشعل فتيل (الفانوس) خلع معطفه، استل (بطل) الزحلاوي من تحت السرير، وباشر شرابه، ممتزا بدخان

سكائره وبعضاً من حبات الفستق المملحة التي جلبها من بيت استاذ (فريد) وقعت عينه على صورة (ماركس) على غلاف كتاب كان يقرأه قبل ذهابه لأستاذ (فريد) فتماهى معه بأعتباره أنيسه وشريكه جلسته لهذه الليلة.

وانت ما ذا تقول رفيق (ماركس)؟

- أبتسم وكأنه ساخراً من سؤاله، وماذا أقول أكثر وأوضح مما قلت، ولكن للأسف أرى أنّ أغلبكم لا يفقه ما أقول، يردد مقولاتي دون أن يعي ولا يتفكر معانيها، لا يسعني الآن بالنسبة لحالتكم الا أنّ أعيد مقالتي قبل عشرات من السنين. (أنا لست ماركسيا).

عبث الرياح باوراق الكتاب، فأختفت صورة ماركس من أمام (مظلوم) غادره دون استئذان، وقديداً غير راضيا، انّ لم نقل مستاء!

أفرغ كأسه مرة واحدة في جوفه، مملحا فمه بحبات من الفستق، ممتصا نفسا عميقا من سيكارتة (الجمهوري) ثم نفث دخانها دوامة كشلال يجرف معه أكداس الاسئلة الهائجة في رأس (مظلوم).

أفرغ المزيد من الزحلاوي في جوفه، حتى طرح (البطل) جوفاً فارغاً، فدب الخدر في جسده واصبح رأسه ثقيلًا، خفض ضوء الفانوس إلى أدناه، أوصل باب الكوخ جيداً، خلع حذائه، ثم القى برأسه على الوسادة متدثراً ببطانيته (فتاح

باشا) متقيا لساعات البرد، مستمعا لصوت قطرات المطر وهي  
تدغدغ سقف الكوخ، ثم غط في نوم عميق.  
"الله الله كم انا مشتاق لاحتضانك حبيبتى (حيوته) ما أجملك  
ما أعذب وأطيب رائحتك، لازلت بريعان شبابك ايتها الحبيبة  
وكأن السنين تمر عليك كما يمر النسيم الندي على وردة في  
بستان، جذبها اليه فتح ضفائرها، شمم شعرها الحرير - الذي  
جلله، تلمس نهديها الضامرين، دس انفه بينهما، لحس بلسانه  
الحلمتين الورديتين، مستمتعا بموسيقى ضحكاتها وتمنعها  
المغري الجميل، تلمس مكوراتها الدافئة، ممررا انامله على  
بطنها الملساء، محتضنا خصرها الضامر، احاطته بذراعيها  
ضمته اليها بقوة، عبث بشعر صدره، داعبت حواف مسلته  
المنتصبة، خفقت كل رايات مجساته، تصاعد جريان انهار كل  
قنواته كانها الشلال الدافق، لثم شفيتها، امتص رحيق لسانها  
العذب، تباعدت مسلاتها، لامس حرارة فوهة بركان الرغبة،  
اقتحم دقل سفينته مضيق بحارها الهائجة، اشتبكت السيقان،  
والاكف، والالسن، "ولو مر سيف بيننا"، "احس بضرب  
طبول السماء، وهاجت زوابع الرعود، شق البريق كبد السماء،  
انفجرت شلالات الرغبة، ثم هدات سفينة الابحار، تهدلت  
حافات الشراع، وانحنى الدقل، مبللا بماء الغطس الجميل"  
مد يديه، تلمس الفراش، فجلس مذعورا اين هي اين ذهبت  
(حيوته)؟

اقتحمت الشمس شقوق باب الكوخ، معلنة صباحا مشرقا جديدا، جلس على عجل وقد كان راسه ثقيلا وما زال يشعر بالدوار، فما زالت خلايا دماغه مشبعة بالزحلاوي، وضع قدرا من الماء فوق (الجولة) فهو بحاجة إلى غسل راسه للتخلص من الدوا.

خلع ملابسه، واستبدل لباسه الداخلي الذي وجدته مشعبا برائحة افرازت حلم ليلته العاصفة، اختلى في حمامه الصغير، غسل شعره بالماء الدافئ وصابون الرقي، لبس ملابس العمل، تناول افطاره بقايا أرغفة خبز وشيئا من التمر، شرب كاسا من الشاي الساخن، ولع اولى سكائر الصباح، ثم توجه إلى داخل البستان لاتمام عمله في سقي، وترتيب الواح الزرع، وقص وجبة جديدة من (السبيناغ) والجزر، وقلع رؤوس الخس، لتسليمها لصاحب العلوة الذي سيستلمها منه ظهر اليوم، كما ان عليه اقتطاف البرتقال والنارنج ونومي الحامض والرمان الناضج وارساله للعلوة ايضا وقد كان قطافا وفيرا.

قبيل الظهر، أخرج شبكة صيده (السلية) قاصدا النهر فلا بد من أحضار وجبة غداء تليق بجهد هذا اليوم، وقد كان صيدا موفقا فقد حوت شبكته ثلاث سمكات وعدد من (الزوري) في أقل من ساعة من الصيد، أهدى سمكتين لجارتهم التي كانت واقفة على التنور الطيني لأعداد خبز الغداء ارغفة من

الحنطة الشهية الحارة، كعادتها كلما وقفت على التنور، بعد ان قامت بشي احدى السمكات، ووضعتها في طبق (الخصوص) مع أربعة أرغفة من الخبز الحار، أخذه منها شاكرا لها صنيعها، وقد انتصب في رأسه سؤال غريب يبدو انه جاء في غير محله وقد يكون منسجما مع حالة الفوضى العامة كان السؤال هو من صنع التنور لأول مرة، هل هو الرجل أو المرأة، وهل التناير تتشابه في كل العالم؟

رجح عقله ان المرأة هي أول من صنع التنور من الطين وهي أول من أستعملته في أنضاج الخبز، ولو كان الرجل هو الصانع لما كانت المرأة ومنذ القدم هي التي تجي الخبز إجاداة تامة لا يضاهيها فيها الرجل وخصوصا في الريف، أنحني لك أيتها المرأة التي تهدينا الرغيف الشهى والجسد البهي؟!

وبالتالي فبالأكيد يعود اليها صناعة المكنسة وصناعة قدور الطبخ، وأسرة وأفرشة الدار، ومهاد الأطفال ووسائل أرضاعهم، بالتأكيد هي صاحبة اختراع (السدانة) لحفظ الحبوب، و(المرتبة) و(المجرشة) و(الرحه) لطحن وتقسير الحبوب وحياسة الحصران من سعف النخيل، الخ لان المرأة، تولت إدارة البيت وتهيئة مستلزمات الغذاء، مما أعطى المرأة الحيز الكافي في التفكير والأبتكار من أجل ان تكون حياتها وأسرتها أيسر وأجمل فيستذكر مظلوم براعة أمه وجدته

وعماته وخالاته في صناعة التنور والمرتبة والسدانة والمجرشة و(الجاون) وحياسة الحصران والسجاد وغزل الصوف، كما (الفأس) و(الرماح) و(شباك الصيد) و(السهام) و(المجرفة) (المگوار) و(الفاله) من اختراع وأبتكار الرجل كأدوات للزراعة وأسلحة للصيد والدفاع عن العائلة وعن القبيلة، ضد الغزاة من القبائل الأخرى ومن الضواري المفترسة.

أنتحى في كوخه واخذ يلتهم غذائه بشهية كبيرة، وقد كان (قوري) الشاي يكركر مرسلا بخاره المشبع برائحة الشاي المهيل الزكية، قبيل المغرب قام بتحميل الفواكه والخضر في سيارة صاحب العلوة، لتضاف إلى الكميات السابقة، على أن يقوم بدفع اثمانها للحاج مالك البستان.

ودعه بعد أن قبل منه على مضض مبلغا من المال اكرامية من صاحب العلوة جزاء حسن ترتيبه وتوضييه للفواكه والخضر ومساعدته في تحميلها داخل سيارته (البك اب).

وبعد أن أنهى عمله في البستان، وقد أشرفت الشمس على الغروب، وأخذت العصافير وبقية الطيور تعزف اوركسترا العودة لأعشاشها، لتستعد لفجر يوم جديد، بدت الغيوم كقطع ضخمة حمراء غير منتظمة الأشكال، تحملها الريح، تسير الهوينا كأنها قطيع دينصورات طائرة، غسل وجهه ويديه، دخل كوخه، أعاد تنظيف زجاجة الفانوس مما علق

بها من سخام، أشعل الفتيلة، جلس خلف منضدته الصغيرة جالسا على كرسي الجريد لف جسده بالمعطف الصوفي، ولف رأسه بكوفيته، أستل إحدى روايات مكسيم غوركي (وراء الرغبة) أدبيه المفضل، حيث يقول مظلوم: أعود إلى غوركي كلما شعرت بالضعف والوهن، أنه يبعث في النفوس الهمة والعزيمة ويأجج الثورة بشكل كبير، حينما أقرأ غوركي أشعر اني أعود إلى أيام الفتوة والشباب والحماس الثوري، ابحر بعيدا مع (غوركي) وشخصياته الجذابة من صميم الواقع الانساني وكفاحه من اجل الحرية والرفاه والأنعتاق من العبودية والاستبداد، حتى انه اهمل تناول وجبة العشاء وأقتصرها على بعض حبات من التمر، وكوب من الشاي، وسيكارة لاتنظفيء، أشرف الليل على الانتهاء، دون أن ينتهي (مظلوم) من قراءة الوريقات الأخيرة للرواية، وقد داهمه النعاس وقد لفه النوم وهو على كرسيه، حتى داهمته شمس الفجر الجديد، وتغريدات صباح الأفتاح للعصافير مهتئة بعضها البعض بيومها الجديد.

اليوم يوم الأحد موعده للقاء أستاذ فائق ليدله على البيت الذي يسكنه مع أم (كفاح) عند قدومها يوم الخميس، أغتسل وأرتدى ملابسه وقرر ان يتناول فطوره اليوم في المدينة وعليه أن يعوض وجبة العشاء، فكباب الكاظمية يروق له كثيرا لذيد وغير مكلف، وله طقوس جميلة تشعرك بأصالتك، حيث

يكون الكباب مدثرا بالسماق، وقربك كاسة من الطرشي اللذيذ، وكأس من شربت (السكنجبل) وخصوصا في مطعم (الأيرواني) والبصل الأخضر فاتح الشهية، ناهيك عن بقية الخضروات من الكرفس والرشاد والكراث والفجل، ان مفردة واحدة مما ذكرت تكفي لتغذية الأسان فكيف بها اذا أجمعت، كم هي معطاءة أرضك ونهرك وبرك وبحرك كشعبك ياعراق!

أكمل فطوره، وأردفه بقدحين من الشاي (السنگين) ولا حاجة للأشارة للسيكارة فهي مستوطنة فمه طوال اليوم ومادام مستيقظا.

ركب دراجته وتوجه إلى دار أستاذ (فريد) الذي وجده حاضرا مستعدا لمرافقته للدار، رحب به كثيرا، ساله ان كان مفطرا أو لا، فأخبره بأفطاره كان يتمنى ان يكون معه لولا انه لا يأكل الكباب، في طريقه إلى الدار، اخبره (مظلوم) بأنه بكر بالحضور لكي يقوم بشراء مايلزم من أثاث للدار قبل قدوم أم (كفاح).

عيوني (ابا كفاح) الدار لاتحتاج إلى أي أثاث فهي مجهزة بكل ماتحتاجونه، من أخشاب، وفرش نوم، ومطبخ وأدوات طبخ، فلا أظنها بحاجة الا لحضور العروس (أم كفاح).

لا أدري ماذا أقول وكيف أشكرك أخي وصديقي وأستاذي العزيز، ولكن مثل هذا الفعل ليس غريباً على أمثالك من الطيبين.

طبعاً لم تصفني بالرفيق، هل ترون أنّ الرفقة لا تعني غير الانضمام إلى تنظيم واحد، أنّي أرى الرفقة رفقة سلوك ومنهج حياة وتفكير ليس كذلك، هذا أولاً

ثانياً أنا لم أقم بأي شيء جديد فالدار مؤثرة منذ زمن حتى حين كان سلفك ساكناً فيها، وقد تخلى طوعياً عما أضافه من أثاث كانت موجودة وقد كان صاحب ذوق رفيع من حيث النظافة والأعتناء بالدار.

كيف لا يكون كذلك وهو من أصدقائك، أما عدم توصيفك بالرفيق فأني لم أرد أنّ أقحم عليك توصيفات تنظيمية على الأعم الأغلب تعارف عليها متتسبو الأحزاب السياسية وخصوصاً الشيوعيين، عموماً ها نحن قد وصلنا الدار، هذه هي الدار يا صديقي، تفضل أفتح الباب فالمفتاح معك.

دخل (مظلوم) الدار صحبة أستاذ (فريد) فكانت مرتبة نظيفة بغرفة استقبال مؤثثة بأرائك وكراسي جميلة منسقة الألوان، ومطبخ صغير جميل، يضم طباًخاً نفطياً و(كاونترا) جميلاً، وأدوات وأواني طبخ مختلفة الأحجام والأشكال.

غرفة نوم رائعة بسرير مزدوج، وحافظة ملابس واسعة، ومرآة كبيرة خلف منضدة جميلة، وشماعة ملابس.

حمام نظيف رائع ملحق به سخان نفطي مزود بالماء الحار والبارد.

دار جميلة غاية ما يتمناه، وارى ان ام كفاح ستكون سعيدة ومسرورة عند رؤيته، الف الف شكر لك صديقي ورفيقي العزيز فقد جسدت الكثير من المبادئ النظرية إلى واقع ملموس.

الآن أنا أنصرف متمنيا لكما حياة سعيدة، هذه دارك وأنت حر فيها، وسأكون بانتظارك مساء يوم الجمعة بعد وصول أم (كفاح) بسلام.

ترك الدراجة داخل الدار، وقرر أن يقوم بجولة في سوق الكاظمية فهو لم يطلع بعد على أغلب الحوانيت وأسواق التبضع في المدينة، كالقصابين، وباعة الخضار، والبزازين، وعيادات الأطباء واقرب المراكز الصحية والمستشفيات من محل سكنه الجديد.

(مظلوم) يدخل الحضرة الكاظمية، يتأمل هذا الصرح المهيب، يقف خاشعا ليقول كعاداته في زيارة أضرحة الأئمة والرموز الدينية والأنسانية: السلام عليكم يامن كافحتم من أجل الحق والعدل وصيانة كرامة الأنسان، السلام عليكم يا من قاوتم الباطل واهله، وقارعتم المستبد وحشده.

وما ان توجه للخروج من المزار حتى كان وجهها لوجه أمام الرفيقة (مليحة) فكانت المفاجأة كبيرة للطرفين، بعد أن مرت

لحظة الدهشة، سلم كل منهما على رفيقه بحرارة بالغة حد أنهما ردم الدموع، أصطحب (مليحة) إلى مكان في أحد (لواوين) الصحن ليستعلم منها حول مصيرها ومصير الرفيق (مشتاق) بعد كل الأشهر الدامية نتيجة للأنقلاب الفاشي، وما تلاه من أحداث.

تحدثت قائلة وهي تكفكف دموعها وتحاول كبث المها وحبس دموعها:

أنا خرجت قبل فترة من مخبأي بعد معانات كبيرة، أما مشتاق فقد كان ضمن الشهداء المدافعين عن وزارة الدفاع يوم الأنقلاب الفاشي في ٨ شباط ١٩٦٣.

تبادل الطرفان المعلومات حول مختلف الأحداث ومجرياتها على الساحة السياسية العراقية، وقد تبين لـ(مظلوم) ان (مليحة) على اتصال بالحزب وهي منحازة تماما للخط المناهض للخط اليميني لبعض قيادة الحزب وخصوصا ما يسمى بجماعة آب، وكل المؤشرات تؤشر إلى حتمية حدوث أنشقاق داخل الحزب وقد أتضح لديها أنحياز (مظلوم) لهذا الخيار ايضاً، عرض عليها أن يتناولان الغداء معا في أحد مطاعم الكاظمية أن كان لديها متسعا من الوقت، فوافقت على طلبه، فهي سعيدة جداً بلقائه بعد كل ما جرى ويجري، وقد كان لهم حديث طويل ومتشعب حول الأوضاع

وتوقعات مستقبلية، بعد ذلك أفترقا وقد أاتفقا على آلية اللقاءات مستقبلاً.

تبرق في ذهنه في الكثير من الأحيان العودة إلى عمله في الطباعة لولا ما أخذ يحس به من ضعف البصر مما يجعل مهمته أكثر صعوبة، ثم أنه أستطاب عمله في البستان حيث الخضرة والنهر والطيور وحرية الحركة والاستقلالية في العمل والتأمل، وقد سبق له أن أستشار صديقه (فريد) في الأمر، فكان رآه مع بقائه في عمله في البستان، أو يقوم بمساعدته في فتح مكتبة حينما يحصل على مكان مناسب لها.

عاد مساءً للدار، وقد قرر المبيت فيها ليلة الاثنين، مستصحباً معه منشف، وعدد من قوالب الصابون، وألبسة داخلية جديدة، فقد اغراه حمام الدار الصغير والنظيف وماء السخان الساخن إلى تجربة السباحة، وبالفعل أشعل فتيل السخان النفطي، وأخذ يدور مؤشر راديو صغير كان موضوعاً على رف خشبي في غرفة الاستقبال، لتزجية الوقت بلاستماع إلى الأخبار وبعض الأغاني حتى يكون الحمام جاهزاً، كانت أغلب الأخبار تدل على حالة من الرضا حول النظام القائم في العراق وما تناقلته بعض الصحف ووكالات الأنباء حول وجود حالة من التقارب أو على الأقل نقول القبول بين أغلب

الأحزاب السياسية العراقية من بعضها البعض وخصوصاً الشيوعيين جماعة خط (آب) والسلطة.

قضى ليلة هائلة منتشية بأحلام الحب والأمل بعد أن ستمتع بحمام معطر في دار جميلة حرم منها لفترة غير قليلة، أستيقظ فجر اليوم على صوت ديك الجيران من على شرفتهم المطلة على الدار، يتسائل الكثير من الناس عما يقوله الديك عند الصباح؟

هل فعلاً هو يبشر بيوم جديد، أو هو ينذر بأنصرام يوم مضى، لا أدري لماذا نحاول نحن بني الإنسان أن نتطفل على حياة الحيوانات؟

غسل وجهه بالماء الساخن، متأملاً ما ينجزه الإنسان من أجهزة ووسائل راحة لبني جنسه في مختلف مجالات الحياة، ولكن من هؤلاء الأشرار الذين يستخدمون هذا التقدم العلمي والتقني لقتل الإنسان وتعذيبه، حالة من التناقض الكبير، هناك من يجعل الحياة وهناك من يشوهها، ستظل ياماركس تمتلك مفاتيح هذه التناقضات وكشف غوامضها وأسبابها وكيفية حلها ولكن.

يؤلمني أن أرى أحياناً هناك من يفرط في استخدام الماء بفتح الصنبور ويدعه يتدفق دون أن يستخدمه، جريان الماء حالة تتطلب التفكير، هذا السائل المدهش العجيب حامل سر

الحياة وضامن نموها وأستمراريتها، لاحظت أن ليس هناك ما هو أقدر من الماء على غسل الدم وأزالة أثره.

وقد قرر أن يكون أفطاره لهذا الصباح (هريسة) لسد الحنين إلى مدينة النجف وذكرياتهما، حيث توجد هناك أفضل مطاعم (الهريسة) و(الآش) وهي أكالات تتضمن خليطا للكثير من أنواع الحبوب والبقوليات، واللحوم والدهون والسكر، بالإضافة إلى طعمها اللذيذ.

أطفأ مصاييح الدار، واطفأ فتيل السخان، أخرج دراجته وتوجه صوب السوق حيث المطاعم الشعبية لتناول أفطاره المفضل لهذا اليوم، تناول ماعونا ساخناً من الهريس المشكر والمضاف اليه مسحوق (الدارسين) بالإضافة إلى صمونتين حاريتين، يأكل بشهية كبيرة وهو يراقب تصاعد الأبخرة من (الأنجانة) الكبيرة للهريسة، وأنشغال جمعاً من الكسبة والعمال في تناول أفطارهم المفضل بسبب غناه بالمواد المغذية ورخص ثمنه، وملائمة مع أجواء البرد القارس.

كان صوت موسيقى حركة ملاعق الشاي تذكره برقصات غجرية، طلب (استكان) شاي للمرة الثانية من أجل أن يطيل فترة جلوسه في المطعم والأستمتاع بما يرى أمامه من حركة، وهو يتأمل الوجوه السمرء وأصرارها على أستمرار الحياة بشرف وبقوة الذراع، وهي تصارع صعوبات العيش اليومية رغم أن بعضهم ربما لا يحصل على عمل لهذا اليوم ويعود

خائبا منتظرا فجر صبح آخر قد وجود عليه بلقمة عيشه وعائلته، كان ينتظر بصبر رؤية مداخن المعامل والمصانع الإنتاجية الجديدة التي خططت لها ثورة الرابع عشر من تموز، ولكن للأسف تم وأد هذه المداخن كما وأدت الثورة وهي لازالت تحبو في طريق التقدم والرفاه وتوفير فرص العيش المنتج الشريف للآلاف من الأيدي العاملة في العراق، قطع أحدهم عليه سلسلة تأملاته وصورها المحلقة في عالم الخيال والذكريات.

صباح الخير عزيزي الغالي.

من صديقي وزميلي العزيز (شدهان)؟

أحتضنه بقوة وكادت أن تنهمر دموعهما لولا الخجل.

ماذا يا (سعيد) ماذا تفعل هنا وكيف تركت المطبعة وأنت

العامل الأمهر من بين الجميع؟

أية مطبعة وأية طباعة لقد أغلقت المطبعة منذ اليوم الموي

وقد أعدم اسطه (جمال) بعد القاء القبض عليه في اليوم

الخامس من الانقلاب الفاشي، مما جعلنا نتشت ونبحث عن

فرص عمل اخرى للعيش وهنا أنا مستعد للذهاب ل (مسطر)

العمال، للعمل في مجال البناء، وما زلت أجهل مصير العديد

من الزملاء.

بصعوبة بالغة أقنعه (مظلوم) بدفع حساب أفطاره، بعد أن تناولا الشاي احتفاءً ببلقائهما، وقد أتفقا على موعد للقاء، بعد أن ينتهي من عمله عصراً،

بدأ (مظلوم) يشعر بأنه أخذ يعود إلى الحياة من جديد، على الرغم من أنه لا يعلم ما يخبىء له المستقبل من مفاجآت قد لا تكون على بال.

أعتلى دراجته متوجها صوب محل الحاج صاحب البستان، الذي أستقبله بسرور كبير، مكررا رضاه الكبير عن مردود منتجات البستان لهذا الموسم، وقد اعطى ل (مظلوم) حصته من الوارد، بالإضافة إلى اكرامية معتبرة، واعدأ اياه بالمزيد، فهو لم يكن يحصل خلال عام على ربع ما حصل عليه خلال موسم واحد على يد (مظلوم).

شكره كثيرا متمنيا له المزيد من الصحة ودوام الرزق، موضحا له ان حبه للأرض وللزراع تحتم عليه بذل المزيد دائما من أجل عطاء أفضل ومحصول اوفر.

توجه نحو البستان، وفكره مزدحم بآلاف الأسئلة والأفكار والصور التي علقت برأسه خلال هذه الجولة والمصادفات والأخبار المفرحة والمحزنة، افزعه صوت منبه سيارة مسرعة تطالبه بأخلاء الطريق المحاذي لضفة النهر والملتوي بالتوائها كأنه ظهر أفعى لا يرى لها رأسا ولا ذنباً، أيتها الفكرة التي تلتف في تلافيف دماغى كما تلتف الأفعى أكاد لأميز بين

رأسك وذنبك بين بدايتك ونهايتك، إلى أين تأخذني بموجك  
يانهر الحياة الخالد، لا أدري متى أن وكيف ستقذفني محارة  
خاوية بلا روح، أنّها محنة الأنسان هذا الكائن العاقل الذي  
لايستشار في ولادته ولا يستشار في رحيله، أنّه يحيا بين  
نقطتين قهريتين، ولكن عذابه وألمه يكمن كونه يعلم أنّه لأب  
وأن يموت وأن يرحل رحلته الأبدية عن هذا العالم، مهما  
طالت حياته فأنّه يشعر أنّ لحظة رحيله كأنها لحظة وجوده،  
وقد يكون هذا أحد دوافع الانتحار عند البعض حيث يسجل  
وجوده بانتحاره ورحيله.

يراقب من على دراجته حركة وأصوات أسراب النوارس على  
صفحة النهر، وحركة (السماج) هذا الطائر رشيق الحركة حاد  
البصر، يراه يرتفع عاليا مرففا بجناحيه مركزا نظره حول  
نقطة محددة في النهر يرقب حركة سمكة صغيرة تسبح بمرح  
حاملة بانها ستبلغ يوما حجم الكبار، وعلى حين غرة تشعر  
انها بين حافتي منقار الطائر المسننة، لاتنفعها حركاتها من  
أجل الخلاص، فيحلق بها بعيدا ليستقر على غصن شجرة أو  
سعفة نخلة حتى يقوم بازدائها، ليعاود مهمة صيده ثانية، لا  
أحد يعرف هل يميز أنواع هذه الأسماك أو يفضل بعضها  
على بعض، كالشبوط أو البني والحمري أو الجري أو  
الزوري والشلگ، الخ.

وصل البستان محمولاً على هذه الموجة المتنوعة من الأفكار والتصورات والملاحظات، وكأن الدراجة أمتلكت عقلاً يدلها دون توجيه إلى البستان، أو أنها أخذت تفهم وتستجيب إلى لاوعي (مظلوم) وكأن هناك عصباً رابطاً قد خلق خلال هذه الفترة الزمنية بين مخ (مظلوم) وحركات إطارات الدراجة، يتسم مسفها ما ر شحت اليه أفكاره وكأنه يمثل كلب (بافلوف) وأستجابته الشرطية واللاشرطية بدراجته، فالأجدر به أن يتمثله بحركة قدميه وساقيه الدافعتين لدواسة الدراجة.

الغريب بعد وصوله أخذ يشعر بعطش غير طبيعي وهناك شبه غشاوة على عينيه، وتبولا متكرراً غير مسبوق، أحس بحاجته للنوم، فأضطجع على فراشه داخل الكوخ ولم يستفق الا عصرًا، حاول أن يطرد كسله بغسل وجهه بالماء البارد بكاسة من ماء (الكوز) وأخذ يرتب أولوياته في العمل والقراءة، وحضور اجتماع رفاقه المرتقب، ف شعر بأنه بحاجة للقراءة، فأستل رواية (ثرثرة فوق النيل) لنجيب محفوظ وأستغرق في قرائتها مستعرضاً شخصياتها، مقارناً أحداثها بما يجري في مصر، فيظهر واقع مصر السياسي والاجتماعي يختلف كثيراً عما هو في العراق وهو يعيش تداعيات الفاشية وأفrazاتها، رغم أن حكم جمال عبد الناصر لم يكن سهلاً على القوى الشيوعية واليسار المصري، فروح الهيمنة والفردية والتسلط هي ثقافة البرجوازية والعسكرتارية العربية، وأن هذه الطبقة

الحاكمة تعاني من هجنتها وأزمتها البنوية المستديمة، في مصر الحاكم لايجلس على عرش الذهب الأسود كما في العراق وغيره من البلدان العربية البترولية.

انصرمت آخر ساعات الليل، مع آخر ورقة من (ثرثرة نجيب محفوظ) ولكن هذه المرة فوق (دجلة) وليس فوق ضفاف النيل، فأطبق النوم بسلطانه على جفون (مظلوم) فلم يتمكن ديك الجيران من أيقاظه، حتى دخلت عليه شمس الضحى، ليستكمل برنامجه في يوم عمل بستاني جديد، فبدا مظلوم حواريته المفضلة مع أغصان الأشجار مترقبا ظهور (طلاع) النخيل، لمزاولة عملية اللقاح لموسم جديد.

كان كثير العناية بشجيرات الورد الجوري والقداح، بألوانها وعطورها المختلفة وقد كان يسأل نفسه دائما وهو يقف أمام ورد الجوري والرازي المتفتح ويسأل: هل ندع الوردة تذبل في شجرتها أو نقطفها ونهديها لصديق أو لحبيبه، أو نصنع منه مزهرية نضعها أمامنا في غرفة جلوسنا لنتمتع بعطرها وشكلها الجميل؟

يستمتع بأنباه شديد لصوت الفاخنة وقد كان يعد مرات قوقتها (ياقوقتي، ياقوقتي) فمرة ثلاثة وأخرى خمسة لكنها لا تتجاوز الثمان مرات، يستغرق كثيراً محاولاً فك شفرة خطابها، خصوصا حين تبادلها فاخنة أخرى القوقته، يدخل في عالم الاحتمالات حتى يشعر بالعجز مخاطبا نفسه: ما

بالك يامظلوم هل تريد أن تمتلك قدرة سليمان في فهم لغة الطيور، هذه الكائنات التي يقال أن عمرها أكثر من (٦٠) مليون عام؟

أستمر في عمله حتى غياب الشمس فله يوم الأربعاء لقاءً مع رفاقه في الجهة الثانية من النهر، وله يوم خميس موعد مع الحبيبة أم كفاح قرب الضريح، مما تطلب منه بذل جهدا مضاعفاً في البستان ليعوض أيام أنشغاله في شؤونه الخاصة، فلم يعد يمتلك الحماس والتشوق لحضور اجتماعات رفاقه نظراً لأنها أصبحت وقتاً شبه مضاع في نقاش وصراع لا ينتهي بين (اليمن) و(اليسار) وما بينهما، يصل أحياناً إلى حد الصراخ الفارغ دون أن يخرج بأستنتاجات أو قرارات منتجة تخدم عملية تطور وفاعلية الحزب ويعزز علاقته بال جماهير في وقت هو بأمس الحاجة للوحدة ولم الشمل ومداواة الجروح الذي ما زالت تنزف.

حضر أجمع الأربعاء، فلم يستمع إلا للمزيد من أنذارات التشطي، وأخبارا غير سارة حول أعتقالات وأستشهاد عدد من الرفاق في منطقة الفرات الأوسط، فعاد محملاً بالمزيد من الألم، مستذكراً حديث صديقه أستاذ (فريد) الذي بدا له معقولا وعلميا أكثر من أي وقت مضى.

قرر أن يمضي امسيته مع رفيقه الصياد (ابو يوسف) والذي قرر هذه المرة أصطحابه معه إلى داره، فقد وعدته زوجته

بعشاء دسم (باچه) عراقية، وهي تجيد طبخها وقد أخبرها ان صديقه مدعو لمشاركته العشاء هذه الليلة، ذهباً سوية إلى هناك وقد أبتاع (مظلوم) انواعاً من الفاكهة والحلويات هدية منه للصغار بمناسبة زيارته الأولى لدارهم.

أحتفت العائلة بالفعل احتفاءً كبيراً بزيارته، قد عرفوا عنه وعن سيرته الطيبة الكثير من خلال رب العائلة، مما زادهم شوقاً ولهفة للقاءه.

أمضى الرفيقان ليلتهم بعد العشاء الدسم اللذيذ في السمر بين احاديث السياسة، وتبادل القريض، وابوذية هادئة من صوت (مظلوم) الشجي الذي أمتع الجميع ونال أستحسان حتى الأطفال الصغار وتناول اقداح الشاي المهيل والحامض والقهوة التي كانت تعدها لهم (ام يوسف) زوجة سعيد.

رفض رغبة صديقه في الشراب، خوف أن يسبب هذا أخراجاً للعائلة، كما أنه أصبح لا يستسيغ الخمرة مثيرة الأشجان والأحزان في الأونة الأخيرة.

بكر في مغادرته لدار صديقه شاكرًا له ضيافته وكرمه ومحبته متمنيا أن يلقاه في ظروف أفضل، توجه نحو البستان، لأنجاز أعمالاً ضرورية في تجهيز بعض الفواكه والخضروات لتسويقها إلى صاحب (العلوة) قبل أن يذهب لقاء (ام كفاح) حبيبة العمر وشريكة اليسر والعسر.

ابتاع لحماً ودجاجاً، بالإضافة إلى ماتي سر من الخضروات والفواكه والحلويات والكرزات، لتكون حاضرة في البيت قبل حضورها، قام بأعادة تنظيف وتوضيب البيت فبدا متألّفاً لا ينقصه الا نفس الحبيبة المنتظرة، دخل الحمام بعد أن تأكد من سخونة الماء، تمتع برشاش الماء الدافئ ورائحة الصابون (اللوكس) الزكية، حلق ذقنه، وجمل شاربيه، فاستعاد شيئاً من نظارته أيام شبابه وه يستعرض صورته امام النرآة وقد أرتدى أجمل ملابسه لافاً جسده بمعطفه الجميل متحصناً من البرد الشديد ورياحه قارصة البرودة، أخذ ينظر بين فينة وأخرى إلى ساعته اليدوية ماركة (اولما) التي سبق وأن قدمها هدية له صديقه الشهيد الراحل أسطه (جمال) صاحب المطبعة، أنه يستحث عقاربها لكي تسرع ترقباً للقاء القريب، الساعة الرابعة عصراً في باب الأمام الكاظم.

الوقت يمضي، تكتكة عقارب الساعة تقضم الثواني والدقائق كالمعتاد رغم أنه يراها متكاسلة يحرك الساعة أمام عينيه مرة وأخرى، أنها تتحرك تتحرك، اخشى أن تتوقف رغم أنها لم تفعلها طوال هذه السنين، وقد كان الأدق في حضور مواعيده مع رفاقه في الحزب ومع زملائه في العمل، سكارته لم تفارق شفتيه، منذ الرابعة الأربعا وقف في المكان في الباب، بعد أمضى بعض دقائق في تناول الشاي من صاحب (چمبر) قريب من المكان، أخذ يجوب المكان والعقارب تدور،

وكلما أقتربت من النهاية كلما أزداد وجيب قلبه، وسيطر عليه الشد والتوتر وهو يدور عينيه في محجريهما ليمسحا الشارع والمكان من مختلف الجهات.

نعم، نعم، إنها مشيتها انها هي هي تقترب تقترب لا يمكن أن تتيه عني طريقة مشيتها ولو بين مئات النساء، تقترب بانت علامات وجهها وأطل عليه محياها، وهي تحمل حقيقة سفر صغيرة، أنها الحبيبة حيوته.

يا الله ما أسعدني الآن؟

كاد ان يأخذها بالأحضان لولا ان تنبه إلى أنهما في شارع عام، تناول منها حقيبتها واعتصر بين كفيه كفيها الدافئتين، غالبتها دموع الفرح وغالبتها دموع الشوق والأحتفاء بسلامتها، تماسكاً والتقت عيونهما ببعضها، بدا رفيف الشفاه واضحاً، واهتزاز الجسد مستعصي على التمويه والأخفاء.

حبيبتى الحمد لله على سلامتك، انه يوم العيد الكبير، لا بل عيد الأعياد.

تمتم لسانها بكلمات السعادة والفرح، واخيراً نلتقي بعد طول فراق، أكاد لا أصدق، أن يجتمع شملنا بعد أن مرت عاصفة الفاشية الهوجاء.

أكيد أنت الآن جائعة بعد طول السفر ومخاوف الترقب والحذر، هيا حبيبتى لتناول الغداء في هذا المطعم الذي لنا فيه ذكريات مضت، فأنا لم أتناول غدائي بعد منتظرا قدومك

أيتها الغالية، شبك أصابعه بأصابعها وقادها نحو المطعم،  
طالباً من العامل تقديم أفضل ما عنده، قوزي عليه التمن،  
كباب، لبن، سمك.

عيني أبو كفاح هاي شدعوه حبيبي المن كل ها الاكل، شكل  
واحد يكفي، وين بعد ماكو ذاك المزاج للأكل أبو كفاح، وقد  
خاطبت العامل قائلة: يمه بعد عيني أنه جيلي ربع دجاج عليه  
التمن كلش كافي، وشوف أبو كفاح هو شبح؟

عيني أم كفاح أنه هم يوم حبيت غير التحينه؟  
أكملا وجبتهما وتناولا الشاي في المطعم، ثم خرجا إلى  
سوق المدينة.

أم (كفاح) احنه هسه بالسوگ، شوفي حبيبه هم محتاجه شي  
قبل منروح للبيت.

لا أبو كفاح أنه مو عايزه كلشي غير سلامتك يعيوني، يالله  
أمشنه للبيت خل نرتاح، وعود إذا أحتاجين شي السوگ مو  
بعيد عليه.

نتمشى أو استأجر لك سيارة أم كفاح.  
لا ما كو داعي خل نتمشه مازال البيت مو بعيد، دعني  
أستمع برؤية المدينة بعد فراق طويل.

لا عشر دقائق ونكون في البيت، سارا جنباً إلى جنب كتف  
على كتف كحبيين شابين عاشقين، تغلي في جسديها نيران

الشوق ولهفة الأحتضان والنوم المشتهى في أحضان الحبيب  
المفتقد.

أولج المفتاح في قفل الباب الخارجي للدار، فتحها وقد  
دخلت أم كفاح قبله، وهي تمسح الدار بنظراتها الفاحصة.  
دار جميلة ونظيفة، أنه عش قريب للروح في زمن الكهولة يا  
أبو (كفاح) مازالت الدنيا بخير ألف ألف شكر لصديقك  
الإنسان أستاذ (فريد) دخلت صالة الجلوس، خلعت عبائها  
وفوطتها فأنسدل شعرها المعطر كشلال من حرير، شامت  
عيون (مظلوم) وكأنه يرى حبيبته للمرة الأولى، الله الله ما هذا  
الجمال حبيبي، كلما تمر السنين تزادين جمالا وفتنة، لثمها  
في قبلة حرى، بادلته الشوق وقبل الحنين، وضعت رأسها في  
حضنه الدافئ، أحتضنها زارعا قبله على كل جسدها.

أنتزعت جسدها منه، أنسلت من بين يديه، أخذت حقيبتها  
وولجت غرفة النوم، طالبة منه أن يسخن الحمام بينما تأخذ  
هي ساعة من الراحة بعد عناء السفر، تركها مضطجعة، وبعد  
ان أشعل فتيل الحمام، خرج للسوق ليحلب لها مناشف  
جديدة، وقنينة شامبو فاخرة، وأمشاط، وقنينة عطر فاخرة، مع  
كيس صغير من الكرزات.

أنها ليلة ولا كل الليالي يا (مظلوم).

دخل الدار بهدوء بعد أن بدأت خيوط الشمس تميل للحمرة  
في سماء نصف غائم، وقد بدأت مكبرات الصوت في

الجوامع المحيطة تبث سورا من القرآن الكريم، بأصوات وترتيل مختلفة تمهيدا لرفع آذان المغرب.

وضع ما جلبه كل في مكانه، وضع مؤشر الراديو على أذاعة تبث نغمات موسيقية جميلة، وجلس يراقب بشوق عارم حبيبته الغافية في غرفة النوم، ومن أجل تمضية الوقت قبل أيقاظ الحبيبة لتستحم، أشعل فتيل الطباخ النفطي في المطبخ واضعا فق ناره (الكيكلي) غلي الماء ليحضر أكواباً من الدارسين والشاي بعد الاستحمام.

بعيد الأذان أيقظها بقبلة حرى، نهضت بغنج وأحضرت ملابسها ودخلت الحمام.

كان يود لو ولكنه لا يريد ان يستنزف قوة حصانه قبل أن يدخلوا سرير النوم، جلس في غرفة الاستقبال وهو يسمع بشغف وأثارة صوت طرشرة الماء الذي ينسكب على جسد حبيبته باذخ الجمال، أخذ يتشمم بأنتعاش وأثارة كبيرة بخار الماء المشبع بالعطر ورائحة الجسد الحبيب وهو يخرج من ثقب باب الحمام.

أخرج من (الكتور) دشداشته البيضاء الجديدة المعطرة، وأحضر ملابس داخلية جديدة ومنشفته منتظرا خروج حبيبته من الحمام ليأخذ دوره في الاستحمام مصطحبا معه عدة حلاقته لأزالة الشعر من منابته.

فتح باب الحمام خرجت الحبيبة (الهة الجمال) خديها يشعان بهجة وأحمراراً شهياً، ترتدي (أتكا) سمائياً شفافاً، يلف مكوراتها، كاشفة عن صدرها المرمرى، حامل أهرامات نهديها النافران رغم تقادم السنين، تنث عطرا نديا، وهي بعد لم تجفف شعرها الذي يكاد يلامس كعبيها، وضع ملابسه جانبا أحتضنها حاملا أيها لوضعها على كرسي مقابل مرآة التجميل في غرفة النوم، قبلته بحرارة وهي تتأوه بغنج، قشر لها برتقالة طازجة وأحضر لها (كاسا) من شراب (الدارسين) المحلى بالسكر، على أن يتناولوا الشاي الساخن بعد خروجه من الحمام.

دخل الحمام منتشيا برائحته المشبعة بشذى جسد حبيبته حيوته، أستمتع بدفء الماء الساخن المعطر بالشامبو وصابون اللوكس، أكمل حمامه على عجل ليكون قرب الحبيبة التي جلست أمام المرآة لتكمل زينتها مستذكرة ايام العشق والشباب، مدركة أنها لم تزل حيوته الجميلة المغرية رغم مرور قطار السنين العجاف، أصطبغت الشفاه بأحمر الشفايف الصارخ بالحب والداعي للعناق، مضمخة الجسد بالعطر داعي الشم واللمس والأحتضان، مسدلة شلال الشعر المطيب بالعطر، فأحست بامتلائها بالرغبة في الحب الذي صار موارا في كل جسدها الندي الذي فتح كل مسامه وشرع كل ابوابه ونوافذه لنسيم الغرام بعد طول فراق وأنغلاق وسبات.

خرج من الحمام منتشياً، معطراً، وكل حواسه رفعت أعلام  
الاستنفار، وهو يدخل غرفة النوم، وأم كفاح تكمل مكياجها  
وزيتها أمام المرأة، لدنة، مكوراتها تصدح بنداءات الرغبة،  
أنحني مطوقاً رقبتها بذراعيه، داساً أنفه في ظلام شعرها  
المسكون بعافاريت الرغبة، وآلهة الأثارة والجمال، أمتدت  
أنامله نحو منائر النهدين، فأنسابت إلى أذنيه موسيقى الغرام،  
أن تيمم بشهد الرضاب، وأدخل محراب العناق، فقد حل  
وقت اداء فرض التلاقي، رفعها من على الكرسي بين ذراعيه،  
مددها على السرير المعطر بأنامل ملكة الحسن والجمال،  
صار العري هو الأشهى، صار الألتحام هو المشتهى، بعد  
ألتحام الروح حل وقت ذوبان الجسد بالجسد، أرتفعت  
أشعة من بياض يتشنى، فار تنور الرغبة، تعالت أصوات  
الحممة والصهيل، تداخلت المرتفعات بالمنخفضات،  
أرتفعت الحرارة حد اللذع واللسع، فار بركان الشبق أرتفع  
صياح الديك، فنداح شلال العسل، جذب عمق البحر  
الدافيء رأس الغطاس المبهور نحو الأعماق نحو الأعماق  
فسرت المتعة في كهوف المرجان وأخاديد المرتع، تدفق  
سيل الحب مواجهها موجات أنكسار السد المكبوت، فدارت  
دواليب الطاقة، تفجرت مصابيح النشوة فأشرق كل شمس  
الكوكب.

هدأ الرعد وسكن العصف، تراخت أغادير الجدول، تثنى الدقل، ألتف شراع الابحار، هدأت رياح الرغبة، تواضعت مويجات البحر، ران الصمت وعم الخدر، تراخت الأكف مر خيط البرد مجففا عرق الجسدين بعد أن وهنت نيران اللحم. سحب (مظلوم) ذراعيه من على خصرها الضامر، بعد اغماضة الخدر الجميل، جلس متأملا حورية الأرض في حضن فلاح الهة الجمال، نهض بعد قبلة حرى، احضر كأسين من نبيذ (الجنة) مهداة من (فريد) تبادلا الشراب السحري، تزودا بكؤوس من عصير البرتقال والليمون، تبادلا حبات الفستق المقشور، فعادوهم اله الشبق، تنادت جحافل اللمس والهمس، تدانت نظائر الجسد، تناغت، تناجت، تعالت قوة الجذب والسحب، فتحقق الألتحام ثانية بدفع أقوى، وتداخل أكبر، تحقق الذوبان، أغلقا كل فتحات الفصل، فرقصت كل نجوم الأرض جذلاً لروعة هذا العرض، سجدت عشتار، طاح عرش انكي دو جرفته شلالات رضاب العطر.

تثائب الفجر عبر نافذة الصبح، أكمل هو رضعته من ينبوع الشهد الجاري عبر وادي مرتفعات النهدين الحرى. حمل مدللته بين ذراعيه، دخلا الحمام الحافل ببخار الماء الساخن، اغتسلا حد النشوة، أرتويا دفئا وعطرا، حملها ملتفة

بمنشفها إلى غرفة النوم، ارتديا ملابسهما، أحضرت (ام كفاح) كويين من الدارسين أرشفها بتلذذ كبير.  
أم (كفاح) حبيتي شتردين ريوك، كيكر، لو كباب وصمون حار؟

عيوني انت تدري أحنه بالقريه أكثر أكلنه اللبن ومشتقاته  
وخصوصا (الكيكر) الصبح.

أفتمت يعني تريدن كباب، هسه دقايق والكياب كدامك  
ياحلو، لثمها بقبلة خاطفة، ثم أردي ملابسها متدفنا بمعطفه  
مدثرا رأسه بكوفيته، بطلب من أم كفاح خوفا عليه من البرد  
لأنه خرج تواء من الحمام.

تناولا افطارهما بشهية كبيرة، متناغيان كالبلابل، كل منهما  
يطعم الآخر بيده المرتعشة حباً وهي تلامس شفاه الحبيب،  
احتسبا الشاي، وقررا أن يأخذا جولة في سوق الكاظمية بعد  
أن يؤديا مراسيم الزيارة كعادة الكثيرين في يوم الجمعة،  
أرادت ام (كفاح) ملابسها، ولفت حول جيدها (الشيلة) لافة  
رأسها بالعصابة ذات (الشراشيب) محمكة شداها بكلاب  
ذهبي تتدلى منه شذرات جميلة، فبدت غاية في الجمال  
والهبة والحسن والوقار، مجسدة كل فتنة وهبة وغنج بنات  
ريف الفرات الأوسط وسحر نساء الرافدين ذوات السحنة  
والملاحة السومرية.

بعد أداء مراسيم الزيارة، وخروجهما من الصحن الكاظمي،  
التقى مظلوم وجها لوجه مع (غزيلة) بنت الثورة، فتحت  
عينها وفمها على مصراعيهما.

ياخويه هذا انتہ (شمران) دخيلك يابو الحوايج، صدگ چذب  
نتلاگہ بعد هالسنين؟

كادت انْ تحضنه وتقبله لولا أنْتباهها للمرأة الوقور التي تسير  
معه.

قدمها لها قائلا: (غزيلة) نعم انا (شمران) وهذه زوجتي  
وحبييتي (أم كفاح)

يابعد روحي، شلونكم وشلون كيفكم، وين أنتم وبيا حال،  
خيه أم كفاح هنيالچ بهل الرجال أبْن الأجاويد، الله يسعدكم  
ويديم عشرتكم؟.

(غزيلة) آني بخير وسلام ولگيتلي شغل زين، وهسه جايين  
للزياره انه وأم كفاح. انتي شلونچ وين صرتي، أهلچ  
شلونهم، أهل الثورة كلهم انشاء الله بخير.

والله الحمد لله يبو (كفاح) بعدني بشغلي عد هذوله الناس  
الأخيار، والحمد لله اجاني أبْن حلال متوسط العمر مرته الله  
يرحمه وعده اثنين زعاطيط يشتغل فراش بمدرسه، وهسه  
عايشين سوه والحمد لله طلع خوش آدمي وما يضيح خلگي،  
من كون أنتم اليوم بالكاظم بروح أبوك اليوم تروحون وياي  
لهلي أنتم اليوم خطاري.

ديه رحمالله والديج والنعم منج وعزيمتج عله الراس يبعد  
گلبى وانشاء الله مره ثانيه انشوفج أبخير وسلام.  
سبق ل (مظلوم) ان أخبر (ام كفاح) بكل تفاصيل حياته في  
بغداد طيلة هذه الفترة ومن ضمنها عمله فلاح حدائق في  
البيوت وتعرفه بـ(غزيله).

ممنون (غزيله) أنى اشكرج هوايه، والله فرحتيني باخبارج  
الزينه، بس أحنه معزومين عد ناس من گرايينه هنا بالكاظم،  
سلمينه على كل من يسأل عنه، وعله أبو بيتج، وعله الناس  
الاجاويد التشتغلين عدهم.

خويه أمودعين بالسلامه يابعد گلبى، والله زمن الحى يشوف  
الحى.

في السوق توقف (مظلوم) عند أحد محلات بيع الملابس  
النسائية، طالبا من (حياة) أن تختار ما يناسبها ويرضى ذوقها  
من الملابس، خصوصا وأنهم سيكونون مساءً ضيوف أستاذ  
(فريد) فأحسها محرجة خشية أن لا يملك المال الكافي لشراء  
الجديد من الملابس فهي عندها ما يكفيها من الملابس،  
ولكنه طمنها وعليها أن تختار ولا تشغل بالها بالمال،  
فأختارت فستانا وبلوزة صوفية وحذاء يناسب طبيعة المدينة  
ومتطلباتها.

والآن حبيتي هيا بنا لتناول وجبة الغداء في هذا المطعم  
الجميل، لا أريد أن أشغلك في هذه الأيام بالطبخ والنفخ

فأنت لي وحدي اللهم العن القدور والمطابخ أدوات  
استهلاك وقت وجمال نساتنا الفاتنات.

لا تمنع (حياة) وهي ممتلئة فرحا وفخرا بزوجها الحبيب  
ولا تريد أن ترد له طلب، بعد الغداء، قصدا ضفة النهر  
مستغلين حلاوة ودفاً اليوم المشمس - للجلوس قرب حافة  
النهر والمناغاة والتدوال في حياتهما المقبلة، وما كان وما  
سيكون، وتبادل أخبار ولدهما كفاح وابنتهما الغالية (سعوده)  
والأخوة والأقارب والأصدقاء في النجف وبغداد.

عادا بعيد أذان الظهر إلى دارهما، أخذا إغفاءة القيلولة، بعد  
أن تمنعت عليه حيوته، غير راغبة في ممارسة الحب في هذا  
الوقت، فعليهما أن يأخذا حصتهما من النوم بعد سهر الليلة  
الماضية والاستعداد لزيارة عائلة صديقه،

استيقظا قبيل المساء، أغتسلا وأرتديا ما يناسبهما لمثل هذه  
الزيارة، وقبيل أن تودع الشمس الأفق، خرجا قاصدين دار  
(فريد) أستقبلهما بكل مظاهر السرور والبهجة، معلنا احترامه  
وسوره برؤيتهما وخصوصا أم كفاح، وهذا ماكان من السيدة  
الأستاذة زوجة فريد، فقد أمطرت أم كفاح وكأنها صديقتها  
منذ زمن، معجبة بجمالها ووقارها.

جلسا سوية في غرفة الاستقبال، وقد وضعت أمامهم أنواع  
الفواكه والحلويات والكرزات، بالإضافة إلى كؤوس من  
عصير البرتقال الطبيعي، وقد أستطابت زوجة فريد حديث أم

كفاح الجميل أعجبت بثقافتها ونظرتها للحياة رغم بساطة تعليمها، وقد أدهشها حديثها الشيق عن بنات الريف العراقي وطبتهن وهمومهن وتطلعاتهن إلى عالم أفضل.

وحول سؤال (فريد) لصديقه حول صحته وأحواله؟ أجابه أنه بخير ولكن مايشغله خلال هذه الأيام، كثرة عطشه وشربه للماء وجفاف فمه وكثرة تبوله على غير عادته، وأحياناً يشعر بغشاوة على عينيه والأحاساس بالدوار، والشعور بالجوع.

بعد فترة صمت، أجابه (فريد) قائلاً: أخشى أن تكون هذه الأعراض اعراض الأصابة بمرض السكر، هل لديكم وراثه للأصابة بهذا الداء ابا (كفاح)؟

أجابه بالنفي، عموماً ساصطحبك غدا صباحاً وقبيل الإفطار للذهاب للطبيب واجراء بعض الفحوصات المختبرية لنكون على بينة، أن حالة القلق والشد العصبي الدائم غالباً ما تؤدي إلى الأصابة بمثل هذه الأمراض كأرتفاع ضغط الدم والسكري.

عموما لا تقلق كثيراً، فالحمية خير علاج لهذا المرض، وستكون بخير خصوصاً وأنّ هناك اخباراً شبه سارة قادمة إلينا في الطريق، وسيكون الوضع السياسي العام أفضل مما نحن عليه الآن.

حديق (مظلوم) بوجه (فريد) مستغرباً ومتسائلاً، ومستفسراً، هل سمع أو قرأ أو أخبر بأمر جديد فهو لا يشاركه هذا التصور، فعبد السلام عارف رغم ما قام به لحد الآن فهو لا يقل عن البعث في دمويته وفرديته وكرهه للقوى التقدمية والشيوعية في العراق.

لا عليك أخ (مظلوم) ان ما أعلمه لا تعلمه انت، الا عرفتني وعرفت قدراتي في قراءة المستقبل، عموماً ستثبت لك الأيام صحة ما أقول، أطلب منك فقط أن تحافظ على نفسك خلال الثلاثة أشهر القادمة لكي تنعم بالأنفراج النسبي وتنسم شيئاً من نسيم الحرية القادم والذي سوف لن يطول حيث تتربص به عاصفة هوجاء.

تستمع أم كفاح بذهول لحديث الأستاذ وكأنها في حضرة عرافة أو قارئ الكف وليس في حضرة أستاذ في الفلسفة ومن قوم لا يأمنون بالخرافة وكشف الغيب!

انتبهت لها ربّ المنزل قائلة لا تستعربي عزيزتي فالأستاذ (لا ينطق عن الهوى) وأنا أعرفه جيداً، وقد جربت قدراته الغريبة هذه طوال حياتنا.

الله يطيل عمره ويحفظه، هاي قدرة لا يمتلكها الا الأولياء والأوصياء ومن لديهم كرامات!

لا دادة أم كفاح لاهو وصي ولا ولي بس هو يملك هاي القدرة على التنبؤ وهو لا يخبر الناس إلا بما يسرهم.

عموما هل حسمت أمرك في الاستمرار في العمل في البستان أو العودة إلى عملك في المطبعة؟

أستاذ (فريد) المطبعة أغلقت وصاحبها أستشهد، ولم يبق لها وجود، وحتى لو تيسر مثل هذا العمل فأنا في وضعي الصحي الحالي لا أستطيع العمل في الطباعة، سأستمر في عملي في البستان ما دامت قادرا على العمل.

أما بالنسبة للحزب، فالأنشقاق على الأبواب، ومسيرة التضحية ستستمر، إن قلبي يؤلمني على حياة ومصير أنبل الناس في بلد لا يعرف الأمان والاستقرار ولا يقيم وزنا لحياة وفكر الإنسان وخياراته، ومن ضيع الفرصة في عراق حر وشعب سعيد لا يمكن أن تغفر له بطولته وفقدانه لحياته، الهدف ليس فقدان الحياة والتضحية بها، وإنما الهدف بناء وأزدهار حياة الإنسان وضمن مستقبله ومستقبل أطفاله، وقد سلمتكم الناس قيادها ولكنكم لم تتمكنوا من إيصالها إلى شاطئ الأمان، فخسرتم أرواحكم وخسرتم جماهيركم، وستبقى مسيرتكم تحمل المزيد من الخسائر!

أستاذ (فريد) اكرمتنا اليوم بوجبة دسمة من الأفكار والتنبؤات، قبل وجبة العشاء.

انتهينا الآن، تفضلوا لتناول عشائكم في غرفة الطعام. جلس الجميع على مائدة الطعام العامرة بما لذ وطاب وبذوق رفيع وتنسيق دال على الجمال وطيبة النفس والمحبة، وقد

لاحظت (ام كفاح) انَّ الأستاذ (فريد) يتعامل مع (مظلوم) كأخ وصديق مكافيء وليس كبستاني يهتم بحديقة داره، فشعر الجميع أنَّهم عائلة واحدة متحابّة ومتضامنة، أسعدها هذا الأحساس وشعرت بالألفة والأمان، فأبلغتهم شكرها وتقديرها وتفاؤلها بمستقبل أكثر وداً بين العائلتين، أكملوا عشايتهم وسمروهم، ثم أستاذنوا بالأنصراف.

قرر استاذ (فريد) أيسالهم بسيارته إلى دارهم فالوقت بدا متاخراً للذهاب سيراً على الأقدام، واکراماً لأم (كفاح) وزيارتها الأولى لدارهم.

في صباح اليوم التالي سحب (فريد) (مظلوم) للمستشفى، وبعد عرضه على الطبيب، الذي عمل له الفحوصات، وظهر بالفعل أصابته بداء السكر، ولكن بدرجة دون المتوسطة خلال الحمية، فاوصاه الطبيب بالتزام الحمية ولا ضرورة لأستعمال العلاج في الوقت الحاضر، وطلب منه ان تكون مراجعته دورية لمتابعة الحالة.

شكر مظلوم صديقه لاهتمامه، وقرر الالتزام بتعليماته وتعليمات الطبيب في الحمية، وأبتعاده عن تناول السموم البيضاء (السكر والملح) وليس خوفاً من الموت الذي لا مهرب منه كما يقول ولكن المرض ضعف والضعف مذلة وهو لا يحتمل المذلة/ وكم يتمنى ان يموت موت الفجأة وهو يمتلك قوته الجسدية والعقلية.

تمنى له صديقه دوام الصحة متمنيا له العمر المديد والعيش  
الرغيد، أوصله إلى باب داره ثم غادر لداره، مشيعا بتشكرات  
(مظلوم) وأمتنائه.

أستقبلته (أم كفاح) بلهفة لمعرفة نتيجة الفحوصات وما قاله  
له الطبيب في المستشفى.

- ها حبيب بشر شنه النتيجة والله غلبي وياك من وكت  
الرحت لساه؟

- حبيتي اطمأني، يگول سكر بسيط، المطلوب الحميه من  
السكريات والحلويات، والمشروبات الغازية، يعني أوصاني  
بالأبتعاد عن المأكولات والمشروبات التي تساعد على  
ارتفاع السكر بالدم، ها هيه نعيش المر وناكل المر هههه،  
لتخافين حبيبه ما كو شي خطير، لثمها بقبلة، ثم دخل الغرفة  
لاستبدال ملابسه بملابس العمل فعليه ان يذهب إلى البستان  
لاداء عمله، وقد قرر تنفيذ توصيات الطبيب بالمحافظة على  
كفي رجله ويديه وتحاشي كل مايمكن ان يسبب له جرحا،  
فابتاع وهو في طريقه للبستان (جزمة) لقدميه وكفوفه واقية  
ليديه، يسلبسها أثناء عمله في البستان.

قرر (مظلوم) مضاعفة عمله في البستان تمهيدا لموسم الربيع  
الذي بدأ يقترب رويدا رويدا، حيث موسم الأزهار، والنمو،  
فأهتم كثيرا بتشذيب الأشجار، وحرثة وتسميد الأرض،  
وتحضا المزيد من شتلات الورود التي يحبها لابل يعشقها

كثيرا، وقد كان فرحا مستمتعا بعمله، قبيل أن يحل المساء،  
جهاز شبكة صيده، فالنهر يبشر بسمك وفير، القى شبكته عدة  
مرات فكان صيده شبوط وبنيتين، أكتفى بصيده هذا، أعتلى  
دراجته متوجها للدار، مبتاعا عددا من أقراص الخبز من  
الكاظمية، وبعض مستلزمات المطبخ الاخرى، كالتوابل  
والزيت وما اليه، وخصوصا أنتقى نوعا جيدا من الشاي كما  
أوصته (أم كفاح)

وهكذا أخذت تمر الأيام والأشهر في هدوء نسبي، كان  
يمضيها الزوجين بين التمتع بالاستماع إلى (أم كلثوم) من  
خلال الراديو ومتابعة أخبار العراق والعالم، وتنظيم برنامج  
قراءة مكثفة مستفيدين من مكتبة (فريد) الموسوعية الشاملة،  
غالبا ماكانا يتبادلان وجهات النظر فيما يسمعون ويقرؤون،  
وكانت هناك زيارات متبادلة بينهما وعائلة أستاذ (فريد)  
بالأضافة إلى إقامة علاقات حذره مع الجيران في الحي،  
وأحتفاظهما بأمنية تحقيق زيارة مشتركة للنجف مع تحسن  
الظروف، وترقب أمكانية السماح للاقارب والأصدقاء  
بزيارتهم أيضا، وخصوصا عزيزتهما الغالية (سعوده). وأبناء  
عمومته وأخوانه، ورفاقه الأعزاء.

عادت (ام كفاح) لمزاولة هوايتها المفضلة الخياطة فقد  
أهدتها الأستاذة زوجة (فريد) ماكينة خياطة ممتازة قالت أنها  
فائضة عن حاجتها حينما علمت انها تجيد الخياطة وتهواها،

والتي أفادتها كثيرا حينما كانت في القرية بالحصول على بعض المردود المالي لسد بعض أحتاجاتها هي وسعوده، هذا مما عزز معارفها في المنطقة وحواليها ويسد لها فراغا كبيرا بغياب (مظلوم) في عمله في البستان أو في تأدية بعض الألتزامات الحزبية والأجتماعية.

وبناءً على دعوة من رفيقه (أبو سلام) الصياد، أصطحب (أم كفاح) معه إلى داره، لأحياء حفلة بسيطة بمناسبة الذكرى الثانية والثلاثين لميلاد الحزب، وقد كانت مناسبة جميلة بددت الكثير من الهم والألم للشهور والسنين الماضية، وقد أعجبت (أم سلام) كثيراً (بأم كفاح) طيبتها وأدبها وكياستها وتجربتها الحياتية، وقد وعدتها بزيارة لبيتها في الكاظمية في أقرب وقت بعد أن تزور الشيخ عبد القادر الكيلاني كما هي عادتھا في كل مرة.

- دادة أم كفاح أحس براحه وأمان من أزور أضرحة الأولياء والأئمة، وكل مره أخذ وياي (چيسين) من حب الحنطه واحد لحمام عبد القادر والثاني لحمام الكاظم عليه السلام، دادة هذا الحمام يبين يفتهم من يخلي هاي المراقد مكان عيشته وتفریخه، وداده أم كفاح أنتي ما مصدگه هذا المثل اليگول (مثل حمام الكاظم ياكل بالكاظم ويضرگ بالمعظم) دادة أنه شفته حمام الكاظم يضرگ بلواوين الكاظم، برد حيلهم يردون يخلون الحيوانات خطيه تشترك بذنوبهم وجذبهم.

يعني معقوله الكاظم عليه السلام يرضه حماماته يرحون  
يضرغن بالمعظم؟

تبتسم (حياة) لبساطة وخفة دم أم سلام، نافية تصديقها لهذه  
الأمثال، والكاظم والمعظم والكيلاني كلهم يستحقون  
الأحترام والتبجيل وهم من الصالحين.

باتوا ليلتهم في بيت (أبو سلام) وسط محبتهم وخفوتهم  
وكرمهم واحاديثهم بين ذكريات عذبة واخرى مؤلمة ومريه،  
معلنين أسفهم لخبر أصابة (ابو كفاح) بالسكر متمنين له  
الشفاء العاجل والصحة الدائمة.

غادرا صباح الأول من نيسان دار (ابو سلام) وقد أعطت (أم  
سلام) عدد من قطع القماش لأم كفاح لتخيطها ملابس  
لأطفالها وفستانا لها، تتمنى ان تكون جاهزة عند زيارتها لهم  
مع (ابو سلام) في قادم الأيام، كما أهدتها عددا من كبة  
البرغل الموصلية التي تجيد عملها (ام سلام) الموصلية  
الأصل.

بدت (أم كفاح) مسرورة وراضية حول طبيعة حياتهم الجديدة  
في بغداد، أذ بدأت تعود إلى روتينها اليومي وسط حالة من  
الهدوء والأطمئنان وأن لم يكن كاملاً، فمازالت الأخبار  
السيئة لم تختفي من الساحة السياسية العراقية.

وأخذت (حياة) تنظم وجبات غذاء حبييها (مظلوم) تحاشيا  
لارتفاع السكر في الدم، وأخذت قدر الأماكن تنحية الأخبار

المقلقة، خصوصاً وأنه أخذ يفكر بجدية في اعتزال العمل التنظيمي الحزبي، بسبب كبر سنه ومرضه الذي لم يكن في الحسبان، فلم يعد قادراً على التخفي والتشرد والسجن، بالإضافة إلى الوضع التنظيمي المربك والآيل للشرذمة والأنشقاق، فكرس مظلوم وقته للقراءة والاستماع للموسيقى ومسامرة صديقه الحميم (فريد) الذي أخبره أنّ هناك خبر مدهش ومهما خلال الأيام القادمة.

بذل المزيد من الجهد الممتع في البستان حيث بدأت الأشجار تزهر، والجو يعتدل فاتحاً صدره للربيع الجميل، أحياناً ترافقه (ام كفاح) للبستان لمساعدته ولغرض المتعة وقضاء أوقات جميلة على ضفاف دجلة وبين نخيل وأشجار البرتقال في البستان، ومراقبة حبييها وهو يمارس هوايته بالقاء (السلية) في النهر وأصطياد السمك، وسرعان ما عقدت (حياة) صداقات حميمة مع نساء الفلاحين في المنطقة، تشاركهن همومهن وتبسط لهن حياتهن بخبرتها الغنية في حياتها، تشاركهن في أفراحهن وأحزانهن وتمديد المساعدة المالية لمن تحتاجه وحسب أمكانيتها، تخطط لهن ملابسهن وملابس أطفالهن رافضة أخذ أجره مقابل عملها، ولكنهن كن يحاولن التعويض عن ذلك باهدائها اللبن والزبد، والدجاج والبيض والتمر، الخ.

في يوم (١٣ - ٤ - ١٩٦٦) على حين غرة أوقف الراديو البث في أذاعة بغداد، لتعلن عن تعرض طائرة رئيس الجمهورية عبد السلام عارف لحادث كارثي نتيجة سوء الأحوال الجوية خلال زيارته للبصرة مما أدى إلى وفاة الرئيس.

لمعت صورة (فريد) في رأس (مظلوم) أنه خبر مذهل فعلاً، ونبوءة غاية في الدقة والصدق، أما عجب أمر هذا الرجل، وقد كان كثيراً ما يقارنه بصديقه (المله زيدان) الذي غالباً ما يردد على مسامعه تنبؤات آخر الزمان منسوبة للأولياء والأوصياء واصحاب الكرامات بطريقة (سيأتي زمان عل أمتي) أغلبها أخباراً تتبرم بقادم الأيام وسوء أخلاق وأحوال الناس وإنَّ العالم يسير نحو الخراب والدمار ومزيد من الجوع والفساد، فيحكمنا الصبيان، وتأخذ النساء تطارد الرجال، ويكثر اللواط، ويخون الصديق صديقه، وتخون الزوجة زوجها، حتى ظهور الحجة المنتظر (عج) حيث يضع المله يده المختمة بخواتم زرقاء على رأسه، وقد كان يحكي له كيفية توزيع لياليه بين حريمه الأربع، فالعدل في المعاش والفراش واجب، لذلك فهو يوصي دائماً بالمزيد من العسل الطبيعي، وتناول الثمر البرحي المهروس بالزبدة ونهمه المثير للدهشة في الأكل حيث لحم الغنم والكباب والدجاج والسّمك وأنواع من الحلويات والمكسرات، وهو يغمز لمظلوم) صاحكا أبا كفاح الفراش يريد حقه.

كان يلاحظه عندما يضع في جيبه قطعاً من عملة (العشرة فلوس وخمسة فلوس) ليدسها في يد المتسولين أثناء تجواله في المدينة مردداً وجوب الصدقة على المحتاجين.

يدخل في مشادات كثيرة كلامية مع من يتأخر في دفع أيجارات بيوته أو دكاكينه في المدينة لاتنفعهم أعدارهم أو ضيق معاشهم، مهدداً أيهم بالتخلى أو رفع شكاوى رسمية ضدهم، حيث كان له محام خاص يقوم بمتابعة قضايا أملاكه في المحاكم وبقية الدوائر الرسمية.

يطالب مستأجريه أن يخافوا الله في أملاك الناس، متناسياً خوف الله وهو يغتصب لقمة عيش أطفالهم بزيادته الأيجارات بشكل مستمر، أمواله حلال لأنه يخرج منها الخمس والزكاة ويحظى بمباركة (عالم الدين) ورضاه، حج بيت الله الحرام أكثر من مرة، ويعدل بين نسائه الأربع في المعاش والفراش، شيد أكثر من جامع وحسينية مستفيداً مما تقدمه الدولة من تسهيلات كالأرض والسلف لمثل هذه الاعمال (الخيرية) يحيط هذه الجوامع بالدكاكين التي يجبي منها أيجارات ضخمة، فلا مانع ان يوازي رفع أسم الله مع رفع أرباح وثروات هذا (المحسن الكريم) من خلال هذه الجوامع (بيوت الله) فلا مانع من أن تملأ (بيوت الله) بيوت (المحسنين) بالمال مقابل ملء بيوت الفقراء بالجوع والقهر.

يصم أذانه لكي لا يسمع مقولة "أشباع جائع خير من بناء الف جامع"

مما أضطر (مظلوم) إلى ترك العمل في حديقته لأنه لم يستطع تحمل نفاقه وجشعه ونهمه للجنس وللأكل. كان يتباهى أمام الناس بأن لديه فلاحاً خاصاً لرعاية حديقته الواسعة رغم أنه لا يكاد يعرف شيئاً عن الازهار ولا يتمتع نفسه بشم رائحتها.

أخذ المذيع يذيع المزيد من البيانات والتواشيح والآيات القرآنية والكل يرقب الأوضاع بقلق كبير، ومن هو خليفة الرئيس عبد السلام عارف، وهل الحادث قضاء وقدر أم من تدبير فاعل، ومن هو المتهم، وهل سيكون هذا الحدث الخطيراً لأروقة المزيد من الدماء ومزيد من الصراع والعنف بين مختلف الجهات الطامحة بالوصول إلى كرسي الحكم. قرر أن يعتلي دراجته ويذهب إلى دار صديقه (فريد) ليستجلي الأمر منه.

وجده جالساً في مكتبته يستمع إلى الموسيقى، واضعاً أمامه أحد مجلدات (قصة الحضارة) لديورنت، بعد الأستراحة بادره (فريد) قائلاً: لا تتعب فكرك كثيراً بما حدث، أنها فترة أستراحة وتهدة اللعب سوف لن تطول كثيراً، ليعود المطرود إلى كرسي الحكم من جديد بنفس القطار ولكن

برداء نقيضه، ولاتسأل من هو الفاعل هل هو الله برياحه العاتية، أو عقل مدبر مستتر، فلكل منهما ادواته للفاعل. ظل (مظلوم) صامتٌ يحاول أن يلم بممراد وأبعاد حديث (فريد) والذي سيأتي في عالم (الغيب) المنكشف أمام عيون هذا المدهش، ولكنه عموماً أطمأن لما يجري حالياً، وفي هذه الأثناء تم أذاعة بيان من أذاعة بغداد تشير إلى تولي عبد الرحمن عارف شقيق الرئيس الراحل عبد السلام عارف مقاليد السلطة من بعده.

تبسم (فريد) وهو يطالع تغيرات ملامح وجه (مظلوم) وأستغرابه لما يجري، متسائلاً عن المزيد من الأيضاح ليفهم ما يجري وما سيكون؟

عزيزي (أبا كفاح) لا تشغل بالك كثيراً بما سيأتي ولكن عليك أن تتصرف بما أنت مقتنع به، وسيأتيك الخبر بلا ثمن.

نعم استاذ ولكن ما يشغلني هو عودة المطرود بعد حين، هل هذا معقول بعد كل الذي قام به (البعث) في ١٩٦٣؟

نعم أخي ولا تستغرب فالعقل الأكبر يدير الأفلاك والرؤوس باتجاه من يخدمه وينفذ أرائده، نعم سيعود وستجري أنهار من دماء قد تطول عقوداً من السنين، أتمنى أن لانعيشها ونكون حين ذاك في ذمة العدم.

أستل (مظلوم) سيكارتته وخرج ليدخنها في ممر الحديقة، تاركاً (فريد) يستمتع بسماع موسيقاه، وقد تشاغل بالعناية ببعض شتلات الورد في الحديقة.

بدأت علامات الدفء والاستقرار تظهر على محيا (مظلوم) بعد أن ساكنته حبيبته في بيت وسقف واحد، وأخذ يخطط للقيام بسفرة إلى مدينة النجف لتفقد أقاربه ورفاقه وأصدقائه هناك بعد فترة الغياب والعذاب الماضية.

في أيلول ١٩٦٧ وصل حالة التوتر إلى أشدها بين تيارى قيادة الحزب، فأعلن رسمياً الانشقاق إلى (القيادة المركزية) بقيادة عزيز الحاج ومن تبعه، و(اللجنة المركزية) بقيادة عزيز محمد ومن والاه، وقد كان رفاق (مظلوم) ومن ضمنهم (أبو سلام) ضمن تشكيلات القيادة المركزية كما هو حال اغلب تنظيمات بغداد المركز، التي تبنت طريق الكفاح المسلح لأسقاط النظام، في حين كانت (اللجنة المركزية) بين بين، وقد بدأ كل من الطرفين يشن هجوماً إعلامياً ودعائياً ضد الطرف الآخر، مما بسبب المزيد من المرارة ل (مظلوم) الذي أعتزل الطرفين رغم ميوله إلى جماعة القيادة المركزية، وقد سلم بندقيته التي كان يحتفظ بها منذ حركة (حسن سريع) إلى رفيقه (أبو سلام) فهو يعتبرها ملك الحزب.

روى له أحد الرفاق تفاصيل العمل البطولي الأسطوري الذي قام به سجناء سجن الحلة المركزي بحفر نفق من داخل

السجن إلى خارجه وهروب العشرات من السجناء الشيوعيين من كلا الكتلتين اللجنة المركزية والقيادة المركزية في شهر تشرين الثاني ١٩٦٧، وماتركه هذا العمل البطولي من أنعكاس كبير في نفوس العراقيين وحقدتهم على السلطة في حين أنعش جسد الحزب وزاد من أنصاره ومؤيديه بين الجماهير.

في هذه الأثناء قامت أخته (سعودة) بزيارتهم صحبة زوجها، فكان جمع شمل عائلي مبهج لا ينقص اكتمال فرحته الا (كفاح) الذي وردت منه اخبارا مطمنة ونيتة إلى القدوم إلى بغداد في اقرب فرصة سانحة.

عاشت العائلة عدة ايام سعيدة وكان الفرح بالغاً بحفידتهم الصغيرة (آمال) أخت (سعودة) التي تعلق بها جددا كثيرا، وقد قاموا بزيارات للأصدقاء حيث أصبحت لهم علاقات متشعبة في بغداد الكاظمية وبقية مناطق بغداد، وأخذ دخل العائلة يتحسن من خلال عمل (ام كفاح) فقد أصبحت خياطة ماهرة ومشهرة ومحبوبة في المنطقة وما جاورها.

كان من رأي (مظلوم) في اعتزال العمل الحزبي في ظل حالة من الغموض والفوضى وسرعة تبدل المواقف بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، رغم أنهم على ثباتهم الفكري والمبدأي وحماسهم لبناء مجتمع الاشتراكية مازال حلمهم الكبير.

أخذت ترد العديد من الأخبار حول تمركز عصابة من الشيوعيين من جماعة القيادة المركزية في أهوار العراق تمهيدا لخوض الكفاح المسلح انطلاقا من الأهوار لاسقاط النظام القائم وكانت بقيادة المهندس (خالد أحمد زكي) ابن بغداد، وسكرتير الفيلسوف الكبير (رسل) في لندن.

كان (فريد) يفور غضبا لما يسمع قائلا: أنها قرابين جديدة يدفعها الشيوعيون، من أنزه وأنبل وأثقف أبناء العراق، أنها مغامرة نبيلة جديدة ولكني لا أرى أي نصيب لها بالنجاح، يا أخي أنها أرض (سبخة) فكيف لهم يتصورون أنها يمكن أن تصلح لزراعة العنبر؟

شعر (مظلوم) إن صديقه يحاول أن يبسط له الأمور ليقنعه بتوقعاته وحدوسه، حينما خاطبه بعقلية الفلاح الفراتي المتمرس بزراعة (العنبر) وطبيعة الأرض الواجب تهيتها لتكون صالحة لمثل هذا النبات، فهو بحاجة إلى أرض خصبة خالية من الملوحة والى ماء عذبا محملا بالغرين، مما جعله يوافق (فريد) إلى ما ذهب اليه.

لم تمر فترة طويلة حتى تسربت أخبار معركة هور (الغموگه) في الناصرية في اواخر شهر أيار من عام ١٩٦٨، والمقاومة البطولية الاسطورية لخالد أحمد زكي ورفاقه في جبهتين غير متكافئتين بالإضافة إلى شبه حيادية أغلب سكان المنطقة وخيانة بعضهم وأصطفافهم مع السلطة وما غمض من

سلوكيات بعض (الرفاق) وتعاونهم مع قوى (الأمن) مختارين أو مجبرين فكانت الخسارة الكبرى حيث قتل من قتل ومن بينهم (جيفارا الأهوار) (خالد أحمد زكي) وبعض رفاقه، والقاء القبض على الآخرين بعد أن تمكنوا من أسقاط إحدى طائرات السلطة وتكبيدها بعض الخسائر.

مما أسدل الستار على إحدى أروع ملاحم الكفاح من أجل الحرية والكرامة في أهوار العراق، ولكنها هذه المرة تحت راية الفكر العلمي وليس تحت راية صاحب الزنج أو حمدان قرمط أو أصحاب الزط، وبقي جرح (صويحب) أهوار العمارة نازفا وأحلامه مؤجلة إلى زمن غير مسمى، فاحتكارات البترول لا يمكن أن تسمح باشتعال نار الثورة الاشتراكية الثورية على مقربة من آبار البترول، هكذا عقب (فريد) على مأساة ثوار الأهوار، وفقدانه لأرب وأنبل صديق ورفيق، أختار أن يموت في مستنقعات العراق، تاركا مغريات (لندن) مدينة الشقراوات والضباب أملا في تحقيق حلم الفقراء.

مشيرا إلى أمر لم يفقه (مظلوم) جيدا، أن وقت فرض الهيمنة الأمريكية بدل البريطانية، وأستبدال القبضة على الحكم قد حان ولا يمكن أن تسمح هذه الاحتكارات استمرار قبضة راحية ممسكة بالحكم في أرض السواد والذهب الأسود، اقترب فجر اذاعة (بيان رقم واحد) جديد، بواسطة ناطق قديم

بوجه جديد، متفهّما لطبيعة ميل شعب العراق بأغلبية جماهيره الكادحة نحو الخيار الاشتراكي، فسيأتي هذه المرة مرتدياً لباس أقصى اليسار.

كان (مظلوم) يستمع بأندهاش كبير إلى ما يقوله (فريد) حول أحداث تلوح في الأفق القريب.

أخذ يصطحب معه (ام كفاح) لتمضية بعض الوقت في مشاهدت عدد من العروض المسرحية، حيث بدء المسرح ينشط خلال هذه الفترة، بالإضافة إلى تزجية بعض الوقت في التجوال في شارع الرشيد وشارع أبي نؤاس، وأحيانا الدخول إلى بعض دور السينما لمشاهدة الافلام السينمائية المختارة.

كذلك أمضيا أكثر من أسبوع في زيارتهما لمدينة النجف، كان الحزن والفرح يتناوبان عليهما، الفرح بأطمئنانهم على حياة وسلامة بعض الرفاق والرفيقات والأصدقاء وحزنٍ مريرٍ عند سماع أخبار أعدام البعض أو سجن البعض الآخر لسنين طويلة، أو هروب البعض الآخر إلى بلاد الغربية.

كأغلب سكان المدن العراقية ومنها بغداد في الصيف، يفترشون سطوح منازلهم ليناموا فوقها، للتمتع بالنسيم البارد ليلا عبر نهر دجلة، والتخلص من لهيب أشهر الصيف الحارة وخصوصا في شهر تموز وشهر آب، كالعادة أستيقض (مظلوم) صباح يوم ١٧ تموز ١٩٦٨ مبكرا تفادياً لحرارة الشمس متأبطاً فراشه، ليكمل رقدته داخل الدار تحت هواء

المروحة السقفية وقد سبقته (أم كفاح) في النزول من السطح وممارسة بعض أعمال المنزل، يبدأ بتدوير مؤشر الراديو ليستمع إلى أغاني فيروز الصباح وسماع آخر الأخبار من إذاعة العراق ولندن وغيرها من الإذاعات، عند الساعة السابعة والنصف يقطع بث الإذاعة، لتبدأ المارشات العسكرية علامة حدوث ثورة أو انقلاب في العراق هذا ما اعتاده العراقيون منذ ١٤ تموز ١٩٥٨، وإذا ببيان رقم واحد يعلن إسقاط نظام حكم عبد الرحمن عارف، وتنصيب أحمد حسن البكر رئيساً لجمهورية العراق في ثورة بيضاء، حيث أستسلم عبد الرحمن عارف وجرى تسفيره إلى خارج العراق!

وماذا بعد يا عراق؟ (البعث) يعود ثانية للحكم؟ ما أوسع أفقك وأصدق نبوءاتك يا (فريد) ها هي احتكارات النفط تعود ثانية لأحكام قبضتها على ذهب العراق الأسود، ولتخطف شعلة الثورة من أيدي قوى الثوار اليساريين في عموم المنطقة، يبدو أن مطحنة القهر والقتل ستعاود دورانها من جديد.

كان القلق بادياً على محيا (مظلوم) وقد لاحظت ذلك (ام كفاح) وهي تستمع للمارشات العسكرية وتكرار إذاعة بيان رقم واحد على لسان أحمد حسن البكر أحد أقطاب انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، رغم قلقها الكبير حاولت (ام كفاح) أن

تطأمن (مظلوم) ربما أستفاد البعث من أخطائه في ١٩٦٣،  
وأتى بنهج وسلوك جديد، محاولا التكفير عما ارتكبه من  
جرائم آنذاك.

لكن (مظلوم) أكد لها أستحالة ان يحدث هذا لأن الجريمة  
والأستحواذ على الحكم والأنفرد بالسلطة أهم مرامي البعث  
وسيفعل كل شيء من أجل ذلك، وكل ما سيفعله ويمارسه  
لأخفاء هذا الوجه لا يعدو ان يكون أكثر من خديعة وقرارات  
تكتيكية للوصول إلى هدفه الأستراتيجي بأحكام قبضته  
الحديدية على سدة الحكم لتنفيذ ما يطلبه منه أسياده الذين  
كانوا وراء عودته للحكم ثانية.

أثار انتباهه وهو يسير على حافة النهر، صمت النوارس،  
وأمتناع (السماج) عن الصيد في يوم (١٧) تموز، وكأنها  
أستعادت منظر النهر في ٨ شباط ١٩٦٣ حيث أصطبغ الماء  
في نهر دجلة بلون الحبر والدم.

وهو يتحدث لم تفارقه عبارات وكلام (فريد) حول الأحداث  
الحاضرة والقادمة، والتي تكاد تكون أصواتا بلا صدى لا  
يسمعها ولا يدركها أحد في عراق الآلام الدائمة.

بدأ البعث بأصدار قوانين وقرارات متوالية لأثبات تغير نهجه  
ومنهجه في الحكم، بالرغم من أنه كشر عن أنيابه الفاشية في  
ضرب العمال (في شركة الزيوت النباتية) وقمع أضرابهم  
المطالب بحقوقهم في نسبة ٥% من الأرباح، قتل أثناء ذلك

العامل (جبار لفته) وجرح العديد من العمال وأعتقال العشرات منهم وتعرضه للضرب والتعذيب، كما أنَّهم شكلوا أجهزة تعقب ومطاردة وأختطاف وأغتيال راح ضحيتها العديد من كوادر الحزب الشيوعي وقادته كستار خضير، وعبد الأمير سعيد، وكاظم الجاسم، وعزيز حميد رشيد ووو غيرهم الكثير مما أكد النهج الفاشي للسلطة ومنها الهجوم على الجمهور المحتفل في ساحة السباع بمناسبة ثورة أكتوبر الاشتراكية ومقتل ثلاثة من المحتفلين وأعتقال العشرات.

في شباط ١٩٦٩ تم اعتقال عزيز الحاج سكرتير (القيادة المركزية) للحزب الشيوعي العراقي وأنهياره وكشف تنظيمات حزبه، كما فعل القيادي الآخر في القيادة المركزية (بيتر يوسف) وأدانت لرفاقه الذين أستشهد العديد منهم تحت التعذيب، وأشادتهم بالبعث كثمن للحفاظ على حياتيهما في قصر النهاية وحصولهم على مناصب خاصة ثمنال (سقوطهم)!

اغتيال محمد الخضري في ١١ - ٣ - ١٩٧٠، أثناء توجهه للمشاركة في احتفالات بيان الحادي عشر من آذار وأعطاه الحكم الذاتي للشعب الكردي، حيث وجدت جثته مرمية على قارعة الطريق، وجسده ممزقا بعدد من الأطلاقات النارية، دلالة الحقد والكراهية.

وفي الجانب الآخر أصدرت السلطات قرارات إطلاق سراح السجناء السياسيين في ٥-٩-١٩٦٨ وأعادة المفسولين إلى وظائفهم في ١٢-٩-١٩٦٨ وأغلاق سجن نقرة السلطان، وتعيين عزيز شريف وزيرا للعدل، طرح ميثاق العمل الطني في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١، تأمين شركة نفط العراق ١٩٧٢. تعيين مكرم الطالباني وزيرا للري، وعامر عبدالله وزيرا بلا زارة في ٤-٥-١٩٧٢.

كان (مظلوم) يكاد لا يفارق (فريد) خلال هذه الفترة المليئة بالأحداث والقرارات والسلوكيات المتناقضة للسلطة، ولكنها لاتغير من قناعات (فريد) في الطبيعة الفاشية للبعث، وكونه مجنداً من قبل الأمبريالية الأمريكية لضرب القوى التقدمية واليسارية والعمل على أضعافها وشرذمتها في المنطقة العربية بكاملها، وقد كان (فريد) حينما يتحدث كمن يستعرض فلماً عجائباً يكاد لا يصدق لمستقبل الأوضاع في العراق والمنطقة.

كان دكتور (كفاح) غير مقتنعا بما يذهب اليه فريد، حين عاد إلى العراق في ١٩٧٠، وعين أستاذاً في كلية الآداب جامعة بغداد مستفيداً من قرار العفو و(أنفراج) العلاقات بين البعث واللجنة المركزية للحزب الشيوعي بقيادة عزيز محمد.

حاول أن يضم والده إلى بيته الذي وفرته له السلطة ضمن أساتذة الجامعة آنذاك، وأصر على بقاءه في الكاظمية في دار

صديقه الحميم وبالقرب منه، مما أجبر (كفاح) للعيش معهم، كانوا قليلا ما يجتمعون حول مائدة واحدة، بسبب الانشغال الدائم لـ(كفاح) في الكلية والجامعة ونشاطاته الأدبية والثقافية والسياسية، ورغم أخبار السوء من قبل السلطة كان متفائلا بمستقبل تحول الحكم البعثي فكراً وممارسة ليكون قريبا من الشيوعيين، وأمكانية بناء الاشتراكية بالتحالف مع (الأحزاب الديمقراطية الثورية) الممثلة للبرجوازية الصغيرة، حسب مقولة أمكانية التطور اللارأسمالي صوب الاشتراكية، وقد بدأت الحوارات شبه مغلقة بينه وبين والده ووالدته وأستاذ (فريد) رغم تحفظاتهم الكبيرة على تفاؤله بمستقبل العلاقات مع البعث رغم استمرار جرائمه ونهجه البوليسي والقمعي ومضايقاته التي لا تحصي للشيوعيين واصدقائهم، كان (كفاح) متحمسا لتطورات الحوارات لقيام الجبهة الوطنية بينهم وبين البعث وخصوصا بعد الاعتراف بجمهورية المانيا الديمقراطية، وأقامة معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفياتي في نيسان ١٩٧٣ حيث تم تجاوز شعار الحزب في مؤتمره الثاني بأسقاط سلطة البعث بأعتباره حزبا فاشيا خادما لقوى الرأسمال العالمي ومعاديا لطموحات الشعب العراقي في الحرية والتقدم، وما قامت به السلطة من اغتالات لكوادر الحزب وأنصاره كردة فعل لنجاح المؤتمر وصداه الواسع في العراق والمنطقة، إلى كون سلطة البعث.

(سلطة وطنية معادية للاستعمار والتوسع الصهيوني وتوافق التقدم الاجتماعي)!

تواصلت لقاءات (مظلوم) و(فريد) وخصوصا في دار (فريد) وتواصله في العناية بحديقته التي أحبها كثيرا.

عقد علاقات خاصة بينه وبين نخيلها وشجيراتنا المختلفة، مستمتعا بأحاديث صديقه، وحواريتهما حول الثقافة والأدب والفلسفة، ومناقشتها المشتركة للعديد من الروايات العراقية والعربية والعالمية، في حين أخذوا يذهبون سوياً وبمعيتهما زوجتيهما لحضور العديد من المسرحيات، حيث بدأ المسرح ينشط بشكل كبير خلال هذه الفترة.

في ١٦ - ٧ - ١٩٧٣ دعا (فريد) صديقه وزوجته لتمضية أمسية وتناول وجبة عشاء في داره، وقد كان له ذلك، وقد كانت الأمسية بليتها التي أمتدت حتى وقت متأخر من الليل، موسوعية من حيث ما طرح من خلالها بين العائلتين، كان الود والمحبة تعطر أجواء السمر وتبادل النكات والطرائف، تتخللها أيامات وتكهنات وصور من الحاضر والمستقبل العراقي المثيرة للألم والخوف والتحسب لمستقبل لا يشي بالأمان والسلام والرفاه للشعب العراقي.

بعد منتصف الليل أحتضن فريد صديقه (مظلوم) بقوة مودعا أياه بحرقه وحسرة غير معهودة، وقد كان يوارى دموعا تكاد تغالب حذره لتأخذ مجراها عبر أخايد وجنتيه الموردتان،

أثار هذا المشهد (أم كفاح) وزوجة فريد، تبادلتا خلالها نظرات التساؤل والاستغراب دون أن يقولوا شيئاً تعليقاً على المشهد الذي لفته أمارات الحزن دونما سبب مشهود.

غادر (كفاح) الدار في وقت مبكر جداً حيث أصرطحه أحد زملائه ورفاقه في سيارته (الفولغا) الجديدة، حيث يبدو أنهم على موعد مع حدث هام يحتاج للتهيئة الواسعة، أعدت أم (كفاح) وجبة الإفطار كالعادة وذهبت لأيقاظ (أبو كفاح) للنهوض ليتناولوا فطورهما معاً، نادى عليه أكثر من مرة ولكنه لم يرد عليها.

مدت يدها داعية أياه للاستيقاظ مرة وثانية ولكن دون جدوى، مما أدخل الهلع في قلبها، هزته هزة قوية ونادته بصوت عال، ولكن لافائدة، كان جسده بارداً ووجهه شاحباً لم تنم منه أية حركة، تحسست نبضه فوجدته مطفئاً تماماً.

هرعت إلى دار جيرانها، مخبرة أياهم بالحدث المرعب، ولتتصل هاتفياً برقم هاتف صديقه ليخبروا (كفاح) بوفاة والده، وقد كان الرد أنهما غير موجودان في الدار الآن، سيحاولان أن يبحثا عنهما ومعرفة مكان تواجدهما لأبلاغهم، عندها أدارت قرص التلفون لتتصل بصديقه (فريد) الذي رد عليها لم يفاجيء بموت صديقه وكأنه كان ينتظر الخبر الحزين، وأنه سيصلهم حالاً، مما أعاد إلى ذاكرة أم كفاح مشهد وداع ليلة أمس.

في خضم النقاش الدائر وأعداد ترتيبات الأحتفال بأعلان  
(الجبهة الوطنية والتقدمية بين البعث والحزب الشيوعي)  
المنتظر أن يوقع على ميثاقه وأذاعة بيانه كل من أحمد حسن  
البكر عن حزب البعث العربي الاشتراكي، وعزيز محمد  
سكرتير الحزب الشيوعي العراقي، رنَ جرس الهاتف وكان  
المتكلم يلح بأرتباك لمحادثة الرفيق (كفاح) لأمر هام لايقبل  
التأجيل، رداً على من رفع السماعه الذي أخبر المتصل بان  
الرفيق مشغول طالبا من محدثه اعاده الاتصال بعد ساعة أو  
اكثر.

اخذ السماعه (كفاح) وهو بوضع وحالة المتذمر، حاول لوم  
محدثه، ولكن ذاك استبقه بأخباره نبأ وفاة والده ووجوب  
عودته للدار حالياً.

تراخت قبضة يده من على سماعه الهاتف وأخذت تتأرجح  
في الهواء، تكاثفت غيوم وجهه فأمرت عيناه سابقه  
محاولته للظهور بمظهر الرجل الصلب، مردداً في داخل  
نفسه: اي يوم نحس هذا وسط وجوم وحزن رفاقه، اوكل  
الأمر إلى أحد رفاقه وأسرع متوجها لدارهم.

وجد هناك جمعا من الجيران، وأستاذ (فريد) وضجيج ونواح  
النسوة اللائي اتين خفافا لمشاركة (ام كفاح) حزنها والمها  
لفقدانها حبيبها ورفيق وشريك حياتها، وقد تقدم منه (ابو  
سلام) وجمع من رفاق واصدقاء (مظلوم) لتقديم التعزية

والتأسي، وكان (ابو كفاح) قد أوصى (ام كفاح) انه لو مات لا يريد أن يقام له سوى التشيع ورفقة أحبته معه إلى القبر، وأن يوضع (التابوت) الذي يحمل جثمانه في داخل السيارة ولا يربط على سقفها كما تربط الاثاث أو الحيوانات، كما أوصى أن لا يقام له مجلس فاتحة، وأنه لم يترك سوى دراجته ومنجله و(مسحاته) وعدد من الكتب، وهو لادائن ولا مدين لأحد.

أطلع (كفاح) الجمع على وصية والده، وقد أوصاه الجميع بتنفيذها حرفياً، وسط حشجة الحناجر المختنقة بالبكاء أسفاً على رحيله المؤلم.

تلفن كفاح إلى عمومته ورفاقه وأصدقائه في مدينة النجف لأستقباله هناك وتهيئة قبر والده حيث سيكونون اليوم مساء في النجف، أحضروا له سيارة خاصة أفرغ حوضها ليستوعب جثمانه كما أوصى، ركب معه كفاح ووالدته، بينما تبعهم الباكون في عدد من السيارات الصالون وفي مقدمته أستاذ (فريد) صحبة سيارته الخاصة تولى قيادتها أحد الشباب المرافقين موكب الجنازة.

وصل عصراً إلى مدينة النجف، أستقبلهم في مدخل مدينة الكوفة جمعا من الأقارب والأصدقاء من النجف وضواحيها، وقد سار الموكب المهيب موحداً، حيث اجريت مراسيم التغسيل والتكفين في مغتسل (بير عليوي) وحمل الجثمان

لأداء الصلاة عليه ومن ثم أداء مراسم الزيارة والطواف حل  
ضريح الأمام علي (عليه السلام) ومن ثم التوجه إلى حيث  
لحده في المقبرة وسط عدداً من أبناء عشيرته وذويه ورفاقه.  
ألقى أستاذ (فريد) كلمة بليغة ومؤثرة بحق الفقيد، تلاه (ابو  
سلام) في القاء كلمته وهو يكفكف دموعه المنهمرة أسفاً  
والمألفراق أعز وأحب رفاقه إلى روحه، وقد أسهب في  
تعداد صفاته الحميدة ومكارم أخلاقه وبسالته وشجاعته  
وكفاحه المشهود من أجل الغد المشرق للشعب والوطن،  
تفرق الجمع بعد جدل حاد بين كفاح وأعمامه وأبناء عموته  
حول إقامة مجلس الفاتحة فالعرف الاجتماعي لا يمكن  
تجاوزه رغم وصية المرحوم، وإن لم تقام في بغداد، فهم  
سيقومونها في النجف، أذعن (كفاح) لرغبتهم، ودع مرافقيه  
من بغداد شاكرًا لهم وقفته ووفائهم لوالده وفي مقدمتهم  
(فريد) و(أبو سلام) وبقية الأصدقاء والرفاق والجيران، وقرر  
البقاء هو ووالدته وشقيقته في النجف لأكمال مراسيم  
الفاتحة، وأثناء تناولهم للطعام في أحد مطاعم النجف في  
منطقة الميدان، لاحظوا توافد العشرات للميدان رافعين  
لافتات تحمل شعارات تؤيد قيام الجبهة بين البعث  
والشيوعي العراقي بعد إعلان الجبهة وتوقيع أحمد حسن  
ال بكر وعزيز محمد على بيان وميثاق الجبهة الوطنية عبر  
شاشات التلفاز رغم عدم وضوح الصورة بالأسود والأبيض

وقد أخذ منها (النمش) مأخذه بسبب ضعف البث من بغداد إلى المحافظات، يستمع (فريد) للهتافات وصورة (مظلوم) لا تفارقه وأحيانا يتمم بكلمات وعبارات غير مفهومة، بلغت حالة الغضب والاستياء مبلغها عند (أبو سلام) الذي لم تنزل آثار سياط البعث تحفر أخاديد في ظهره وصدره رغم مرور عدة أشهر على إطلاق سراحه من المعتقل أثر اعتقاله ورفاقه نتيجة لأعترافات (عزيز الحاج) و(بيتر يوسف) وكشفهما لكل تنظيمات القيادة المركزية، مردداً مع نفسه لمن تهتفون أيها الأغبياء إنكم تسIRON إلى مصيدة (البعث) بأرجلكم.

أكملوا طعامهم، وارتشاف الشاي، ثم ودعوا كفاحاً ووالدته، عائدين إلى بغداد رافضين الأذعان لطلب أعمام (كفاح) بالمبيت والسفر صباحاً.

كان مجلس الفاتحة مناسبة للقاء (كفاح) بكل أقاربه وأصدقائه ورفاق فتوته في النجف، أستعادة الذكريات والبحث والتداول في الوضع الحاضر وآفاق المستقبل، وقد كانت هناك وجهات نظر متناقضة بخصوص الجبهة مع البعث.

في حين يرى كفاح أنها تمثل بداية عهد جديد لعراق المستقبل الاشتراكي، خصوصاً وأن صدام حسين وجناحه أقترَبَ حتى من اعتناق الفكر الماركسي، مما يستوجب دعم هذا التوجه وتقوية أواصر الجبهة على مستوى القاعدة

والقيادة لغرض أنضاج الحليف الذي أختط طريق معادة  
الأمبريالية العالمية والصهيونية العالمية والرجعية العربية.  
بعد انتهاء الفاتحة قفل راجعاً هو ووالدته إلى بغداد، وبدأ  
يحضر للسكن في دارهم الخاصة وترك دار (فريد) وأعادته  
اليه لتكون من نصيب شخص آخر أكثر حاجة اليها منهم،  
فهم الآن يمتلكون القدرة على امتلاك دار حسب ما وعدتهم  
الدولة بتوفير دور سكن لأساتذة الجامعات العراقية، وقد  
عرض الأمر على والدته التي قبلت الأمر نزولاً عند رغبته،  
فمن الصعوبة عليها ترك الكاظمية التي اعتادت العيش بين  
أهاليها وفراق جيرانها للذين أحببتهم وأحبوها، فقرر أن  
يذهب هو ووالدته إلى الاستاذ (فريد) لأخبار بعزمهم على  
تخلية الدار وإعادة مفتاحها له فقد انتفت حاجتهم اليها.  
أستقبلهم (فريد) بفرح يتتابه الحزن فقد اعتاد أن يستقبل  
صديقه (مظلوم) صحبة (أم كفاح) ولكن.  
قدم لهم الماء والبيسي البارد، مهلاً مرحباً بقدمهم الذي  
يسره كثيراً، فهم بقية أخيه وصديقه العزيز.  
بادره (كفاح) بعد مقدمات الشكر والعرفان لما تفضل به على  
والديه واسكانهم داره كل هذه الفترة دون أي مقابل، والآن  
هم يعيدون له الدار وما فيها، فلقد تيسر أمرهم وأنه سيأخذ  
أمه للسكن معه في داره.

نهض (فريد) وقام بفتح إحدى أدراج مكتبته، وأتى بظرف مغلق سلمه إلى أم كفاح وطالبا من كفاح قراءته.

فتح دكتور كفاح) المظروف، وأذا به ورقة سند (طابو) الدار ملك صرف بأسم السيدة (حياة) مما أذهله وأثار استغراب والدته، فهي لم تسمع من (مظلوم) أنه اشترى الدار من صديقه (فريد) كما أن (الدار) في منطقة راقية من مدينة الكاظمية، وهو مهما ادخر لا يمكنه شرائها، ثم أن (مظلوم) لم يذكر في وصيته أنه يملك داراً، وقد حدد ملكيته بمجرعة ومنجل ودراجة هوائية وعدد من الكتب، وهو لادائن ولا مدين، فمن أين جلب المال واشترى الدار وسجلها بأسم زوجته (أم كفاح)؟

فرد (فريد) على تساؤلاتهم، يمكنكم التأكد من ملكية الدار من دائرة التسجيل العقاري، فهي ملك خالص بأسم السيدة (حياة) وقد كلفه أثناء حياته بإنجاز معاملة تسجيل الدار بأسمه، وهو قام بالواجب ولكن فاتته تسليم السند لصديقه وقد فوجيء بوفاة.

ثم أستدرك قائلاً وهو يبدد أستغراب (كفاح) وأم كفاح، بأنه يعلم ما لا يعلمون، وتمنى على (كفاح) أن لا يجبر والدته على ترك منزلها فقد أحبت المنطقة والمنطقة أحبها، وقد أيدته (أم كفاح) إلى ما ذهب إليه، مما جعل (كفاح) يخضع

لرغبتها، فهي بطبيعتها وأنسانيتها أصبحت بمثابة الأم لجميع  
سكنة المنطقة.

أخذ نجم (كفاح) يتألق عام بعد عام كأستاذ مميز في الأدب  
والنقد العربي، وثقافته العالية وفطنته واتقنه للغة العربية  
والروسية والأنكليزية اتقاناً تاماً، مترجماً منها وألها مختلف  
النصوص الأدبية والثقافية والسياسية، أثار حفيظة وكلاء  
الأمن في الكلية، مما جعلهم يعرضون عليه الانتماء لحزب  
البعث عارضين عليه مغريات كبيرة في تسنم مناصب مهمة  
كعمادة الكلية، أو رئاسة الجامعة وحتى الوزارة، ولكنه كان  
دائم الرفض، مذكراً أياهم ببنود التحالف الجبهوي وحرية  
الرأي والمعتقد.

كان يوماً رائع حين باشرت في الكلية أستاذة جديدة أتت نقلاً  
من جامعة البصرة إلى جامعة بغداد كلية الآداب، أنها  
الدكتورة (أحلام سلام الريان) السمرات ذات الهيبة والجمال  
وغزارة وعمق معرفي، هذه الصورة هي التي يخرج بها الفرد  
عند لقائه بـ(أحلام الريان) وهذا بالضبط ما كان من (كفاح)  
تجاه زميلته الجديدة، التي بدأت تقترب منه في يومها الأول  
للمباشرة وقد كان دليلها في التعرف على أقسام الكلية  
واساتذتها وطلبتها مقدماً لها كل ماتحتاجه من معلومات  
حول مستوى الطلبة وطرق التدريس، مما جعلها تستأنسه  
كثيراً، خصوصاً بعد أن تعرفته الشاعر المجدد المبدع (كفاح)

حيث تابعت شعره بأعجاب كبير قبل معرفته، ولكن في الوقت الذي هيمن على كفاح شعور الحب الجارف لهذه الفاتنة الأدبية السمرءاء، وقد تلاقت روافد عشقهما للشعر والادب والثقافة، كما هي روافد الفكر اليساري التقدمي، هذا التلاقي الجميل قادهما إلى عقد قران الحب وقرار المشاركة الحياتية، فكان يوما ولا أروع ولا أجمل ولا أسعد منه يوم عقد قرانهما الذي جاء متزامنا مع الذكرى (٤٣) لولادة الحزب في ٣١ اذار ١٩٧٧، ولكن خلال هذه الفترة وبالخصوص بعد أنتهاء المؤتمر الوطني الثالث للحزب في ١٩٧٥ نغصت حياتهم وعكرت مزاجهم المضايقات والأستفزات التي اخذت تزداد بوتيرة كبيرة، خصوصا وان الحزب الحاكم قد أتخذ قرار تبعية التعليم والتعليم العالي وأخذ يهدد بالطرد كل من لا ينتمي للحزب القائد كما يقولون.

كان العميد في وضع محرج فليس هناك أمكانية للأستغناء عن خدماتهما كأستاذين قديرين للنقد والأدب العربي، وعدم وجود البديل المناسب عوضا عنهما، وبين ضغط السلطات الحزبية بضرورة ابعاد الأساتذة الغيربعثيين عن الوسط الجامعي والتعليمي.

تمتعا في بداية عام ١٩٧٧ بأجازة زواج لمدة شهر، قررا أن يمضيانها في شمال العراق أعتزا ببيئة وجمال بلدهما

وأريحية ناسه خصوصاً وأنَّ لهما أصدقاء ورفاقاً كثيراً في كردستان العراق.

ولكن بعد عودتهما، ومباشرتهما الدوام في الكلية سلم العميد (كفاح) امراً بنقله إلى وزارة الزراعة وحسب تنسيبها، فاستلمه مبتسماً ومعقياً يبدو ان النخيل واشجار البرتقال والليمون والحنطة والشعير بحاجة لدراسة الأدب العربي، ونظر للعميد معاتباً: شكراً لهديتكم الرائعة بمناسبة زواجنا! في حين كانت (أحلام) في غاية الأثارة مستنكرة مثل هذه الأفعال المعادية للثقافة والأدب وللقوانين الوظيفية المعمول بها في البلد، بدأ العميد في غاية الأحرار، ظل ساكناً مطرقاً، حاول أن يشغل نفسه بتقليب بعض الأوراق بين يديه، ثم حمل حقييته مدعياً أنه ذاهب لحضور اجتماع هام في مقر الوزارة.

لم تكتف السلطات بنقله، بل أزدادت نوبات ومرات استدعائه للامن وتهديده بالسجن تحت مختلف الذرائع، تخلص اكثر من مرة من محاولة الاعتداء دهساً بسيارة (مجهولة) ناهيك عن العديد من محاولات التحرش والاستفزاز المتعمد التي لاتخفى عليه مصادرها ودوافعها، فأخبر حبيته بأنه قرر التواري عن أنظار السلطة، خصوصاً بعد أن أزدادت شراسة وعدوانية أجهزة الدولة القمعية في أواخر عام ١٩٧٨ و ١٩٧٩ وتسبب صدام زمام السلطة من

البكر، وستكون وجهته إلى أهوار الجنوب، وعندما يتدبر أمره سيحاول أن يلحقها به، وأن تعرضت للمضايقة.

فعليها ترك الوظيفة ومرافقة والدته إلى داره ها في الكاظمية فستكون هناك أكثر أمناً وأماناً، وهكذا كان، حيث أمضى (كفاح) أكثر من سنة متواريا في مدينة الناصرية والبصرة بصفته عامل بناء، وقد آلمه وأقلقه كثيرا خبر أختطاف حبيبته (أحلام) من قبل (مجهولين) وهي في طريقها للجامعة في منتصف عام ١٩٨٠، قرر الالتحاق بالفصائل المسلحة في عمق الأهوار، بعد أن أعيته كل الوسائل والوساطات من قبل الأهل والأصدقاء للعثور على أي أثر لـ(أحلام).

(كفاح) بين رائحة (الخريط) ورائحة البارود.

هذه فرصتك (يا حاشوش) ان تتأثر لذلك ومهانتك ونبيذك من قبل من رفضوك واحتقروك أنت وأبوك، هاهم (الرفاق) الجدد يتوسلون الناس للأنضمام إليهم دون قيد أو شرط سوى الولاء للحزب والثورة والقائد، أي ولك مسدس ورشاشه و(هلهلوه للحزب القايد) وهلوله للشيطان، لا يعني لي ذلك شيئا، هل أنا في حلم أو علم (حاشوش) يصير حكومه، يا رحمتك يا رب لا يا رحمتك يا رفيق عفلق، أين أنت يا (أبو حاشوش) ألا تستيقظ، لتأخذ ثأرك ممن يدعون الطهارة والشرف والعفة والله والله لاعمي يا والله وراس العزيز عفلق أريد اكلب عاليها سافلها واطلع بيهم نار گلبي،

وبالخصوص هذول الشوعيه اللي تكبروا علي وطر دوني  
طردت الحلب الأجر ب.

بكر حاشوش بالذهاب لمقر الحزب مهنتا ومباركا بهوساته  
التوسلية للشورة (البیضاء) التي نذر نفسه لها هو والده  
المناضل (فدعوس) الذي نفاه الأقطاع والرجعية وأعداء  
العروبة من الرفاعي للفهود بسبب نضاله وكفاحه من أجل  
الفلاحين ومحاربة الشعوية والديكتاتورية.

تغامز الرفاق فيما بينهم وقد ذهل بعضهم من تأليف  
(حاشوش) لقصة نضاله ونضال أبيه (الحرامي) القاتل، وقد  
أعجب بعضهم بتقديم نفسه بهذه الطريقة وهذا الوصف وكما  
قال أحدهم والله: انّ حاشوش بعثي مأسل وأنّه سیکتب  
للقيادة بتاريخه وتاریخ عائلته النضالي من أجل العروبة كي  
ینال حقوقه بعد أن تعرض للظلم والتشرد والتهجير.

وهكذا كان فقد قبل (حاشوش) عضوا في الحزب مع تسلیمه  
بندقية كلاشنكوف ومسدس مع مكافأة مالية مجزية وأوصی  
له بقطعة ارض سكن بجوار المنظمة ومنحة للبناء، "انه كلب  
صيد ثمين لا یمكن الحصول علیه بسهولة في هذه المنطقة  
التي لا تعرف غیر مقاومة السلطات والحكومات على طول  
تاریخها"، هكذا فال الرفیق المسؤل في سره.

أول خطوة قام بها (الرفیق حاشوش) متمنطقا مسدسه متنكبا  
رشاشته قاصداً دار عشیقته (مريوده) مستعرضا عضلاته بما

من عليه الحزب من النعمة والجاه ولا بد له أن يتأهل فليس هناك أحسن من (سعيده) بنت سرحان تصلح زوجة له، وقد رتب الأمر مع (مريوده) مسبقاً لإقناع (سعيده) وأبيها وبذلك يكون تردده على دارهم وعلاقته مع مريوده لا تثير التساؤل، كما قال لها.

أو طمام العار أجه (الفسيفس) يتبختر بوروره وصدغ من غال (من قلة الخيل شدوا عل الجلاب سروج) هكذا قالت (سعيده) عند رؤيتها (حاشوش) يتوجه لدارهم.

الغريب بالأمر ان حاشوش جلب معه هذه المرة كيساً من الفواكه قدمها بأعبارها هدية منه لعمه (سرحان) لما من عليه الحزب من تكريم وعرفاناً بنضاله وأبيه من أجل الشعب والوطن.

نهض أبو سعده مهلاً مرحباً بحاشوش مخلياً له مكان الصدارة في الكوخ طالباً من مريوده أن تعمل شاي تازة للأستاذ.

صار من عيوني والله يابه هي رفعت شان الأستاذ حگه ذبيحه مو أستكان چاي لكن شنسوي (العين بصيره والأيد گصيره) هكذا قالت مريوده رداً على طلب سرحان.

تنحنج (حاشوش) ممسداً شواربه متمسكاً مسدسه واضعاً بندقيته أمامه، أي والله رحمالله والديج ودينه ماي بيد المحروسه (سعيده).

أحضرت له (سعيدة) الماء وقد بان عليها الأستياء والتململ  
قائلة في سرها (من عسا زقوم).

هله هله بأم السعد هله بهل الجهامه الحلوه والله حريمه  
المثلج يعيش هنا، انتي رادلج قصر بالولاية. وخدامه تخدمج.  
لا يعمي أنه بخير ورحمه وهاي عيشتي وعيشة أهلي خل  
الولاية لهل الولاية، ثم خرجت ضجرة من الكوخ.

كلي عمي (سرحان) ترضه انتة بهذا الحجي. بس مايهم باجر  
اتشوف شلونه حيل حاشوش، ثم كشر عن أنيابه بضحكة  
ذئبية وهو ينظر لأبو سعده!

ما يهمكك منه يا أستاذ هاي بعده زعطوطه ماتعرف گذرك  
زين.

دخلت (مريوده) وهي بأبهي زينة تملأ فمها الضحكة والفرح  
والترحيب بأستاذ حاشوش وهي تحمل صينية الشاي.

شوف شوف أبو (سعيدة) شوف شلون لايح المسدس بحزام  
أستاذ (حاشوش) وشلون وچه مورد ولايجله صبغ الشوارب  
وطالع شباب أبين أربعطعش.

تبسم حاشوش شاكرًا لمريوده إعجابها برجولته وهيبته وعلو  
شانه.

وضعت أمامه قدح الشاي والآخر لابو سعده، تفضل استاد  
تفضل.

أي نعم مشكوره يميروده لآكن أنه مايطييلي الچاي لمن  
أعرف شنهو راي ابو سعده بالموضوع الكتلج عليه.  
أستاذ اشرب چايك شنهو ابو سعده وسعده يلگون أحسن  
منك، موهچي ي (سرحان).

أي أي مضبوط (سعيده) ما تلگه مثل استاد (حاشوش) أصل  
وفصل والسبع تنعام منه !!هكذا رد سرحان موضعالحاشوش  
أن مريوده قد أخبرته بطلبه ولكن، يا استاد أنه أشوف البت  
چنه موهاويه، وهاي بعد ظلت عله (مريوده) شلون تقنعه  
وانشالله ايصير خير، استاد.

أنعم الله عليك عمي (سرحان) ومريوده مايرادله نخوه، بس  
أنه شويه مستعجل من حيث القصر راح يخلص بنیان  
ومايصير أگعد بيه وحدي، ناوله تفاحة من كيس الفاكهة  
وناول مريوده بقية الكيس، وبعد أن أكمل التهام تفاحته  
أستاذن بالمغادرة لكثرة مهامه وأشغاله الحزبية وأن عندہ لقاء  
بمدير الناحية، و، و.

خرجت خلفه مريوده وطال وقوفها معه عند زورقه وهي  
دالعه، دس بيدها مبلغ من المال على أن يلتقيا غداً صباحاً  
لتخبره برضى وإقناع (سعيده) بالزواج منه وأن لا تنسى  
خفارتها وضرورة مبيتها في المقر الليلة القادمة ليكون  
(سرحان) على علم.

ودعته مريوده بضحكة داعرة وعادت للبيت فسمعت سعده تقول: انجلع من ألف حجاره وراك وعساك لارديت، يا منعول الوالدين ماتكلي اشچابك عليه.

ما ان حل المساء حتى أستدعى سرحان ابنته أمرا أياها بأن ترضى بطلب (حاشوش) فهو هبة السماء لها، مال وجاه، وقد أكدت وألحت مريوده معددة فضائله ووجاهته وسلطانه.

فلوس ومال وحلال ولا (ناطور) المهتلف التعبان الماينعرف راح يرد عدل من الحرب يو لا، وحتى لو رد اتظل تركض وراه الحكومه لأنه مو منتمي للحزب القايد.

والله والله وروح أمي العزيزه لو أدري أنذبح مية مره ولا أصير مره لهل الخسيس هذا، اللفوه الحرامي أبن الحرامي، أراد والدها بصفعها لو لم تصده عن ذلك مريوده.

خله خله عليه أنه أعرف النسوان باجر اتعقل.

گومي نامي، گومي ماتستحين تراددين أبوج، بنات هلوكت! أطفال (سعيدة) شمعتها النفطية (اللمبة) ثم انسلت تحت (اللحاف) المتهرئ، والدموع تنهمر مدرارا بعبرة مخنوقة وأنة مكبوتة بعد ساعة من جدل حاد بينها من جهة وبين والدها وزوجة أبيها (مريوده) من جهة ثانية بغرض إغراءها للزواج من (حاشوش) الطامع بالزواج منها، بعد ان أنتحرت زوجته الأولى لاتهامه إياها بإقامة علاقة غرامية مع المعلم (سلام) حيث كانت تعمل (فراشة) في مدرسة القرية، ورفضها ان

تعطي جسدها للرفيق المسؤول وبالتواطوء من قبل (حاشوش) وشكوكهم بأنتمائها إلى جهة معاديه كما يزعمون. تعذر عليها النوم بعد أن سمعت كلام (حاشوش) حول حبيبها (ناطور) وأستحالة بقاءه حياً وعودته إليها سالما فقد ذهب إلى (درب الصد مارد) وهو في الخطوط الأمامية من القتال بين القوات العراقية والقوات الإيرانية. بعد مكرمة القائد وإعفائهم من عقوبة الإعدام لأنتمائهم للحزب (الشيوعي العميل).

- ماذا يريد هذا (الخنزير) مني، ألا يكفيه علاقته المفضوحة مع (مريوده) وخصوصاً بعد أن وظفها في مقر (الفرقة) لتكون تحت الطلب في كل وقت، وتكون لها سطوة قوية على زوجها (الديوث) بسبب ماتنفقه من مال تحصل عليه من مرتبها الشهري ومكرمات الرفاق وعطاياهم و!

هذا ما رددته (سعيدة) مع نفسها، وهي تبحث وتدرس وتداول في رأسها شتى الأفكار والخيارات للخلاص من هذا (الخنزير) الزيتوني الكريه المتهتك، وماذا سيحل بها لو صدق قوله وقتل حبيبها (ناطور) ليكون طعماً للنار التي أشعلها النظام مع إيران، لينهب دمه هدراً كغيره من أبناء العراق في هذه الحرب المجنونة.

أعادت تأكيد نذر ديكها الأبيض لسيد (يوشع)<sup>١</sup> وقد صاح صيحته المألوفة بعد منتصف الليل المسماة (صوت ديج المختاضه)<sup>٢</sup>، ان أعاد إليها حبيبها (ناطور) سالما أجمعاً تحت سقف واحد. مستذكرة آخر حوار لها معه حول ما قرره حزبهم لحماية وصيانة رفاقه وتنظيمه في ظل اشتداد حملة الملاحقة والسجن والقتل والتعذيب والترهيب التي تقوم بها أجهزة السلطة، فقد أصبح حلفاء الأمس أعداء اليوم ان لم يدخلوا تحت خيمة الحزب القائد.

(سعيده) الحزب يگول کل من يشوف حاله ويدبر نفسه، يظل، يشرد، يطّي تعهد، القياده ماتگدر تحمي کل الرفاق والأصدقاء، هم يالله تگدر تحمي الكوادر العليا!

- هاي شلون، هذا الحچي ما معقول ايعوفكم هچي بعد ما كشفوكم للحکومه، وکت النفاهه تعالوا وکت الضيچ ما عليه!

- هذا واقع الحال يا سعيده، ولهذا السبب أبو عاهدين يشوف أن ننزل للهور ونجدد ثورة (خالد احمد زكي) ولا نبيع ذله لهل الذبابه ولو القضييه موهينه، والطمع والخوف عمه عيون الناس وگامت تبیع ضمایره للحکومه، والمصیبه

---

<sup>١</sup> - ضريح احد الساده المحليين وسط الهور.

<sup>٢</sup> - دلالة لياس الزوجة الزعلانه على زوجها بان لا احد سيعيدها إلى بيت زوجها اليوم حيث ينفذ ديوان الضيوف في هذا الوقت.

بيهم من رفاگتنه وربعنه المطلعين على الزغيره والچيره  
ويعرفون كل الخفايا والأسرار.

والمصبيه الثانية يا (سعيده) لم يجد الحزب تضامن وعون  
يذكر من قبل الرفاق السوفيت ولاغيره لابل هل تسمعين  
وتشوفينهم وياهم (دهن ودبس)

شلون يدعمون ثورة مسلحة ضد النظام (الاشتراكي الثوري)  
المعادي للأمبريالية كما يتوهمون.

تره صدگ هاي مصبيه چيره.

شلون تگدر تخدم بجيش عدوك، وتحارب گوه عليك بحرب  
أنته ضده.

هكذا قالت (سعيده) لناطور ضمن حزمة من تساؤلات  
التعجب والرفض و(الاستغراب) لما سيصل إليه حال الناس  
في ظل حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

- المصيبة إنهم يدعون أن هذه الحرب هي دفاع عن الوطن  
وكرامته وسيادته وثرواته!

ويسأل هل حفظ لنا هذا الوطن كرامتنا وثروتنا ومعتقدنا  
حتى يستحق منا الدفاع عنه.

أننا أرض وشعب رهينة حكم ديكتاتور مستبد، والطرف  
الآخر يريد أن يصدر ثورته كمن يصدر علب الفواكه أو رزم  
الأقمشة إلى كل العالم معتبراً الأمر أمراً شرعياً واجب  
الإطاعة والتنفيذ مما أعطى السلطة ذريعة كبرى لقتل

وملاحقة كل رافض للأنخراط في جيشه وجهده العسكري  
ويعتبره يقف في صف العدو.

وبعد تقلب وحسرات وزفرات ودموع حزن وألم تسلل  
النعاس إلى عينيها وغطت في نوم عميق.

"رف من الزوارق المزينة والمزركشة يتقدمها طرادة زفة  
(سعيده) الذهبية باتجاه دار حبيها (ناطور) في جباشة آل  
عباده وسط هور الحمار، الزغاريد يضح بها الهور طيور الماء  
بألوانها وأشكالها وأصواتها الجميلة مشاركة أهل الفهود  
وخصوصا (سعيده وناطور) فرحتها يوم زفافهما الذي طال  
أنظاره، كانت الطيور تحلق وتدور في السماء محومة حول  
الزوارق كأنها تردد هوسات الشباب (مبارك عرسك يلهيه)  
(وجبالك برنو ما ملعوب بسرگيه) وسرب من البط الأبيض  
والخضيري بأنواعه مُشكِلة مظلة فوق طرادة العروس لوقايتها  
من الشمس نائرة من مناقيرها حبات من اللؤلؤ على رأس  
العروس ورؤوس الزوافيف مع هدير أصوات الاطلاقات  
النارية من بنادق الشباب الزوافيف من جباشتهم، يزفون  
عروس أخيههم وصديقهم ورفيق عمرهم وعزيزهم (ناطور)  
صاحب المواقف الشجاعة المشهودة والذي يكن له الجميع  
حبا خاصا لما يتمتع به من سمعة طيبة ونخوة وصدق ووفاء  
وتعرضه للكثير من الأذى والسجن والملاحقة بسبب مقاومته  
لكل أنواع الظلم والاستبداد من قبل السلطات الحكومية

وتوابعها من الإقطاعيين وأزلامهم، وقد سبق لجده أن  
أستشهد وهو يقاوم الأنكليز في ثورة العشرين وأستشهد  
والده مع ثوار الأهوار خالد أحمد زكي ورفاقه في هور  
(الغموكة) فيسلم السابق للاحق راية الكفاح لتواصل هذه  
العائلة التضحية من أجل حرية الوطن وسعادة الشعب.

تتمایل (سعيده) بجمالها الأخاذ شقراء فرعاء عينا (مصقول  
عوارضها) عيناها الزرقاوان الواسعتان ورموشها الناعسة  
وجدائلها الشقراء الطويلة التي تلاعب مكوراتها الرجراجة  
ونهديتها كأنهما رؤوس بط ابيض يرومان شق الثوب لينطلقا  
في فضاء الحرية، توهج جمال (سعيده) بعد إن تزينت  
بالكحل والحناء وأحمر الشفايف وأرتدت بدلة العرس  
البيضاء، مما أبهر ناظرها وهي تتأمل صورتها في المرأة التي  
تحملها فضيلة شقيقة (ناطور) وقد هيمن الأنهار والإعجاب  
على كل (حديثات)\*<sup>١</sup> الفهود المشاركات في الزفة فبدت  
كحورية من جنان الخلد وليست قروية من الهور كأنها ابنة  
الارستقراطيات الغربية المترفة وليست ابنة (سرحان) القروي  
صياد السمك والطيور ومربي الجاموس ومن سكنة صرائف  
القصب والبردي وقد يتصور المشاهد أن جنات عدن تبعث  
من جديد ولكن على حين غرة أنقلبت (مريوده) إلى حية  
رقطاع ضخمة فاعرة فمها لافظا لها شديداً ودخاناً أسود

---

<sup>١</sup> - الفتيات الشابات.

أدخل الرعب في صفوف الزوافيف رجالاً ونساءً وماجت  
ومادت السفينة بمن فيها فأختلط الحابل بالنابل وعل الصراخ  
في كل جنبات الهور وسط عاصفة صفراء هوجاء قلبت  
عاليها سافلها، كادت الأفعى أن تطبق على رقبة (سعيدة) بعد  
أن حاولت إطفاء شمعتها، لولا أن تسارع (سعيدة) وتعمي  
بصرها بنار شمعة عرسها التي ازدادت توهجاً ثم أطبقت  
بكلتا يديها على رقبتها مع صرخة رعب ونجدة مدوية).

أستيقظت على أثرها (سعيدة) وإذا بها ممسكة برأس  
(محراث التنور) لتسحبه من يد مريوده التي لكزتها بطرفه من  
أجل إيقاظها من نومها، مريوده التي أنقلبت على قفاها  
مرعوبة من صرخة وحركة (سعيدة) بأتجاهها كمن يندفع بقوة  
ليرد هجوم وحش مفترس.

- هاي شبيج خاله چنچ مسودنه طفرت عليه تريدين تاكليني  
وصياحچ فزز الچيران ماتگليلي شبيج ماتگعدين بعد ليتمه  
تروحين للحشيش، نايمه أمبطخه وتمهذرين ساعه تضحكين  
ساعه تبچين وتصيحين ، يبين تتحلمين (بناطور) المهطور.  
هذا ما قالتها (مريوده) ل (سعيدة) وهي ترتجف وتحاول أن  
تستعيد توازنها

ها. أها، شنهو ليش؟ جاعده جاعده، بس (يمريوده) أشو اليوم  
ما سمعت ديچي يعوعي الصبح وگعد عله حسه مثل كل يوم  
بسلا مريض شوصاير بيه الله اليستر.

هكذا قالت (سعيدة) لامرأة أبيها رداً على زجرها امرأة إياها  
بالنھوض.

- ما تروحين تشوفينه خاف صاير بيه أبو (ضريح)<sup>١</sup>. قالت  
مريوده مستهزه

خاله برد حيلج ديچي منذور ل (سيد يوشع) وما يصير عليه  
كلشي.

ثم تفقدت الديك وقد كان واقفاً منتصباً على ظهر الكوخ، أنه  
بكامل صحته ونشاطه ولكن لماذا لم يصبح هذا اليوم هذا ما  
لم تعرفه وما أثار قلقها وظل سراً على (سعيدة).

تركت الديك وسرحت بعيداً وهي تستذكر حلمها الغريب  
والمخيف: (سعيدة) نهضت مرتجفة، وهي لم تزل تعيش  
حلم زفتها وكأنها تشم رائحة العطر والبخور والحناء  
والدخان وصرير الرياح، فوقعت عيناها على مرآتها  
المعلقة في (هطار)<sup>٢</sup> الكوخ الذي تنام فيه فقالت منبهة  
بصورتها وجمالها.

-أنعمت عينج هاحلاتج وأنتي جاعده من نومتيج مرعوبة  
چاشلون لو طلعتي من الحمام وصرتي عروس- آه ربي  
وصدگ هچي ويصير ناطور من نصيبي وأنه أصير أبيت

---

<sup>١</sup> - مرض يصيب الدجاج بالاسهال حتى الموت.

<sup>٢</sup> - حزمة من القصب تكون بمثابة قضبان سائدة للبواري التي تغطي هيكل  
الكوخ.

ناطور وهي تتحسر ناظرة لديكها الأبيض الذي كان يسميه (ناطور) بـ (سعيدة) وهو يعتلي الجرداغ ولكنه لم يطلق العنان لصوته كعادته كل يوم معلنا فجر يوم جديد من الهم والترقب والجهد المضني والنظرة الدونية لـ (سعيدة) وعيشها في كنف والدها وامرأة أبيها وهي تسعى جاهدة لإقناعه لتزويجها من (حاشوش) السر كال ومسؤول الحزب والذي يشاع أنه كان عشيقها قبل زواجها من (سرحان) وقد ضمها حاشوش للحزب (القايد) وحصل لها على أمر تعيين في مقر الفرقة الحزبية لتكون معه حيثما يشاء وهناك لغط كبير في القرية حول طبيعة علاقة (حاشوش) بيت (سرحان) وزوجته (مريوده الخفيفة) كما يسميها أهل القرية، التي كانت دائما تتهم (سعيدة) بحب (ناطور) الشوعي، ورفضت الانضمام إلى (اتحاد النساء).

أكدت (سعيدة) نذرها (للديك الأبيض) وهو ملكيتها الوحيدة لـ (سيد يوشع) لو حقق لها مرادها بالتخلص من (حاشوش) وتحقيق حلمها بالزواج من حبيبها (ناطور).

سمعت (مريوده) همهمات (سعيدة) فقالت لها: ولج يمهوله تريدن من سيد يوشع يزوجج للشوعي الحمر (ناطور) امجان ديچج المعظم!.

تدرين (حاشوش) نذر له خروف إلا صرتي من نصيبه وكرفت الحرب (ناطور) وربعه الشوعي.

برد حيلج، برد حيلج والبين هطرح أنتي وحاشوش الوصخ،  
وكون (ناطور) أو ربه رواياهم حمر، العباس أبو رأس الحار  
رايته حمره ويبرغ عشيرته أحمر والسيد ينصر ييارغ أهله مو  
بيارغ الظلام وربعمهم أعله مود طلي ماخذ حاشوش الوصخ  
(برطيل) من الوادم الفقره حتى لا يلبسون جيش شعبي.

اللهم سترك يارب، صباح الخير والستر ولعافية بچاه سيد  
يوشع والله بعد گلبي ما يحمل ضيم وقهر يارب العالمين،  
رددت (سعيده) هذا القول مع نفسها بعد سماعها نعيب  
الغراب فوق الدار وتوجهت للشرية، ثم قفزت بخفة داخل  
(البلم) دافعة إياه ليشق ماء الهور بعنقه منسابا بين أكمات  
القصب والبردي بقوة دفع (سعيده) وكأنها تفرغ بالمردي كل  
شحنة همومها ونار شوقها وقلقها على حبيبها (ناطور).

ألقت (سعيده) كغيرها من بنات الهور منظر أغتسال قرص  
الشمس عند الفجر في مياه الهور المترامي الأطراف  
وتحولات ألوانه كفتاة تغسل الحناء عن شعرها متحولا من  
اللون الرمادي الغامق فالأحمر فالذهبي المشع كلما أرتفعت  
مبتعدة عن الأفق ليبلغ أوج بريقه وتألقه عند الظهيرة لتعيد في  
المساء خضابها من جديد وتنام في حضن أمها الأرض  
محروسة بنجوم السماء وترقب القمر طوال الليل، فتعيد  
المشهد نفسه مع حبيبها القمر وكأنه يتبع خط سيرها آملا  
ب لقاءها لقاء عاشق ولهان يحيا ويموت لأشهر وسنوات طوال

حالما باحتضان حبيته (الشمس) دون جدوى، ولكنه لا يعرف الكلل ولا الملل وكأنهما يقضيان حكما لآلهة السماء ولا يعرفان له نهاية دون أن يبلغ احدهما الآخر فما ان تستيقظ الشمس حتى تخطف القمر قوة مجهولة لاتطلق سراحه إلا بعد اكتمال غيبتها ثانية عند الغسق وهكذا هو حال العشاق وصراعهم مع العواذل و(والعريضة) ومرارة وقسوة الأعراف والتقاليد.

غالبا ما تشعر (سعيده) بالحرّج وأحمرار وجتيها وهي تراقب تودد وقبل وتناسل طيور الهور بحبور وسرور وانسجام دون خوف من حسيب أو رقيب فتغبطها على حرّيتها وانطلاقها لا تخشى إلا مكر وغدر الإنسان المتربص بها دوما وأيما ذهبت وهاجرت.

تشعر بالخوف والهلع حينما تستعرض قصص الشيخ (روضان) مع زوجاته " فقد عرف عنه أنّه اشتهى إحداهن في رابعة النهار ووسط جمع من الأطفال والنساء والعبيد: عندما تمنعت عنه خجلا لفها في (باريه) حصيرة من القصب وأضرّم بها النار لتموت حرقا أمام عيون الجميع دون ان ينبس أحداً بنت شفه!

داعب احد أطفاله فوق سطح غرفته وحينما مد الطفل يده الصغيرة بعفوية على لحية الشيخ، استشاط غضبا ورماه أرضا

من عل ليفارق الحياة على الفور دون الاكتراث بحال أمه  
وإخوانه وأخواته الصغار!

إذا رفع أحدهم في الديوان نظره على نظر الشيخ أو علا  
صوته أو تكلم بدون إذنه كان يعاقب بأن يتبول عليه العبيد  
أمام أنظار الناس ليكون عبرة لمن أعتبر والويل لمن يعترض.  
إنها أفلام رعب لا يمكن تصورها في الخيال كان يمارسها  
شيخ وإقطاع المنطقة ضد الناس وخصوصا النساء.

تنفث سعيده حشرات وآهات أحر من الجمر وكأنها تخاطب  
مجهولاً: يا رب العالمين ماتكلي أحنه شمسوين، شنهو هذا  
القدر الينكتب عليه، ماصدگنه خلصنه من خيزرانة الشيخ،  
لگفتنه خيزرانة (الزيتوني) من يد ظالم ليد أظلم، والله هل  
العيشه ماتنراد، ونوب ايگلك لاتصير شعوي.

يعتصر صدرها الحزن والألم وتتألم (سعيده) كثيراً وهي  
تصادف زوارق الصيادين، عائدة من الهور قاصدة المدينة  
لتسويق صيدهم من الطيور، متدلية الرقاب الذبيحة مرصوفة  
على جانبي الزورق مخلفة خيوطاً حمراء من الدماء التي  
تقطر من رقابها في مياه الهور الجارية، تتساءل (سعيده) كيف  
يمكن إن يكون قلب الصياد قاسياً إلى درجة قطع رقاب هذه  
الطيور الملونة الجميلة لتكون طعاماً له أو مصدراً من مصادر  
مال يحصل عليه من بيعها في السوق ولم يكتف ببيع السمك

والقيمر واللبن والزبد والـ(خريط)<sup>١</sup> والقصب والبردي وغير ذلك بما تجود به جنات (عدن) في أهوار العراق منذ آلاف السنين.

كانت (سعيّده) ترافق فضيلة شقيقة (ناطور) عندما تذهب لجلب الحشيش من الهور فانعطفت بزورقها صوب دارهم. فضيلة، فضيله خاييه فضيله.

نادتها وهي في البلم الذي ركته في باب دارهم، فخرجت لها فضيلة ممسكة بمردى زورقها وبعد إنّ صبحتها بالخير وقبلتها كعادتها أرخت حبل زورقها ثم دفعتا زورقيهما لينسلا داخل الهور.

- فضليه ماچه خبر من (ناطور) قالت (سعيّده).

- إي يخيه كبل يومين أچه ابن حواس من يمه ويكول (ناطور) وچبته وراي ويچي مجاز انشالله.

- انشالله خيه انشالله يچي سالم بچاه كلمن عنده چاه عدالله هسا احنه شنه بهل الحرب ألسواها هذا المچنون ويه إيران وخلاه أنچلبت عليّنه.

- إي يخيه قالت فضيلة: الله يساعد كلبچ هاي نار العشچ فوك نار الحرب نار اضرب من نار، ضحكا سوية ودفعتا زورقيهما متجاورين يسابق احدهما الثاني نحو الأمام كثعابين الماء.

---

<sup>١</sup> - ثمرة نبات البردي وتعمل على شكل قوالب صفراء.

- ولج خيه هذا المنعول والدين (حاشوش) باليني بلوه أهو  
ورفيجته (مريوده) وتدرين أبوي مسلم لحيته بيد مرته ومرته  
مسلمه نفسه لحاشوش، ألحطه يمه (فراشه) بمقر الحزب  
ويريد يطبگنه سوه انه ومرة أبوي حتى أنصير بخدمته وخدمة  
(الرفاق)؟!

ومدري شلون بيه ولج منين أچيب (ناطور) ويكسر رچل هل  
المنعول والدين الصفاله الجو وگام يلعب بالقرية لعب، بعد  
ماكتلوا سيد عبد العباس وحبسوا ربعه ودوهم للحرب  
والموت.

- الله اگلج فضيلة هو (ناطور) ليش ماشرد ييه ربعه الراحوا  
للشمال وللسوفيت ومدري وين بعد وخلصوا بچلودهم.  
هذا ما قالته (سعيده) مستفسرة من فضيلة؟

ولج خيه (ناطور) وبعد جماعه من رفاگته وعلى رأسهم سيد  
(عبد العباس) وياهم واحد يسمونه (جيفارا الأهوار) دگوا  
رجل گالوا مانفارج الهور نموت بالهور ولا نشرد ولا نطاوع  
الحكومة، وچنچ ماتدرين ليش مارضه ناطور يعوف الهور  
وتغشمين روحچ ناطور ما يگدر يعوفچ ويعوف أهله بيد  
هذوله (الچلاب) ويمشي (يسعيده)، ونتي بعد تدرين شلون  
غدريهم رفيجهم (سيد مشواف) وشلون نصبوا البعثيه  
ودليلهم النذل (مشواف) كمين (لعبد العباس) وكتلوه وهو  
چاي لهله ومنه ترك (ناطور) الهور وراح سلم للجيش بعد ما

انسدت عليه كل البيان وماقدر يوصل لربعه بالشمال الما نشدو عنه ولاعن ربعه من يوم الشردوا لليوم، ودوا اهو والمثله بأمر الحكومة جبل للساتر الأمامي ويه إيران وحطوهم كلهم بحلگ المدفع، لزموا عليهم (حاشوش) مكسور الرگبة، وصفاله الجو وظل يتبختر بزيتونه أو وروره بحزامه ليل ونهار مثل الجلب المجلوب.

تأوهت (فضيله) بآلم وحسرة حرى وهي تذكر (سعيده) بمصاب ابن عمه (سيد وليد) الذي دفنه الحرس القومي حياً بعد أنقلاب ٨ شبط الفاشي، لم تكن الأعمال الإجرامية غريبة على مثل هذه العصابات. ولازال أبناء الأهوار يتذكرون ما حصل في الغموگه ومقتل قريبتهم (غازيه) وهي تقاوم ذئاب الهور بعد انتفاضة خالد احمد زكي ورفاقه.

(فضيله) صدگ يگولون حاشوش لفوه بالقريه؟

فأجابت فضيله: "حاشوش" أتى للقريه مع والده قبل أكثر من عشرين عاما من قرى الرفاعي البعيده، نتيجة لطردهم من هناك وحكم عليهم (الفريضه) بالفصل و(الجلوه) بسبب ارتكابه مع أبيه جريمة تسليب وقتل لزوار الرفاعي، وقد احل (الفريضة) دمهم هدران وطأت أقدامهم المنطقه ثانية وكذا هو الحكم على من يؤويهم أو يتستر عليهم، فجاء دخيلا عند الشيخ (وردان) رحمه الله فأوكل لهم رعاية (الجاموس) في الأهوار وخدمة المضيف، مقابل إعطائهم دار سكن

وحمايتهم وإطعامهم، مع إنذارهم بالطرد أو القتل أن هم أساءوا لأحد في القرية والقرى المجاورة، وهكذا استمر وضعهم، وتوفي أبو حاشوش ب (الباردة) وظل حاشوش يمارس الرعي والخدمة لغاية أنقلاب ١٩٦٨ واستلام السلطة في العراق من قبل حزب البعث، فكان حاشوش أول من أنتمى للحزب الذي كان أغلب الناس يتوجسون منه شراً بعد ما خبروا ظلمه في ١٩٦٣ فلم ينتم إليه أحد رغم كثرة المغريات.

كان له دور كبير في التجسس على الثوار في الأهوار منذ أنتفاضة هور الغموكة، فأصبح عالي الشأن لدى الحزب وأخذ يتحكم في شؤون القرية وحتى الناحية ويرفع التقارير على الناس حق وباطل بأعتبارهم أعداء للحزب والثورة، وخصوصا الشيوعيين والقوى الدينية فأصبح مكروها يتجنبه الناس ولا يخالطونه ولا يجلسون في مجلس يرتاده.

إما قصة تزويجه (مريوده) لوالدك الإنسان الطيب فمعروفة في القرية، هذا هو حاشوش كما عرفت أخباره من والدي).

هيمن الحزن والكمد والخوف ليربض كابوساً على صدر (سعيدة) التي لم تفارقها صورة (ناطور) وذكرى لقاءاتهما في ثنايا الهور، يتسامرون ويتغازلون لا يشاركونهم في خلوتهم هذه سوى طيور الماء وأهتزاز ذؤابات القصب والبردي، تتقافز الأسماك حول زوارقهم كمن يرقص فرحاً وطرباً كقلبي

الشابين العاشقين، تمر أمام عيون (سعيدة) صور ومشاهد  
وجلسات حب وغرام لا تنتهي، صوت ناطور العذب (اليوگع  
طير البسمه) كما يقول المثل لطراوته وحلاوته، موالاته  
أبوزياته التي كانت تجعل رؤوس القصب والبردي تنحني لها  
إكبارا وإجلالا وطربا، وكذا حال كل من يسمع صوت  
(ناطور) في عمق الهور من الصيادين وأرباب وربات  
المشاحيف، فليس هناك من لا يعرف صوت (ناطور) كان  
الكل يقطعون حركة المشاحيف ويركنون (المرادي) جانبا  
وهم ينصتون لغناء (ناطور) ابو الغيره كما يسمونه.

(منهلي هله المكتوب الفاني من هلي)

قريته وهل دمع عيني منهلي

يدنيه انتي الحرمتيني منهلي

وسكنت الغرب من غصبن عليه)

كانت (سعيدة) ترقب تردي حال ناطور وشروده وقلقه الدائم  
بعد أن رحل مع من رحل وسجن من سجن من رفاقه  
وأصدقائه، وكان يحدث شراً مستطيراً سيحل بشعبه ووطنه،  
وحينما تسأله (سعيدة) عن سبب تطيره وتشاؤمه يجيب:  
حبيبه كل التجارب التي مر بها وطنه وشعبه ما تحارب هذا  
(البيرغ) الا وكانت الكوارث والمصائب تنزل كالمطر على  
رؤوس العراقيين.

الكل يعرف ما حدث للعراق بعد ١٩٤٨ أو ١٩٤٩ والتاريخ يتحدث بألم ما حصل بعد ١٩٦٣ وهنا نحن نقبل على ما هو أقسا من كل ما فات، فنذر الحرب والخراب أصبحت واضحة وطبول الحرب تصم الأذان.

أحاه، والله عورت غلبي يناطور، وترست خشمي بارود، وانترس حلگي دم، ياسيد يوشع دخيلك.

والله (يسعيده) ما أضم عليج هذا اليتراوالي، وكل ماشوف الوضع راح يتخربط وايصير الفوگ حدر، وماندري شلون راح تصفي،

حببيي (ناطور) أشو آني ما شوف التشوفه، فأجابها ناطور بصوت حزين ووجه متجهم ليس كعاداته: تعلمين ماذا شاهدت في المدينة عند زيارتي لها الشهر الماضي؟

فما لفت نظري هناك تكديس عشرات لابل المئات من (الفوانيس) و(اللالات) النفطية و(الچول) و(البريمزات) و(الصوبات) في سوق المدينة، السؤال: ما الذي أتى بهذه الأدوات التي شارفت على الانقراض حتى في الريف العراقي؟

أنَّ هناك أمراً خطيراً يدبر في الخفاء لنا ولوطننا سيعيدنا عشرات السنين للوراء يا (سعيده) والساتر الله.

ها، ها خايه (سعيده) هاي وين رحنه وين صرنه، خايه أشوفج مدري وين سرحتي مدري وين رحتي؟

هكذا خاطبت (فضيله) (سعيده) بعد أن أحست بها قد  
انكفأت الي مكمن ذاكرتها كمن يستذكر ويسترجع صوراً  
بعيده.

خيه (فضيله) مدري شبيه، أشو غلبي لايج وخايفه مدري من  
حلم أمس مدري من نعيب الغراب الميشوم مدري من  
صفت الديج اليوم الماعوعه الصبح لا أول ولا تالي.

ديه أبداعت ناطور ما تخلينه نروح نزور سيد (يوشع) لن  
غلبي اليوم لاچمني وأرم وكلش خايفه، ولون تدرين شلون  
شفت حلم الليله راحت الله اليستر (يفضيله) ايگولون حلم  
الفرح ينجلب حزن والحزن يصير فرح مدري ليش وهذا بس  
عد العراقيين يو عد كل الوادم.

ياالله يغاتي نروح نزور مثل ماتريدين انه خاييه اگدر اعصيلج  
أمر وأنتي عزيزة اخوي (ناطور).

وبالفعل أنعطفت الزوارق صوب قبة السيد يوشع التي تتوسط  
الهور كغيرها من عديد الأضرحة وبنایات السادة وأبناء الأئمة  
المنتشرة على طول وعرض الهور، وهي تزدداد ويكتشف منها  
الجديد كلما تكاثفت غيوم البؤس والقهر والمرض والحرمان  
على أبناء الأهوار وضاق بهم سبل الخلاص وخصوصا بعد  
تكرار فشل وأنتكاس أنفاضاتهم وثوراتهم المسلحة ضد  
مختلف الأنظمة في العراق منذ الخلافة العباسية والعثمانية  
والعهد الملكي والجمهوري ولحين التاريخ من أجل نيل

حريتهم والحصول على حقوقهم ونصرة من يلوذ بهم من سكان المدن من المتمردين على السلطة أو الهاربين من الخدمة العسكرية.

ركن الزوارق حول سياج الضريح ودخلن إلى الداخل حلت (سعيده) حزامها وهي عادة المرأة الريفية المضيومة والمهمومة عندما تريد ان تشكي همها وألمها لأحد السادة أو الأولياء ليتنصر لها ضد الظالمين، جلست عند شباك السيد مسندة رأسها على الشباك ومطلقة العنان لدموعها لتنهمر بغزارة وهي تتوسل وترجى السيد إن يحقق لها حلمها ويعيد لها حبيبها سالما من محرقة الموت على الجبهة ويخلصها من (حاشوش) وزمرته، وإنها لم تزل عند وعدّها في إيفائها بالندى فالديك الأبيض لا يمكن أن يكون إلا من حصة (سيد يوشع) وبعد وياه بيرغ أبيض وكيلو (ملبس) (واهلبيه) <sup>١</sup> وچيس حنه أحنى بيه شباچك يسيد. وأخذت تخاطب سيد يوشع: لا يبعد عمري يغاتي كلشي ولا تصدح بحچي اليحچون عن الشوعيه، ما يعرفون الله، وما يعرفون أليمه والساده، تره حچي (ناطور) على (سيد مشواف) مو معناته عليكم، چا أنته أتصدح (مشواف) سيد أبّن رسول الله وهو صاير سري وگراش للحكومّه، أنته هم شفتلك سيد يعوف شارة ابو

---

<sup>١</sup> - جكليت وحلويات أخرى يجري نثرها في ضريح الولي عند تحقيق الأمانة.

فاضل أبو راس الحار ويدور شارة الحكومه، لا يسيد أنت  
بري من هذا الجلب.

وبعد إن مرغت وجهها بشباك الضريح جددت نذرها وزادت  
عليه البيرغ والحنه والواھليه وأفرغت ما بصدرها من هم  
وكدر ونشيج وحسرات وعبرات، وأودعت السيد كل أمنياتها  
وتمنياتها، وفضيلة ترقبها بحزن بالغ ودموع ساخنة، استعادت  
جلستها ثم نهضت وخلفها صاحبها باتجاه زورقيهما وهي لا  
تريد ن تغسل عينيها خشية إن تفقد حلمها الجميل وهذه  
الدموع التي أختلطت بعطر شباك (سيد يوشع).

أستقر الزورقان في منتصف الهور واستلت الفتاتان منجليهما  
وبدءا بقطف ذوائب القصب الريانة ورميها وسط الزورق  
على شكل حزم وفي الوقت نفسه يقمن بجمع الخريط من  
عرانيص البردي لأكل بعضه وتسويق الفائض إلى السوق  
وبين فترة وأخرى يسترحن وياخذن بيث لواعجهن وهمومهن  
لبعض وقد تأخذهن سنة من النوم بعد التعب والاسترخاء في  
بطن الزورق فينهضن مذعورات ليستعجلن العودة  
للبيت. مصغيات بكل حواسهن إلى صوت غناء صياد بيث  
الهور وشباكه وطيوره المهاجرة شجونه وهمومه وعشقه  
المكبوت ليتفاعل صوته مع تكسرات أمواج الماء.

(چبتيني للضميم اشمالچ ييمه شبيچ چبتيني للضميم شو بس  
علي دنياي تمطر بلا غيم).

فتختنق (سعيده) بعبرتها وتود لو أنها تستطيع أن تطلق العنان لصوتها المشهود له بالعدوبة والجمال من قبل رفيقاتها أثناء حفلات النساء في الأفراح والأعراس في مجالسهن الخاصة وقد خبرت صوتها (فضيلة) حيث تبدآن بالغناء المكبوت وهن يتقابلن على (الرحه) للطحن وغالباً ما تردد (أطحن بگايا الروح ما أطحن شعير) و(كون الحبيب يصير مگلد وضمه ما بين النهد والثوب كل ساعه اشمه) وسط هذه الأفكار والأحلام والتخيلات وأمواج الهور وسماع (الابودية) الحزينة للصيادين عادة لا تصحو (سعيده) و(فضيلة) إلا وهن على مشارف القرية عند الضحى.

لفت نظرهن هذا اليوم مشاهدتهن لرهط من الزوارق وهي متجهة صوب قريتهم قادمة من مركز مدينة الفهود ويبدو إن الزورق الذي في المقدمة يحمل (نعشاً) ملفوفاً بالعلم العراقي مع أصوات بكاء ونحيب وعويل تناهت لمسامعهن، فأصابهن الذعر والخوف والرعب وأخذت كل منهن تنظر في وجه الثانية وهن كالمصعوقات تخوفاً من هذا المشهد الذي أخذ يتكرر في القرية بعد معركة القادسية المشؤومة وسوق الشباب والشيوخ إلى محرقة الحرب مع إيران وقد زاد كدرهن وتطيرهن صوت نعيب غراب يحوم فوق بيوت القرية!

- يمه بعيد البله ولا كاله الله (ناطور) أچه منه طارش لهله گبل  
چم يوم ويگول راح يچي مجاز، ولچن صخام وچوهچن  
أجاب هاي السالفه على بالچن اشو كل زلم القرية بالجيش  
والجيش الشعبي خوما بس (ناطور).

ودون وعي منهن وجهن زورقيهما لتتبع الزوارق المتجه  
صوب القرية ثم أخذت تتوجه صوب دار سيد (غضبان) أبو  
ناطور.

أرتجف المردي في يد (سعدّه) يتبخر حلم الصباح وتغرب  
الشمس ويلفها الظلام لتسقط فاقدة الوعي، بعد إن تيقنت  
أنها تسير خلف نعش حبيبها (ناطور) ولم تسترد وعيها إلا  
عند ضحى اليوم الثاني فتفتح عينيها وسط جمع عائلتها  
وجلوس (حاشوش) عند رأسها مناشدا إياها بان تصحو وإنَّ  
(ناطور) ذهب شهيداً، وفداء للقائد والحزب والوطن سمعت  
زعيق ديكها المكبوت والمستغيث وهو يرفس مذبوحا تحت  
قدمي والدها ليقدم غداءً لضيفهم العزيز (حاشوش) فها لها  
المشهد وفقدت القدرة على الكلام، وهي تذرف دموعاً  
مكتوبة بنار الفراق الأبدي وضياح الأحلام ومشهد  
(حاشوش) مستبشراً وفرحاً بخلاصه من ناطور متوهماً إنَّ  
(سعيده) ستكون من نصيبه!

فقدت (سعيده) قدرتها على الكلام بشكل نهائي رغم  
محاولات أهلها ومحاولات (حاشوش) الذي جلب لها طبيباً

من الناحية، ولكن دون جدوى، أخذت تسير وتتكلم بعد صحوتها دون أن تعي ما تقول، تصرخ حيناً وتبكي حيناً آخر، تضحك ضحكا هستيريا في أوقات أخرى دون سبب ظاهر لمن حولها، تهرب مذعورة من هجوم ذئب موهوم، تقذف حاشوش كلما شاهدته ب (سرجين الجاموس) تسب تلعن، تضرب خدودها تبكي بكاء مرأ ثم تسقط كأنها جثة هامدة، عزفت عن الأكل، وان أكلت شاركت حيواناتها بعلفها، تلتطخ وجهها بالوحل والطين ورماد الحطب، وصل بها الأمر الي التجديف والتطاول على بعض الأسماء المقدسة بعد عتب وخطاب طويل كأنها تعاتب وتساءل احد أبناء قريتها وقد شمل هذا حتى سيد (يوشع).

بوجهها الملطخ وشعرها المنفوش المعفر بالطين و(السرجين) وما تم تعليقه في رأسها وملابسها من الرقي والحروز وشرائط القماش الملونة صارت تشيه لوحة سريالية، استفحل أمر هياجها يوماً بعد يوماً؟

لا تأنس إلا حين تتوهم إنها تجالس (ناطور): تناغيه تدلعه تغازله تضع رأسها في حضنه تمسده له شعره تذوب معه في قبلة حرى، تستعرض كل صور لقاءات العشق وكل مغامرات الحب والتستر والأختفاء عن عيون العواذل والحساد، تبدو في غاية الفرح والسعادة والنشوة، ولكن على حين غرة تزلزل الدار بالصراخ والعويل مدعية ان ناطور كان هنا، وقد أخطفه

منها الذئب مطالبة الجميع أن يهبوا معها لنجدته وتخليصه من أنيابه، تصرخ بأعلى صوتها ناطور ناطو رآنه (سعده). نتيجة لما آل إليه حالها قرر أبوها وبعض أقاربها أن يحجزوها في غرفة طينية لا يسمح لها بمغادرتها لأي سبب كان خصوصا بعد أن رفضت أن تربط إلى شباك (سيد يوشع) صارخة بوجوههم.

خايين ياسيد يابوسيد، اشو أكل ديچي وما حفظ ناطور، أخذ الديج أو ماحفظ ناطور، أو مبس هاي أشو أطه آل (حاشوش) رشاشه ومسدس، يبين أستغزر بد(طلي) حاشوش وديچي صار أبطنه، يبين كله تمشي (بالبرطيل) چا الفغير منهو آله، السكت راح بالرجلين والراح للشوعيه گالوا كفر بالله.

تظاهر حاشوش بأنه حاول جهده ومن منطلق مبادئه (الإنسانية) أن يرد ل (سعيده) عقلها لآكن دون جدوى، يبدو أن عقلها دفن مع جثمان عشيقها (ناطور) وأخذ يردد أمام محافل الناس: هاي الگلناه، هذول الشوعيه، ما جادرين إلا عله عقول بنات الناس الأشراف، يغشمرونهن ويذبونهن وفوگ کل هذا یچرهونهن الساده ويچرهونهن بالحزب والقياده.

لم تكن قصة (ناطور) وفاجعة (سعيده) الأخيرة التي عاشتها القرية، فقد خيم عليها الحزن والوجوم والخوف، الزوارق

التي تحمل توابيت الموت أخذت تتزايد يوماً بعد يوم مكتوب على مقدمها الإعلام التالي: الشهيد البطل، الخائن العميل، المتخاذل الجبان، و، و) تعددت الأسباب والقتل واحد أخذ الناس يعرفونه ويحرفونه.

بعد أن يأس (حاشوش) من شفاء (سعيده) أنقطعت زيارته لبیت سرحان في حين ازداد عدد خفارات (مريوده).

أستدعي (سرحان) للمشاركة في قاطع الجيش الشعبي المتوجه إلى جبهات القتال، وحينما راجع (حاشوش) شاكيًا له كبر سنه وعجزه وليس هناك غيره من يرعى بيته وحيواناته ويسد الوحشة عن (مريوده) ويداري (سعيده) قال حاشوش: يا أبو (سعيده) لا بد لك أن تشارك الجميع في الدفاع عن الوطن وعن الشرف، لا بد أن تهتز الشوارب مثل ما غال (القايد) حفظه الله ورعاه، انتة شلون ترضه فارسي مجوسي يدنس شرف (مريوده) يو (سعده) لا سامح الله؟

أما (سعيده) اله الله وإما مريوده فهي برعايتي ورعاية الرفاق، إنها تشعر بالألم وهي تراك لم تشارك أبناء شعبك في الذود عن الوطن، طلبت منا أن نلبسك ثوب الشرف لباس الخاكي كمقاتل في الجيش الشعبي، وقد كرمها الرفيق المسؤول على طلبها هذا كامرأة ومناضلة عراقية أصيله.

أيدته (مريوده) في ما قاله لزوجها حول ضرورة الالتحاق بالقاطع وإلا فستلجأ إلى طلاقه لجبنه.

ذهل (سرحان) لما سمعه من كلام وتصور نفسه واقفا على رأسه، أو زاحفاً على أربع وأنّ كلامه ثغاء عنزة وسط قطع من الذئاب.

استقبلته مريوده بالزغاريد حين دخل (سرحان) الدار مرتديا الخاكي متمنطقاً بجعبة العتاد متنكباً الكلاشنكوف. صلوات على محمد، عين الحاره بارده، شوف شلون طالع هيبه بهدوم الحكومه.

ولج أنه هيبه بغير سلاباتكم هاي، غرة عينج وعين المهطور (حاشوش) من كون راح تودون هذا الرجال الجبير للحرب، الراح تحصد الزغار والكبار، وظلت الولايه تلعب بيه (الغدعان).

رمى (سرحان) البندقية من يده على الأرض لاعنا اليوم الذي رأى به حاشوش وزمرة حاشوش ملقيا نظرة غضب نحو زوجته مدركا تماما سبب فرحها بذهابه إلى جبهة القتال.

نهض ملقياً نظرة على ابنته التي لم تعد تدرك أي شيء مما حولها. تكالبت عليها أسراب الذباب والبعوض والقوارض.

خلع سرحان بدلته (الخرائية) كما سماها، مرتديا (دشداشته) فتح باب صريفة سعيده جالسا بجانبها، متأملاً ما حل بها، كلمها وعيناه تنثر دموعا حرى دون ان تلتفت إليه أو تكلمه.

أخرج كيس تبغه وبعجالة لف سيكارتته، أخذ يمتص وينفث  
دوامات كثيفة من الدخان، كمن يبعد أسرابا من الجراد  
والعناكب التي هاجمته من كل مكان.

ماذا حل بكم. يا أبناء الأهوار ألستم أبناء من كانوا يصارعون  
السلاطين والوحوش والشعابين، الم يصرع أجدادكم الأسود  
والضواري التي كانت تسكن الهور في سالف الزمان، ألستم  
من حارب العثماني والانكليز وكانت لكم أيام مشهودة في  
مقاومة كل دخيل وكل مستبد عنيد، رحمة الله عليكم أبي  
وجدي، إننا لم نعد نستحق ان ننسب أنفسنا لكم لقد كنتم  
أحرارا لم تصبروا على ضيم، اخذ سرحان يسترجع حكايات  
جده وأبيه وكبار سكان الأهوار حول بطولاتهم وصولاتهم  
ضد الترك وضد الأنكليز وضد غزوات قطعان السلب  
والنهب التي كانت تستهدفهم من باطن الصحراء بين حين  
 وآخر، كانوا يسحرونهم بأحاديث طوال ليالي السمر  
السومري الموروث، حول أحداث لم يتبق منها سوى أشباح  
صور مازالت تقوى على النسيان وتقاوم الاندثار، يتحدثون  
عن أحداث غريبة وحيوانات عجيبة، عن مدن مندثرة وعن  
(چباشات) ارتفعت للسماء، عن جد طائر، وعن حيوانات  
تتكلم، عن عرائس وحوريات القصب والبردي، وعن آلهات  
وآلهة عجيبة، عن ملك حكم الجهات الأربع.ووو، ولم تكن

الذاكرة تتعب ولا تكل عن سرد ما قاله وتناقله الآباء للأبناء والأجداد للأحفاد.

كانوا كثيراً ما يعثرون في ثنایا الهور بقایا رماح أو دروع أو أنصال سيوف، أو قطع من الذهب أو الفضة أو الخزف منقوشة أو مرسوم عليها مالا يعرفون، كانت تثير دهشة وإعجاب الأجانب من زوار الاهوار، اللذين يستمتتون من اجل الحصول عليها بأي ثمن، كان هناك من أجداد ناطور وغيره من ذوي العلم بذلك الزمان يرون ان هذه الأشياء لا تقدر بثمن إنها حاجيات تسكنها أرواح أجدادهم، فكان بعضهم يقول الحفاظ عليها يعادل حفاظكم على شرفكم! قطع سلسلة ذكرياته هياج (سعيده) وتحذيرها من الذئب خاطف ناطور.

أمسكها هدأ من روعها ضمها إلى حضنه خضب رأسها بدموعه، حتى غابت عن الوعي من جديد قبلها وخرج منحني الظهر دامع العينين مبعدا مريوده عن طريقه كمن يهش بعوضة عن وجهه، حاولت ان تمتص غضبه بحركات غنج مرسله إليه أشارت حب وغزل ودلع غير مسبوق بينهما.

غرز (سرحان) سهام نظراته بوجهها قائلاً: لا تتوهمين اني غير عارف بما يجري وما جرى وبما سيكون، اني عارف تماماً سبب استدعائي للجيش الشعبي. وسبب اشتغالك في الفرقه، ولكن ان عدت من رحلة الموت هذه، ورأيت أو

سمعت انك ألحقت أي أذى ب (سعيده) فسيكون موتك على يدي، يا، اللهم صبرج يا روح.

ابتعدت عنه (مريوده) غاضبة مستغربة ما قاله لها (سرحان) وكأنها تراه لأول مرة التفتت إليه قائلة: والله هو مو صوچك صوچي آني اللي ردت عود أودعك أليله ونته رابح تدافع عن الوطن، بس هاي هيه يگولون (لا تسوي زين شر ما تلگه).

مسحت حمرة شفافها بظاهر كفها وهي تدمدم بكلام غير مسموع.

دخل (سرحان) الكوخ ليجمع حاجياته وأغراضه أخفاها في كيس من (الجنفاص) ليكون جاهزا للذهاب للقاطع عند الفجر، ومن هناك يتم تسويقهم وإرسالهم الي جبهات القتال، كما أخفى وأضمر في نفسه أمراً سيظهر بعد حين.

أبكرت (مريوده) النهوض فلم تجد لزوجها أثراً، أصلحت من حالها وزينتها لتذهب إلى الفرقة، بعد ان ألقت برغيف من الخبز لـ(سعيده) وغلقت من ورائها الباب مع أحكام قفله من الخارج.

لم تجد أحداً في الفرقة فقد ذهب الجميع لتوديع القاطع المتوجه لجبهات القتال وسط حالة من القلق والخوف لورود أخبار غير ساره من هناك تفيد بأنهيأر جبهة الفيلق الرابع ووقوع معارك طاحنة في احوار العماراة حيث بدأت طلائع

القرويين الهاربين من نيران المعارك تصلهم، وهم يقصون عليهم أحوالهم بين نيران القوات العراقية ونيران الإيرانيين وكل منهم يتهمهم بالعمل لصالح عدوه، فقتل أو أسر الكثير من رجالهم ونسائهم وأطفالهم وقتل أو صودر العشرات من حيواناتهم وأموالهم وأسلحتهم الشخصية.

آلاف الأسماك طفت ميتة فوق سطح الماء ومئات الطيور قتلتها الشظايا ونيران القذائف الصاروخية والمدفعية والطائرات والأسلحة الرشاشة، ومنظر لا يوصف للجثث الجنود من الطرفين طافية فوق المياه تجر ورائها ذؤابة دم حمراء، وقد أصبحت غذاء للسلاحف والأسماك والطيور.

نعم لقد قامت ألقىامه وملأت الهور رائحة الموت والبارود وأصوات هزيع القذائف المرعبة، لم يشهدوا مثلها حتى في أيام الاستعمار الأنكليزي، كما يروي كبار السن من سكة الأهوار.

تفرق شمل أهل القرى باتجاهات مختلفة ولم يعودوا يعرفون من هو الحي ومن هو الميت ومن أبتلعت المياه، من في الجانب العراقي ومن في الجانب الإيراني، إنها لمصيبة ما بعدها مصيبة.

عند المساء عاد الرفاق محملين بسيل من الأكاذيب ألفةقة حول النصر والتقدم وهزيمة العدو، وإلقاء القبض على بعض العملاء للنظام الإيراني، يحذرون السكان من مغبة ان تنطلي

عليهم أكاذيب القوى المعادية، إنَّ عيون الحزب واعية  
تترصد العملاء الذين بدأت تظهر لهم بعض النشاطات في  
أعماق الاهوار، وبعض المحاولات لضرب قواطع الجيش  
الشعبي والفرق الحزبية في بعض المدن.  
بدا (حاشوش) قلقاً خائفاً كثعلب مهزوم رغم ما أظهرته له  
مريودة من زينتها وفرحتها برحيل معكر صفوهم (سرحان)  
إلى غير رجعه.

أضمت ليلتها بين الرفاق الذين حاولوا أن يهربوا من خوفهم  
وقلقهم في إحياء ليلة حمراء من السكر والعريضة والرقص  
والغناء وإطلاق الأطلاقات النارية نحو عدو مفترض، وقد  
أبليت (مريودة) بلاءاً حسناً في إطفاء نار الرفاق وإسعادهم  
بالتنقل بين أحضانهم حتى الصباح وكأنها تنتقم من إهمال  
(سرحان) وتهديده لها قبل رحيله.

رغم كل الهرج والمرج وفوضى ليلتهم أصبح صباحهم  
بالتطير والتوجس والأستعداد لزيارة مسئول مهم للفرقة، سبق  
الزيارة رؤية وجوه وإشكال جديدة لأناس غرباء لم يسبق لهم  
أن شوهدوا في المنطقة من قبل، وهم بأزياء مختلفة.

عند الضحى بانث سحابة كبيرة من التراب على الطريق  
الرابط بين الناحية ومركز الناصرية أتضح بعد فترة وجيزة أنه  
سرب طويل من السيارات المضللة والسيارات المكشوفة

المكتظة بأناس مدججين بالأسلحة من مختلف الأنواع والأشكال.

انتشرت السيارات على مداخل المدينة وأختفى الناس من الطرقات ومقاهي المدينة وتقاطر ذوي النظارات السوداء لدخول مقر الفرقة، استمر الحال لعدة ساعات، خلالها كانت بعض السيارات تدهم بيوت محددة وتقتاد من فيها من الرجال والنساء والأطفال دون معرفة السبب، عم المدينة الرعب حتى المساء حيث عاد سرب السيارات من حيث أتى مصطحبا معه العشرات من الرجال والنساء والأطفال وسط دهشة وحيرة وتساؤل أهل المنطقة، نزلت بهم الكوارث كنزول المطر.

لا يعرفون من أين تأتيهم المصائب، أخذت نيران الحروب ونيران السلطة وإعداماتها وسجونها تلتهم الرجال والنساء والأطفال دون تمييز. أنه طاعون جديد. أتى ليفتك بسكان الأهوار مضافا إلى البلهارزيا التي لا يوجد شخص غير مصاب بها صغير كان أو كبير.

تجمع حشد من وذوي وأقارب المعتقلين في باب الفرقة للاستفسار عن مصير أبنائهم وآبائهم ونسائهم، ولم يتلقوا من الرفاق جوابا غير إنهم لا يعرفون شيئا عما جرى ويجري ولكن الأمر متعلق بنشاط القوى العميلة في المنطقة لورود معلومات من الجهات العليا حول نشاطهم في المنطقة، وإنَّ

أمر اعتقالهم لا يعدو سوى أستفسار وأسئلة وسيعودون في أقرب وقت ربما غداً صباحاً وعلى الجميع الانصراف فوراً من أمام الفرقة وإلا.

تفرق الجمع وسط حالة من الرعب والشك والخوف على مصير المعتقلين، وأسئلة تجر أخواتها عن السبب والمسبب والمصير ومتى وكيف ولماذا، ولكن ليس في اليد حيلة لا بد أن ينتظروا إلى الغد الذي ربما يشهد سقوط عصاة الطغيان لينجلي مصير من أعتقلوا هم ومن سبقهم ومن سيتبعهم في قادم السنوات.!

بعد أن اختلت (مريوده) بحاشوش وبقية الرفاق أسرها عن وجود جماعات مسلحة لقوى وأحزاب مختلفة في الأهوار تقوم بعمليات الاغتيال والخطف وشن هجمات مسلحة على مقرات الأمن والاستخبارات والمقرات الحزبية وتستهدف الرفاق وتقطع الطرقات مما يستوجب الحذر واليقظة التامة واستخدام كل أساليب الردع مع هذه المجاميع.

وقد وضعت خطة مفصلة من قبل جهاز الأمن والاستخبارات والمخابرات والحزب للمتابعة والملاحقة والمراقبة، وقد أوكل لحاشوش و(مريوده) دور هام في هذه اللجان لملاحقة المخربين ورصد تحركاتهم، وإنَّهما مرشحان لدورة في مركز المحافظة أو في بغداد لغرض التدريب لرفع قدراتهم في أساليب المراقبة والحصول على المعلومات، وقد حصل

ذلك بالفعل حيث أدعى كل منهم على أنفراد بأنه ذاهب لزيارة أقاربه، وقد أوكلت مريوده أمر العناية بسعيده إلى الجيران.

بعد فترة من عودتها أخذت (مريوده) تتردد على ماتم العزاء أَلْمقامه على أرواح القتلى في المنطقة لشتى الأغراض وقد عرضت قدراتها لتكون (مله) أو (عداده) من الطراز الأول مستغلة حلاوة وطراوة صوتها وقدرتها على حفظ قصائد المديح والرثاء في مختلف الأغراض كما كانت تحفظ أبيات الأبودية و(البستات) الداعرة في حفلات الأعراس، وحفلات الرفاق الخاصة والعامة، وخصوصا أحتفالية عيد ميلاد السيد الرئيس في ٢٨ نيسان من كل عام.

أنقطعت علاقتها بحاشوش والفرقة الحزبية وأخذت تكثر من زيارة أضرحة الأولياء والأوصياء ولا تفوتها مناسبة في هذا المجال لابل تبنت أمر تسيير زيارات النساء الجماعية لأضرحة الأئمة والأولياء (الدوره) كما إنَّها برعت في أمور نسائية أخرى، مكنتها من دخول أنْ لم يكن كل فأغلب بيوت القرية وما جاورها من القرى الأخرى، أصبحت ذات هبة وصيت ووجاهة عند المسؤولين وعلى مستوى القيادات العليا.

أما (حاشوش) فقد أشيع انه قد طرد من الحزب لأنه أَلَح كثيرا في مطالبة السلطات بالكشف عن مصير المعتقلين من

أهالي المنطقة وحاول الأعتداء على الرفيق المسئول، شاع الخبر بين الناس وسط أستغرابهم ودهشتهم وسبحان من مغير الأحوال من حال إلى حال.

فقد قرر (حاشوش) أن يحترف الصيد حاملاً شباكه على زورقه ليجوب الأهوار طلباً للرزق وتدبر أمر عيشه من صيد الأسماك والطيور، متبرعاً بالفائض لمن يصادفهم في الهور بأريحية غير معهودة قربته من قلوب تجمعات الصيادين في ثنايا الهور، وغالبا ما يجد أخبار معارضته للسلطة وطرده من الحزب متداولة بين الصيادين في الهور مما يجعله يحظى باحترام وتقدير وإعجاب البعض في حين يواجه الصدد والابتعاد من قبل آخرين، والشك والريبة من قبل تجمعات أخرى على علم بتاريخ وسلوك (حاشوش) متخذين قرار عدم السماح له بدخول مناطق سيطرتهم وتجمعاتهم ولا التعرف على عناصرهم، بالإضافة إلى تسريب أخبار كاذبة ووهمية إلى سمعه على سبيل الاختبار والتحقق من شخصيته ومهمته في الهور.

كان حاشوش يتعرض بين فينة وأخرى للأعتقال من قبل قوات خاصة لا أحد يعرف من أين تأتي. وبعد فترة من الزمن يطلق سراحه ليعود إلى ممارسة عمله مرة أخرى، لم تكن شباك حاشوش مخصصة لصيد الأسماك والطيور فقط بل تصطاد أحيانا بعض القرويات في أثناء تواجدهن في الهور أو

مشاحيفهن المحملة بالملح لإيصاله إلى أهوار أعماراه ومن ثم إلى إيران، كان مشروع مساعدة دائمة ونخوة مثارة على طول الخطوط حتى لإعطاء بعض المال بسخاء لمن يتقبلنه منه على سبيل المساعدة والنخوة والإنسانية لحين ابتلاع الـ(طيرة) للطعم لتفرش له جناحيها برضي ومتعة تامة، استطاع حاشوش أن يكون عبر هذه الممارسة شبكة من العلاقات الحميمة مع عدد غير قليل من القرويات البائسات متمكنا من بناء عرش ذكوريته على أكداس حرمانهن وكبتهن وحاجتهن وجهلهن.

كان بعضهن يحضرن مجالس المله (مريوده) وينقلن إخبارها لحاشوش أول بأول، وأستطاع ان يستغل بعضهن بإيصال رسائل وتعليمات وطلبات عن طريقهن إلى (مريوده) بأعتبارها نذور أو هدايا ل (أهل البيت) كمشاركة من (حاشوش) المظلوم الغريب المطرود.

لم تكن (مريوده) عديمة الحيلة في التواصل واللقاء بحاشوش سواء في ثنايا الهور أو في المدينة.

بالتعاون مع بعض المتعاطفين معه من الصيادين والقرويات أستطاع (حاشوش) ان يقيم له (چباشه) صغيرة في منطقة نائية من الهور، وخلال هذه الفترة زهد في الصيد والعمل وأخذ يكثر من الصلاة والسجود والركوع وقراءة القرآن والأدعية ويتنبأ بمصائر الناس، هذا سيطلق سراحه وذاك سيعتقل

وفلان سيتعرض لشر، وووو، وكانت كل تنبأ ته صادقة وحقيقة، أطلق لحيته وحلق شاربه وتختم بأكثر من خاتم، غير متناسٍ مسبحته السوداء الـ(١٠١)، مسورا (الجباشة) بالرايات الملونة من الخارج ومزينها من الداخل بصور الأئمة والأولياء.

بسرعة مذهلة بانت على جبهته آثار السجود والورع، أخذ الناس نساء وشباب وشيوخاً يقصدون المله لمعرفة الطالع والتزود بالرقى والحروز والأدعية للشفاء من مرض أو تحقيق أمنية، وبالخصوص كانت رقى المله بخصوص الحصول على وظيفة أو الحصول على عمل لدى السلطة مجابهة، فلم يرجع أحدا خائبا وهو يحمل دعاء أو رقية من المله، تطلب الأمر أن يوسع (جباشته) أضعاف مما كانت حيث يتطلب الأمر بعض المرضى وطالبي البركة والزوار المبيت في مضيف المله، وغالبا ما يتطلب الأمر أن ينفرد المله بالمرضى أو المريضة والمبيت معه ليلة أو أكثر، وأستحمام المرضى أو المريضات وخصوصا من المصابات بالعقم أو تأخر الحمل، ونظرا لما أمتاز به المله من بركات وورع فقد أخذ الناس يسمونه بالمله (نعمه) فهو نعمة وهدية من رب السماء لسكان الأهوار، نسي الناس (حاشوش) وصار المله (نعمه).

في أحد الأيام دعا المله كل معارفه من الرجال والنساء وكل من تصله دعوته وأولم وليمة كبرى لان هناك أمراً هاماً يريد أن يطلعهم عليه المله.

وفي اليوم الموعد تقاطرت المشاحيف على مضيف المله وهي تغص بالنساء والرجال من مختلف المناطق وحتى من مركز المحافظة، وعند دخولهم المضيف فوجئوا برجل مهيب الطلعة، يرتدي ملابس بيضاء ناصعة ويعتم بعمامة سوداء ذات تنسيق جميل يلف على رقبته يشماغ اخضر مزخرف بزخرفة إسلامية ساحرة، نوراني الطلعة ذو لحية بيضاء وجبهة وضاعة، كل من يدخل ينحني مقبلاً يد السيد الجليل ويتنحى جانباً لفسح المجال للآخرين، اكتظ المضيف بالمدعوين، وكانت هناك حركة نحلية خارجه تقوم بتهيئة الطعام والشراب وأستقبال الوافدين وتوزيع البركات على الزائرين والزائرات والجميع يتلهفون لمعرفة الخبر المفاجئ الذي يريد أن يعلنه المله.

قيل الظهر تنحى السيد المهيب فران الصمت المطبق على الجالسين والواقفين وكلهم آذان صاغية للقول المنتظر ثم صلى على محمد وآل محمد ثم ثنى وثلاث فضج الديوان بالصلاة بصوت واحد هز أركان الجباشة ورددته نباتات وطيور الهور فهيمن مزيداً من الذهول والخشوع على الجمع وتوجه السيد بالكلام للحاضرين: تعرفون أيها الإخوة ان أهل

بيت الرحمة من النسل العلوي تعرضوا للظلم والأضطهاد والسجن والتشريد من قبل الطغاة والسلاطين لعنة الله عليهم، مما أدى بهم للتشرد من ديارهم والتستر على أنسابهم وألقابهم خوفاً من البطش وملاحقة عسس السلطين -وهنا أخذ أحدهم ينظر بوجه الثاني، لأنه لا يفهم ولا يعرف معنى العسس- تنبه السيد بفطنته لذلك قائلاً: لا يختلط عليكم الأمر فالعسس تعني شرطة الأمن السرية كما نقول في هذا الزمان كفانا الله شرهم، فردد الجمع وراءه الله يحفينه شرهم. آمين.

تناول السيد قدحاً من الماء من يد الصبي الواقف لخدمته قائلاً: لعن الله من حرمك من الماء سيدي يا أبا عبدا لله. فردد الحضور نعلتالله على بني أميه.

نعم أخوان ما تعرض له أهل البيت من ظلم لعشرات السنين أنسى الناس نسبهم الأصلي كونهم من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله سبحانه ينتصر دائماً لهذه الذرية الطاهرة ويأتي وقت لتعرف حقيقة من حاول الباطل أن يطمس نسبه ويبخسه حقه.

القصد من حديثنا أيها الأحبة هو ما عرفتموه بأسم مله (نعمه) فهو أيها الإخوة من ذوي الحسب والنسب أنه من ذرية رسول الله (ص) وقد عثرت بالصدفة أو بتوجيه من الله عز وجل على شجرة نسبه وحسبه فأمرني ملك رأيته في عالم

الرؤيا انْ أقصد ديار مله (نعمه) وكشف الستر عن نسبه وحسبه وقد أدلني الملك على مكانه وكونه كان يعرف بـ(حاشوش أبْن فدعوس) بينما هو السيد (نعمه السيد أيوب، السيد، السيد، الخ) فضج الحاضرون بالصلاة على محمد وآل محمد وعلت الزغاريد والتهليل والصلوات في خارج المضيف ونثرت (الواهليات) ونذرت النذور، أسكتهم السيد بإشارة من كفه انْ أسكتوا: ومن نعم الله أيها الإخوة إنكم أسميتموه دون علم منكم (بنعمه) وهذا أمر رباني أيها الإخوة من الله بها عليكم نتمنى أنْ تزيدكم إيماناً واعترافاً بفضل (سيد نعمه) عليكم ووجوده بين ظهرانيكم.

هذا ما جئت من أجله وما على الرسول الا البلاغ المبين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نهض السيد وأخرج من حقيبة له عمامة سوداء وغترة خضراء و(صاية) سوداء من القماش الفاخر وألبسها لسيد (نعمه) مباركاً ومهئناً له نعمة الله عليه.

تقاطر الحضور يحملون قناني ماء صغيرة أسال السيد فيها لعبه ليتبرك به الناس ملتهمسين الرزق والأمان والشفاء، ومثل هذا حدث خارج المضيف أشرفت عليه المله (مريوده) التي أصبحت تسمى بالمله (فاطمه) أستجابة لأمر ورد على لسان إحدى المبروكات وتكرر الأمر أكثر من مره.

عند الظهر أمهم السيد للصلاة الظهر. ثم أخذت صواني الرز العنبر المثقلة بلحم الخرفان والحولي والمشبعة بدهن الحر مع أواني (الروبه) ناهيك عن خبز الطابك السياح والسملك المشوي فعاش الناس يوم فرح وعرس ومهرجان لم يحلموا بمثله وسط واقع حرب خيم عليهم فيه الحزن والخوف والتشرد، ختم اللقاء الكبير عند المساء عادت الزوراق والمشاحيف من حيث أتت وهي تحمل الرايات الملونة والشارات في الرقاب والأيدي وقناني الماء المباركة في أيدي وجيوب وحقائب العائدين إلى منازلهم، لم يتخلف من الركب سوى عدد من الفتيات المتطوعات لخدمة السيد وضيغه، والملة (فاطمة) التي قدمت بصحبة السيد حامل السر والخبر السار.

وبعد أن صفا الجو وذهب المباركون التأم شمل الثلاثة المباركين خلعت العمائم وأبعدت التماائم، وأحضرت الكؤوس وطابت النفوس، وقد أبدعت (مريوده) في غنائها وأبدعت (صانعاتها) بالرقص والغناء حتى أنبلاج الفجر حيث صلى (الساده) على أرداف الغواني.

كان (السيد) وجماعته من الثوار يتفجرون غيضاً وغضباً مما يفعله حاشوش وزمرته وتضليله للناس، وأدعاءاته الكاذبة والمزيفة، وقد توعدوه وهاجموه أكثر من مرة دون أن يتمكنوا من الظفر به، أحلوا دمه لما أرتكبه من تشويه

لسمعتهم وسمعة الدين وتجنيد نفسه ومن معه لخدمة السلطة ولكن يبدو غنّ كذبتة أنطلت على الكثيرين.

جلس (سرحان) خلف مدفعه الرشاش في موضعه الأمامي المقابل لمواقع قوات العدو، كان يسمي موضعه بل (نوجه) أي المكان الذي يختبأ فيه الصياد لمراقبة دخول الطيور في شبابه وسط الهور لأتخاذ قرار سحبها لتطبق على الطيور في الوقت المناسب.

بين حين وآخر تبدد صمت الهور (صلية) مدفع رشاش أو بعض طلقات متقطعة باتجاهين متعاكسين، لا لصد خطر أو هجوم وإنما لإثبات وجود يقظ وتبديد الضجر على السواثر المتقابلة، بحيث أصبحت وسيلة لتبادل الرسائل فيما بين الطرفين عبر شفرة لحنية يفهم منها مضمون الرسالة هل هي ودية أو سب وشتم وما إليه، وأحياناً تكشف عتمة الهور طلقات مدفع التنوير المتشظية أو المظلية فتبدو كأنك في وضوح النهار، سرعان ما يعود الصمت الي سابق حاله لا يعكر صفوه سوى نقيق الضفادع أو صفقات أجنحة بعض الطيور المستفزة أو التي تمرح وتمارس الحب في فضاءات المنبسطات المائية بين أكمات القصب والبردي، تتقافز أمام عينيه أنواع مختلفة من الأسماك، يستفزه بعضها وهو يتحداه بلامبالاته وأستعراض جسمه أمام ناظريه -البز والغطان، والشبوط، والبني، والحمري، والسمتي- تظهر بأحجام قلما

صادف مثلها في منطقته خلال رحلات صيده هناك، كان يختار واحدة أو أكثر ليصوب لها نيران بندقيته الكلاشنكوف، وينزل ليسحبه من الماء يصحبه معه عند حضور بديله في الحراسة إلى مقر الفصيل، فالسمك أصبح وجبة الغذاء الرئيسية لهم في هذا المكان النائي، معوضا عن نقص التجهيزات الغذائية من مقر القاطع بالإضافة إلى رداءتها وكان أغلبها من المعلبات التي لم يستسغها سكان الأهوار، هذا الواقع أغنى (سرحان) من الحاجة إلى أسماك المجففة التي جلبها معه من بيته لعمل (المسموطه) المحببة لدى سكان عموم الجنوبيين وخصوصا سكان الأهوار.

في هذه الليلة الظلماء أحتدم إطلاق النار وأستمر لفترة غير قليلة بين الجانبين وخصوصا موضع سرحان ومن يقابله على الجهة الثانية، مما وضع جميع المواضع في أستنفار كامل، أنقطع الرمي وأنقطع الاتصال بسرحان لسبب غير معروف، فترك أمره حتى الصباح وعند الأستطلاع لم يعثروا على أي أثر لسرحان أو لسلاحه مع وجود بقع دموية في الموضع!

تم إعطاء موقف للفصيل ومن ثم للسرية فالفوج وقيادة القاطع أن المقاتل سرحان أصبح في عداد المفقودين.

انتشر نبأ فقدان سرحان بين أهالي القرية والقرى المجاورة. أظهرت (مله فطومه) مبالغة كبيرة في الحزن والتأسي وتلقي

العزاء لفقدانها زوجها العزيز المقاتل البطل (سرحان) (ولمن تريد الحيل يابوسكينه).

تعاطف الرفاق مع قضية فقدان (أبو سعيده) ومصاب مله (فاطمه) فأعتبر الفقيد شهيداً وأعطي كافة حقوق الشهيد لـ(فاطمه) بعد أن أصبحت قيمة رسمياً على (سعيده) فاقدة العقل والإدراك، ملكت (المله) داراً في مركز الناحية وسيارة صالون حديثه وإكراميات وهدايا أخرى تثمينا للشهيد البطل (سرحان) ولم تمر ليلة جمعه الا وتكون مله (فطومه) في حضرة السيد (نعمه) مع مجموعة من النساء والأطفال المحملين بالنذور والهدايا، إضافة إلى ما كانت تحضره الملّه معها كثواب لروح المرحوم الشهيد، تقضي ليلتها هناك ثم تعود عند الضحى وهي شبه نائمة في الزورق.

تتأسى لها النساء إنها أتلقت حالها على المرحوم وخصوصاً عندما تنفرد بالسيد (نعمه) لأنه كان صديقه الحميم!

عندما يعود الناس من الزيارة يكونون محملين بأخبار مختلفة تكاد لا تصدق يتم تداولها في داخل المدن ومجالس العزاء حيث اختصت الملّه (فطومه) برواية رؤى السيد وما يرويه زواره القادمون من أماكن بعيدة، ومنها ان مجموعة من الطناطل استوطنت الأهوار، وأخذت تقوم ببعض الأعمال ضد بعض الناس وخصوصاً من أفراد الشرطة والجيش الشعبي والأمن والرفاق الحزبيين، وإنه رأى أكثر من رؤية

وكان هناك جرافات أخذت تشق الطرق في الأهوار، وربما يصل الأمر الي تجفيفها أن أستفحل أمر هذه الطناطل الذي أخذت تتكاثر يوماً بعد يوم وربما هي مسيرة من قبل قوى سحرة معادين للحكومة العراقية؟!

أخذت بعض الطائرات (السمتية) تحوم في سماء الأهوار بين حين وآخر، ويشاهد أحيانا إطلاقها لصواريخ أو رشقات من مدفعها الرشاش في أماكن مختلفة، ذهب بعض مربي الجاموس والصيادين ضحية هذه الضربات، كما أنتشرت أخبار، تعرض السيارات العامة والخاصة إلى التسليب ومصادرة الأسلحة وحجز بعض الأشخاص ممن يشبه بهم من عناصر الاستخبارات أو الحزب، وكانوا يحملون المطلق سراحهم بعض من المنشورات والبيانات السياسية بمختلف العناوين، وأحيانا يعلقون على صدورهم (زورية) أو (زوريتين) محاكاة لأنواط الشجاعة الذي كان يعلقها على صدورهم القائد الضرورة.

أخذت تحدث في الأهوار عمليات غاية في الجرأة والدقة والحنكة في التدبير، تم مباغته العديد من الفرق الحزبية وقتل أو أسر منتسبيها والاستيلاء على أسلحتهم ومعداتهم، هجر الرفاق الكبار بيوتهم فلم يعودوا ينامون في بيوتهم بل في أماكن مجهولة، أو يتجمعون في أماكن محصنة ومحموسة من قبل الجيش خشية هجوم هذه القوى المسحورة التي

أصبحت لها الهيمنة على الأهوار وبعض القرى في الليل خصوصاً، أخذت تظهر بيانات في المدن والقصبات تحمل صور (جيفارا) أو (خالد احمد زكي) أو صور الشهيد (محمد باقر الصدر) وغيرهم من شهداء الحركات المقاومة للنظام، الكثير من البيانات والبلاغات كانت تقدم الأدلة الدامغة على عدم ارتباطها بإيران أو أي دولة مجاورة، بل هي حركة مسلحة تقاتل النظام من أجل الحرية وبناء الدولة الديمقراطية دولة العدل والمساواة وصيانة كرامة الإنسان وأمنه ورفاهه، فلم تعد كلمة العميل الملحقة بأسماء القوى السياسية المقاومة للسلطة إلا بالاستهزاء والتندر وترتد لصدر السلطة وأجهزتها الإعلامية.

في صبيحة أحد الأيام حينما كانت العائلة المستأمنة على (سعيده) تريد تقديم الطعام لها، لم تعثر لها على أثر رغم التحري عنها في كل مكان من الدار وما حولها في الأكمات المحيطة بصريفتها، تم أخبار (المله فطومه) بالأمر، فأتت بنفسها لتتأكد من الأمر برفقة بعض من أفراد الشرطة والأمن، أنتشرت الزوارق البخارية في كل مكان فبأت كل الجهود في العثور عليها حية أو ميتة، سجلت مفقودة لأسباب مجهولة، ربما جرفتها مياه الأهوار وأبتلعها الأسماك والسلاحف، أو أختطفها أحد الطناطل وقد يكون أخذها الجن الذي تزوجها وافقدها عقلها من يدري، مثلت (فطومه) دور

المتألم مع دموع الأسف لفقدان وديعة المرحوم العزيز الشهيد (سرحان).

أهمل أمر (سعيده) وطواه النسيان بعد أنتشار عشرات الاحتمالات والتصورات لغيابها المفاجئ، اعتبرها البعض من الأرواح المبروكة وقد تسامت الي ربها فتحولت طيراً من طيور الأهوار يسمع له أنين ونواح طوال الليل والنهار حزناً على حبيبها ووالدها، وآخذو يندرون لها النذور وينصبون لها القدور.

كانت هذه الرواية الأكثر قبولا ورواجاً بين سكان الأهوار وملائمة لأوضاعهم المأساوية وواقع الخوف والقهر والتوتر الذي خيم على حياتهم تحت كابوس الحرب التي يشهد أوار نيرانها يوم بعد يوم والتي بدت بلا نهاية.

أستقبل (الثوار) (سعيده) بفرح بالغ اغلبهم يعرف قصتها الحزينة وحبها المغدور، كان حبها مضاعفاً فهي حبيبة محبوبهم (ناطور) وهي ابنة (سرحان) المقاتل الذي أثبت جرأة وبسالة وحنكة كبيرة في المعارك والتدبير، وقدرته الكبيرة على معرفة خارطة الأهوار مداخلها مخارجها حتى في الليالي المظلمة كطائر من طيورها، كان الثوار بحاجة ماسة الي مثل هذه الخبرة ومثل هذا الدليل عند تخطيطهم لاي عملية أو عند تنقلهم من مكان لآخر ومن چباشة الي أخرى، فلازال العديد منهم يتذكرون بألم بالغ ما آل إليه

مصير الثائر الشيوعي (خالد احمد زكي) في احوار الغموگه  
حينما ظل هو ورفاقه الطريق آنذاك، كان المقاتل دكتور)  
كفاح) قائد المجموعة معجبا جداً بهذا المقاتل السومري  
الفطن والشجاع، الذي أستوطن الهور هو وعصبة من رفاقه  
منذ عام ١٩٨٠، وأخذ العديد من الفارين من ظلم السلطة  
ونيران الحرب المدمرة يجدون ملاذهم بين صفوفهم، ومنهم  
كان (سرحان) المقاتل الهارب من قواطع الجيش الشعبي،  
خصوصاً بعد أن تعرفهم من رفاق (ناطور) و(خالد أحمد  
زكي) وقد تعرف على بعض شباب (الفهود) بين صفوفهم.

كانت (سعيدة) مذهولة ولم تدرك ما هي عليه، حتى إنها لن  
تتعرف والدها في أول الأمر، تولت النساء عملية تنظيفها  
بإدخالها حماماً ساخناً أعد لها خصيصاً، وأستخدمن مبيدات  
القمل لتخليصها من أسراب القمل ويوضه المعششة في  
رأسها وكل جسمها طوال فترة حجزها، أعدو لها وجبة دسمة  
من حليب الجاموس ومن الزبد والجبن، وخصصن لها  
وجبات غذائية خاصة من لحم الطيور والأسماك والتمر،  
وصف لها مسؤول المفزة الطبية أنواعاً من المراهم لمداداة  
التقرحات المنتشرة في جسمها، وبعض الحبوب والبراشم  
للقضاء على بعض الالتهابات، كان (سرحان) يجلس قبالتها  
أوقات طويلة يسرد لها حياتهما وذكرياتهما منذ طفولتهما  
وأسترجاع التي مرت يهما، تستمع أحياناً بانباه كبير وأحياناً

تصرخ خوفاً من الذئب العاوية، تنادي (ناطور) تنادي أمها  
تبصق بوجه (حاشوش) و(مريوده) تندب أمها، تعاتب سيد  
(يوشع) ولماذا خذلها، أرتشى بـ(طلي) حاشوش الحرام  
وترفع على (ديكها الأبيض) ملكها الوحيد، ثم تستكين وتنام،  
أخذت صحتها تتحسن يوماً بعد آخر وأخذت تستأنس  
والدها ونساء (الثوار) تناقصت نوبات صراخها وفزعها،  
أخذت تدعو كل شاب يحمل سلاحاً (ناطور) كان الجمع  
يرقب تصرفاتها بين حزن وفرح حسب تصرفاتها، أخذت  
تسال عن والدها وعن (حاشوش) و(مريوده) وأين هي الآن  
كانوا يجيئونها عن كل أسئلتها بالتفصيل، يوم بعد آخر  
أخذت تتحسن وتنشط وتستوعب، وما أن مر الشهر الأول  
على تواجدها مع رفاق والدها حتى استعادت كامل وعيها.  
كاد والدها أن يطير من الفرح وهو يرى أبتته العزيزة وقد  
عادت معافاة وبكامل صحتها الجسمية والعقلية، أخذت  
تطالع في بعض الكتب والكراريس الموجودة في مقر  
الجماعة حين تكون بمفردها، خصص لها الرفيق (كفاح)  
وقتاً خاصاً من أجل زيادة وعيها وثقافتها يقرأ لها العديد من  
قصائده، وقد ضمن بعض قصائده بطولات حياة الثوار ومنهم  
(سعيدة) قصة عشقها ووفائها لحبيبها (ناطور) ومعاناتها  
وقريتها بعد أستلام (البعث) للسلطة في (١٩٦٨) ومجيء  
(اللفوه) (حاشوش) إلى قريتهم، وما حصل بعد أنهيـار

(الجبهة الوطنية) وتزعم صدام للسلطة، وبداية الحرب مع إيران.

كان طلبها الأول من والدها أن تتمرن على استخدام السلاح.

بويه أني الي طلب عدكم أتمنه ما تردوني؟

گولي يبعد أبوج، غالي وطلب رخيص، بيچ خير ودلي؟

بويه أني أريد أتدرب عله السلاح؟

لزم الكل الصمت في بداية الأمر، وكأنهم استغربوا هذا

الطلب من (سعيده) وهي في حالة نقاهة، فأجاب الوالد: ما

كو مانع بيويه لكن ما تشوفين بعد وكت عله السلاح

وصحتج بعدها ما تتحمل؟

بويه أنه ما أطيب ولا راح أصحه إلا ما آخذ بشاري وثار

(ناطور) وربعه من هل الظلام، أني لازم أدور (حاشوش)

ورفيجته (مريوده) وآخذ حگي منهم،

أعجب الجميع بردها وإصرارها على أن تكون أحد

المقاتلات والمقاتلين في كفاحهم من أجل حريتهم

وخلصهم، وكان الرد من الجميع وفي مقدمتهم والدها.

تدلين: سعيده، ومن عين باچر راح انطيج (كلاشنكوف)

وستنظمين لمجموعة المقاتلات والمقاتلين الذين يتدربون

على إتقان استعمال السلاح وأصلاح عطلاته وأمور أخرى.

تهلل وجه (سعيده) بالفرح وكأنها عادت لأيامها الأولى،

فبدت في غاية النشاط والحيوية، شكرت لهم أستجابتهم

وقالت: آني أريد أن أنظم للمقاتلات والمقاتلين الأميين دورة سريعة وقت فراغهم لتعلم القراءة والكتابة، لأنني أرى ذلك سينفعهم كثيرا في الوقت الحاضر والمستقبل، ويمكنهم من أستيعاب التعليمات والمعارف العسكرية والحياتية العامة.

وقد تمت الموافقة على طلبها وأبلغ الجماعة الأستجابة للخطة التعليمية التي ستضعها (سعيده) لتعليم الأميين والأميات القراءة والكتابة، والعمل على توفير المستلزمات الضرورية لذلك من خلال الحصول على الكتب التعليمية من بعض أصدقائهم وصديقاتهم من المعلمين والمعلمات.

وهكذا كان انتظمت (سعيده) في الدورة التدريبية وقد أحرزت تفوقا ملموسا في إتقان أستعمال السلاح خلال فترة قياسية، كما أنها كانت تحرز تقدما ملموسا في تعليم الأميين القراءة والكتابة، لم يكن يعكر صفوهم غير الحملات التي تشنها السلطة على مقراتهم واضطرارهم للتنقل بين الجبشات المختلفة المتناثرة على طول وعرض وعمق الأهوار، وخبر أعتقال رفيقهم المناضل العنيد (كفاح) خلال زيارته السرية إلى عائلته حيث تعرفه أحد وكلاء الأمن في أحدي السيطرات قبيل وصوله إلى بغداد.

كانت لـ(سعيده) أفكاراً واقتراحات مدهشة في التخطيط والتنفيذ لبعض العمليات القتالية التي كانت تقوم بها المجموعات المقاتلة، نجحت ان تكون نواة خاصة من

المقاتلات تم اختيارهن من قبلها وفقا لإمكانيتهن المتميزة للقيام بإعمال الاستطلاع وجلب المعلومات، ومجموعة أخرى للقيام بعمليات خاصة تستهدف بعض الأهداف الهامة التي تتميز بالدقة والجرأة والصدى الإعلامي الكبير، مما أكسب عمليات (الثوار) تحولاً نوعياً هاماً في عملياتهم الخاصة ومثلت تحدياً كبيراً لأجهزة السلطة.

لم تستطع أجهزة السلطة التكتم على أخبار عمليات بطولية مدهشة أودت بحياة العديد من كبار مسؤولي الأمن والاستخبارات والحزب حتى في مركز محافظة ذي قار وميسان والبصرة، يقال ان الفاعل واحد في كل هذه المحافظات، وترشح الأجهزة انّ الفاعل امرأة تمتلك قدرات سحرية في أصطياد هذه الرؤوس والإيقاع بها في فخاخ الموت، لم يكن يصدها حاجز أو سياج أو حماية فقد دخلت الي غرف نومهم، ومكاتبهم المحصنة والمحمية بحماية خاصة، مما أدخل الفزع ليس في قلوب المسؤولين المحليين وإنّما حتى في مركز العاصمة، عجزوا عن حل اللغز المحير خاطف الأرواح في الليل وفي الصباح!؟

تعرض (سيد نعمه) الي أكثر من عملية خطف، وكذا حال (مله فطومه) بعد انّ تعرفتهم (سعيده) وقد أصرت بأنها تريدهم أحياء ولا تريد قتلهم، بعد ما أطلعت على أساليبهم في التضليل والتدجيل الكبير والمذهل في السيطرة على

عقول بسطاء الناس، وتجنيدهم لخدمة أهداف السلطة ومخططاتها تحت عباءة الدين والشعائر الدينية المختلفة، بالإضافة الي سلب أموالهم بواسطة شعوذتهم المختلفة. وقيادة وتدبير عملية تسقيط جماعي للفتيات البريئات، من أجل أحكام عملية ارتهانهن لسيطرة (سيد نعمه) و(فظومه) فلو قتلوا دون أن يقرؤا بما كانوا يفعلون لأصبحوا من الأولياء وينصب لهم المغفلون العزاء ويبنون لهم المقامات والمزارات، بهذه الحجة القوية والذكية كانت ترد (سعيده) على من يطالبها بقتلهم.

نتيجة لهذه النشاطات والعمليات الفاعلة والجريئة أخذت أجهزة النظام ومسؤوليها يحسبون ألف حساب قبل الإقدام على أي عمل إجرامي بحق أبناء الأهوار وأماكن تجمعهم وتواجدهم، كانت تصل للمسؤولين بعض التهديدات من الثوار تدعوهم فيها بأن ينتهوا عن فعل من الأفعال وأن لم ينتهوا فسيكون عقابهم شديد، وبعد أن أثبت الثوار أن تهديداتهم لم تكن للتخويف فقط وإنما نفذوا كل تهديداتهم بحق المتمادين والمستهينين بهذه التهديدات ففقدوا رؤوسهم ثمن أستهتارهم وتماديهم في إجرامهم.

لم تتوقف عمليات الثوار بعد صمت المدافع على جبهات القتال مع إيران وتوصل النظام العراقي والإيراني إلى وقف

إطلاق النار وتسوية المشاكل فيما بين الحكومتين، وسط  
تسائل الناس كيف ولماذا بدأت، وكيف ولماذا انتهت؟  
أخذ سكان الاهوار يعانون الأمرين أولها تجفيف الأهوار من  
قبل السلطة العراقية، بالإضافة الي قمعها وإهمالها لسكان  
الاهوار والتنكيل بهم وإثارة الشكوك بأصولهم وولاء اتهم،  
تحول الهور الي غابة من الطرفاء والقصب والعاقول، توطنته  
الذئاب والضباع والأفاعي والعقارب خصوصاً بعد أن بدأت  
أستعدادات النظام لأحتلال الكويت ودخول العربات  
العسكرية والمدرعات للصحاري وهروب الوحوش البرية  
إلى الزور المترامي الأطراف في جنوب العراق.

أضطر العدد الأكبر من مربى الحيوانات والصيادين  
والفلاحين الي الهجرة للمدن الكبيرة، مما حدا بالثوار الي  
تقليص أعدادهم للحد الأدنى ما عدى المكشوفين للسلطة  
وأجهزتها الأمنية، شكلوا نواتات صغيرة متنقلة لا تقوم في  
أغلب الأحيان إلا بعمليات دفاعية بحتة وبعض العمليات  
الخاصة ضد العناصر المسعورة من زمر النظام.

أتخذت هذه القرارات والإجراءات بعد عقد الثوار اجتماعاً  
واسعاً حضره (سرحان) و(سعيدة) بقيادة (جيفا را الأهوار)  
وفصائل (أبو الأحرار) .

تحدث القادة قائلين: أعزائنا الثوار والمجاهدين نرى ان  
سحب الحرب التي شنتها أمريكا وحلفاؤها أخذت تتكاثر

بسرعة، خصوصاً وأنَّ النظام أعطاهما كل المبررات والذرائع لتشن هذا الهجوم بقرار أممي بعد أن أقدم الطاغية على احتلال الكويت ورفض الانسحاب منها، إننا نرى أنَّ الحرب غير متكافئة وأنَّ الحرب خاسرة تماماً وستؤدي إلى تدمير بلدنا ونهب ثرواتنا، بسبب حماقة مجنون بغداد، ولا نبالغ أن قلنا أنَّه قدم لأمريكا خدمة لا يستطيع أن يقدمها له حتى أقدر وأكفأ عملائها لابل أقدر وأكفا مقاتليها، مما يستوجب علينا العمل على تغيير تكتيكاتنا القتالية وأساليب مقاومتنا في الظرف الراهن، إننا مطالبون بمقاومة عدو مزدوج النظام وزمرته وأمريكا الرأسمال والاستغلال وحلفائها وهذا أمر في غاية الصعوبة والخطورة والتعقيد، بحيث يصعب الفرز والتمييز بين العدو في (الداخل) والعدو (الخارجي) إنهما يعملان بالتخادم والتضامن من أجل تدمير العراق أرضاً وشعباً مما يتطلب من كل فصائل المقاومة الوطنية الحذر واليقظة وعدم الانجرار وراء زيف دعوى الطرفين فكلاهما مجرم قاتل مخاتل طامع مستبد،

نحن نرقب بألم بالغ أنجرار قسماً ممن يدعون النضال من أجل تحرير العراق من أيدي الطاغية بالاستعانة بالأمريكان وحلفائهم وهذه هي الطامة الكبرى كمن يهرب من كلب مسعور ليستغيث بذئب جائع!

قبل أن يكمل كلمته حدث لغط وشبه فوضى إذ ارتأى البعض أنه لا يتفق مع رأي الخطيب وأنّ التعاون مع الأمريكان هو أفضل الطرق للخلاص من النظام الذي عجزنا عن إسقاطه عبر أكثر من ثلاثين عاما خلت، وأنّ الأمريكان أعلنوا بأنهم سيدخلون محررين وليس فاتحين أو محتلين، ولا بد من الخلاص من الديكتاتورية حتى وأن حصل الاحتلال. تدارك (ياسر) الأمر لكي لا يتطور الي احتكاك خشن معلنا أنّ لكل منا رأيه وطريقته وقناعته ومن هنا سنفترق ولكل مساره الذي ستثبت الوقائع والأحداث القادمة خطله من صوابه فلا داعي للأحتراب والتلاسن والعداء.

كانت (سعيدة) ووالدها وجمع من المقاومين الآخرين الي صف (جيفارا الأهور) ورفاقه، صافحته بحرارة عند أكماله لكلمته قائلة: هذا عين الصواب والطريق الصحيح للخلاص من الديكتاتور ربيب وصنيعة أمريكا وحلفائها، يجب أن نتعض من تاريخنا البعيد والقريب، الاستعمار ينصب صنائعه ويرعاهم على حساب حرية ورفاه شعوبهم طالما ينفذون مخططاته ويعملون لضمان مصالحه، وبالتأكيد انّ لهؤلاء الصنائع عمراً محددا بعدها لا بد وأن تتهاوى عروشهم تحت ضربات شعوبهم وثوراتها التي لا بد منها مهما طال الوقت، غالبا ما تسعى أمريكا الي اتخاذ خطوات استباقية لإجهاض أجنة الثورات قبل ولادتها، عبر نشر الفوضى وخلق الذرائع

للتدخل العسكري المباشر وفرش البساط لوجوه جديدة في شكلها قديمة في جوهرها، لابد أن يقرر الشعب مصيره بيده. أستحسن الجميع ما ذهبت إليه (سعيده) وقرروا أن يقيموا الوضع الجديد وما بعده ودراسة كل الاحتمالات والتكيف معها، مما يستوجب عقد اجتماع موسع لنخلص من خلاله الي القرارات والخطط التي تقينا وتحافظ على عناصرنا، ومحاولة إيجاد صلة بتنظيمات الحزب في كردستان وفي الخارج للتنسيق وتوحيد الرؤى والتحركات المستقبلية، وعدم الأنجرار لمخططات قوى الرأسمال العالمي كثنمن للخلاص من الديكتاتورية.

أفترق الجمع موزعاً على ثلاث مجموعات (السيد) وأنصاره الذي يسعى البعض منهم لإسقاط النظام بأي ثمن، في حين يرى القسم الآخر بأن القضاء على الديكتاتورية يجب أن يكون على أيدي العراقيين وبأرادتهم الوطنية، و(جيفارا الأهوار) وأنصاره الذين أخطوا طريق الخلاص عبر ثورة شعبية عراقية، ومجموعة (ساهي) التي لم تحسم أمرها بعد في تأييد ومساندة أي الفريقين.

دارت رحى الحرب، شهد الكل ما سببته من تدمير وخراب، كانت الهزيمة الكبرى للنظام دمرت القدرة العسكرية العراقية ومرغت كرامة الجيش العراقي بالتراب، كانت الانتفاضة التي أتت على ما تبقى من مؤسسات الدولة والبنية التحتية للبلاد،

حرف مسارها منذ أنطلاقتها الأولى لتصب في مصلحة دول مجاورة (لاشرقية ولا غربية، جمهورية إسلامية) و(لا ولي الا علي أنريد قايد جعفري) أدارت لها أمريكا ظهر المجن، أعطي الضوء الأخضر للنظام لسحق الانتفاضة، انشغلت قوى (المعارضة) في الخارج بالاجتماعات والمناورات وتقسيم المناصب والمكاسب فيما بعد النظام، تركت الجماهير بلا قياده، قرر (العقل) الأكبر الأمريكي تأجيل الإطاحة بالنظام لحين أستنزاف قدراته المتبقية وإخضاعه لشروط أستسلامية مذلة في خيمة صفوان، لابد ان تتم عملية تجريف القيم الايجابية والثورية للشعب العراقي عبر تجويعه وإطلاق يد النظام لتأديبه وقمعه، فخيم ليل الحصار الأقتصادي، أصبح الشعب مرتهنا لدى السلطة، حدث الأنهيار الكبير للمعسكر (الأشترافي) صالت وجالت فرق التفتيش، أبتلعت قوى (المعارضة) الطعم الأمريكي، أستكملت أدوات اللعبة: أعد المسرح على أكمل وجه لغزو جديد، عاد التاريخ إلى سنوات الاحتلال الانكليزي، أنهار النظام بوقت غير متوقع، عمت الفوضى (البناءة) مدن العراق، أعلن المحرر نفسه محتلا، هدمت خيمة الناصرية، تولى (برايمر) تفصل سلطة على مقاس أمريكا، هرولت قوى (المعارضة) دخلوا ما أسمي بمجلس الحكم الانتقالي.

كما في كل مرة تتناسى قيادة الحزب شهداء الحزب وتصافح القتلة كما حدث مع البعث والكر وصدام، حدث مع مسعود البارزاني وأختفت مجزرة عيسى سوار وغيره، وأمتدت اليد وصافحت جزار بشتشان جلال الطالباني وزمرته، لكل دم ثمنه الا دم الشيوعي العراقي يذهب سدى بلا ثمن!

كان (جيفارا) و(سعيدة) وبقية رفاقهما منهمكين بإعادة بناء بيوت الحزب في كل مدن العراق وقصباته، إعادة ارتباط رفاق الدرب، التفكير بدخول حزبهم مرحلة جديدة من الكفاح وفق شعاره المعلن (لا ديكتاتورية ولا احتلال) وقد كان يشغلهم كثيراً مصير رفيقهم (دكتور كفاح) الذي وصلهم خبر اعتقاله من قبل القوى الامنية في بغداد بعد فشل الانتفاضة الاذارية نتيجة خيانة أحد المندسين من عملاء السلطة، ولم يتمكنوا من الحصول له على أي أثر حتى بعد أنهيار النظام، رغم وجود اسمه في ملفات قوى الأمن والمخابرات، وأنه لا زال قيد الاعتقال حتى سقوط النظام ولكنه لا يعلمون عنه شيئاً ولا يمتلكون دلالة على أحد من أهله وذويه في بغداد أو سواها.

عقد أجمع استثنائي لمجموعته لتدارس الوضع: "رفاقنا الأعزاء إننا الآن ندخل مرحلة جديدة وخطيرة من الكفاح من أجل أنجاز مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي وفي مقدمتها التخلص من الاحتلال بكافة السبل المتاحة وبكافة الوسائل

المتيسرة، ها هي البرجوازية قد قدمت الوطن بطبق من ذهب  
لأسيادها وأولياء نعمتها الأمريكان وحلفائهم، وذهبت  
جعجعتها وجبروتها في أول اختبار حقيقي لوطنيتها، علينا أن  
نكون أوفياء لوعودنا وشعاراتنا، ولدماء شهدائنا، إننا بالضد  
من قوى الرأسمال المتوحش في كل مكان وكل زمان فكيف  
به وقد احتل بلدنا وإذلال شعبنا وجاء بدباباته وطائراته لسرق  
ثرواتنا وعليه فأنا ندعو الي رفض الاحتلال وعدم مصافحة  
ممثليه ومريديه مهما اختلفت مسمياتهم وأوصافهم"

كانت سعيده تستمع بانتباه شديد لتقرير الرفيق (جيفا را) التي  
كانت ترى فيه (ناطور) ورفاقه سألت:- ولكن هل لك أن  
تعلمنا بموقف قيادة الحزب في هذه المرحلة؟

التفت إليها مستغربا سؤالها، قائلا:- وهل الأمر يحتاج الي  
سؤال أو وضوح فشعار الحزب في غاية الوضوح، ونهجنا  
الفكري والسياسي ليست بحاجة الي شرح في عدائنا لكل  
أحتلال بالإضافة الي موقفنا المناهض للرأسمالية في كل  
حين ومكان، فما الداعي للسؤال؟

رفيقنا العزيز تتناقل وكالات الأنباء ان هناك دعوة موجهة  
للحزب الشيوعي لدخول مجلس الحكم المرتقب، فما هو  
موقف قيادة الحزب من هذه الدعوة؟

نعم، أن برايمر وبتوجيه من البنتاغون هناك محاولة لتسقيط  
جماعي لكل قوى (المعارضة) العراقية عبر إدخالها في

مجلس الحكم بقيادة برايمر، وأعتقد جازماً أنّ هذه الخطوة سوف لن تنطلي على قيادة الحزب، ناهيك عن كونها متناقضة مع شعاره المعلن والمقر عبر مؤتمره السابع، وإنّ أخذ مثل هذا القرار يجب ان يكون رأي قاعدة الحزب وفقاً لمبدأي الديمقراطية والتجديد للحزب المقررة في مؤتمره الخامس.

- لا بأس سنرى ما سيحدث؟

بعد يوم عمل مضني للتواصل مع رفاق الأمس وترتيب الخلايا واللجان، كانت الصدمة الكبرى حين أخبرهم الرفيق المسئول ان الحزب قرر الاشتراك في مجلس الحكم الانتقالي ممثلاً بسكرتيه العام التي توافق الدخول للمجلس ممثلة بمسئوليها الأول.

أصيب الجمع بالصدمة الشديدة والمفاجأة التي لم تكن في الحسبان بحيث تعذر على (جيفارا) و(سعيدة) و(العم سرحان) أسلوب الرد والرفض القاطع لهذا القرار الذي سيعيد قتل شهدائه من جديد ويضحي بالحزب على مذبح الرأسمال العالمي ويتنكر لتاريخه النضالي الطويل ولشعاراته التي لم يجف حبر حروفها بعد.

انصرف الرفاق وفض الاجتماع برفض الأغلبية الساحقة للرفاق للقرار.

اعتكفت (سعيده) في دارها بمعية والدها الذي بدا عليه الهرم والتعب، كانت تراقب باهتمام شاشة التلفاز الذي سينقل وقائع الجلسة الأولى لمجلس الحكم ويأهوال المفاجأة الكبرى وهي تلمح (حاشوش) يدور في أروقة المجلس بمعية (مريوده) ولقائئهما مع القنوات الفضائية باعتبارهما من الشخصيات التي كانت تخوض نضالا ضارياً ضد النظام الصدامي، وتحمسهم لخطوة إعلان مجلس الحكم ودعوتهم كل القوى لتسهيل مهمة برايمر من أجل بناء دولة الحرية والديمقراطية في العراق، وكذا أعقبه (السيد) وكانت المفاجأة الكبرى بظهور الرفيق سكرتير الحزب وهو يوزع البسمات ويعلن عن تفاؤله وتحمسه لمشاركة حزبه في بناء الديمقراطية ودولة المؤسسات في العراق من خلال مجلس الحكم الانتقالي؟!!

كان (سرحان) منشغلا في لف سيكارة حين شاهد (حاشوش) و(مريوده).

قدما نفسيهما بأسم (سيد علوان) و(علويه فضيله) يتحدثون للناس عن جهادهم وتضحياتهم في مقارعة الديكتاتورية الصدامية وتحملهم للسجن والتعذيب مما أضرهما للهجرة خارج العراق كلاجئيين بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة، سقطت علبة تبغ من يده فتناثر تبغها وتناثرت أوراق دفتر اللف على الحصيرة، وقد بلغ به العجب والاستغراب

والغضب أشده، ألثفت إلى سعيده قائلاً:- ولكم هاي خوش  
سالفه ولكم صرنه مثل الغال.

(المارضه بچزه رضه بچزه وخروف).

ردنه نتخلص من صدام ادور اچانه برايمر وفوگاها ربع صدام  
وشلون صايرين مناضلين ومجاهدين!

ألقم (مشربه) سيكارة دبل لف، ملأت دوامات دخانه الغرفة،  
ملتفتا لدهشة وشهقة أبنته (سعيده) حين قالت:- ها ولكم  
هذا الرفيق (أبو عايف) يابويه ياگاع انشگي وبلعيني هاي  
وينك (يفهد) (يسلام عادل) (يخالد) (يسيد عباس) (يناطور)  
ي(كفاح) ولكم هاي شلون صارت؟

وعندما أستفسر منها (سرحان) عما رأت وما الذي أثار  
استغرابها أكثر مما رأى، منهو هذا النوب (أبو عايف)  
فقالت:- والله يابويه ألشفته مصيبه هذا ألشفته سكرتير  
الحزب، فقال سرحان: يعني شنهو ربعكم هم طبو لمجلس  
الحكم (ألانتعالي) ويّه الجماعة.

ولكم هاي صدگ مصيبه عله گولت أبو المثل: (ضرط وزانه  
وتاه الحساب) چاوين صار شعارهم (لا ديكتاتورية ولا  
أحتلال) يبين يبعد أبوج الجماعة لاگتلهم كراسي مجلس  
الحكم أأحتلالي بقيادة (الدم قراطي) برايمر الحيمر، فسالوا  
ال(لا) راس الشعار حتى يصير خفيف (ديكتاتورية وأحتلال)  
أي والله رحمه من رب العالمين (رادله گرون گصوا أذانه) چا

شنهوههمه وحد عن الجماعة أهل اللحه الجانوا يصيحوون  
(أمريكا الشيطان الأكبر) هسا أشو صارت (أمريكا الملاك  
الأكبر) اي والله رحمة الله عله أبو المهوال الهوس.  
(ذبوله رغيف وهز ذيله).

قررت سعيده أن تلتقي بالرفيق (جيفارا) وهي في غاية الألم  
والتوجع ولازال في ذاكرتها حلمها في الليلة السابقة (بعد  
الكدر الذي خيم على صدرها حينما شاهدت لمة (مجلس  
الحكم الأنفعالي) خلدت للنوم متعبة فسمعت والدها  
(سرحان) ومشاهداته في يوم العيد فقررت أن تقصه لرفيقها  
(جيفارا) قائلة: - قال لي الوالد: (نم إلى سمعي أن أحدهم  
شاهد (ناطور) في سوق المدينة يوم ٣٠-٣ وقد بدا على  
محياء البشر والفرح تبدو وزرته وكأنها تعكس ألوان قوس  
قزح في بهائه وجماله وروعته، يشتري حلويات وشموع  
وعيدان بخور وغيرها من مستلزمات حفلة عرس وشيكة  
وكان أصحاب الدكاكين والمحلات يناولونه ما يريد دون ان  
يطالبوه بمال مساهمة منهم في عرس آل (وجدان) في مثل  
هذا اليوم من كل عام وهم يداعبونه خذ ان هذا مساهمة من  
البرجوازية الصغيرة (الشبعانة) للبرولتاريا (الهلكانه): فقررت  
(أبو كرش الشبعان) (سيد نعمه) ان يحضر هذا العرس  
الغريب للأطلاع على سره ومدى أهميته لدى (ناطور) وهل  
هو يخص كل (النواطين) أم أنه يخص (ناطور) سيد نعمه

وحده ولكنه في حقيقة الأمر لم يتوصل إلى طريقة تمكنه من الحضور. وتساءل مع نفسه عن كيفية أستقباله من آل (وجدان) ومن "ناطور" وهم يعرفونه تمام المعرفة ولا يطيقنوه وهم في حضرتهم فكيف وأنا بين قومه "النواطير الحمراء" أحضر البطل المعتقد الذي جلبه معه عند عودته من سفرته الأخيرة إلى لندن وأخذ يحتسي الكأس بعد أخيه وهو متكأ على فراشه الوثير يجلس عند قدميه واحدا من (نواطير) الماضي ومن (حرامية) الحاضر "بطيحيان" غاب عنه الأمر قليلا بعد منتصف الليل بعد أن أعياء السكر والسهر ثم عادت التساؤلات نفسها إلى ذهنه وفي آخر الأمر قرر ان يستشير واحدا ممن يسمونهم ب (حثة النواطير) عسى أن يدلّه إلى طريقة لحضور العرس الأسطورة، وبالفعل فقد ضحك منه هذا (الحثة) قائلا ما معناه أنّه حقا لا يعرف شيئا عن عادات وأعراف آل (وجدان) قائلا: إنّ ذهبت للعرس ودخلت ديارهم لا يمكن ان يطردوك مهما كانت عداوتك لهم وكرههم لك: ولكن عندهم مقولة تقول (الإيجي بغير عزيمة يكعد بغير فراش) أي ما معناه لا يكون معتبرا في الديوان بل يجلس قرب "النعل" في باب الديوان أي سيكون حالك كحالي وأمثالي من الحثالات الـ(مفصوخين) من حمولة "ال وجدان" وعلى الرغم من أني لم أستوعب هذا العرف ولكني قبلت بكل الشروط مهما كانت قاسية على أن أحضر

(العرس) يقول (ابو كرش الشبعان): قررت أن أصطحب (حثالتي) معي وبالفعل فقد أوصلتنا سيارتنا رباعية الدفع إلى مشارف سلف آل (وجدان) وقررنا استئجار زورقا صغيرا نقلنا إلى مكان الاحتفال وقد رفض صاحب الزورق ان يأخذ أجرة إكراما "ل آل وجدان" أخذ زورقنا ينزلق بين الأحراش كالأفعى وسط القصب والبردي الذي بدا ريانا بخضرة ربيعية ساحرة وكنا نصادف العديد من الزوارق وهي مزينة بالأعلام الحمراء ويصطحب ركابها بألوان الغناء الريفى العذب والأهازيج الجميلة الراقصة يترآى للمرء ان ذوائب القصب وعيدان البردي كانت تصفق وتتمايل طربا مشاركة في هذا الفرح الكبير. بعد عدة ساعات أوقف حثالتي بلمه عند جزيرة كبيرة تدعى (جباشة) في أعماق الهور يقولون أنها موقع جنات عدن المشهورة في التاريخ سابقا وسكن آل "الحرمان" حاضرا، حشر البلم بصعوبة بين الزوارق التي بدت كأنها صبايا زنجيات بجداول وأشرطة حمراء، تشرئب بأعناقها إلى أرض الجزيرة ومكان الاحتفال تهز أردافها طربا مع اهتزاز أمواج الهور تحتها كأنها تؤدي رقصة السامبا الساحرة.

دخلنا وجلسنا كما أشار علي "حثالتي" قرب "النعل" ولكن الغريب اني وجدت وجوها أعرفها في المنطقة الخضراء ومجالس الحلفاء ظننتها من وجهاء وعمداء آل (وجدان) نعم وجدتها جالسة كمجلسي وقد بدا عليها الضيق والحيرة كمن

أنكشف سره وأفتضح أمره وإذا هم جميعاً من حثالة فخذ  
"الحرمان" من سلف البو (وجدان) حالهم حال  
حثالتي "بطيحيان" وأستغربت من حضورهم هذا المكان.

لاحظت أنّ هناك صفاً كبيراً من كراسي الجريد يجلس عليها  
عدد من الوجوه التي ظننتها من الأموات وبعضها لم أرى غير  
صورها في الجرائد وكتب "الحرمان" وقد كانت هذه  
الكراسي مزدانة بالبسط المزركشة المعمولة من  
الصوف. وكان شاباً بهي الطلعة مهيب المظهر يستقبل  
القادمين ويدلهم على أماكنهم مع كوكبة من شباب آخرين لا  
يقلون عنه هيبة وأناقة فسألت "بطيحيان" من يكونون هؤلاء  
هل هم أهل العرس فأجابني أن الشاب الذي تراه يدعى خالد  
أحمد زكي والأخر أبو (عاهدين) والآخرين من الشباب  
والشابات من رفاقهم اللذين أستمهدوا هنا دفاعاً عن بيت  
وشرف وأعراف آل (حرمان) ومبادئهم.

وما أن احتضنت شمس الغروب ناشرة حمرتها الجميلة على  
سطح الماء فبدأ وكأنه راية حمراء بسعة وطول الهور  
المترامي الأطراف منسجمة مع أعداد لا يمكن عدّها من  
الرايات الحمراء التي ترفرف فوق هامات القصب والبردي  
حتى توالى على المكان المئات من الزوارق المزينة برايات  
حمراء والتي تنبعث منها أعذب الألحان مصحوبة بالزغاريد  
والموسيقى وأصوات الطبول فيستقبلها (خالد) وأبو

(عاهدين) و(ناطور) ورفاقهم الآخرين ليأخذوا مجالسهم على كراسي الجريد.

فجأة نهض الجميع لأستقبال فتاً وسيم مقطوع الذراعين يحمل غيتارا معلقا برقبتة قال "بطيخان" مجيبي أنه (فكتور جارا) الذي قتله الفاشست في شيلي أبان الانقلاب المدبر أمريكيا ضد سلفادور الليندي وما أثارني مشهد احتضانه ألحيمي من قبل (جيفارا) الذي عرفته من قبعته ونجمته الشهيرة.

بينما أنتظمت الشابات الجميلات وهن يربطن خصورهن بأحزمة صوفية حمراء مزركشة متراصات مع الشباب متلاصقي الأكتاف متشابكي الأكف للرقص على صوت (المطبكي) المصنوع من قصب الهور المعبر عن عذوبة ودفاء وصفاء وكمال صوت أبن سومر الذي أودعه هذا اللحن الجميل آلهة الفن والطرب منذ آلاف السنين ليكون الفرح خالدا، كان أل (چوبي) على أشده وسط الزغاريد والهلاهل والشموع المتوهجة، شدا الجميع وقوفا أنشودة بمختلف اللغات ولكن بلحن واحد ردهه معهم الهور وأسراب الطيور ورقصة له اسماك الماء ونجوم السماء.

جلست مبهورا بما أرى حيث البشر والفرح والأغاني. وأخذت تدور على الحاضرين فتيات وفتيان بعمر الزهور وردية الخدود والثغور كأنها الدر المنشور ليضعوا أمام

الجالسين طبقا مصنوعا من سعف النخيل الملون وضع بداخله قطع من "الخريط" وحزمة من "العكيد" وحبات من التمر "البرحي" وكاسات من اللبن والزبد.

ثم نهض شيخا واسع الجبهة عريض المنكبين ذو لحية غزيرة يساعده خالد وكوكبته في وضع شارات حمراء على صدور الحاضرين وكانوا يتجاوزون أو يهملون بعض الجالسين حتى أتموا عملهم هذا وسط تصفيق شديد من قبل الحضور، وقد لاحظت "ناطور" تقفز من عينيه دموع الفرح وهو يقبل الشيخ وكوكبته بعد ان علقوا له شارته على صدره وان شد ما أدهشني ان من حاول من آل "بطيخان" ان يضع شارة حمراء جلبها معه كشارة نسب لآل "وجدان" تحولت هذه القطعة إلى لهب أحرق أصابعه وسود دخانها وجهه وسط ازدراء واحتقار الحاضرين فيولي هاربا ملقيا بنفسه وسط مياه الهور عسى ان تبيض وجوههم ولكن دون جدوى فقد اسودت وجوه آل "بطيخان" جميعا كما يقول (ناطور) "من حيث بخت آل (وجدان) چيير وشارتهم بليد تصيب من يدعي زورا انتسابه لهم".

وبعدها أستمزت الكلمات والمناقشات والأناشيد والآهات الحزينة على ما آل إليه حال وطن "وجدان" وان أعراسهم ومنذ عقود لم تتم في زمن الحرية والسلام بل تحت ظلم وظلام الديكتاتورية أو سلاسل المحتلين والمستبدين ولكن

هذا هو قدرهم وهذا هو حالهم لم تخمد أفراحهم ولم تتوقف رقصاتهم وأغانيهم لثقتهم بالنصر مهما كثرت الإحزان واشتدت الآلام وتكالب الأعداء ومهما كان عدد آل (بطيخان).

كان "ناطور" يحتل قطب الحوارات والمناقشات واحترام وتقدير "البو كتاب" و"البو ريشه" و"البو طبله" و"البو منجل" لأنه من بيت "الحرمان" من حمولة إل "جاكوج" التي يقر لها الجميع بالريادة والقيادة والسمو والتي بدونها لا يعقد لهم نصر ولا يشيد لهم قصر كما يقولون. قرأ الشاعر سعدي يوسف قصيدة بعنوان (لا زال العراق وطني وأنا لست الشيوعي الأخير).

استمرت الأفراح والرقصات والنقاشات حتى استفاقت شمس الفجر من رقدتها الهائلة كأنها عشتار في أحضان حبيبها تموز، فمشطت شعرها وقبلت نجمة الصباح وجباه الصيادين وعمال الفجر قبله الوداع لتأخذ مكانها في عرش السماء كي تواصل الأرض دورتها المعتادة.

فتناول الجمع فطورهم من خبز "السياح" وأكواب الحليب الطازج والقيمر والجبن والزبد والشاي المهيل والمهدر بجمر "المطال" والسّمك المشوي لذيد المذاق، وعند تجمعهم للفطور شاهدت كل رموزهم مثل العم هوشي منه وباتريس لومبا ولوركا وعبد الفتاح إسماعيل و، و، وتزين

صدورهم شاراتهم الحمراء وتشع جباههم كنجوم الصباح  
من كل القارات يتوسطهم لينين بجهته الوضاعة رافعا لهم  
قبعته الشهيرة وفهد قارئاً عليهم وصاياه.

وبعدها تعانقوا وتعاهدوا وتفرقوا تودعهم طيور الماء  
وذوئب القصب متعاهدين للقاء في عام جديد وعراق حر  
وشعب سعيد.

وعندها لطمت "بطيخان" على فمه قائلاً له أنّ من له مثل  
هؤلاء الإخوان والأعمام في كل العالم مالذي يجعله يلوذ  
بحمى المنطقة الخضراء مثل حالي؟

وإذا بحثالتي "بطيخان" يقفز مذعوراً من شدة الضربة  
فأيقضني، وأنا أثرثر، ناطور، ناطور، حمران، عرسان! فرد  
علي (بطيخان) بعد أن تناسى ألم الضربة، عمي ماتكلي  
أشبيك تره والله راح أيسودنك (ناطور)؟!!

كان (ياسر) يولع سيكارة من الأخرى وتكاد الدموع تقفز من  
عينيه وهو يستمع لحلم (سعيدة) مع والدها (سرحان).

قال لها ولبقية الرفاق بعقد اجتماع فوري لتدارس الأمر  
وكيفية العمل لمواجهة هذه الكارثة الكبيرة، وبالفعل حصل  
الاجتماع في بيت سرحان، كان (ياسر) ثائراً هائجاً يكاد أن  
ينفجر من الغيظ لما شاهده وسمعه، قال وهو يحاول أن  
يمتص غضبه عبر أمتصاص قدراً كبيراً من دخان سكاثره التي  
لا تنطفئ فالأولى تشعل الثانية مع ارتشاف أقداح الشاي من

يد العم سرحان الذي لم يكن أحسن حال منه:- رفاقنا الأعضاء لابد إنكم أصبحتم على بينة من قرار الحزب بالانضمام لمجلس الحكم الأحتلالي ممثلاً بشخص سكرتيه، دون أن يأخذ رأي أغلب منظمات الحزب في الأمر تحت ذريعة ضيق الوقت فبرايمر كما يقولون طلب الرد سريعاً، ويبدو أن القطار الأمريكي الذي طرد البعث من مقاعده، وهو عار لحق بهم منذ ١٩٦٣، يريد أن يشغل مقاعده بدلاً منهم فحزم الرفاق حقائبهم لحجز أماكنهم في القطار الأمريكي السريع.

فما رأيكم أنتم يرفاق بهذا القرار الخطير؟  
رد بعض الرفاق والرفيقات بالرفض القاطع للقرار وتوابعه.  
فيما أطرق البعض الآخر وكأنه يسمع بالأمر لأول مرة!  
ورد القسم الآخر ان القيادة هي الأعرف بمصلحة الحزب ومصلحة الشعب، وما تتخذه القيادة هو الصحيح.

في حين أرتأى آخرون ان هذا القرار خاطئ من الناحية المبدئية ولكنه يحتمل الصبح من الناحية التكتيكية فلا بد أنء يكون صوت الحزب موجوداً في كل مكان للحد من ضرر قرارات ومخططات الأمريكان والقوى المتحالفة معهم.

قالت (سعيده) رفاق أن اشتراك الحزب سيكون محسوباً على الطائفة الشيعية كون الرفيق (أبو عايف) شيعياً شيعياً ضمن تشكيلة المجلس المبني على مبدأ المحاصصة العرقية

والطائفية، فيألى اي منحدر تنزلق قيادة الحزب في دخول المجلس ألاحتلالي وتحت إشراف المخابرات الأمريكية التي أعلنت إنها دولة محتلة.

في حين يرى البعض أنّ الرفاق قد قدموا الكثير وضحوا بالكثير وتحملوا التشرد والتعذيب الحرمان وهاهي الفرصة سانحة ليحصلوا على حصتهم من حكم العراق وثروته.

فأستشاط (ياسر) غضبا وألماً، كاد ان يهم بصفع المتحدث لولا خصوصية الجلسة، نظر إليه غاضباً وهل ترى أنّ ثمن تضحيات الشيوعيين مناصب هزيلة وحفنة من الدولارات يمن بها عليهم أعدائهم المحتلون وأعدائؤم الطبقيوين، مع من كنا نصرخ بأعلى أصواتنا الأمبريالية عدوة الشعوب، فهل تحولت أمريكا الي صديقة للشعوب الآن أيها الشيوعي الهمام؟!

تكلم آخر قائلا وما العمل إذن؟

هل نحمل بنادقنا ونعود للأهوار ثانية؟

كلا رفيقنا العزيز أرى ان يترىث الحزب في ألتخاذ قراراته السياسية الهامة مسترشدا بمنهجه الماركسي وخبرته الطويلة في مقارعة عملاء أمريكا وصنائعها، ففي الوقت الذي لا نستطيع أن نرفع فيه الآن السلاح بوجه الأحتلال وعملائه، هذا لا يعني أن نمد له يد التعاون والتحالف وقبولنا لأحتلالهم لبلادنا ونيتهم في نهب ثرواتنا وأستعبادنا كما هو

ديدن ونهج أمريكا الرأسمال في كل مكان تتواجد فيه، يفترض بالحزب ان ينأى بنفسه عن العملية السياسية القائمة على المحاصصة الطائفية والعرقية والترفع على المناصب والمكاسب كثمان لتنازله عن مبادئه ودماء شهدائه على امتداد أكثر من سبعين عاما ونيف، وأن يكون وفيًا لشعاراته المرفوعة والمقرة من قبل مؤتمره الوطني ولم يجف حبرها بعد، يفترض بقيادة الحزب أن تسعى لإعادة بناء تنظيماته وتنشيط منظماته المهنية والديمقراطية مستفيداً من فرصة حرية العمل السياسي السلمي في الوقت الحاضر ليكون ضمير الشعب العراقي ومرجعته الفكرية والسياسية في مثل هذه الظروف الصعبة وأن لا يعمل على خلط أوراقه مع أوراق أخرى مشبوهة ومتذبذبة مطعون بوطنيتها.

إلا ترون أيها الرفاق الوجوه الذي أخذت تظهر على شاشات التلفاز مثل (حاشوش) و(مريوده) ووو وآخرون الذين غيروا ألوانهم وأزياءهم وأسمائهم وركبوا الدبابات الأمريكية للحصول على المناصب والمكاسب اللذين كانوا مدانين بجرائم أخلاقية ومخلّة بالشرف حتى من قبل النظام السابق، وبعضهم قتلة ووكلاء امن ومخابرات ملطخة أيديهم بدماء أبناء العراق الأحرار، فكيف نسمح لأنفسنا ان نصطف مع هؤلاء في صف واحد ونركب معهم مركب العبودية والاستغلال بزي ومظهر جديد ستثبت الأيام بأنه لا يختلف

عن سابقه ان لم يكن أكثر قسوة وبشاعة، وكما قال المناضل الخالد ابو گاطع (الفرس ذیج الفرس ما تغیر بس چلاله) وكأن التاريخ يعيد نفسه ولكن هذه المرة بقسوة أكبر، فقد كان زمن قول شمران الیاسري حكم وطني وصف بالديكتاتوري فما القول في ظل أحتلال أمبريالي صريح؟ لا يمكن بأي حال من الأحوال ان تدعوا أمريكا الحزب الشيوعي للأشتراك في السلطة إلا لغاية واحدة هي الإجهاز عليه وإسقاطه سياسيا وفكريا بين جماهيره وأنصاره، فالمحتل الأمريكي يدرك تماما أن عدوه الأساس هو القوى اليسارية بمختلف ألوانها وبالخصوص الحزب الشيوعي العراقي، فإسقاطها عبر إشراكها في مجلسه أاحتلالي يعتبر نصراً كبيراً من مختلف الجهات.

أولاً إسقاطه أمام جماهيره وعزله عن الشعب وثانياً الظهور بمظهر الديمقراطية والحياد وإنها لم تعد أمريكا رافعة راية العداء والفناء للشيوعية والشيوعيون في كل مكان، وعندما يفقد الحزب جماهيريته ستتمكن من تحجيمه وحتى ضربه ونبذه بسهولة كبيرة دون أن تكون للأمر أي ردة فعل يعتد بها، وبذلك يتعذر عليه العودة الي شعاراته وأهدافه المبدئية السابقة.

كذلك يجب أن نكون على وعي تام في أسلوب وطريق مقاومة المحتل في واقع أختلاط الأوراق، ورفع هذا الشعار

وذريعة المقاومة من قبل قوى فاشية ولا ديمقراطية همها الوحيد أن تكون على رأس السلطة مقابل أي ثمن.

ثانياً: الاستعمار الأمريكي يتميز ميزة ربما لا يمتلكها غيره وهي أنه يصنع ويصمم ويخلق معارضيه في دهاليز مخابراته ومخبراته وهي مقاومة ومعارضة مسيطر عليها مهما تطرفت في أطروحاتها وشعاراتها وها هي القاعدة و(داعش) وتوابعها مثلاً واضحاً على ما نقول، نريد أن نقول ليس كل من يدعي معاداة أمريكا هو صديقنا أو حليفنا.

فهل يمكن أن يكون مقاوماً من يقتل أبرياء الناس في ساحات العمل وفي الأسواق والمطاعم: وهل يسمى مقاوماً من يدمر البنية التحتية الصناعية والزراعية ويدمر المنشآت والمؤسسات الخدمية؟

الخلاصة إننا لا نمتلك غير وسيلة التنوير والتبصير وترسيخ قاعدة حزبنا في الوقت الحاضر، ولكل حريته في اتخاذ القرار الذي يراه.

أما أنا ومن له رأيي، فسأرفع لقيادة الحزب أستقالتي المبنية على رفضي للنهج الفكري والخط السياسي لقيادته الحالية لحين تصحيح الموقف الذي نراه خاطئاً ولا يمثل إرادة الشيوعيين المناضلين، كانت "سعيده" من رأي (جيفارا) وعدد آخر من الرفاق الآخرين في حين ترك قسماً آخر الاجتماع مرتضياً ومؤيداً لموقف الحزب وبقي فريق آخر

على الحياء ودون ألتخاذ موقف في الوقت الحاضر، وقبل أن  
ينفض الألتتماع وزع أبو (سعيدة) وجبة جديدة من الشاي  
قائلا: عمي ولو آني موشوعي لكن آني صديجكم اگول وینه  
الگال:

(ذاك من ذاك اللگه النچمه العزيزه بلا سمه ودگله عينه  
وذاك من ذاك الخله گلبه عله چفه وغسل بأخر نرف وچه  
المدينه)

اشو ركض ویه الجماعه، غمض عیونه، وحفه رچلینه وركض  
حتى یركب بالقطار، هذا أهو الأمتحان الصدگ موبلف  
حچي، ایه عیش وشوف.  
وینه الگال:

(ابنكم باعته الدنيه ولا باع)  
اشو باع الأول والتالي وبتراب الفلوس؟!  
او ما چذب الگال (أبو گروه ییین بالعبره)  
هاي العبره كله اشلحت ویین الصدگ من الجذب، والله  
الیستر من الجایات.  
ظل یعمي اللي یلفه القایش بعد ما یگدر یوگف ویصیر أمره  
مو بیده.

ایصیر أمره بید الواجف عله المکینه، وانتم تعرفون الواجف  
عله مکینه (مجلس الحکم ألاتعالی) منهو وشیرید ولوین  
یرید یوصل بالبلاد وبالعباد.

امساكه بجناح الحمامة المذبوحة كان آخر عهد (كفاح) بالنور  
قبل العدم، بالقرب من عربته التي لم يبق لها ذكر سوى  
خشب محترق وكسر من زجاج قناني الخل والحامض.

لم يعد (كفاح) يُشاهد في (المتنبي) ولا بائع اللبليبي في مسطر  
العمال، ظهرت أمه، حاملة كتابه المحترق، هائمة تلطم  
الخدود تصيح (يا اهل بغداد لا مقام لكم بها) اختلط صوتها  
بصوت بائع الصحف وهو ينادي: اقرأ، اقرأ! شاعر العراق  
الكبير (س) يُكرم بعدد من الأوسمة، الشاعر الوطني الكبير  
(س) يستنكر جريمة الإرهابيين في المتنبي، سيبقى المثقف  
حي لا يموت!

في حين ينادي بائع آخر: اقرأ، اقرأ القصة الكاملة للشهيد  
(كفاح) المناضل، كفاح الشاعر.

كفاح: أفلت من يد الطاغية فنحرت يد الأرباب مانشيتات  
بخط بارز كبير تحت صورة شاب غاية في الوسامة والأناقة،  
يجذب الناظر بابتسامة ساحرة، ونظرة تخترق الأفق البعيد.

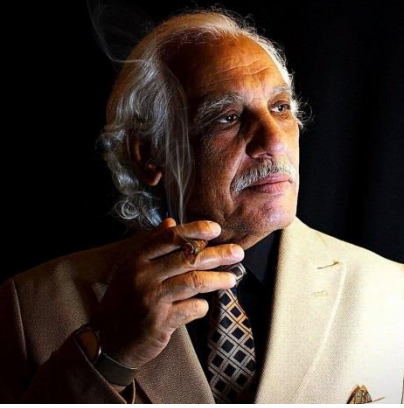
(كفاح) أضاعه الطريق، (كفاح) خانه الرفيق، (كفاح) كان في  
جب الطاغية.

انطفأ (الوطني) عم الظلام، تداخلت الأصوات والأشكال،  
فتناثرت الصحف وأختلطت الصور وتداخلت العناوين.  
داسها فأر هارب يفتش عن جحر يخلصه من ملاحقة قط  
جائع.

## ملاحظات هامة

وردت في الرواية الكثير من الأسماء والأحداث والظواهر،  
منها الحقيقي الواقعي ومنها من نسج خيال الكاتب والذي لا  
يمكن ان يكون منفصلا عن الواقع المعاش أو المتخيل، فهي  
رواية وليست وثيقة تسجيلية.  
أعتمد الكاتب العديد من المصادر في سرد ووصف  
الأحداث سواء بالنقل المباشر أو تمثل ما ورد فيها.

## المؤلف في سطور



حميد لفتة دخيل

الحريزي

- أديب وكاتب وصحفي.

- التولد:- ١-٧-١٩٥٣

- العراق - النجف

المشخاب.

- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

- عضو اتحاد الصحفيين العراقيين.

- عضو نقابة الصحفيين العراقيين.

- رئيس تحرير مجلة الحرية.

- عضو هيئة تحرير مجلة رؤيا.

- عضو اللجنة التحضيرية لملتقى القصة القصيرة الأول

المقام من قبل بيت السرد العربي في النجف الاشرف لعام

٢٠١١.

- صدرت له مجموعة قصصية بعنوان (ارض الزعفران) ضمن إصدارات مجلة بانيقيا لاتحاد الأدباء والكتاب في النجف.
- صدور ثلاثية روائية بعنوان (محطات - العربانه ج ١، ومحطات كفاح ج ٢، ومحطات ج ٣ البياض الدامي) ط ١ عند دار الفؤاد القاهرية ٢٠١٨.
- مجموعة قصة قصيرة وقصة قصيرة جدا بعنوان (المصابيح العمياء) بتعصيد من قبل الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق - فرع النجف.
- صدور مجموعة شعرية بعنوان (مشاهدات مجنون في عصر العولمة) ٢٠١٩.
- صدور ديوان شعر بعنوان (لا يعني).
- ديوان شعري بعنوان (ن سجاح) دار الورشة الثقافية.
- صدور كتاب بعنوان (الدين والسياسة) عن دار (نور) للطباعة والنشر في ألمانيا.
- صدور رواية (ارض الزعفران) الحائزة على المرتبة الثانية على مستوى الوطن العربي ورواية (القداحة الحمراء) روايتان قصيرتان عن دار حروف مثورة المصرية.
- صدور كتاب (أربع روايات قصيرة جدا) عن دار حوض الفرات - النجف ٢٠١٩.

- صدور كتاب (تراجيديا مدينة) وكتاب (ما لم تمسه النار) و(قراءة في رواية السقشخي - للروائي علي لفته سعيد) و(مالم تمسه النار) روزاية عبد الخالق الركابي نقد أدبي عن دار حروف منشورة المصرية.

- إصدار كراس عن العمل والعمال في العراق.

- حصوله على (وسام ووشاح التميز من الدرجة الاولى في القصة القصيرة في العالم العربي للعام ٢٠١٠) في المسابقة المقامة من قبل مجلس الصحافة العالمي.

- صدر له كتاب بعنوان (كشكول الحريزي - مجموعة دراسات ومقالات متنوعة- دار قهوة).

- كتاب صفحات من الفن الروائي العراقي - الرواية النجفية خلال ٩٠ عاما ١٩٣٠-٢٠٢٠.

- المنشورة في المجلات الصحف العراقية، والعديد من المواقع الالكترونية العراقية والعربية. مائل للطباعة.

- نصوص ادبية مترجمة للغة الصربية.

- له العديد من الشهادات التقديرية من المواقع الادبية والثقافية الالكترونية.

عضو العديد من الاتحادات والمنظمات الادبية والثقافية العربية.

- له عشرات الدراسات والمقالات والقصائد والقصص المنشورة في الصحف والمجلات العراقية ناهيك عن المواقع الالكترونية العراقية والعربية.
- شهادات كثيرة بحق الشاعر والروائي من قبل أدباء وكتاب وقصاصين من داخل العراق وخارجه.
- له عدة دراسات نقدية حول روايات ونصوص شعرية ومجاميع قصصية عراقية وعربية (مشروع كتاب بعنوان قول في الثقافة والادب بـ ٣ أجزاء في السرد والشعر).
- كرم الكاتب من قبل منظمة أحلام الطفولة في غزة - المجلس العالمي لحقوق الطفل.
- فائزة مجموعة قصص قصيرة جدا في مسابقة نازك الملائكة.
- تضمن كتاب (معجم كتاب القصة في النجف الاشرف ١٩٢٠-٢٠١٠) الصادر عن القصة في النجف للقااص محمود جاسم عثمان. ص ٧٦-ص ٨٥.
- هناك مشاريع ومشاركات ونشاطات اخرى لا يسع لها المجال.
- على المجال السياسي:
- نشط ضمن الحركة الطلابية عضو (اتحاد الطلبة العام) في بداية السبعينيات وعضو اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي.

- ناشط ضمن النشاطات الاحتجاجية والتظاهرات منذ ٢٠١٣ والمطالبة بالغاء رواتب وامتيازات اعضاء مجلس النواب ومجالس المحافظات.
  - ناشط في تظاهرات اكتوبر ٢٠١٩.
  - احد سجناء انتفاضة اذار. ١٩٩٠.
- ايميل:-

[Hamd.hur@gmail.com](mailto:Hamd.hur@gmail.com)

## المصادر

- ١ - حنا بطاطو - العراق.
- ٢ - عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - عزيز سباهي.
- ٣ - ذياب مهدي محسن - مقهى عبد ننه - ارث سياسي اجتماعي ادبي نجفي عراقي - موقع الحوار المتمدن.
- ٤ - صاحب جليل الحكيم - النجف الوجه الاخر - محاولة استذكار.
- ٥ - مجلة الشرارة العدد ١١١ شباط ٢٠١٧.
- ٦ - المحامي جرجيس فتح الله - العراق في عهد قاسم
- ٧ - اوريل دان - العراق في عهد قاسم.
- ٨ - ثمينة ناجي يوسف - سلام عادل سيرة مناضل.
- ٩ - روائع عبد الحسين اب شيع - الابوذيه - الموال - الدارمي - القصيدة الاجتماعية.
- ١٠ - احمد باني خيلاني - مذكراتي.
- ١١ - عزيز الحاج - الوجه الاخر.

- ١٢- الدكتور كريم سعيده - حركة حسن سريع وقطار الموت.
- ١٣- حكمت شبر - انا وبغداد.
- ١٤- ستيفن همسلي لونكريك وفرانك ستوكس - العراق منذ فجر التاريخ حتى ثورة تموز ١٩٥٨.
- ١٥- اياد سعيد ثابت - عنكا يواجه الثائر قدره.
- ١٦- الدكتور صالح البصام - مذكرات واسرار هروب نوري السعيد.
- ١٧- عبد الامير الركابي - مهيار الباهلي - انتفاضة الاهوار المسلحة - ١٩٦٧-١٩٦٨.
- ١٨- الدكتور رحيم عجينة - مذكرات.
- ١٩- عدنان عباس مذكرات.
- ٢٠- زكي خيرى مذكرات.
- ٢١- حسين سلطان مذكرات.
- ٢٢- ثابت حبيب العاني مذكرات.
- ٢٣- بهاء الدين نوري مذكرات.
- ٢٤- ا.م.د عبد الستار شنين الجنابي - دور النجف في انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ (في ضوء وثائق مديرية المخابرات السرية والسياسية في وزارة الداخلية العراقية - دراسة وثائقية ص ٢٤٦-٢٨١) .

٢٥- د. وليد محمد سعيد الاعظمي - ثورة عبد الكريم قاسم في الوثائق البريطانية.

٢٦- اسماعيل العارف اسرار ثورة ١٤ تموز العراقية وتأسيس الجمهورية في العراق.

٢٧- مجلة الثقافة الجديدة اعداد مختلفة.

٢٨- كاظم الحلفي - الشيوعية كفر والحاد - فتوى علماء المسلمين - سلسلة اخي المسلم رقم (٤) وافقت وزارة الارشاد على طبعه بكتابها المرقم ٩ والمؤرخ ٥-٤-١٩٦٠ - مطبعة القضاء انجف - باشراف اللجنة التوجيهية لجماعة علماء المسلمين، من الكتب والمؤلفات للكاتب (الشيوعية عدوة الاديان، الشيوعية تحارب الاسلام، ووعد بصدور كتب بعنوان - الشيوعية تريد اشاعة النساء) هنا نريد ان نشير إلى حجم الهجمة التحريضية الكبيرة التي شنّها المتأسلمون ضد الحزب الشيوعي وتحت انظار سلطة عبد الكريم قاسم ومنذ بداية عام ١٩٦٠.

٢٩- عدنان عباس - هذا ما حدث - مذكرات عدنان عباس.  
٣٠- عبد الكريم قاسم البداية والسقوط - جمال مصطفى مردان.

٣١ - قادر رشيد (ابو شوان) بشتاشان بين الالام والصمت.

٣٢- رواية عبد العباس عبد الجاسم - عبد الكريم قاسم -  
حقيقة التاريخ وتاريخ الحقيقة. شهادة طالب حامد قاسم،  
نجل شقيق الزعيم.  
بالإضافة إلى قراءات العشرات من الكتب والوثائق المطبوعة  
أو المنشورة في المواقع الإلكترونية، والمعايشة الشخصية  
المباشرة للكاتب داخل تنظيم الحزب وخارجه لعشرات  
السنين منذ الستينات ولحين التاريخ.